رسالات إسلامية

السيد عادل العلوي

الجزء الأول

عقائد

عقائد المؤمنين
سر الخليقة
وليد الكعبة
فاطمة الزهراء سر الوجود
عصمة الحوراء
ذرية الرسول

مكتبة المرجعية العامة
مؤسسة السيد هبة الدين الحسيني
التسلسل
تأسست سنة ١٣٦٠هـ - ١٩٩١م
صحن الكاظمية - العراق

رسالات إسلامية

السيد عادل العلوي

المجلد العاشر

عقائد

هوية الكتاب

الكتاب : ..... رسالات إسلامية (موسوعة)

المؤلف : ..... السيّد عادل العلوي

المجلّد : ..... العاشر

الموضوع : ..... عقائد

الصفحات : ..... ٦٤٨ صفحة

المطبعة : ..... النهضة ـ قم

الطبعة : ..... الأُولى

سنة الطبع : ..... ١٤٢٣ هـ ق = ١٣٨١ هـ ش = ٢٠٠٢ م

نشر : ..... المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

السعر : ..... ٢٥٠٠ تومان

الشابك : ..... شابك x ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)

يحتوي المجلّد العاشر على الرسائل والكتب التالية :

١ ـ عقائد المؤمنين (٢٧٢ صفحة)

٢ ـ سرّ الخليقة وفلسفة الحياة (٣٢ صفحة)

٣ ـ في رحاب وليد الكعبة (٦٤ صفحة)

٤ ـ فاطمة الزهراء سرّ الوجود (٩٦ صفحة)

٥ ـ عصمة الحوراء زينب (٨٠ صفحة)

٦ ـ المأمول في تكريم ذرّية الرسول (١٢٨ صفحة)

إضافات الناشر (١٦ صفحة)

عقائد المؤمنين

دراسة موضوعية في أصول الدين وفروعه من خلال
القرآن الكريم والسنة الشريفة والعقل السليم

مقدمة

كتاب منهاج المؤمنين

السيد عادل العلوي

رسالات إسلامية

العلوي، السيّد عادل، ١٩٥٥ ــ
عقائد المؤمنين / تأليف السيّد عادل العلوي. ــ قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٤٢٢ ق. = ٢٠٠١ م. = ١٣٨٠.
٢٧٢ ص. ــ (موسوعة رسالات إسلامية)
ISBN 964 - 5915 - 18 - X (دوره). - ISBN 964 - 5915 - 52 - X
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
چاپ قبلى: دار الذخائر، ١٣٦٩ در ١٦٨ ص است.
عربى.
كتابنامه به صورت زيرنويس.
١. شيعه ــ عقائد. ٢. شيعه ــ اصول دين. ٣. شيعة ـ فروع الدين. الف. مؤسسه اسلامى جهانى تبليغ و ارشاد. ب. عنوان.
BP ٢١١ / ٥ / ع٨٣ع ٧ ٢٩٧ / ٤١٧٢
١٣٨٠
كتابخانهٔ ملى ايران
محل نگهدارى ٩٢٢٦ ــ ٨٠ م

موسوعة
رسالات إسلامية

كتاب
عقائد المؤمنين
تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامّة للتبليغ والإرشاد
الطبعة الثانية ـ ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م
التنضيد والإخراج الكومبيوتري ـ حكمت، قم
المطبعة ـ النهضة، قم
الكمية ـ ١٠٠٠ نسخة

شابك X ـ ٥٢ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ ISBN 964 - 5915 - 52 - X
أى. اى. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٥٢٨ EAN 9789645915528
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دوره ١٠٠ جلد) 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

الإهداء

السلام عليك يا جدّاه يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

السلام عليك يا حبيب قلوبنا وطبيب نفوسنا وشفيع ذنوبنا.

السلام عليك يا حبيب الله وصفوته وأمينه وأشرف خلقه.

أهديك مجهودي المتواضع صحائف عقائدي برجاء القبول والشفاعة.

يا رسول الله، اشهد لي عند الله أنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّك رسوله وأنّك محمّد بن عبد الله، وأشهد أنّك قد بلّغت رسالات ربّك، ونصحت لأُمّتك، وجاهدت في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأدّيت الذي عليك من الحقّ، وأنّك قد رؤفت بالمؤمنين، وغلظت على الكافرين، وعبدت الله مخلصاً حتّى أتاك اليقين، فبلغ الله بك أشرف محلّ المكرمين، الحمد لله الذي استنقذنا بك من الشرك والضلال.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، واجعل صلواتك وصلوات ملائكتك وأنبيائك والمرسلين وعبادك الصالحين على محمّد عبدك ورسولك ونبيّك وأمينك ونجيبك وحبيبك وصفيّك وصفوتك وخاصّتك وخالصتك وخيرتك من خلقك، وأعطه الفضل والفضيلة والوسيلة والدرجة الرفيعة، وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأوّلون والآخرون.

فجزاك الله يا رسول الله أفضل ما جزى نبيّاً عن أُمّته، اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد أفضل ما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنّك حميد مجيد سميع مجيب.

عبدك المذنب

عادل العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤسسة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على محمّد وآله الطاهرين.

أمّا بعد:

فمنذ أن اندلعت نار الثورة الإسلامية المباركة في إيران لتحرق عروش الطغاة وعملاء الاستعمار، وتنير الدرب للأحرار والثوّار في العالم، فمنذ نهضة الشعب المسلم، والإسلام ينمو ويتفاعل يوماً بعد يوم، وتزداد ـ لأجل ذلك ـ الحاجة الماسّة إلى مروّجي أحكام الإسلام وناشري نوره وهداه، وتعليم الناس المفاهيم الإسلامية التي تواكب المسير البشري إلى شاطئ السعادة وساحل السلام.

فلذا نهض العلماء الواعون والروّاد المجاهدون بأعباء تلك المسؤوليّة الجسيمة وسعوا إلى سدّ ـ ولو قليلاً ـ تلك الحاجة الملحّة وملء منطقة الفراغ، فبذلوا النفس والنفيس من أجل ذلك.

فترى المؤلّفات القيّمة، التي تعرف الإسلام بعظمته وأحكامه، وكذا ترى المؤسسات الثقافية والدينية والجمعيات الخيرية تنمو وتزداد، ولا يمكن أن يدّعي شخص بأنّها كافية لسدّ الحاجة الهائلة لها.

ولهذا كلّه بادر جمع من الطلبة الواعين والمفكّرين المؤمنين إلى تأسيس المؤسّسة الإسلامية العامّة للتبليغ والإرشاد برعاية المؤسّس سماحة السيّد العلوي دامت بركاته آملين أن تسدّ جزءاً ـ ولو يسيراً ـ من الاحتياجات الملحّة التي يفرضها مسلمو العالم اليوم وغداً.

أمّا أهداف هذه المؤسسة فتتلخّص ممّا سبق بما يأتي:

١ ـ الإجابة عن الأسئلة الدينية والفكريّة والثقافيّة، التي ترد إليها من مختلف أنحاء العالم، وذلك من خلال أهمّ المصادر المعتمدة عند المسلمين.

٢ ـ طبع ونشر الكتب التي تنفع في هذا المجال ـ التبليغ الإسلامي ـ ومنها إصدار مجلّة إسلامية في المستقبل إن شاء الله تعالى تتبع هذا النهج وتهتمّ بشؤون المسلمين، وكذلك إرسال الكتب الإسلامية مجاناً لمراسلي المؤسسة[١].

٣ ـ بناء الطلبة الواعين المؤمنين القادرين على التبليغ الإسلامي في الداخل والخارج، وذلك من خلال الندوات والمحاضرات الإسلامية الأسبوعية التي

---

(١) بحمد الله أصدرت المؤسسة خلال عشر سنوات ما يلي:

١ ـ مجلة (الكوثر) نصف سنوية (١٤ عدداً).

٢ ـ مجلة (عشاق اهل بيت) فصلية بلغة الأوردو (١٠ أعداد).

٣ ـ صحيفة (صوت الكاظمين) شهرية (١٠٥ أعداد).

٤ ـ وطبعت (٩٥) عنوان كتاب ورسالة.

٥ ـ وطبعت لوحات تبليغية (٦ لوحات).

٦ ـ وأرسلت آلاف من الكتب مجاناً إلى أكثر من خمسة آلاف مشترك في خمسة وأربعين دولة، ولا زلنا في بداية الطريق، نسأل الله التوفيق والتسديد.

الناشر

تنهجها هذه المؤسسة المباركة.

ونشاطات ثقافية دينية أُخرى، هذا ونأمل من الباري جلّ وعلا أن يوفّق العاملين لأجل نشر الإسلام المحمّدي الأصيل.

ومن هذا المنطلق والمفهوم الإسلامي، نقدّم إلى القرّاء الكرام هذا الكتاب القيّم (عقائد المؤمنين) وهو ثالث منشورات المؤسسة، ونسأل الله التوفيق والسداد لنشر معارف الإسلام الحنيف شريعة السماء السمحاء.

هذا ودمتم بخير وازدهار، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مدير المؤسسة

سيّد كاظم الموسوي

خلاصة
الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة الإسلام في أُصوله وفروعه

قال الله تعالى في محكم كتابه ومبرم خطابه :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾[1].

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[2].

﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾[3].

الإسلام العظيم هو دين الله القويم كما تنصّ الآيات الشريفة والعقل السليم وبكلّ وضوح على ذلك.

الإسلام شريعة السماء الذي بعث به محمّد النبيّ الأعظم نبيّ الرحمة ﷺ رحمةً للعالمين، وبعث به من قبله الأنبياء والمرسلين.

رسالة الإسلام الرصينة، سليمة من أيّ تحريف في مبادئها وأُصولها،

---

(١) آل عمران : ١٩.

(٢) آل عمران : ٨٥.

(٣) المائدة : ٣.

تتماشى مع كلّ عصر وفي كلّ مصر، فهي رسالة عالمية خالدة تربط الإنسان بربّه ومعاده، وتعالج مشاكل المجتمعات البشرية إلى يوم الدين.

فهي الرسالة الأبدية والنور المزدهر في دهاليز الحياة، وتشمل وتعمّ الجوانب والحقول الدنيوية والأُخرويه، وحوّلت شعاراتها التوحيدية إلى حقائق عملية في مجالات الحياة، ودخلت في التاريخ الإنساني، وساهمت في صنعه وخلق جيل جديد متحضّر ومتقدّم في علومه وفنونه وحياته المزدهرة، ولم يقتصر أثرها البالغ على بناء هذه الأُمّة المرحومة، بل امتدّ من خلالها لتكون قوّة فعّالة وطاقة متفجّرة في العالم كلّه على مسار التاريخ.

فهي آخر أُطروحة سماوية، وهي آخر مناهج ربّانية، وختامها للنبوّة تؤكّد استمرارها مع العصور، كما تنفي ظهور نبوّة أُخرى على مسرح العالم.

فرسالة الإسلام القويمة في قوانينها وأحكامها، لهي أشرف رسالات السماء، إذ تنسجم مع فطرة الإنسان السليمة وعقله المستقيم، وتفتح على كلّ أبعاده من المهد إلى اللحد، الخير والسعادة والهناء والعيش الرغيد لمن يطبّقها عملياً في حياته وسلوكه وأفكاره.

ومن أراد تحقيق الأديان والمذاهب ومعرفة سلامتها وتحرّي الحقّ منها فعليه أوّلاً أن يبدأ بالإسلام، إذ بحكم العقل السليم تحقيق المتأخّر يغني عن تحقيق المتقدّم، ولا عكس.

كما على كلّ مسلم ومؤمن رسالي أن يعرف إسلامه حقّ المعرفة، ويتعلّم أحكامه ودساتيره، ويتفقّه في الدين، فذلك من كماله، بل كلّ الكمال، كما ورد في الخبر الشريف عن مولانا أبي جعفر الباقر عليه السلام:

«الكمال كلّ الكمال: التفقّه في الدين، والصبر على النائبة، وتقدير

المعيشة»[١].

ونعتقد حقّاً أنّ الدين عند الله الإسلام؛ وفي القرآن الكريم تارةً يطلق الإسلام ويراد منه المعنى الأعمّ الذي هو دين الأنبياء من آدم إلى الخاتم عليهم السلام، فهذا الدين الواحد من الواحد الأحد هو التسليم لله سبحانه، فالدين عند الله هو الإسلام، فالمقصود في هذه الآية الشريفة ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾[٢] هو الإسلام بالمعنى الأعمّ، وتارة يطلق في القرآن الإسلام ويراد منه المعنى الأخصّ الذي في عرض الأديان والشرائع السماوية الأُخرى كاليهوديّة والنصرانية، فإنّ الله ختم النبوّة ورسالة الأنبياء بدين الإسلام الحنيف، فقد جعل لكلّ نبيّ منهجاً وشريعة، إلّا أنّه ختم المناهج والشرائع السماوية بشريعة الإسلام السمحاء، ولم يرضَ لأحد بعد الإسلام بالمعنى الأخصّ ديناً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[٣]، ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾[٤]، فنسخ الإسلام بقيّة الشرائع، ولن يقبل من أحد ديناً يدين به إلّا الإسلام ـ بالمعنى الأخصّ ـ الذي جاء به سيّد الأنبياء وخاتم المرسلين محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، إذ هو الشريعة الإلهية الحقّة التي ختمت شرائع الأنبياء السماوية، فهي أكملها وأوفقها في سعادة البشر، وأجمعها لمصالحهم في معاشهم ومعادهم، فهي صالحة للبقاء مدى الدهور، كما جاءت

---

(١) معالم الدين: ١٩.

(٢) آل عمران: ١٩.

(٣) آل عمران: ٨٥.

(٤) المائدة: ٣.

لتبقى فلا تتغيّر ولا تتبدّل في جوهرها وكنهها وحقيقتها، ولها ربّ يحميها، كما قال في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[١].

فهي كاملة وشاملة وجامعة لجميع ما يحتاجه الإنسان من النظم الفردية والاجتماعية والسياسية والثقافية وغير ذلك، فهي دين ودولة، دولة حقّ في ظلّها سعادة البشر والحياة الطيّبة.

ولا بدّ بجبر التاريخ ـ على حدّ تعبيرهم ـ أن يأتي ذلك اليوم الذي ينتشر الإسلام ويقوى ويعلى، فإنّ الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فيعمّ ربوع الأرض بعدله ونظامه الشامخ وقوانينه الرصينة حيث وعدنا الله بذلك، ولن يخلف الله وعده، فإنّ الأرض يرثها عباد الله الصالحون، ولكن لا بدّ من التغيّر في أنفسنا أوّلاً كما قال سبحانه:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[٢].

ولا بدّ أن نعرف إسلامنا كمال المعرفة ونطبّقه، في جميع مجالات حياتنا الفردية والاجتماعية، وأوّل الدين معرفة الجبّار سبحانه وتعالى، إذ لمّا منحنا الله قوّة التفكير ووهب لنا العقل بلطفه، أمرنا أن نفكّر في خلقه ونتدبّر في آثار صنعه وحكمته، ونتأمّل في آياته الآفاقية والأنفسيّة حتّى يتبيّن أنّه هو الحقّ وحده لا شريك له:

---

(١) الحجر: ٩.

(٢) الأنفال: ٥٣.

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾[١].

وقد ذمّ الله المقلّدين ومن يتّبع ظنونه في توحيده، بل لا بدّ من العلم واليقين والاجتهاد في معرفة المبدأ والمعاد وما بينهما من معرفة صفات المبدأ والنبوّة والإمامة، وهذا ما تقوله الفطرة السليمة، ولا يسوغ للإنسان أن يهمل نفسه في الأُمور الدينية الاعتقادية.

وبما أنّ الإنسان ذو أبعاد ثلاثة: العقل والروح والجسد، فلا بدّ له من مكمل لعقله ومهذّب لروحه ومؤدّب لجسده، وما يروي عطش العقل هي العقائد الصحيحة والسليمة من الشكوك والأوهام والشبهات والانحراف، والمتبنّي لبيانها: علم الكلام، وما يصيقل القلب ويطهّر الروح ويهذّب النفس من الصفات الذميمة والأخلاق الرذيلة هي الأخلاق الحميدة والسجايا الطيّبة، والمتكفّل لبيانها: علم الأخلاق.

ومربّي الجسد على العادات الحسنة والأفعال الصالحة وطاعة الله سبحانه من العبادات التي تربط الإنسان بربّه، ومن المعاملات التي تنظّم حياته الاجتماعية، والمتعهّد لبيانها: علم الفقه.

فهذه هي العلوم التي يسعد بها الإنسان في الدارين وينجو بها من المهلكات، وأمّا الباقي فهو فضل.

وربما من هذا المنطلق حصر النبيّ الأكرم ﷺ العلم في ثلاث، كما ورد في الخبر الشريف:

---

(١) فصّلت: ٥٣.

«عن أبي الحسن مولانا موسى بن جعفر عليهما السلام، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد، فإذا جماعة قد أطافوا برجلٍ، فقال: ما هذا؟ فقيل: علّامة، فقال: وما العلّامة؟ فقالوا: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والأشعار العربية. قال: فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ذاك علمٌ لا يضرّ من جهله، ولا ينفع من علمه. ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّما العلم ثلاثة: آيةٌ محكمة، أو فريضةٌ عادلة، أو سنّةٌ قائمة، وما خلاهنّ فهو فضل»[1].

فالعلم النافع الذي يضرّ الإنسان لو جهله في المقياس النبوي إنّما هو عبارة عن: الآيات المحكمة (علم العقائد)، والفرائض العادلة (علم الفقه)، والسنن والآداب القائمة (علم الأخلاق). وباقي العلوم فضل، إمّا بمعنى الفضيلة، أو بمعنى الزيادة.

فلا بدّ أن نفهم الدين الحنيف ونتفقّه فيه كما أمرنا الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام بذلك. فعن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال:

«تفقّهوا في الدين، فإنّه مَن لم يتفقّه في الدين فهو أعرابي، إنّ الله يقول: ﴿ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[2]»[3].

ويقول عليه السلام:

«ليت السياط على رؤوس أصحابي حتّى يتفقّهوا في الحلال والحرام».

فيجب علينا أن نتفقّه ونفهم الدين الإسلامي كما هو.

---

(١) المعالم: ١٨.

(٢) التوبة: ١٢٢.

(٣) معالم الدين: ٢١، عن الكافي.

وأوّل شعار طرحه الدين المبين هو التوحيد في قول رسوله الكريم: (قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا). فجعل الفلاح والفوز في كلمة التوحيد، حيث دمج بين الرفض والإثبات في العقائد، حيث رفض جميع الآلهة، وأثبت الصانع والمعبود والمعشوق سبحانه وتعالى، ومن ثمّ يتجلّى هذا الرفض والإثبات في الفقه الإسلامي، فإنّ الفقه المصطلح في واجباته ومحرّماته، هو الذي يقوم بدور التعميق لذلك الشعور الإيماني، فإنّه تعبير عملي وتطبيقي لغريزة الإيمان، ويجسّد لنا شعار الرفض والإثبات العقلي، وليست الأخلاق الإسلامية الحسنة إلّا تهذيب النفس والروح في ذلك الرفض والإثبات.

فالفقه تعبير عملي للعقيدة، والأخلاق تعبير روحي للعقيدة الإسلامية، لأنّ الأخلاق ليس إلّا الرفض والتخلّي من الصفات الرذيلة كالرياء والحسد والكبر والجهل، ثمّ إثبات الصفات الحميدة في القلب والروح والتحلّي بها، كالإخلاص والتواضع والعلم.

والغاية من كلّ ذلك: تربية الإنسان وتكامله وسعادته حتّى يصل إلى ذروة الكمال، فإنّ إلى ربّك الرجعى، وإلى الله المنتهى، وإنّا إليه راجعون، وإليه تصير الأُمور.

فخلق الإنسان ـ هذا الذي يزعم أنّه جرم صغير ولكن انطوى فيه العالم الكبير والأكبر، انطوى فيه العالم المادّي والمعنوي، عالم الطبيعة وعالم ما وراءها ـ، خلق من تراب الأرض، ثمّ يقول الله سبحانه:

﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾[1].

---

(١) الحجر: ٢٩.

ويتمدّح بخلقته بعدئذٍ في قوله عزّ وجلّ:

﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾[١].

فخلق الإنسان وسخّر له ما في السماوات والأرض ليعرف ربّه وليعبده، ولا زال الإنسان ذلك الكائن المجهول يبحث منذ نعومة أظفاره عن كماله وسعادته، ويحاول أن يقف على سرّ الخليقة وفلسفة الحياة، وليس هو إلّا العلم والعبادة[٢].

وأخيراً، جعل علماؤنا الأعلام ـ جزاهم الله خير الجزاء ـ للدين الإسلامي أُصولاً وفروعاً.

وأُصول الدين خمسة:

١ ـ التوحيد: بمعنى أنّ الله سبحانه صانع هذا الكون وخالقه، وحده لا شريك له.

٢ ـ العدل: بمعنى أنّ الله عادل وليس بظلّام للعبيد، وهو اللطيف بعباده.

٣ ـ النبوّة: بمعنى أنّ الله أرسل الرسل وبعث الأنبياء لهداية الناس.

٤ ـ الإمامة: بمعنى أنّ الله نصب أوصياء لرسله، ليحفظوا شرائعهم، ويهدوا الناس إلى الحقّ.

٥ ـ المعاد: بمعنى يوم القيامة ليجزي الله المطيع بطاعته والعاصي لمعصيته.

وفروع الدين عشرة:

---

(١) المؤمنون: ١٤.

(٢) ذكرت هذا المعنى بالتفصيل وأثبتّه في كتابي (دروس في العقائد الإسلامية)، ورسالة (فلسفة الحياة وسرّ الخليقة).

١ ـ الصلاة.

٢ ـ الصوم.

٣ ـ الزكاة.

٤ ـ الخمس.

٥ ـ الحجّ.

٦ ـ الجهاد.

٧ ـ الأمر بالمعروف.

٨ ـ النهي عن المنكر.

٩ ـ التولّي لله ولرسوله وأهل بيته عليهم السلام.

١٠ ـ التبرّي من أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء أهل البيت عليهم السلام.

ويأتينا تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

ولا يجوز التقليد، ولا يكفي الظنّ في معرفة أُصول الدين، بل لا بدّ أن يكون عن اجتهاد ودليل وعلم ويقين. وأمّا فروعه: يعني الواجباتُ الشرعية والأحكام الإسلامية المتعلّقة بالأفعال، فلا يجب فيها الاجتهاد، بل يجوز أن يكون المكلّف فيها مجتهداً، له قوّة الاستنباط بإرجاع الفروع إلى الأُصول واستفراغ الوسع في استنباط الأحكام الشرعية عن أدلّتها التفصيلية من الكتاب والسنّة والإجماع والعقل، أو يكون مقلّداً لهذا المجتهد أو محتاطاً في أعماله فيما كان يسعه الاحتياط، فقد أوجبت الشريعة الإسلامية، التقليد في فروع الدين من الحلال والحرام للمجتهد الذي له اختصاص في علوم الشريعة، وحرمت ذلك في أُصول الدين، فلم تسمح لأي مكلّف بأن يقلّد في عقائده الدينية، بل يلزمه شرعاً وعقلاً التصديق بربّه وبنبيّه وإمامه ومعاده ودينه.

وبعبارة أُخرى أجمع العلماء كافّة على وجوب معرفة أُصول الدين بالدليل لا بالتقليد.

فكلّ واحد من الناس هو الذي يحمل مسؤولية عقائده على عاتقه، بدلاً عن تقليد الآخرين وتحميلهم مسؤوليتها.

وقد ذمّ الله في كتابه الحكيم أُولئك الذين يلقون مسؤولية أُصول الدين على عاتق آبائهم هرباً من المسؤولية، أو تعصّباً لهم، أو بدافع الكسل والجمود الفكري والانخمال العقلي، كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾[1].

وإنّما كلّف كلّ واحد منّا بالبحث والفكر في أُصول دينه بالقدر الذي يتلاءم مع مستواه الفكري، فلن يكلّف الله نفساً إلّا وسعها.

وقد حثّ الله سبحانه على النظر والاستدلال بقوله تعالى:

﴿ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[2].

وفي الفروع إن لم يجتهد ولا يحتاط فعليه أن يقلّد الفقهاء، فهم أُمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء، وقد جاء في الخبر الشريف عن مولانا صاحب الزمان عليه السلام وعجّل الله فرجه الشريف:

«فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فعلى العوام أن يقلّدوه».

فالإسلام عقيدة وعمل، وهو مشتمل على أُصول وفروع.

---

(١) الزخرف: ٢٣.

(٢) الأحقاف: ٤.

فالأُصول هي المعتقدات التي فرض الإسلام الإيمان بها، ومن لم يكن مؤمناً بها فليس بمسلم وليس بمؤمن، والمتكفّل لبيان أُصول الدين ودعمها بالبراهين والحجج العقلية والأدلّة النقلية هو (علم الكلام)، وأمّا الفروع فهي الأحكام المتعلّقة بأفعال المكلّفين العبادية منها، أو ما يصدر عنهم من أجل معايشهم، ويسمّى بالمعاملات، والمتكفّل لبيان الأحكام الفرعية هو (علم الفقه)، وتحصيل المعرفة بالأحكام الشرعية الفرعية بطريقين: الاجتهاد لمن طلب وتفقّه، والتقليد لمن لم يستنبط الأحكام عن أدلّتها التفصيلية، ويفرض الإسلام على كلّ مسلم العمل بأحكام الدين، ومن لم يعمل بها فليس بمطيع لله جلّ جلاله ولرسوله الأكرم صلى الله عليه وآله ولأُولي الأمر عليهم السلام.

هذا والسبب في تدوين هذه الرسالة التي سمّيتها (عقائد المؤمنين) هو أنّها كانت من باب المقدّمة لكتاب (منهاج المؤمنين) الذى كتبته في المسائل الفقهية ليكون رسالة عملية مطابقة لفتاوى سماحة سيّدنا الأُستاذ آية الله العظمى السيّد المرعشي النجفي مدّ ظلّه، وقد طبع والحمد لله في مجلّدين ـ العبادات والمعاملات[1] ـ.

وشاء الله سبحانه أن تخرج هذه المقدّمة ـ بعدما طبع معظمها في جريدة كيهان العربي، قسم الثقافة ـ بهذا الزيّ المستقلّ، فحرّرت على ما سمح به الوقت المزدحم ما يرتبط بأُصول الدين وفروعه، مستدلاً بالأدلّة العقلية والنقلية من الكتاب والسنّة بنحو الإيجاز والإشارة.

وقد تعرّضت لمباحث أُصول الدين تفصيلاً في دروس قد سجّلتها الإذاعة الإسلامية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية في رمضان عام (١٤٠٨ هـ)، وقد

---

(١) طبع سنة ١٤٠٦ هـ ق.

نقلها أحد الأفاضل (ممّن أكون بخدمتهم في الدروس الحوزوية في حوزة قم المقدّسة) من الأشرطة (الكاسيتات)، كما سجّل المجمع العلمي للطلبة البحرينيين في قم، وكذلك حركة المهجّرين والمهاجرين تدريسي لشرح باب الحادي عشر قبل أعوام، فجزاهم الله خيراً. كما كتبت شرح الباب الحادي عشر في أجزاء باسم (بداية الفكر في شرح الباب الحادي عشر)، وهو أكثر تفصيلاً. كما سجّل تدريسي لشرح التجريد وكتبته في أجزاء (القول الحميد في شرح التجريد).

وما هذا إلّا من فضل ربّي عزّ وجلّ، وأسأل المولى القدير سبحانه وتعالى، السداد والاعتصام، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب، والله من وراء القصد، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

«اللهمّ عرّفني نفسك، فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك.

اللهمّ عرّفني رسولك، فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك.

اللهمّ عرّفني حجّتك، فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني.

اللهمّ لا تمتني ميتة الجاهلية، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة، إنّك أنت الوهّاب».

«يا الله، يا رحمن يا رحيم، يا مقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك».

العبد

عادل العلوي

قم المقدّسة ــ ١٤٠٩ هـ الطبعة الأُولى

١٤٢٢ هـ الطبعة الثانية

أصول
الدين

الأصل الأوّل

التوحيد

﴿ أَفِي اللهِ شَكٌّ ﴾[1].

كلّا، ليس في الله سبحانه وتعالى فاطر السماوات والأرض ريبٌ وشكّ، فإنّ الأدلّة والبراهين العقلية الساطعة كافية لإثبات وجود الصانع، وإنّ سبل المعرفة وطرق التوحيد بعدد أنفاس الخلائق:

ففي كلّ شيءٍ له آيةٌ تدلّ على أنّه الواحدُ

ليس كمثله شيء، عالم قادر حيّ، بيده ملكوت كلّ شيء، وإليه ترجع الأُمور.

ولكن في عصرنا المكفهرّ، تسعى المدارس الإلحادية ـ كالشيوعية ـ بشتّى المحاولات إلى بثّ أفكارها المسمومة ونشر فلسفتها المقيتة الوهمية، وإيديولوجيّتها السقيمة في مجامعنا الإلهية وبلادنا الإسلامية، إذ أهدافها ومخطّطاتها الاستعمارية ـ كالرأسمالية واستعمار الغرب ـ تنحصر بإبعاد شبابنا الناهض عن روح الدين الإسلامي، ليبتعدوا عن كلّ قيد والتزام ديني، فيسوغ لهم

---

(١) إبراهيم: ١٠.

ابتلاع ثرواتهم ويسهل عليهم استعبادهم، ومن ثمّ تأمين لذائذهم الخبيثة.

ومن هذا المنطلق نشاهد فئة كبيرة من العلماء والمفكّرين العباقرة على مدى العصور والأحقاب في مختلف العلوم والفنون، يقدّمون أدلّتهم الشافية وبراهينهم لإثبات الخالق سبحانه بسرد حقائق علمية ثابتة وشواهد فلسفية لامعة.

والبشرية منذ نعومة أظافرها كانت تعتقد بوجود خالق لهذا الكون، ولكنّها قد انحرفت أحياناً واشتبه عليها تشخيص ضالّتها، وليس ذلك إلّا تلبيةً لنداء الفطرة السليمة، فإنّها تصرخ في وجوه الملحدين بأنّ لهذا الكون صانعاً، فإيمانهم بالله لم يكن عن جهل وخوف وتقليد. بل عن علم وإيمان وبصيرة نافذة.

فالعالم لا بدّ له من صانع حكيم ومدبّر، والإنسان منذ بدايته يهرول خلف هذا النداء الباطني، فهو مجبول بغريزته وفطرته السليمة على العبودية والاعتقاد بإله خالق عليم قادر حيّ.

فخير دليل على إثبات الصانع فطرة الإنسان، والأدلّة الأُخرى ـ العقلية والسمعية ـ إنّما هي بمثابة وقود لتنوير الفطرة وتجليتها، وإليك بعضها على سبيل الإجمال، ونجعله في المقام الأوّل من البحث، ويليه المقام الثاني في صفات الله سبحانه وتعالى.

المقام الأوّل
أدلّة إثبات الصانع

١ ـ دليل الإمكان (مسلك الحكماء) :

وهو : أنّ ما بمشهدنا موجود، وهذه ضرورة بديهية.

والموجود إمّا واجب الوجود أو ممكن الوجود، إذ تصوّر مفهوم الوجود على ثلاث :

واجب الوجود لذاته، أي ما كان وجوده ضرورياً، فلا يحتاج إلى علّة الإيجاد، بل هو علّة العلل، وإليه تنتهي سلسلة المعلولات.

أو ممتنع الوجود، أي عدمه ضروري، فلا علّة لعدمه، كشريك الباري.

أو ممكن الوجود، أي ما تساوى فيه طرفا الوجود والعدم، بحيث إنّ وجد يسئل عن علّة وجوده، وإن عدم يسئل عن علّة عدمه.

فما بمشهدنا إمّا واجب الوجود فثبت المطلوب، أو ممكن الوجود فيستلزم الواجب حدوثاً وبقاءً، وإلّا يلزم الدور، بأن يفرض ممكنات بعضها علّة لبعض وبالعكس. أو التسلسل، بأن يفرض سلسلة غير متناهية من الممكنات، يكون كلّ سابق في السلسلة علّة للّاحق.

والأوّل باطل، إذ يلزمه أن يكون الشيء الواحد موجوداً ومعدوماً، إذ الدور توقّف الشيء على نفسه، وهذا مستحيل، فإنّه من اجتماع النقيضين، كما يلزمه أن يكون المتقدّم متأخّراً وبالعكس، وإنّ العلّة معلول وبالعكس، وغير ذلك من توالي الفساد.

والثاني باطل أيضاً، لأنّه إمّا أن يكون في السلسلة واجب، أي علّة غير معلولة فيلزم الخلف لأنّها تنتهي إليه إذ ليس له سابق، وكان المفروض عدم التناهي، مع أنّه إثبات للمطلوب، وإمّا أن لا يكون فيها واجب، فكان كلّ واحد من آحادها ممكناً، فيلزم أن يكون جميع آحادها معدومة، لأنّ الممكن لا يوجد لذاته بل لعلّته، وعلّته لو كانت ممكنة فحكمها حكمه حتّى ينتهي إلى ما هو موجود لذاته، وهو الواجب لذاته، والمفروض أنّها موجودة، وهذا خلف أيضاً.

والدليل الآخر على بطلان التسلسل دليل التطابق وهو: لو كانت هنا جملة علل ومعلولات غير متناهية من طرف، ومتناهية من طرف آخر وفصلنا من الطرف المتناهي آحاداً متناهية كعشرة منها، حصلت جملتان إحداهما من المعلول الأخير إلى ما لا يتناهى، والثانية من الحادي عشر إلى ما لا يتناهى، ثمّ نأخذ من مبدأ الجملة الثانية، أي الحادي عشر، ونطبّقها على الجملة الأُولى بحيث يقع الحادي عشر في عرض المعلول الأوّل، فالجملة الثانية أنقص من الأُولى بعشرة بالبديهة، مع انطباق طرفيهما المتناهيين، فيلزم تساوي الناقصة والزائدة وهو مستحيل، فإنّه من اجتماع النقيضين أو الضدّين، كما يلزمه من فرض عدمه وجوده أو بالعكس وهو مستحيل أيضاً.

ولمّا بطل الدور والتسلسل فيلزم إثبات واجب الوجود لذاته وهو خالق الكون وجميع الممكنات ممّا سواه جلّ جلاله.

٢ ـ دليل الحدوث (مسلك المتكلّمين) :

وهو: النظر إلى الموجود من حيث هو حادث، فيقال: العالم متغيّر

بالبديهة، وكلّ متغيّر حادث، إذ مسبوق بالغير وهو الحدوث الذاتي، أو العدم وهو الحدوث الزماني، فالعالم حادث، وكلّ حادث له محدث، فللعالم محدث، ولا يكون حادثاً، فإنّه لو كان لاحتاج إلى آخر وهكذا، إلى أن ينتهي إلى محدث قديم أزلي غير حادث، دفعاً للدور والتسلسل.

٣ ـ دليل الحركة (مسلك الطبيعيين) :

وهو : النظر في الموجود من حيث هو جسم ومتحرّك بالبديهة، فلا بدّ من محرّك غير متحرّك وهو الفاعل الأوّل. وأيضاً : الأجسام مركّبة، والمركّب لا بدّ له من بسيط، وكذا الأجسام كلّها مشتركة في الجسمية وكلّ منها يختصّ بحقيقة غير الجسمية، ولا بدّ للاختصاص من علّة، لامتناع الترجيح من غير مرجّح، وعلّة الترجيح ليست الجسمية المشتركة، ولا تلك الخصوصية، فهي خارجة عن الأجسام، بل العلّة الأُولى هو الصانع الأوّل البسيط المطلق.

٤ ـ دليل النظم :

بالبداهة كلّ ما فيه النظم، فإنّه يدلّ على ناظم ومنظّم حكيم قادر عليم، وهذا الكون من ذرّاته إلى مجرّاته له نظم خاصّ، لو اختلف بقدر شعرة لاحترق العالم، فلا بدّ له من صانع حكيم ومدبّر لا تأخذه سِنة ولا نوم، وإلّا فكيف للمادّة التي لا حياة فيها ولا إحساس ولا فكر ولا إبداع لهذا الكون الجبّار أن تؤثّر فيه ؟ وكيف الأدنى مؤثّراً في الأعلى درجة ؟ فهذا التكامل المعقول في أشكال الوجود على نطاق هذا الكون الرحيب لهو برهان ودليل قاطع على إثبات الصانع.

ولو تركت النظر في هذه الكائنات ونظرت إلى جسمك وما فيه من أعضاء

وأطراف وجوارح وجوانح وأنسجة وخلايا، أيقنت أنّ لك خالقاً ومصوّراً، ومن هذا المنطلق وردت الرواية الشريفة: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»، فللكون صانع حكيم، بدلالة كلّ ما في هذا الكون من آيات الاتّساق والتدبير.

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ﴾[1].

٥ ـ دليل العلّة والمعلول:

منَ البديهي أنّ لكلّ معلول علّة، وفي هذا الكون نجد نظام وقانون العلّة والمعلول بوضوح، فلا بدّ لكلّ المعلولات من علّة أُولى تفيض على المعلولات الوجود من وجوده المطلق ومطلق الوجود، وهو الله سبحانه وتعالى.

«سئل أعرابي: ما الدليل على وجود الله تعالى؟ فقال: البعرة تدلّ على البعير، والأثر يدلّ على المسير، فكيف بسماوات ذات أبراج وأرض فجاج لا تدلّان على اللطيف الخبير؟».

وهناك المئات من الأدلّة والبراهين العقلية كدليل الحسابات والاحتمالات القاطعة على إثبات الصانع جلّ جلاله، وأمّا الأدلّة النقلية التي شحنت بالأدلّة العقلية فحدّث ولا حرج من الآيات المحكمات والروايات الشريفة، إذ أوّل دعوة الأنبياء والأوصياء إنّما هي دعوة التوحيد والإيمان بالله سبحانه وتعالى، ورفض جميع الآلهة.

وليس الإيمان بالله وانبثاق الحياة عنه مسألة فكريّة خالصة، لا علاقة لها

---

(١) فصلّت: ٥٣.

بالحياة، بل هي مسألة تتّصل بالعقل والقلب والحياة جميعاً.

«ولم يكن الإيمان بالله وليد تناقض طبقي أو من صنع مستغلّين ظالمين، لأنّ هذا الإيمان سبق في تاريخ البشرية أيّ تناقضات من هذا القبيل.

ولم يكن هذا الإيمان وليد الخوف تجاه كوارث الطبيعة، ولو كان الدين حصيلة الرعب، لكان أكثر الناس تديّناً على مرّ التاريخ أشدّهم خوفاً، مع أنّ الذين حملوا مشعل الدين على مرّ الأحقاب كانوا أشدّ الناس قوّةً وأصلبهم نفساً، لا تأخذهم في الله لومة لائم.

بل هذا الإيمان يعبّر عن نزعة أصيلة في الإنسان إلى التعلّق بخالقه ووجدان راسخ يدرك بفطرته علاقة الإنسان بربّه وكونه».

المقام الثاني

صفات الله سبحانه وتعالى الجماليّة والجلاليّة

حينما نؤمن بالله سبحانه خالقاً للكون ومنظّماً لمسيرته ومربّياً له وفق الحكمة والتدبير، فلا بدّ أن نقف على صفاته من خلال خلقه وإبداعه هذا الكون، فإنّه يكشف عن علمه وحكمته، وما في أعماق هذا العالم الكبير من طاقات تحيّر العقول، يدلّنا وبكلّ سهولة على قدرته، وما فيه من الحياة والإدراك العقلي، تنقاد إلى حياته وأنّه حيّ قيوم، كما أنّ وحدة البناء في هذا الكون تشير إلى وحدة الخالق وأنّه لا شريك له.

فسبحانه وتعالى يتّصف بصفات كمالية، وهي: الصفات الثبوتية الذاتية، وهي عين ذات الله وليست زائدة عليها، وإلّا يلزم تعدّد القدماء وهو باطل كما هو ثابت في محلّه، وهي كالقدرة والعلم والحياة، فقدرته حياته، وحياته قدرته، فهي مختلفة في معانيها لا في حقائقها.

الصفات الثبوتية الفعلية، وهي ليست عين ذاته كالرزق، فإنّه يرزق المرزوق، في وقت دون وقت وشخص دون شخص، وذلك متى ما شاءت حكمته، وله الأسماء الحسنى، كما يتّصف بصفات جلالية وتسمّى بالصفات السلبية، فإنّه ليس بجسم، ولا مركّب، ولا في محلّ، ولا يتّحد مع غيره، وليس محلاً للحوادث، ولا يصحّ عليه الألم واللذّة، ويستحيل عليه الرؤية البصرية، وليس له شريك، وليس فيه المعاني والأحوال، فإنّه يجلّ عن ذلك كلّه، وهي ترجع إلى صفة واحدة، وهي سلب الإمكان عنه، لأنّه واجب الوجود لذاته،

فيلزمه سلب كلّ صفة ذكرت.

فهو سبحانه وتعالى قادر، بمعنى إن شاء فعل وإن شاء ترك مع قصد وإرادة، والعالم التكويني لتغييره في سكونه وحركاته وأجسامه وأعراضه حادث، فالمؤثّر فيه لا بدّ أن يكون قادراً مختاراً، وإلّا يلزم أن يكون موجباً لم يتخلّف أثره عنه، فيلزم قدم العالم، أو حدوثه سبحانه وتعالى، وكلاهما باطل، فهو قادر مختار.

وهو عالم، لأنّه مختار، وكلّ مختار عالم، إذ فعله تابع لقصده، ولا يكون القصد من دون العلم، كما أنّ فعل الأفعال المحكمة كما يشاهدها كلّ من تدبّر في مخلوقاته وتعقّل آياته الآفاقية والأنفسية، وكلّ من يفعل ذلك عالم، فالله سبحانه عالم، وعلمه بكلّ المعلومات الكلّية والجزئية، لتساوي نسبة جميع المعلومات إليه، فإنّه يعلم السرّ وأخفى من السرّ، وذلك الذي سرّه الإنسان ثمّ نسيه، وما من رطب ولا يابس، وما من صغيرة ولا كبيرة، وما من ورقة تسقط إلّا علمها عند الله عزّ مقامه.

وإنّه حيّ، لأنّه قادر وعالم، فيكون حيّاً بالضرورة.

وإنّه مريد، إذ أمر ونهى، كما أنّ إيجاد الأفعال في وقت دون آخر دليل على المخصّص، ولا يكون إلّا بالإرادة، فهو مريد.

وإنّه مدرك، لأنّه حيّ، فهو مدرك، والإدراك أخصّ من العلم كما دلّ على أنّه مدرك النقل، من الآيات والروايات الشريفة.

وإنّه قديم أزلي باقٍ أبدي، لأنّه واجب الوجود لذاته، فيستحيل عليه العدم مطلقاً، فهو الأوّل وهو الآخر، وهو الظاهر وهو الباطن.

وإنّه متكلّم صادق، فإنّه يوجد الكلام في جسم من الأجسام، كما عليه

الآيات والروايات والإجماع، ولا يكذب، لأنّه قبيح بالضرورة، والله منزّه عن القبائح، إذ يلزمه الجهل أو العجز أو الغفلة وغير ذلك من النقص، والله كمال مطلق ومطلق الكمال، مستجمع لجميع الصفات الكمالية في الجهات، فإنّه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، والعبادة والمحبّة والإخلاص.

فهو واحد أحد، ليس كمثله شيء، قديم لم يزل ولا يزال، سميع بصير، لا يوصف به المخلوقات، ولم يكن له كفواً أحد.

وما أروع ما قاله مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة الشريف:

«وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، بشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة، فمن وصفه سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله».

وقال في دعاء الصباح:

«يا من دلع لسان الصباح بنطق تبلّجه، وسرح قطع الليل المظلم بغياهب تلجلجه، وأتقن صنع الفلك الدوّار في مقادير تبرّجه، وشعشع ضياء الشمس بنور تأجّجه، يا من دلّ على ذاته بذاته، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته، وجلّ عن ملائمة كيفيّاته، يا من قرب من خطرات الظنون، وبعد من لحظات العيون، وعلم بما كان قبل أن يكون».

الأصل الثاني

العدل

الأصل الثاني من أُصول الدين : العدل الإلهي، وهو من صفاته تعالى الثبوتية الفعلية الكمالية، فإنّه عادل غير ظالم، فلا يجور في قضائه، ولا يحيف في حكمه، يثيب المطيعين، وله أن يجازي العاصين، ولا يكلّف عباده ما لا يطيقون، ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقّون، وهو منزّه عن الظلم وفعل ما هو قبيح.

وإنّما جعل العدل أصلاً، لما يبتنى عليه من القواعد الإسلامية، بل الأحكام الدينية مطلقاً، وبدونه لا يتمّ شيء من الأديان، ولا يمكن أن يعلم صدق النبي ونجاته على الإطلاق.

والعدل لغةً : بمعنى وضع الشيء في موضعه، أو الحدّ الوسط بين الإفراط والتفريط، أي الحكمة.

واصطلاحاً : إنّ الله عادل لا يظلم أحداً، ولا يخلّ بواجب، وكلّ ما يصدر منه فهو على حكمة ربّانية وعدالة إلهية، والعدالة الاجتماعية مظهر من مظاهر العدل الإلهي.

وحاصل كلام العدلية :

إنّ الفعل لا يصدر منه تعالى إلّا بعلل غائية، تسمّى بالأغراض، وهي : المنافع العائدة إلى الخلق، ولا يفعل ما لا نفع لهم فيه، أو ما فيه ضرر عليهم، والعذاب بهم يوم القيامة أو في الدنيا، وإن كن من فعله سبحانه، إلّا أنّه تابع لسوء اختيارهم، بحسب وعيده، وليس ذلك ظلماً منه تعالى، بل الناس أنفسهم يظلمون.

فإنّ الأفعال الإنسانية تصدر من الإنسان بالاختيار، ولا جبر ولا تفويض، بل أمرٌ بين الأمرين، وهي تتّصف بالحسن والقبح الذاتيين العقليين.

فمنها : حسن عقلاً.

ومنها : قبيح عقلاً.

والله سبحانه منزّه عن القبائح وإن كان قادراً عليها، فلا يفعل القبيح ولا يريده؛ إذ لا يكون ذلك إلّا من العاجز الجاهل الغافل.

والله هو القادر العالم، لا تأخذه سِنة ولا نوم، ويفعل لحكمة وغرض، وهو تعريض العباد للثواب فيكلّفهم، ويريد الطاعات ويكره المعاصي من العباد كلّهم بالإرادة والكراهة التشريعيتين سواء وقعت بإرادة العباد أم لم تقع، فإرادته : أمره تعالى، أو ربما يتخلّف المأمور به عن الأمر فهو ممكن، فإرادته لفعل العبد طاعة كان أو معصية، لا تكون إلّا بأسباب ومنها إرادة العبد، وهو مخيّر في إرادته وأفعاله وليس مسيّراً ولا ملجأً ولا ممنوعاً، فهداه الله النجدين، وهداه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً، ليس للإنسان إلّا ما سعى.

والله سبحانه لطيف بعباده، وخلقهم ليكلّفهم بطاعته وعبادته، وكلّفهم بها

ليجعلهم في معرض الثواب والسعادة الدائمة، وجعلهم في معرض ذلك ليحصل لهم ذلك بالاستحقاق، فإنّه تعالى أزاح علل المكلّفين فيما يحتاجون إليه بالقدرة والآلات، وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وأمرهم بما يصلح لهم فعله، كما نهاهم عمّا يضرّهم فعله، ومن خالف فقد أتى من قبل نفسه لا من قبله سبحانه وتعالى.

فاللطف بمعنى ما يحصل به غرضه تعالى واجب عليه عقلاً، لأنّ نقض الغرض بترك ما له دخل في حصوله قبيح، والله منزّه عن القبائح، فهو الكمال المطلق ومطلق الكمال.

واللطف بمعنى ما يقرب العبد إلى الطاعة، وبه يبتعد عن فعل المعصية لا بنحو الإلجاء والقهر، بل يكون المكلّف بدونه متمكّناً من الطاعة وترك المعصية، فإنّه واجب على الله ذلك أيضاً، ولكن لما هو مقتضى جوده ورأفته.

وخير دليل على العدل الإلهي، بل جميع أُصول الدين: الفطرة السليمة؛ فإنّ العقل الفطري السليم يدرك أنّ الظالم والخائن جدير بالمؤاخذة، وإنّ العادل الأمين جدير بالمثوبة، والله يجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته، كما إنّه سبحانه وتعالى يؤكّد على عدالته في كتابه الكريم:

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

ويذمّ الظالمين ويندّد بهم، فكيف يكون سبحانه وتعالى ظالماً:

---

(١) الزخرف: ٧٦.

﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾[١].

﴿ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[٢].

وكيف يأمرنا بالعدل في المجتمع وهو لا يتّصف به :

﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ ﴾[٣].

فهو منزّه عن كلّ شين ونقص، وقد سئل مولانا أمير المؤمنين عن التوحيد والعدل ـ كما في نهج البلاغة ـ فقال :

«التوحيد أن لا تتوهّمه، والعدل أن لا تتّهمه».

وما أروع ما قاله عليه السلام، فقد أوجز وأبلغ في الأداء.

فنعتقد أنّ أفعاله كلّها على حكمة ومطابقة للعدالة، ومن عدله وبرّه بخلقه أوجب على نفسه أن يرسل إليهم رسلاً، ليعلّموهم ويرشدوهم إلى ما يريده منهم، ليسعدوا في الدارين :

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[٤].

وأخيراً في أصل العدل مباحث كثيرة قيّمة ونافعة، كمسألة الحسن والقبح الذاتيين العقليين والجبر والتفويض والقضاء والقدر والهداية والضلالة والألم، ووجه حسنه، والأعواض والآجال والأرزاق والأسعار والأصلح، وحقيقة

---

(١) الدهر : ٣١.

(٢) هود : ٤٤.

(٣) النحل : ٩٠.

(٤) النساء : ١٦٥.

اللطف وغير ذلك، وهي مذكورة في المفصّلات من كتب الكلام وأسفار الفلسفة الإسلامية.

والعدلية في الواقع والحقيقة أعطوا قيمة للعقل، وإنّه الرسول الباطني كما ورد في الأخبار، كما للأفعال قيمة ذاتية من دون تحسين وتقبيح شرعي، فليس ذلك من الشرع فقط، بل للعقل أصالة في استنباط الحكم من الحسن والقبح وغير ذلك، كما للعدل الإلهي أهمية بالغة في تكوين المجتمع الإسلامي وتعديل حقوله وجوانبه، فلا ظلم ولا جور ولا تعدّي ولا إجحاف ولا إسراف ولا تكدّي ولا غير ذلك من المفاسد الاجتماعية والفردية.

فالله جلّ جلاله عادل حكيم، لا يخلّ بواجب ولا يفعل القبيح، ولا يظلم العباد، ولو لم يكن كذلك، لكان ناقصاً، تعالى الله عن ذلك، ولو فعل القبيح لجاز عليه الكذب، فيرتفع الوثوق بوعده ووعيده، فترتفع الأحكام الشرعية، فينتقض الغرض المقصود من بعثة الأنبياء والرسل، ويصبح كلّ شيء هباءً منثوراً.

ولهذا جعل العدل أصلاً ثانياً من أُصول وأساس الدين، وقيل: هو من أُصول المذهب، على أنّ الفرق التي تدّعي الإسلام تشترك كلّها في أُصول ثلاثة، وهي عبارة عن: التوحيد والنبوّة والمعاد.

وأمّا العدل والإمامة، فهما من أُصول المذهب، وفيه نظر وتأمّل، وسمّي من يعتقد بالعدل الإلهي ـ وهم المعتزلة والإمامية ـ بالعدلية، وأمّا الأشاعرة فهم يدّعون الحرّية الإلهية ونفي الحسن والقبح الذاتيين العقليين، وهم في خبط ووهم.

إذ لا منافاة بين الحرّية الإلهية وبين العدل الإلهي عقلاً وسمعاً، فإنّ الله سبحانه وتعالى عادل غير ظالم بصريح البراهين العقلية والأدلّة النقلية، من الكتاب والسنّة وبالفطرة السليمة الخالية عن الشوائب والمطهّرة عن المعاصي والذنوب، وإنّه هو الذي كتب على نفسه الرحمة والعدل مع مطلق حرّيته، وإنّه يَسأل ولا يُسأل، فلا منافاة بين الحرّية الإلهيّة والعدل الإلهي.

الأصل الثالث

النبوّة

من أُصول الدين وأركانه : النبوّة .

ويقع الكلام فيه في مقامين : النبوّة العامّة ، والنبوّة الخاصّة .

والأوّل : ما يتحدّث فيه عن مفهوم النبوّة وضرورتها في المجتمع البشري وشرائطها وكيفية معرفتها ، ويسمّى بالنبوّة العامّة .

والثاني : يتحدّث عن نبوّة خاتم النبيين محمّد بن عبد الله ﷺ ، وأنّه أفضل الأنبياء ، ويتحدّث عن معاجزه ـ لا سيّما القرآن الكريم ـ ويسمّى بالنبوّة الخاصّة .

المقام الأوّل

النبوّة العامّة

النبيّ هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر، والبعثة حسنة لاشتمالها على فوائد كثيرة لا تحصل إلّا بالنبوّة، وأدلّ دليل على ذلك الفطرة والعقل السليم النزيه من الشهوات والطاهر من المعاصي، فإنّها كما تشاهد الربّ ووحدته في إثبات الصانع وتوحيده، تطالب الهداية من ربّها إلى ما في العالم من الحقائق والمعارف، وإلى ما يسعده الإنسان ويصلح معاشه ومعاده، وما يفسده ويوجب شقاوته، بعدما علم من نفسه عدم الاهتداء إلى ذلك، ودوام حيرته في حياته.

وهذا من نداء الفطرة، وهي ذات منزلة رفيعة عند باريها، إذ هي من حقيقة التوحيد، فالغاية من بعثة الأنبياء مطالبة الفطرة لإقامة العدالة الاجتماعية، فإنّها تصرخ بأنّ الأرض لا تخلو من الحجّة، وأوّل من وجد في الدنيا حجّة الله، وآخر من يفقد منها حجّة الله، فيجب عن الله من باب اللطف أن يكلّم عباده ويهدي الناس إلى ما هو الحقّ، وقد خلقهم لعبادته للوصول إلى رحمته وللتكامل.

كما أنّ العقل يحكم بحسن وجود الإنسان الكامل من جميع الجهات الإمكانية وكمال فائدته، بل بوجوبه؛ إذ بالنبوّة يحصل اللطف في حقّ المكلّف.

فالبعثة من أعلى مصاديق اللطف المحصّل للغرض والقرب من الطاعة والبعد من المعصية فهي واجبة، وبالنبوّة يندفع الخوف الحاصل عند المكلّف في تصرّفاته، بأنّها ربما لا ترضي الله سبحانه، وبها يعتضد العقل في أحكامه، ويعرف

الحسن والقبح والمنافع والمضارّ، وبها يحفظ النوع الإنساني، فإنّه مدنيّ الطبع أنانيّ الذات، فيحتاج إلى سنن وقوانين اجتماعية، ولا يفوّض الأمر إليه، إذ يجرّ النار إلى قرصته، فيقع التناحر والتنازع، فلا بدّ من وجود من ينصبه الله لوضع برامج الحياة وتعديل نظامها، والناقص في الغاية كالإنسان لا يناسب الكامل المطلق سبحانه وتعالى، فلا بدّ من واسطة يحصل الكمال له منه بسببه، يصطفيه الله ويختاره من البشر، ليكمل البشرية ويعلّمهم نظام الحياة السليمة.

وأمّا شرائط النبيّ :

فيجب فيه العصمة، وهي لطف من الله في أنبيائه، إذ نفس النبيّ بما هي، نفس إنسانية، تقتضي نظائر ما يصدر عن غيره من المعاصي والذنوب، ولكن لها حاجز لسدّ باب ذلك الاقتضاء وتبعاتها، وذلك الحاجز هو قوّة نفسه وعقله من جهة كمال علمه وإحاطته بمبادي الخطايا والذنوب وآثارها، ولا يغفل طرفة عين عن حضور الله سبحانه، فيمتنع عن الارتكاب لا على نحو القهر والإلجاء، ويعصم من الذنوب كلّها، ومن كلّ ما يشينه.

وإنّما تجب العصمة في النبيّ، ليحصل الوثوق بكلامه، فيحصل الغرض من النبوّة من انقياد الناس إليهم وامتثال أوامرهم.

وإذا فعل المعصية فإمّا أن يتّبع، وكيف ذلك وهي معصية ؟ أو لا يتّبع، وهذا ينافي مقام النبوّة، وإذا فعل المنكر وجب الإنكار عليه للنهي عن المنكر العام الذي يشمل النبيّ، ولازم ذلك إيذاء النبيّ، وهو منهيّ عنه.

فلا بدّ حينئذٍ أن نعتقد بعصمة الأنبياء عن الذنوب كلّها ـ صغيرها وكبيرها ـ وعن السهو والنسيان والغفلة وكلّ ما يشين بمقام نبوّته، فيشترط فيه كمال العقل

والذكاء وقوّة الرأي والنزاهة عن كلّ ما ينفر عنه الطبائع من دناءة الآباء وعهر الأُمّهات وغير ذلك، لئلّا يحصل التنفّر منه المنافي لغرض النبوّة.

ولا بدّ أن يكون معصوماً من أوّل عمره الشريف إلى آخره، لعدم انقياد القلوب إلى طاعة من عهد منه في سالف عمره أنواع المعاصي من الكبائر والصغائر وما ينفر منه القلب.

كما يجب أن يكون أفضل أهل زمانه، لقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلاً وسمعاً، فإنّ المفضول المفتقر إلى التكميل كيف يقدم على الفاضل الكامل، فذلك قبيحٌ من الحكيم الخبير، فمن كان مبتدياً في علم المنطق كيف يقدم على مدوّن العلم أرسطوطاليس؟ وهكذا باقي العلوم والفنون، وقد قال تعالى في محكم كتابه ومبرم خطابه:

﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[1].

هذا وطريق معرفة النبيّ هو ظهور المعجزة على يديه مع ادّعائه النبوّة، فلو تحقّق وثبت منه ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ـ وهذه هي المعجزة ـ فإنّه يدلّ على نبوّته، فإذا قال: إنّي نبيّ الله ومعجزتي قلب العصا حيّة أو إحياء الموتى، أو شقّ القمر، وحصلت هذه الأُمور كما هي، عرف أنّه صادق مصدّق في دعواه، ويجب حينئذٍ بصريح حكم العقل تصديقه وإطاعته. ولو كان كاذباً وتظهر المعجزة على يديه للزم إغراء الله الناس بالكذب والكذّاب، وهذا قبيح من القادر العليم، والله منزّه عن القبائح، لأنّه غنيّ واجب الوجود لذاته.

---

(١) يونس: ٣٥.

وتجب البعثة في كلّ وقت لتكون الحجّة البالغة لله سبحانه، فلا بدّ من الحجّة في الأرض كائناً من كان، فلولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها، فهو يدعو إلى الله سبحانه وينشر الشريعة السماوية السمحاء، ويهدي الناس إلى سواء السبيل والصراط المستقيم، ويعلّمهم الكتاب والحكمة، ويقوم بينهم بالعدل.

والمعروف كما ورد في أخبارنا الشريفة أنّ الله سبحانه وتعالى بعث مائة وأربعة وعشرين ألف نبي ورسول، أوّلهم آدم أبو البشر عليه السلام، وخاتمهم سيّد البشر وأشرف خلق الله محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وخمسة منهم أنبياء أُولي العزم أي أصحاب شريعة إلى الناس كافّة وأصحاب كتب سماوية، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد عليهم السلام، وحلال محمّد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، إنّ الدين عند الله الإسلام.

المقام الثاني
النبوّة الخاصّة

قد ختمت النبوّة بالرسول الأعظم محمّد ﷺ منجي عالم البشرية جمعاء من حضيض الجهل والشقاء إلى وادي العلم والسعادة والهناء.

وإنّما نعتقد بنبوّته وأنّه خاتم النبيّين، لأنّه ادّعى النبوّة من عند الله كما لا يخفى على أحد من العالمين، فإنّه ثبت ذلك بالتواتر، والتواتر من البديهيات، ثمّ ظهرت المعاجز على يديه المباركة وفق دعواه، وكلّ من كان كذلك كان نبيّاً حقّاً من عند الله سبحانه وتعالى، وهذا قياس من الشكل الأوّل بديهي الانتاج، ومعاجزه كثيرة بلغت الألف ونيّف كشقّ القمر وتكلّم الحصى بيده وغير ذلك كما هي مسطورة في الكتب المصنّفة في هذا المقام.

ومعجزته الخالدة إلى يوم القيامة هو القرآن الكريم، كتاب الله القويم، الذي يهدي للتي هي أقوم ولا يأتيه الباطل، وقد تحدّى القرآن الكريم أن يؤتى بمثله ولو في سورة أو آية، وإن اجتمعت الإنس والجنّ، وكان بعضهم لبعضٍ ظهيراً.

ولا ينحصر إعجاز القرآن في الفصاحة والأُسلوب، بل هما والمعارف الحقّة في عالم الطبيعة وما وراءها، والصفات الإلهية والأخلاق الحميدة والأحكام التشريعية والسياسات المدنية، والأخبار المغيّبة، وأحوال المبدأ والمعاد، وعدم الاختلاف والتناقض في آياته، وغير ذلك ممّا هو ظاهر الكتاب الكريم، مع ما في بواطنه من أسرار وحكم وخواصّ وعجائب وعلوم، لم تنكشف للبشر ولا زالت مجهولة إلّا النزر القليل جدّاً، وما أُوتيتم من العلم إلّا قليلاً،

ولا يمسّه إلّا المطهّرون.

فالقرآن المجيد معجز لكلّ من عنده فنّ من فنون المعارف والعلوم، فإنّه يراه متعالياً في ذلك الفنّ، ولم يقدر أحد من الناس إلى يومنا هذا وغد، أن يورد على حرف منه شيئاً إلّا عناداً وجهلاً، وقد أدمغ جهله بجوابٍ كاف، وهذا معجز من أيّ إنسانٍ صدر، كيف وقد جاء من النبيّ الأُمّي وقد بعث من الأُميين؟ فالرسالة الإسلامية المحمّدية الأصيلة التي طلع بها النبيّ الأكرم ﷺ إلى كافة الناس إلى يوم القيامة وعلى العالم أجمع إنّما هي متمثّلة في القرآن الكريم.

وقد تميّزت الشريعة الإسلامية الحنيفة بخصائص ومميّزات كثيرة، في ثقافتها الإلهية المتجاوبة مع الفطرة السليمة، وبقيم ومفاهيم عن الحياة والإنسان، والعمل والعلاقات الاجتماعيه، من أروع ما عرفه تاريخ الإنسان، من قيم حضارية وتشريعات اجتماعية:

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِيْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1].

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾[2].

فما أعظم القرآن الكريم ومن معجزاته الخالدة أنّه كلّما تقدّم الزمن وتقدّمت العلوم والفنون فهو باقٍ على طراوته وحلاوته، على سموّ مقاصده

---

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) الجمعة: ٢.

وأفكاره.

فنعتقد أنّ صاحب الرسالة الإسلامية، خاتم النبيين وسيّد المرسلين وأفضلهم على الإطلاق، كما أنّه سيّد البشر جميعاً، وإنّه لعلى خلقٍ عظيم.

وعلينا أن نوقّر دينه ونعظّم قرآنه بالقول والعمل، ولا يمسّه إلّا المطهّرون، فسعادتنا وعزّتنا وكرامتنا في القرآن الكريم.

ألا وإنّ السعادة والشرف والكرامة لا تعود لهذه الأُمّة إلّا إذا عادت إلى القرآن الكريم علماً وعملاً وخلقاً وأدباً، فهو الذي يرقى بهذه الأُمّة إلى سماء الفضيلة.والعلم والأخلاق، ويحدّد لها النصر ورفعة الذكر وعلوّ القدر، وما فقدته من ثروة وقوّة وحضارة وعمران، ففيه ما يخرج البشرية من الظلمات إلى النور، وهو منهل تربية وخلق، وينبوع تشريع وقوانين رصينة، وآية أدب وفنّ، وهو كتاب عقيدة وجهاد من أجل الفضيلة، وهو رائد الخير والإحسان والعدالة، وقائد الحرّية والاستقلال والشرف، وهو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض، إنّه من لدن حكيم.

الأصل الرابع

الإمامة

من أُصول الدين : الإمامة.

فهي صنو النبوّة، لأنّ ما يحصل بها من الأغراض يحصل بالإمامة الحقّة التي هي في خطّ النبوّة وديمومتها.

والكلام فيه يقع في مقامين :

الأوّل : في المفهوم والمعنى الكلّي للإمامة وما يلزمها من شرائط، ولنصطلح عليه : الإمامة بالمعنى الأعمّ.

الثاني : تعيّن ومصداق الإمامة والخلافة بلا فصل للنبيّ المختار. وبعبارة أُخرى : من هو الإمام والخليفة حقّاً بعد الرسول الأعظم محمّد ﷺ ؟

المقام الأوّل

الإمامة العامّة

الإمامة: سنّة تكوينيّة، وإنّها رياسة عامّة في الدين والدنيا لشخص من الأشخاص، نيابة عن النبيّ ﷺ بنصّ من الله ورسوله.

وبهذا التعريف يخرج إمام الضلالة والردى الذي يدعو إلى النار.

الإمامة لطف من الله، إذ به يتقرّب الإنسان إلى الطاعة ويبتعد عن المعصية، وبه يحصل الغرض من الشريعة السماوية، فعلى الله سبحانه أن ينصب إماماً لهداية الناس بعد النبيّ، بالأدلّة العقلية والنقلية:

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾[1].

ويأمرهم بالمعروف والعدل والإحسان، وينهاهم عن المعاصي والمنكرات، ويلقي إليهم المعارف الإلهية وعلوم الأحكام، ويهديهم إلى المصالح الدنيوية، ولا يكفيهم كتاب الله إلّا مع الذي عنده علم الكتاب، كما بيّن ذلك رسول الله ﷺ في حديث الثقلين، فوجود الإمام لطف وتصرّفه لطف آخر، وعدمه منّا.

ولا بدّ أن يكون معصوماً عن كلّ ما يشين بمقام الإمامة، والعصمه لطف يفعله الله تعالى بالعبد بحيث يمنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة، مع قدرته عليها، وإلّا لما كان للمعصوم فضيلة. وإنّما تجب العصمة في الإمام من أوّل ولادته

---

(١) الأنبياء: ٧٣.

إلى آخر عمره الشريف كالنبيّ، لأنّه لولا ذلك لافتقر إلى إمام آخر يسدّده، فيلزمه التسلسل، ولو جاز عليه فعل الخطيئة، فإن وجب عليه الإنكار سقط محلّه من القلوب فلا يتّبع، فينتفي الغرض من إمامته، وإن لم يجب الإنكار سقط النهي عن المنكر، وهو باطل.

وكيف لا يكون معصوماً وهو حافظ للشرع، فلم تؤمن منه الزيادة والنقصان لولا العصمة، ولولاها للزم حقارة الدين، ولا يعرف العصمة إلّا ربّ الأرباب سبحانه وتعالى، فعلى الله ورسوله أن ينصّا على الإمام المعصوم، كما أنّ سيرة النبيّ دلّت على ذلك، فإنّه كان أشفق بالناس من الوالد على ولده، حتّى أرشدهم إلى أشياء لا نسبة لها إلى الخلافة والوصابة بعده، كما أنّه سافر عن المدينة المنوّرة واستخلف فيها من يقوم بأُمور المسلمين ـ كما حدّثنا التاريخ بذلك ـ فكيف يترك الناس من بعده سدى؟ وكيف يكون أمر الإمامة موكول إلى العباد، وكلّ واحد أناني الذات ويجرّ النار إلى قرصته.

ولا بدّ أن يكون الإمام أفضل من غيره بعد النبيّ، إذ يقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلاً ونقلاً:

﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى ﴾[1].

---

(١) يونس: ٣٥.

المقام الثاني
الإمامة الخاصّة

اعلم أنّ الإمامة بعد رسول الله ﷺ والخلافة والوصاية والولاية بلا فصل، إنّما هي لمولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، للأدلّة النقلية والعقلية، وقد عدّها العلّامة الحلّي قدس سره إلى أكثر من ألف دليل عقلي ونقلي في كتابه الشريف (الألفين).

ومن أهمّ الأدلّة: أنّ من شروط الإمامة العصمة، ولا معصوم بعد النبيّ إلّا أمير المؤمنين عليّ بالإجماع، فهو الإمام حقّاً بلا فصل، كما ذكر الله في كتابه الكريم ذلك في آية التطهير والمباهلة والإطاعة والزكاة والإطعام وعشرات الآيات الكريمة، كما نصّ النبيّ ﷺ عليه بروايات متواترة، كحديث الغدير والطائر والمنزلة وغير ذلك، كما أنّه أفضل الأُمّة في جميع الفضائل النفسانية والبدنية والخارجية.

وقد ظهرت على يديه المعاجز والكرامات، وقد ادّعى الإمامة، وكلّ من كان كذلك فهو الإمام حقّاً وصدقاً، وإلّا يلزم على الله إغراء الناس وهو قبيح، والله منزّه عن القبائح سبحانه وتعالى.

كما أنّ الأُمّة الإسلامية أجمعت على خلافته دون غيره، فقد وقع الخلاف في خلافتهم وثبت عدم صلاحيتهم لها، فعليّ عليه السلام أحقّ بها، كما أجمعت الأُمّة أنّ الخلافة لعليّ، وبطلت إمامة غيره بالآية الشريفة:

﴿ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[١].

و ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٢].

وكان أكثر عمر مدّعي الخلافة ـ غير عليّ عليه السلام ـ في الشرك، فلا ينالوا عهد الله، وهي الإمامة، لسياق الآية، فثبت أنّ الخلافة لعليّ عليه السلام، إذ لم يشرك بالله طرفة عين أبداً، ولم تأخذه في الله لومة لائم، وكرّم الله وجهه لأن يسجد لغير الله.

والأدلّة في ذلك لا تحصى كثرة، وصنّف في هذا المضمار جماعة من أكابر العلماء مصنّفات كثيرة لا يمكن حصرها، وما أجمل ما قيل في حقّه:

«ما أقول في رجلٍ كتم أعداؤه فضائله حسداً، وكتم أحبّاؤه فضائله خوفاً، وظهر في بين هذا وذاك ما ملأ الخافقين».

ثمّ إنّ الإمامة من بعده لولده الأكبر الحسن المجتبى، ثمّ ابنه الثاني الحسين سيّد الشهداء، ثمّ ولده عليّ بن الحسين زين العابدين، ثمّ ولده محمّد بن عليّ الباقر، ثمّ ولده جعفر بن محمّد الصادق، ثمّ ولده موسى بن جعفر الكاظم، ثمّ ولده عليّ بن موسى الرضا، ثمّ ولده محمّد بن عليّ الجواد، ثمّ ولده عليّ بن محمّد الهادي، ثمّ ولده الحسن بن عليّ العسكري، ثمّ ولده الحجّة القائم المنتظر صاحب الزمان عليهم السلام.

وإنّ الحجّة المنتظر عليه السلام حيّ يرزق، وقد غاب عنّا في غيبةٍ صغرى وكبرى، وينتفع العالم به كالشمس وراء السحاب، ولولاه لساخت الأرض بأهلها، وبيمنه رزق الورى، وهو السبب المتّصل بين السماء والأرض، وسيملأ الأرض قسطاً

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) لقمان: ١٣.

وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وأفضل الأعمال انتظار فرجه، إذ بمثل هذا الانتظار يهذّب الإنسان نفسه ويتمسّك بدينه، اللهمّ سهّل أمره وعجّل فرجه، واجعلنا من خيرة شيعته وأنصاره والمستشهدين بين يديه.

والدليل على إمامة هؤلاء الأئمة الأطهار، وكلّهم نور واحد عليهم السلام، هو النصّ، بالنقل المتواتر عند الفريقين من النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله على إمامتهم إجمالاً، كقوله:

«الأئمة بعدي اثنا عشر، كلّهم من قريش».

أو تفصيلاً، كقوله للحسين عليه السلام:

«هذا ابني، إمام ابن إمام أخو إمام، أبو الأئمة التسعة، تاسعهم قائمهم».

وغير ذلك من النصوص الكثيرة.

وقد اشترطنا العصمة في الإمام، وليست إلّا فيهم بالإجماع، ولولاهم للزم خلوّ الزمان عن المعصوم، وذلك محال، فلولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها، وقد نصّ كلّ إمام سابق على لاحقه، وظهرت المعاجز الخارقة للعادة على أيديهم مع ادّعائهم الإمامة، وأنّهم أفضل من غيرهم في زمانهم، فقد جمعوا الصفات الكاملة والكمالات النفسانية والبدنية، ولا يجوز تقديم المفضول على الفاضل، فهم أحقّ بالرئاسة العامّة من غيرهم.

هذا واللطف الواجب عن الله في الإمامة، هو: نصبه وتكليفه بالإمامة، وقد فعل، فلم يكن مخلاً بالواجب، وإنّما الإخلال من قبل الرعية، فلم يراعوا حقوقه ولم يمتثلوا أمره، بل حاربوه، فهلاكهم من قبل أنفسهم، وعدم حضوره وغيبته منّا، لا من الله اللطيف سبحانه وتعالى.

اللهمّ اجعلنا من المتمسّكين بولايتهم، واحشرنا في زمرتهم، وأمتنا على

محبّتهم، واجعل محيانا محياهم، ومماتنا مماتهم، وأدّبنا بآدابهم وأخلاقهم، واجعلنا من خلّص شيعتهم وخيرة مواليهم، آمين ربّ العالمين.

وإليك أيّها المطالع الكريم هذا الجدول المبارك، الذي يشتمل على الأسماء المقدّسة للمعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، وآباءهم ومواليدهم ووفياتهم وأمكنة قبورهم، وقد استخرجت من كتب: الإرشاد، وتوضيح المقاصد، وأحسن التقويم، وكشف الغطاء، وكشف الغمّة، والدروس، وغيرها من الكتب المعتبرة.

الاسم	اللقب	الكنية	الأب	الأم
محمّد صلى الله عليه وآله	المصطفى	أبو القاسم	عبد الله	آمنة بنت وهب
علي عليه السلام	أمير المؤمنين	أبو الحسن	عمران أبو طالب	فاطمة بنت أسد
فاطمة عليها السلام	الزهراء	أمّ الأئمة	محمّد النبيّ الأكرم	خديجة بنت خويلد
الحسن عليه السلام	المجتبى	أبو محمّد	عليّ أمير المؤمنين	فاطمة الزهراء
الحسين عليه السلام	سيّد الشهداء	أبو عبد الله	عليّ أمير المؤمنين	فاطمة الزهراء
علي عليه السلام	زين العابدين	أبو محمّد	الحسين سيّد الشهداء	بنت يزدجرد
محمّد عليه السلام	الباقر	أبو جعفر	عليّ السجّاد	فاطمة بنت الحسن
جعفر عليه السلام	الصادق	أبو عبد الله	محمّد الباقر	أمّ فروة
موسى عليه السلام	الكاظم	أبو إبراهيم	جعفر الصادق	حميدة البربرية
علي عليه السلام	الرضا	أبو جعفر	موسى الكاظم	نجمة
محمّد عليه السلام	التقي	أبو جعفر	عليّ الرضا	سبيكة
علي عليه السلام	النقي	أبو الحسن	محمّد الجواد	سمانة
الحسن عليه السلام	العسكري	أبو محمّد	عليّ الهادي	حديث
محمّد عليه السلام	صاحب الزمان	أبو القاسم	الحسن العسكري	نرجس

الاسم	يوم الولادة	سنة الولادة	مدّة الإمامة	يوم الوفاة	سنة الوفاة	المدفن
رسول الله	١٧ ربيع الأوّل	عام الفيل	النبوّة ٢٣ سنة	٢٨ صفر	١١ هـ	المدينة الطيّبة
أمير المؤمنين	١٣ رجب	٣٠ بعد عام الفيل	٣٠ سنة	٢١ رمضان	٤٠ هـ	النجف الأشرف
الزهراء	٢٠ جمادى الثانية	٥ بعد البعثة	—	٣ جمادى الأولى	١١ هـ	المدينة الطيّبة
				أو ١٣ جمادى الثانية		
الحسن	١٥ رمضان	٣ هجري	١٠ سنين	٧ أو ٢٧ صفر	٥٠ هـ	البقيع
الحسين	٣ شعبان	٤ هجري	١١ سنة	١٠ محرّم	٦١ هـ	كربلاء المقدّسة
زين العابدين	١٥ جمادى الأولى	٣٦ هـ	٣٤ سنة	١٢ أو ٢٥ محرّم	٩٥ هـ	البقيع
الباقر	٣ صفر	٥٧ هـ	١٩ سنة	٧ ذي الحجّة	١١٤ هـ	البقيع
الصادق	١٧ ربيع الأوّل	٨٣ هـ	٣٤ سنة	٢٥ شوّال	١٤٨ هـ	البقيع
الكاظم	٧ صفر	١٢٨ هـ	٣٥ سنة	٢٥ رجب	١٨٣ هـ	الكاظمين
الرضا	١١ ذي القعدة	١٤٨ هـ	٢٠ سنة	آخر صفر	٢٠٣ هـ	مشهد المقدّس
الجواد	١٠ رجب	١٩٥ هـ	١٧ سنة	آخر ذي القعدة	٢٢٠ هـ	الكاظمين
الهادي	١٥ ذي الحجّة	٢١٢ هـ	٣٤ سنة	٣ رجب	٢٥٤ هـ	سامراء
العسكري	١٠ ربيع الثاني	٢٢٢ هـ	٦ سنين	٨ ربيع الأوّل	٢٦٠ هـ	سامراء
المهدي	١٥ شعبان	٢٥٥ هـ	إلى آخر الزمان	العلم عند الله	والله العالم	—

الأصل الخامس

المعاد

من أُصول وأركان وأساس الدين: المعاد والإيمان بيوم القيامة، فالمسلم يعتقد أنّ كلّ من اتّصف بالحياة فإنّه يعاد بعد الموت بمعاد روحاني وجسماني، وذلك بالأدلّة العقليّة والسمعية.

فقد اتّفق المسلمون كافة على ذلك، ولولاه لقبح التكليف، فإنّه مشقّة لا بدّ فيه من التعويض والجزاء، وربما لا يكون هذا في الدنيا، كما نشاهد ذلك، فلا بدّ من دار ومكان آخر وهو يوم القيامة الذي يجسّد لنا الجزاء.

وإحياء الأجسام ممكن، والله قادر على الممكنات جميعاً، وقد أخبرنا الصادق المصدّق النبيّ الأكرم ﷺ ومن قبله الرسل والأنبياء بذلك، فيكون حقّاً، كما دلّت الآيات المحكمات والروايات الشريفة عليه، وأنكرت على من جحده وغفل عنه.

وإنّ إعادة من له عوض أو عليه عوض كالإنسان واجب، وقد أخبر المعصوم عليه السلام بذلك، فهو حقّ بلا شكّ ولا ريب.

فالمعاد وبعث الناس بعد الموت وحشرهم في خلق جديد، في ذلك اليوم الموعود به العباد حقّ حقيق، يثيب الله المطيعين ويعذّب العاصين والظالمين،

وينتصف من الظالم للمظلوم، وكلّ من يعتقد بالمبدأ لا بدّ أن يعتقد بالمعاد، وكلّ من يعتقد بالنبوّة والإمامة لا بدّ أن يعتقد بالمعاد، فالشكّ فيه يلزمه الشكّ في باقي أُصول الدين.

وإنّما آمنّا بالمعاد الجسماني لصريح القرآن الكريم:

﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[١].

وكثير من الآيات والأحاديث الشريفة تدلّ على ذلك، وما هو إلّا إعادة الإنسان في يوم القيامة ببدنه وإرجاعه إلى حقيقته الأُولى بعد أن يصبح رميماً.

فالجاهل المستغرب من البعث والمعاد يقول:

﴿ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾[٢].

وكأنّه نسي خلقه أوّل مرّة، كيف خلقت ذاته، ولقد كان عدماً، وأجزاء بدنه رميماً، فتألّفت من الأرض حتّى صار بشراً سويّاً، فنسي خلقه:

﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾[٣].

وما أروع وأجمل جواب خالق الكون، ومن أصدق منه قيلاً:

﴿ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[٤].

فيا أيّها الإنسان المغرور، لا بدّ أن تذعن لهذه الحقيقة التي أخبر عنها مدبّر

---

(١) الرعد: ٥.

(٢) يس: ٧٨.

(٣) يس: ٧٧ ـ ٧٨.

(٤) يس: ٧٩.

الكائنات، العالم القدير سبحانه وتعالى.

ويجب الإقرار بكلّ ما جاء به النبيّ ﷺ كالصراط والميزان وإنطاق الجوارح وتطاير الكتب والعفو والشفاعة وكيفية خروج الناس من الأجداث وأحوالهم في المحشر والثواب والعقاب والجنّة ونعيمها والنار وعذابها، لإمكان كلّ ذلك، وقد أخبر بها الصادق الأمين، فيجب الاعتراف والتصديق بها من دون ريب وشكّ.

هذا وينبغي للإنسان بعد الإيمان بالإسلام في أُصوله وفروعه، أن يتوب إلى الله ويرجع إليه ويخلص في عمله، وأن يتجنّب متابعة الهوى والنفس الأمّارة بالسوء وشياطين الجنّ والإنس، ويستعين بالله على ذلك، وأن يشتغل بما يصلح دينه ودنياه وآخرته، وفيما يرفع منزلته عند الله حتّى يكون عند مليكٍ مقتدر، وأن يتفكّر فيما يستعين به على نفسه الأمّارة بالسوء، وفيما يستقبله بعد الموت من هول المطلع والعقبات الصعبة، من زهوق الروح وشدائد القبر والحساب وسؤال منكر ونكير وأهوال عالم البرزخ والحضور بين يدي الملك القهّار يوم الحشر، فيتّقي يوماً لا تجزي نفس عن نفسٍ شيئاً، ولا تقبل منها شفاعة، ولا يؤخذ منها عدل، ولا هم ينصرون، فيتّصف بأوصاف الأشراف وصفات المتّقين، فإنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، وإنّما يتقبّل الله من المتّقين.

ويمتاز الناس بعضهم على بعض في كتاب الله الكريم بأربع:

أوّلاً: بالإسلام دين الله الحنيف، لقوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[1].

---

(١) آل عمران: ٨٥.

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾[١].

وثانياً : بالتقوى ، لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[٢].

وثالثاً : بالعلم ، لقوله تعالى :

﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[٣].

ورابعاً : بالجهاد ، لقوله تعالى :

﴿ وَفَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾[٤].

فبمثل هذه الخصائص يقرب العبد إلى ربّه ، فالتفضيل والتمايز وتقدّم الناس بعضهم على بعض ليس بالجمال الصوري ، ولا باللون الأبيض ، ولا بالقومية والحزبية ، ولا بالثروة والمال والصناعة والتكنولوجيا ، ولا بمنطق القوّة والبطش والظلم والجور وحكومة الغاب ، ولا بالذهب والنفط والدولار ، ولا بالخدعة وسياسة التزوير والاستثمار والاستحمار والاستعمار ، إنّما بمقاييس قرآنيّة إلهيّة .

جعلنا الله سبحانه وإيّاكم من خيرة عباده المسلمين المتّقين ، ومن العلماء المجاهدين .

---

(١) آل عمران : ١٩ .

(٢) الحجرات : ١٣ .

(٣) المجادلة : ١١ .

(٤) النساء : ٩٥ .

أُصول الدين في ميزان القرآن والعترة

القرآن الكريم وعترة الرسول الأكرم عليهم السلام :

نعتقد أنّ خير هادٍ إلى الله عزّ وجلّ خاتم النبيّين وسيّد المرسلين محمّد صلى الله عليه وآله ، وأنّ سعادة الإنسان في حياته ومماته في الإسلام، ذلك الدين القيّم، ومن يبتغِ غيره فلن يقبل منه، ومصدر التشريع الإسلامي في جميع حقوله : القرآن والسنّة المتمثّلة بقول المعصومين عليهم السلام وفعلهم وتقريرهم، وهما الثقلان اللذان خلّفهما رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً في مواطن عديدة :

«إنّي تاركٌ فيكم الثقلين : كتاب الله عزّ وجلّ، وعترتي، كتاب الله حبل ممدود بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، فانظروا بماذا تخلفوني»[1].

وعن الصادق، عن آبائه عليهم السلام ، قال :

«سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله : (إنّي مخلّف فيكم

---

(١) بحار الأنوار ٣ : ١٠٤.

الثقلين: كتاب الله وعترتي) من العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديّهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم، حتّى يردوا على رسول الله ﷺ حوضه».

فالنجاة في الأُولى والعقبى إنّما باتّباع القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام، وعندئذٍ يكمل إيمان المرء ويدخل في زمرة المتّقين.

«وكلّ من الإيمان والتقوى مرتبطة بالأُخرى معتضدة بها، والإيمان أشرفهما وأعظمهما وأقدمهما رتبة، لكن لا عاقبة إلّا للتقوى، ولا هدى إلّا للمتّقين.

والإيمان عبارة عن الاعتقاد بالأركان الخمسة التي هي التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة والمعاد.

والتقوى عبارة عن امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، ولها ظاهر، وهو: تقوى الجوارح بفعل الطاعات الظاهرة والكفّ عن المعاصي الواضحة الفاضحة، وباطن، وهو: تقوى القلوب بالتخلّي عن مساوئ الأخلاق والتحلّي بمكارمها.

فالإيمان علم واعتقاد، والتقوى عمل وسداد»[1].

وعلى هذا المعتقد نشير إلى بعض الآيات الكريمة والروايات الشريفة، إذ هي مشحونة بالأدلّة العقليّة، فنذكر نبذة منها بنحو الإيجاز والإشارة في

---

(١) من مقولة المحقّق الأجلّ المولى محسن الفيض الكاشاني في كتابه القيّم (منهاج النجاة في بيان العلم الواجب على كلّ مسلم ومسلمة)، عليكم بمطالعته.

أُصول الدين وفروعه، فما هي إلّا بحار أنوار زاهية، ونجوم سماء زاهرة، وبالله التوفيق.

التوحيد

التوحيد في القرآن الكريم :

لقد ذكر صاحب بحار الأنوار العلّامة المجلسي[١] جملة من الآيات الشريفة، منها :

قال الله تعالى :

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا للهِ أندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٢].

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٣].

﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ

---

(١) بحار الأنوار ٣ : ١٦، الباب ٣ في إثبات الصانع والاستدلال بعجائب صنعه على وجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته.

(٢) البقرة : ٢٢.

(٣) البقرة : ١٦٤.

الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأنهارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[١].

﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٢].

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٣].

﴿ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ﴾[٤].

التوحيد في الأحاديث :

ـ قال رسول الله ﷺ :

«من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

ـ وسئل مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : بماذا عرفت

---

(١) إبراهيم : ٣٢ ـ ٣٤.

(٢) الأنبياء : ٣٠ ـ ٣٣.

(٣) فصّلت : ٥٣.

(٤) إبراهيم : ١٠.

ربّك ؟ ! قال عليه السلام :

« بفسخ العزائم ونقض الهمم، لمّا هممت فحيل بيني وبين همّي، وعزمت فخالف القضاء والقدر عزمي، عرفت أنّ المدبّر غيري »[١].

ـ وقيل لمولانا أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام : ما الدليل على حدوث العالم ؟ قال عليه السلام :

« إنّك لم تكن ثمّ كنت، وقد علمت أنّك لم تكوّن نفسك ولا كوّنك من هو مثلك »[٢].

ـ وسئل مولانا الصادق عليه السلام عن الله، فقال للسائل :

« هل ركبت سفينةً قط » ؟

قال : بلى. قال عليه السلام :

« هل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك » ؟

قال : بلى. قال عليه السلام :

« فهل تعلّق قلبك هناك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك » ؟

قال بلى. قال الصادق عليه السلام :

« فذلك الشيء هو الله تعالى القادر على الإغاثة حين لا مغيث »[٣].

---

(١) التوحيد للشيخ الصدوق : ٢٠٩.

(٢) بحار الأنوار ٣ : ٣٦.

(٣) بحار الأنوار ٣ : ٤١.

ـــ وعن أمير المؤمنين عليه السلام :

«ولو فكّروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة، لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق، ولكنّ القلوب عليلة والأبصار مدخولة، أفلا ينظرون إلى صغير ما خلق ؟ كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوّى له العظم والبشر، أُنظروا إلى النملة ...»[1].

فيذكر عليه السلام عجائب خلق النملة في نهج البلاغة، فراجع.

ـــ دخل أبو شاكر الديصاني ـ وهو زنديق ـ على أبي عبد الله عليه السلام فقال له : يا جعفر بن محمّد، دلّني على معبودي ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : «إجلس» ـ فإذا غلام صغير في كفّه بيضة يلعب بها ـ فقال أبو عبد الله عليه السلام : «ناولني يا غلام البيضة»، فناوله إيّاها، فقال أبو عبد الله عليه السلام :

«يا ديصاني، هذا حصن مكنون، له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضّة ذائبة، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضّة الذائبة، ولا الفضّة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن إصلاحها، ولم يدخل فيها داخل مفسد فيخبر عن إفسادها، لا يدرىٰ للذكر أم للأُنثى ؟ تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبّراً» ؟

قال : فأطرق مليّاً ثمّ قال : أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّك إمام وحجّة من الله على خلقه، وأنا تائب ممّا كنت

---

(١) بحار الأنوار ٣ : ٢٦.

فيه[١].

نعم دخل كافراً وخرج مؤمناً بالتوحيد والنبوّة والإمامة والمعاد، وهكذا تفعل الحجج بأهلها.

ـ سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن إثبات الصانع، فقال:

«البعرة تدلّ على البعير، والروثة تدلّ على الحمير، وآثار القدم تدلّ على المسير، فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة، كيف لا يدلّان على اللطيف الخبير؟»[٢].

وعليك أيّها القارئ الكريم بكتاب توحيد المفضّل، ورسالة الإهليلجة المرويّتين عن الإمام الصادق عليه السلام، لاشتمالهما على دلائل وبراهين على إثبات الصانع سبحانه وتعالى.

ـ سأل الزنديق مولانا الصادق عليه السلام: ما الدليل على الله؟

فقال عليه السلام: «وجود الأفاعيل دلّت على أنّ صانعاً صنعها، ألا ترى أنّك إذا نظرت إلى بناء مشيّد مبني، علمت أنّ له بانياً، وإن كنت لم ترَ الباني ولم تشاهده».

قال: فما هو؟

قال: «شيء بخلاف الأشياء، أرجع بقولي إثبات معنى، وإنّه شيء بحقيقة الشيئية غير أنّه لا جسم ولا صورة، ولا يحسّ ولا يجسّ، ولا يدرك بالحواسّ

---

(١) بحار الأنوار ٣: ٣١.

(٢) بحار الأنوار ٣: ٥٥.

الخمس، لا تدركه الأوهام، ولا تنقصه الدهور، ولا تغيّره الأزمان»[١].

ـ وسئل عليّ بن الحسين عليه السلام عن التوحيد، فقال:

«إنّ الله عزّ وجلّ علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون فأنزل الله تعالى: قل هو الله أحد، والآيات من سورة الحديد إلى قوله: (وهو عليمٌ بذات الصدور)، فمن رام وراء ذلك فقد هلك»[٢].

ـ وقال أبو جعفر عليه السلام:

«تكلّموا في خلق الله ولا تتكلّموا في الله، فإنّ الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلّا تحيّراً»[٣].

وسئل بعض أهل المعرفة والتوحيد عن الدليل على إثبات الصانع، فقال: أغنى الصباح عن المصباح.

واعلموا أيّدكم الله في الدارين، أنّ عقول الناس مختلفة، ومستوى فهمهم متفاوت في قبول مراتب العرفان وتحصيل الاطمئنان كمّاً وكيفاً، وشدّةً وضعفاً، سرعة وبطئاً، وحالاً وعلماً، وكشفاً وعياناً، وإن كان أصل المعرفة فطرياً، وكما مرّ فلكلّ واحد منّا طريقه إلى المعرفة، وقيل: الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، ولهم درجات عند الله:

و ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[٤].

---

(١) الكافي ١: ١٨.

(٢) الكافي ١: ٩١.

(٣) الكافي ١: ٩٢.

(٤) المجادلة: ١١.

هذا، وأسأل الله أن يهدينا إلى كمال معرفته والإيمان بـه وبـرسله وكـتبه وأوصيائه واليوم الآخر، ويغفر لنا ذنوبنا، ما تقدّم منها وما تأخّر، ويبدل سيّئاتنا حسنات، وحسناتنا درجات، آمين ربّ العالمين.

الصفات الربوبية في القرآن الكريم :

وأمّا صفاته تعالى فقد جاء في وحدانيّته في كتابه الكريم :

﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾[١].

وقال تعالى :

﴿ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾[٢].

وقال سبحانه :

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لا بْتَغَوْا إِلَى ذِي العَرْشِ سَبِيلاً ﴾[٣].

﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[٤].

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٥].

---

(١) البقرة : ١٦٣.

(٢) النحل : ٥١.

(٣) الإسراء : ٤٢.

(٤) آل عمران : ١٨.

(٥) يونس : ١٨.

﴿ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[١]

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٢].

﴿ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٣].

﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٤].

وجاء في باقي الصفات الذاتية والأفعال قوله تعالى :

﴿ سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[٥].

﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[٦].

﴿ ذَلِكَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ العَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾[٧].

---

(١) سبأ : ٢٧.

(٢) الأنبياء : ٢٢.

(٣) المؤمنون : ٩١.

(٤) النمل : ٦٤.

(٥) الحديد : ١.

(٦) الحديد : ٢٣ ـ ٢٤.

(٧) السجدة : ٦.

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الغَفُورُ ﴾[١].

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ ﴾[٣].

﴿ إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾[٤].

﴿ أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[٥].

﴿ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيماً ﴾[٦].

﴿ وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٧].

﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ﴾[٨].

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۝٦ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى ﴾[٩].

---

(١) سبأ : ٢.

(٢) النساء : ١٢٢.

(٣) فاطر : ١٥.

(٤) الأحزاب : ٥٤.

(٥) البقرة : ٧٧.

(٦) النساء : ٧٠.

(٧) آل عمران : ١٨٩.

(٨) الأنعام : ١٠٣.

(٩) طه : ٦ ـ ٨.

﴿ وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[١].

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ ﴾[٢].

﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ المُنْتَهَى ۝ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ۝ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾[٣].

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِ ﴾[٤].

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٥].

الصفات الربوبية في الأحاديث الشريفة :

ـ جاء في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال :

«واعلم يا بني أنّه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه، لا يضادّه في

---

(١) النور : ٤٥.

(٢) الذاريات : ٥٦ ـ ٥٨.

(٣) النجم : ٤٢ ـ ٤٤.

(٤) البقرة : ١٦٥.

(٥) النور : ٣١.

ملكه أحد، ولا يزول أبداً»[١].

ـ وسئل مولانا الصادق عليه السلام: ما الدليل على أنّ الله تبارك وتعالى واحد؟

قال: «اتّصال التدبير وتمام الصنع، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾»[٢].

ـ قال بعض الزنادقة لأبي الحسن عليه السلام: لِمَ احتجب الله؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: «إنّ الحجاب عن الخلق لكثرة ذنبهم، فأمّا هو فلا يخفى عليه خافية في آناء الليل والنهار».

قال: فلِمَ لا تدركه حاسّة البصر؟

قال: «للفرق بينه وبين خلقه الذي تدركهم حاسّة الأبصار، ثمّ هو أجلّ من أن تدركه الأبصار أو يحيط به وهم، أو يضبطه عقل».

قال: فحدّه لي.

قال: «إنّه لا يحدّ».

قال: لِمَ؟

قال: «لأنّ كلّ محدود متناهٍ إلى حد، فإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان، فهو غير محدود ولا متجزٍّ ولا متوهّم»[٣].

---

(١) نهج البلاغة: ٣٩٦، ومنهاج النجاة: ١٩.

(٢) بحار الأنوار ٣: ١٥.

(٣) بحار الأنوار ٣: ١٥.

ـ سأل نافع بن الأزرق أبا جعفر عليه السلام، فقال: أخبرني عن الله متى كان؟

فقال: «متى لم يكن حتّى أُخبرك متى كان، سبحان من لم يزل ولا يزال، فرداً صمداً لم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً»[١].

ـ دخل رجل من الخوارج على أبي جعفر عليه السلام قائلاً: يا أبا جعفر، أيّ شيء تعبد؟

قال: «الله».

قال: رأيته؟

قال: «بل لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يعرف بالقياس، ولا يدرك بالحواسّ، ولا يشبه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات، لا يجور في حكمه، ذلك الله لا إله إلّا هو».

قال: فخرج الرجل وهو يقول: (الله أعلم حيث يجعل رسالته)[٢].

ـ كتب إلى أبي عبد الله عليه السلام: إنّ قوماً بالعراق يصفون الله بالصورة وبالتخطيط، رأيت ـ جعلني الله فداك ـ أن تكتب إليَّ بالمذهب الصحيح من التوحيد.

فكتب إليه: «سألت ـ رحِمَك الله ـ عن التوحيد وما ذهب إليه مَن قبلك، فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، تعالى عمّا يصفه الواصفون المشبّهون الله بخلقه، المفترون على الله، فاعلم ـ رحِمَك الله ـ إنّ المذهب الصحيح

---

(١) الكافي ١: ٨٨.

(٢) الكافي ١: ٩٧.

في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله جلّ وعزّ، فانفِ عن الله تعالى البطلان والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه، هو الله الثابت الموجود، تعالى الله عمّا يصفه الواصفون، ولا تعدوا القرآن فتضلّوا بعد البيان»[١].

ـ عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال:

«لو اجتمع أهل السماء والأرض على أن يصفوا الله بعظمته لم يقدروا»[٢].

ـ يقول أبو عبد الله عليه السلام: «لم يزل الله عزّ وجلّ ربّنا، والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور».

قال أبو بصير: قلت: فلم يزل الله متحرّكاً؟

قال: فقال: «تعالى الله ـ عن ذلك ـ إنّ الحركة صفة محدثة بالفعل».

قال: قلت: فلم يزل الله متكلّماً؟

قال: فقال: «إنّ الكلام صفة محدثة ليست بأزلية، كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم»[٣].

ـ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت: لم يزل الله مريداً؟ قال: «إنّ المريد لا يكون إلّا لمراد معه، لم يزل الله عالماً قادراً ثمّ أراد».

---

(١) الكافي ١: ١٠٠.

(٢) الكافي ١: ١٠٢.

(٣) الكافي ١: ١٠٧.

ـ عن أبي عبد الله عليه السلام :

«خلق الله المشيئة بنفسها، ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة»[١].

ـ في الخطبة الأُولى من نهج البلاغة قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن اشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال : فيم ؟ فقد ضمّنه، ومن قال : علام ؟ فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كلّ شيء لا بمقارنة، وغير كلّ شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه...».

وإليك جوامع التوحيد من الكتاب القيّم (الكافي) العظيم مع مقولة الكريم ـ شيخنا في الرواية ـ ثقة الإسلام المرحوم الكليني قدس سره :

باب جوامع التوحيد

عن محمّد بن أبي عبد الله، ومحمّد بن يحيى، جميعاً رفعاه إلى أبي عبد الله

---

(١) الكافي ١ : ١١٠.

عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام استنهض الناس في حرب معاوية في المرّة الثانية، فلمّا حشد الناس قام خطيباً، فقال:

«الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرّد، الذي لا من شيء كان، ولا من شيء خلق ما كان، قدرة بان بها الأشياء وبانت الأشياء منه، فليست له صفة تنال، ولا حدّ تضرب له فيه الأمثال، كلّ دون صفاته تحبير اللغات، وضلّ هناك تصاريف الصفات، وحاد في ملكوته عميقات مذاهب التفكير، وانقطع دون الرسوخ في علمه جوامع التفسير، وحال دون غيبة المكنون حجب من الغيوب، تاهت في أدنى أدانيها طامحات العقول في لطيفات الأُمور.

فتبارك الله الذي لا يبلغه بُعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، وتعالى الذي ليس له وقت معدود، ولا أجل ممدود، ولا نعت محدود، سبحان الذي ليس له أوّل مبتدأ، ولا غاية منتهى، ولا آخر يفنى، سبحانه هو كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته، وحدّ الأشياء كلّها عند خلقه، إبانة لها من شبهه وإبانة له من شبهها، لم يحلل فيها فيقال: هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال: هو منها بائن، ولم يخلُ منها فيقال له: أين، لكنّه سبحانه أحاط بها علمه وأتقنها صنعه وأحصاها حفظه، لم يعرف عنه خفيّات غيوب الهواء، ولا غوامض مكنون ظلم الدجى، ولا ما في السماوات العلى إلى الأرضين السفلين، لكلّ شيء منها حافظ ورقيب، وكلّ شيء منها بشيء محيط، والمحيط بما أحاط منها.

الواحد الأحد الصمد الذي لا يغيّره صروف الأزمان، ولا يتكأّده صنع شيءٍ كان، إنّما قال لما شاء: كن، فكان، ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب، وكلّ صانع شيء فمن شيء صنع، والله لا من شيء صنع ما خلق، وكلّ

عالم فمن بعد جهل تعلّم، والله لم يجهل ولم يتعلّم، أحاط بالأشياء علماً قبل كونها، فلم يزدد بكونها علماً، علمه بها قبل أن يكوّنها كعلمه بعد تكوينها، لم يكوّنها لتشديد سلطان ولا خوف من زوال ولا نقصان ولا استعانة على ضدّ مناو، ولا ندّ مكاثر، ولا شريك مكابر، لكن خلائق مربوبون وعبادٌ داخرون.

فسبحان الذي لا يؤوده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما برأ، ولا من عجز ولا فترة بما خلق اكتفى، علم ما خلق وخلق ما علم، لا بالتفكير في علم حادث أصاب ما خلق، ولا شبهة دخلت عليه فيما لم يخلق، لكن قضاء مبرم وعلم محكم وأمر متقن، توحّد بالربوبيّة وخصّ نفسه بالوحدانية واستخلص بالمجد والثناء، وتفرّد بالتوحيد والمجد والسناء، وتوحّد بالتحميد، وتمجّد بالتمجيد، وعلا عن اتّخاذ الأبناء، وتطهّر وتقدّس عن ملامسة النساء، وعزّ وجلّ عن مجاورة الشركاء.

فليس له فيما خلق ضدّ، ولا له فيما ملك ندّ، ولم يشركه في ملكه أحد، الواحد الأحد الصمد المبيد للأبد والوارث للأمد، الذي لم يزل ولا يزال وحدانياً أزلياً، قبل بدء الدهور وبعد صروف الأُمور، الذي لا يبيد ولا ينفد، بذلك أصف ربّي فلا إله إلّا الله، من عظيم ما أعظمه ؟! ومن جليل ما أجلّه ؟! ومن عزيز ما أعزّه ؟! وتعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً».

وهذه الخطبة من مشهورات خطبه عليه السلام، حتّى لقد ابتذلها العامّة، وهي كافية لمن طلب علم التوحيد إذا تدبّرها وفهم ما فيها، فلو اجتمع ألسنة الجنّ والإنس، ليس فيها لسان نبيّ، على أن يبيّنوا التوحيد بمثل ما أتى به ـ بأبي وأُمّي ـ ما قدروا عليه، ولولا إبانته عليه السلام ما علم الناس كيف يسلكون سبيل التوحيد، ألا ترون إلى

قوله : «لا من شيءٍ كان، ولا من شيء خلق ما كان»، فنفى بقوله : «لا من شيء كان» معنى الحدوث وكيف أوقع على ما أحدثه صفة الخلق والاختراع بلا أصل ولا مثال، نفياً لقول من قال : إنّ الأشياء كلّها محدثة بعضها من بعض، وإبطالاً لقول الثنوية الذين زعموا أنّه لا يحدث شيئاً إلّا من أصل، ولا يدبّر إلّا باحتذاء مثال، فدفع عليه السلام بقوله : «لا من شيء خلق ما كان» جميع حجج الثنوية وشبههم، لأنّ أكثر ما يعتمد الثنوية في حدوث العالم أن يقولوا : لا يخلو من أن يكون الخالق خلق الأشياء من شيء أو من لا شيء، فقولهم من شيء خطأ، وقولهم : من لا شيء، مناقضة وإحالة، لأنّ «من» توجب شيئاً و «لا شيء» تنفيه، فأخرج أمير المؤمنين عليه السلام هذه اللفظة على أبلغ الألفاظ وأصحّها، فقال : «لا من شيء خلق ما كان»، فنفى «من» إذ كانت توجب شيئاً ونفى الشيء إذ كان كلّ شيء مخلوقاً محدثاً لا من أصل أحدثه الخالق، كما قالت الثنوية : إنّه خلق من أصل قديم، فلا يكون تدبير إلّا باحتذاء مثال.

ثمّ قوله عليه السلام : «ليست له صفة تنال، ولا حدّ تضرب له فيه الأمثال، كلّ دون صفاته تحبير اللغات»، فنفى عليه السلام أقاويل المشبّهة حين شبّهوه بالسبيكة والبلّورة وغير ذلك من أقاويلهم من الطول والاستواء، وقولهم : «متى ما لم تعقد القلوب منه على كيفية ولم ترجع إلى إثبات هيئة لم تعقل شيئاً فلم تثبت صانعاً»، ففسّر أمير المؤمنين عليه السلام أنّه واحد بلا كيفية، وأنّ القلوب تعرفه بلا تصوير ولا إحاطة.

ثمّ قوله عليه السلام : «الذي لا يبلغه بُعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، وتعالى الذي ليس له وقت معدود ولا أجل ممدود ولا نعت محدود»، ثمّ قوله عليه السلام : «لم

يحلل ـ في الأشياء ـ فيقال : هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال : هو منها بائن»، فنفى عليه السلام بهاتين الكلمتين صفة الأعراض والأجسام، لأنّ من صفة الأجسام التباعد والمباينة، ومن صفة الأعراض الكون في الأجسام بالحلول على غير مماسّة، ومباينة الأجسام على تراخي المسافة.

ثمّ قال عليه السلام : «لكن أحاط بها علمه وأتقنها صنعه»، أي هو في الأشياء بالإحاطة والتدبير وعلى غير ملامسة[١].

العدل

العدل الإلهي في القرآن الكريم :

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[٢].

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾[٣].

﴿ إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[٤].

﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ

---

(١) أُصول الكافي ١ : ١٣٤.

(٢) يونس : ٤٤.

(٣) يونس : ١٠٨.

(٤) الرعد : ١١.

وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[١].

﴿ وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[٢].

﴿ وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾[٣].

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾[٤].

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾[٥].

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[٦].

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾[٧].

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[٨].

---

(١) الإسراء : ١٥.

(٢) الكهف : ٢٩.

(٣) المؤمنون : ٦٢.

(٤) الشورى : ٢٠.

(٥) فصّلت : ٤٦.

(٦) الجاثية : ٢١.

(٧) الأحقاف : ١٩.

(٨) الشمس : ٧ ـ ١٠.

﴿ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾[١].

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[٢].

﴿ الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ ﴾[٣].

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ ﴾[٤].

﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ ﴾[٥].

فإذا كان الله سبحانه يأمر بالعدل ويحبّ المقسطين، كيف لا يكون عادلاً سبحانه وتعالى ؟

العدل الإلهي في الأحاديث الشريفة :

ـــ عن الحسن بن عليّ الوشّاء، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال : سألته فقلت : الله فوّض الأمر إلى العباد ؟

قال : «الله أعزّ من ذلك».

قلت : فجبرهم على المعاصي ؟

قال : «الله أعدل وأحكم من ذلك».

---

(١) النجم : ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) فصّلت : ٤٦.

(٣) الملك : ٢.

(٤) الأعراف : ٢٩.

(٥) الممتحنة : ٨.

قال : ثمّ قال : قال الله : « يا بن آدم، أنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيّئاتك منّي، عملت المعاصي بقوّتي التي جعلتها فيك »[١].

ـــ وعن أبي عبد الله عليه السلام ، قال :

« الله أكرم من أن يكلّف الناس ما لا يطيقون، والله أعزّ من أن يكون في سلطانه ما لا يريد »[٢].

ـــ وعنه عليه السلام ، قال :

« لا جبر ولا تفويض، ولكن أمرٌ بين أمرين ».

قال : قلت : وما أمرٌ بين أمرين ؟

قال مثل ذلك : « رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينتهِ، فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية »[٣].

ـــ وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ، قالا :

« إنّ الله أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثمّ يعذّبهم عليها، والله أعزّ من أن يريد أمراً فلا يكون ».

قال : فسئلا عليهما السلام : هل بين الجبر والتفويض والقدر منزلة ثالثة ؟

قالا : « نعم، أوسع ممّا بين السماء والأرض »[٤].

---

(١) الكافي ١ : ١٥٧.

(٢) الكافي ١ : ١٦٠.

(٣) الكافي ١ : ١٦٠.

(٤) الكافي ١ : ١٥٩.

ـ وسئل أمير المؤمنين مولانا عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن التوحيد والعدل، فقال:

«التوحيد ألّا تتوهّمه، والعدل ألّا تتّهمه»[١].

وجاء في كتاب (الوفاء بأحوال المصطفى)[٢]، قال البخاري:

فلمّا كان يوم حنين آثر النبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلّم ناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الأبل، وأعطى عُيينة مثل ذلك، وأعطى أُناساً من أشراف العرب وآثرهم يومئذٍ في القسمة، فقال رجل: والله إنّ هذه القسمة ما عدل فيها وما أُريد بها وجه الله. فقلت: والله لأُخبرنّ النبيّ صلّى الله عليه (وآله) وسلّم. فأتيته، فأخبرته، فقال:

«من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر».

النبوّة

النبوّة العامّة في القرآن الكريم:

قال الله تعالى:

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ

---

(١) ابن أبي الحديد ٢٠: ٣٢٧.

(٢) الوفاء ٢: ٤٢١.

عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[١].

﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[٢].

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾[٣].

﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٤].

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ ﴾[٥].

﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ العَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾[٦].

﴿ تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ اليَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٧].

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ

---

(١) الأنعام : ٤٨.

(٢) آل عمران : ١٧٩.

(٣) المائدة : ٣٢.

(٤) الأعراف : ١٣٥.

(٥) الحديد : ٢٥.

(٦) النحل : ١١٣.

(٧) النحل : ٦٣.

دَرَجَاتٍ ﴾[١].

﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾[٢].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[٣].

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ﴾[٤].

﴿ لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً ﴾[٥].

النبوّة الخاصّة في القرآن الكريم :

قال الله تعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾[٦].

---

(١) البقرة : ٢٥٣.

(٢) النساء : ١٦٤.

(٣) النحل : ٤٣.

(٤) النساء : ١٦٣.

(٥) النساء : ١٦٦.

(٦) آل عمران : ١٤٤.

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ ﴾[١].

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٢].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[٣].

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[٤].

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[٥].

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[٦].

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾[٧].

---

(١) المائدة : ٦٧.

(٢) الأعراف : ١٥٨.

(٣) الأنبياء : ١٠٧.

(٤) سبأ : ٢٨.

(٥) الأحزاب : ٤٠.

(٦) الانشراح : ١ ـ ٤.

(٧) الصفّ : ٦.

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾[١].

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾[٢].

﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾[٣].

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا البَلاغُ ﴾[٤].

﴿ فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ العُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[٥].

﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ ﴾[٦].

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾[٧].

---

(١) الرعد : ٤٣.

(٢) الشورى : ٧.

(٣) الأنعام : ٩٠.

(٤) الشورى : ٤٨.

(٥) الروم : ٥٢ ـ ٥٣.

(٦) المائدة : ٤٩.

(٧) الجمعة : ٢.

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾[١].

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاغُ المُبِينُ ﴾[٢].

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً ﴿٢٨﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[٣].

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾[٤].

﴿ يَا أَيُّهَا المُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾[٥].

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ المُبْطِلُونَ ﴾[٦].

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[٧].

---

(١) الأحزاب : ٦.

(٢) النحل : ٨٢.

(٣) الفتح : ٢٨ ـ ٢٩.

(٤) الإسراء : ١.

(٥) المزّمّل : ١ ـ ٥.

(٦) المؤمن : ٧٨.

(٧) النساء : ١٣ ـ ١٤.

﴿ اُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[١].

﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[٢].

اللهمّ صلّ على محمّد سيّد المرسلين وخاتم النبيّين وحجّة ربّ العالمين، وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

النبوّة العامّة والخاصّة في الأحاديث الشريفة :

ـــ قال هشام بن الحكم : سأل الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام فقال : من أين أثبت أنبياءً ورسلاً ؟

قال أبو عبد الله عليه السلام :

«إنّما لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً، لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه ولا يباشرهم ولا يباشروه، ويحاجّهم ويحاجّوه، فثبت أنّ له سفراء في خلقه يدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم، وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه وثبت عند ذلك أنّه له معبّرين وهم الأنبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس في أحوالهم

---

(١) النحل : ١٢٥.

(٢) الأحزاب : ٥٦.

على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب، مؤيّدين من عند الحكيم بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد، من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، فلا تخلو أرض الله من حجّة، يكون معه علم يدلّ على صدق مقال الرسول ووجوب عدالته»[١].

ـ وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال:

«إنّما سمّي أُولو العزم لأنّهم كانوا أصحاب العزائم والشرائع، وذلك أنّ كلّ نبيّ كان بعد نوح عليه السلام كان على شريعته ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى زمن إبراهيم الخليل، وكلّ نبيّ كان في أيام إبراهيم وبعده كان على شريعة إبراهيم ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى زمن موسى، وكلّ نبيّ كان في زمن موسى وبعده كان على شريعة موسى ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى أيام عيسى، وكلّ نبيّ كان أيام عيسى وبعده كان على منهاج عيسى وشريعته وتابعاً لكتابه إلى زمن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله.

فهؤلاء الخمسة أُولوا العزم وهم أفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام، وشريعة محمّد لا تنسخ إلى يوم القيامة، ولا نبيّ بعده إلى يوم القيامة، فمن ادّعى بعده نبوّة أو أتى بعد القرآن بكتاب فدمه مباح لكلّ من سمع ذلك منه»[٢].

ـ وعن الحسين بن نعيم الصحّاف: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيكون الرجل مؤمناً قد ثبت له الإيمان ثمّ ينقله الله بعد الإيمان إلى الكفر؟

---

(١) بحار الأنوار ١١: ٢٩.

(٢) بحار الأنوار ١١: ٣٤.

قال: «إنّ الله هو العدل، وإنّما بعث الرسل ليدعوا الناس إلى الإيمان بالله، ولا يدعو أحداً إلى الكفر».

قلت: فيكون الرجل كافراً قد ثبت له الكفر عند الله فينقله الله بعد ذلك من الكفر إلى الإيمان؟

قال: «الله عزّ وجلّ خلق الناس على الفطرة التي فطرهم الله عليها لا يعرفون إيماناً بشريعة ولا كفراً بجحود، ثمّ ابتعث الله الرسل إليهم يدعونهم إلى الإيمان بالله حجّة لله عليهم، فمنهم من هداه الله ومنهم من له يهده»[1].

ـ وعن الرضا عليه السلام، جواباً لأحدهم:

«فإن قال: فلِمَ وجب عليهم معرفة الرسل والإقرار بهم والإذعان لهم بالطاعة؟ قيل: لأنّه لمّا لم يكن في خلقهم وقواهم ما يكملوا لمصالحهم، وكان الصانع متعالياً عن أن يرى وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهراً، لم يكن بدّ من رسول بينه وبينهم، معصوم، يؤدّي إليهم أمره ونهيه وأدبه ويقفهم على ما يكون به إحراز منافعهم ودفع مضارّهم، إذا لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون إليه منافعهم ومضارّهم، فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجيء الرسول منفعة ولا سدّ حاجة، ولكان يكون إتيانه عبثاً لغير منفعة ولا صلاح وليس هذا من صفة الحكيم الذي أتقن كلّ شيء»[2].

ـ وعن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لأيّ علّة أعطى الله

---

(١) بحار الأنوار ١١: ٤٠.

(٢) المصدر نفسه، عن علل الشرائع وعيون الأخبار.

عزّ وجلّ أنبياءه ورسله وأعطاكم المعجزة ؟

فقال : ليكون دليلاً على صدق ما أتى به، والمعجزة علامة لا يعطيها إلّا أنبياءه ورسله وحججه ليعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب[١].

ـ وقال عليّ بن محمّد بن الجهم لمولانا الرضا عليه السلام : يا بن رسول الله، أتقول بعصمة الأنبياء ؟ قال : بلى[٢].

ـ وقال أمير المؤمنين عليه السلام في ضمن خطبة له :

«فبعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، بقرآن قد بيّنه وأحكمه ليعلم العباد ربّهم إذ جهلوه، وليقرّوا به إذ جحدوه، وليثبتوه بعد إذ أنكروه، فتجلّى سبحانه لهم في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته ...»[٣].

ـ وقال عليه السلام :

«ثمّ إنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ حين دنا من الدنيا الانقطاع، وأقبل من الآخرة الاطلاع، وأظلمت بهجتها بعد إشراق، وقامت بأهلها على ساق، وخشن منها مهاد ... ـ إلى أن يقول : ـ ثمّ أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقّده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضلّ نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوءه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى

---

(١) بحار الأنوار ١١ : ٧١.

(٢) المصدر نفسه : ٧٣.

(٣) نهج البلاغة : ٣١٧.

أسقامه، وعزّاً لا تهزم أنصاره، وحقّاً لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافي الإسلام وبنيانه...»[١].

الإمامة

الإمامة العامّة والخاصّة في القرآن الكريم :

قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾[٣].

﴿ وَإِذا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوْ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[٤].

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[٥].

---

(١) المصدر السابق : ٤٥٥.

(٢) التوبة : ١١٩.

(٣) النساء : ٥٩.

(٤) النساء : ٨٣.

(٥) الأعراف : ١٨١.

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[١].

﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢].

﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[٣].

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾[٤].

﴿ قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾[٥].

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[٦].

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ ﴾[٧].

---

(١) الرعد : ٧.

(٢) آل عمران : ٣٣ ـ ٣٤.

(٣) البقرة : ١٢٤.

(٤) البقرة : ١٤٣.

(٥) الرعد : ٤٣.

(٦) المائدة : ٥٥.

(٧) آل عمران : ٦١.

﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[١].

﴿ اليَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾[٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ ﴾[٣].

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ ﴾[٤].

﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ المُرْسَلِينَ ﴾[٥].

﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٦].

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ۝ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ

---

(١) يونس : ٣٥.

(٢) المائدة : ٣.

(٣) المائدة : ٦٧.

(٤) الصافّات : ٢٤.

(٥) الأعراف : ٦.

(٦) التوبة : ٦١.

الحَكِيمُ ﴿٣٣﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[١].

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[٢].

﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[٣].

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٤].

هذا ومئات الآيات الشريفة تدلّ على ضرورة الإمامة والخلافة وبيان صفات الأئمة الهداة والخلفاء المعصومين بعد الرسول الأعظم ﷺ، فعليكم بمراجعة التفاسير وكتب الحديث والكلام من الفريقين.

الإمامة العامّة والخاصّة في الأحاديث الشريفة :

ـ عن العبد الصالح الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، قال :

«إنّ الحجّة لا تقوم لله على خلقه إلّا بإمام يعرف»[٥].

---

(١) البقرة : ٣٠ ـ ٣٣.

(٢) الأحزاب : ٣٣.

(٣) الشورى : ٢٣.

(٤) التوبة : ١٠٥.

(٥) الكافي ١ : ٧٧. وكذلك الروايات المذكورة الأُخرى، كما وردت في بحار الأنوار للعلّامة المجلسي.

ـــ وعن إسحاق بن عمّار، قال: سمعته ـ أي الإمام الصادق عليه السلام ـ يقول:

«إنّ الأرض لا تخلو إلّا وفيها إمام كيما إن زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، وإن نقصوا شيئاً أتمّه لهم».

ـــ وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«إنّ الله أجلّ وأعظم من أن يترك الأرض بغير إمامٍ عادل».

ـــ وعن أبي جعفر عليه السلام، قال:

«والله ما ترك أرضاً منذ قبض آدم عليه السلام إلّا وفيها إمام يهتدى به إلى الله، وهو حجّته على عباده، ولا تبقى الأرض بغير إمام حجّة لله على عباده».

ـــ وعن أبي حمزة، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «إنّما يعبد الله من يعرف الله، فأمّا من لا يعرف فإنّما يعبده هكذا ضلالاً».

قلت: جعلت فداك، فما معرفة الله؟

قال: «تصديق الله عزّ وجلّ، وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله، وموالاة عليّ عليه السلام والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام، والبراءة إلى الله عزّ وجلّ من عدوّهم، هكذا يعرف الله عزّ وجلّ».

ـــ وروى الفريقان عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية».

ـــ عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال:

«إنّ الله تبارك وتعالى طهّرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجّته في أرضه، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا، لا نفارقه ولا يفارقنا».

ــ يقول أبو عبد الله عليه السلام :

«نحن ولاة أمر الله، وخزنة علم الله، وعيبة وحي الله».

ــ وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام :

«الأئمة خلفاء الله عزّ وجلّ في أرضه».

ــ قال أبو عبد الله عليه السلام :

«الأوصياء هم أبواب الله عزّ وجلّ التي يؤتى منها، ولولاهم ما عرف الله عزّ وجلّ، وبهم احتجّ الله تبارك وتعالى على خلقه».

ــ وقال داود الجصّاص : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

«﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[1]، قال : النجم رسول الله صلى الله عليه وآله، والعلامات هم الأئمة عليهم السلام».

ــ وعن أبي جعفر عليه السلام، قال :

«لمّا نزلت هذه الآية ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾[2]، قال المسلمون : يا رسول الله، ألست إمام الناس كلّهم أجمعين ؟ قال : فقال رسول الله : أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس فيكذّبون ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم، فمن والاهم واتّبعهم وصدّقهم فهو منّي ومعي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذّبهم فليس منّي ولا معي وأنا منه بريء».

---

(١) النحل : ١٦.

(٢) الإسراء : ٧١.

ـ وقال يعقوب بن شعيب : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ ﴾[1] ؟ قال : هم الأئمة.

ـ وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

«إنّا أهل البيت شجرة النبوّة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم».

ـ وعن أبي جعفر عليه السلام ، قال :

«يا معشر الشيعة، خاصموا بسورة إنّا أنزلناه تفلجوا، فوالله إنّها لحجّة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّها سيّدة دينكم، وإنّها لغاية علمنا».

ـ وعن أبي بصير، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[2] ؟

فقال : «نزلت في عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام».

فقلت له : إنّ الناس يقولون : فما له لم يسمِّ علياً وأهل بيته في كتاب الله عزّ وجلّ ؟

قال : فقال : «قولوا لهم : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه (الصلاة) ولم يسمِّ الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً، حتّى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسّر ذلك لهم».

---

(١) التوبة : ١٠٥.

(٢) النساء : ٥٩.

ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام :

«من ادّعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر».

ـ عن أبي الحسن عليه السلام ، في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ ﴾[1]، قال :

«يعني من اتّخذ دينه رأيه بغير إمام من أئمة الهدى».

ـ وعن أبي يعفور، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله : «من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية» ؟ قال : قلت : ميتة كفر ؟

فقال : «ميتة ضلال».

قلت : فمن مات اليوم وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية ؟

قال : «نعم».

ـ قال جعفر بن محمّد عليه السلام ـ وعنده أُناس من أهل الكوفة ـ :

«عجباً للناس إنّهم أخذوا علمهم كلّه عن رسول الله صلى الله عليه وآله فعملوا به واهتدوا، ويرون أنّ أهل بيته لم يأخذوا علمه، ونحن أهل بيته وذرّيته، في منازلنا نزل الوحي، ومن عندنا خرج العلم إليهم، أفيرون أنّهم علموا واهتدوا وجهلنا نحن وضللنا، إنّ هذا لمحال».

ـ وقال أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة :

«شرّقا وغرّباً فلا تجدان علماً صحيحاً إلّا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت».

---

(١) القصص : ٥٠.

وقد أحسن الشاعر حين قال في مدح أئمة الحقّ أهل بيت رسول الله عليهم السلام :

من جاء بالقول البليغ فآخذ عنهم وإلّا فهو منهم سارقُ
ساووا كتاب الله إلّا أنّه هو صامتٌ وهو الكتاب الناطقُ

ـ وعن زرارة، قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول :

«نحن اثنا عشر إماماً، منهم الحسن والحسين، ثمّ الأئمة من ولد الحسين عليهم السلام».

ـ وعن أبي جعفر الثاني عليه السلام، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لابن عباس : «إنّ ليلة القدر في كلّ سنة، وإنّه ينزل في الليلة أمر السنة، ولذلك الأمر ولاة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله».

فقال ابن عباس : من هم ؟

قال : «أنا وأحد عشر من صلبي، أئمة محدثون».

ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه :

«آمنوا بليلة القدر، إنّها تكون لعليّ بن أبي طالب ولولده الأحد عشر من بعدي».

هذه نبذة يسيرة من مئات بل آلاف الأحاديث الشريفة في معرفة الأئمة عليهم السلام، وحقيقة الإمام ومن هو بعد الرسول المختار ؟ وكيف يجب أن تعرف إمام زمانك ؟ وقد صنّف وألّف الفريقان ـ السنّة والشيعة ـ في ذلك آلاف الكتب القيّمة، فلا يعذر المسلم حينئذٍ، ولله الحجّة البالغة، وكفى بالله حسيباً.

وإليك ختاماً هذه الروايات الشريفة من الكتاب القيّم (الكافي)[١]:

قال أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني مصنّف هذا الكتاب رحمه الله:

حدّثنا:

١ ـ محمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن منصور بن حازم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ الله أجلّ وأكرم من أن يعرف بخلقه، بل الخلق يعرفون بالله.

قال: «صدقت».

قلت: إنّ من عرف أنّ له ربّاً، فينبغي له أن يعرف لذلك الربّ رضىً وسخطاً، وأنّه لا يعرف رضاه وسخطه إلّا بوحي أو رسول، فمن لم يأته الوحي فقد ينبغي له أن يطلب الرسل، فإذا لقيهم عرف أنّهم الحجّة، وأنّ لهم الطاعة المفترضة. وقلت للناس: تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان هو الحجّة من خلقه. قالوا: بلى. قلت: فحين مضى رسول الله صلى الله عليه وآله من كان الحجّة على خلقه؟ فقالوا: القرآن. فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجئ والقدري لا يؤمن به حتّى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أنّ القرآن لا يكون حجّة إلّا بقيّم، فما قال فيه من شيء كان حقّاً. فقلت لهم: من قيّم القرآن؟ فقالوا: ابن مسعود، قد كان يعلم وعمر يعلم وحذيفة يعلم. قلت: كلّه؟ قالوا: لا. فلم أجد أحداً قال: إنّه يعرف ذلك كلّه إلّا علياً عليه السلام، وإذا كان الشيء بين القوم فقال هذا: لا أدري، وقال هذا: لا أدري، وقال هذا: أنا أدري، فأشهد أنّ علياً عليه السلام كان قيّم القرآن وكانت طاعته مفترضة،

---

(١) الكافي ١: ١٦٨.

وكان الحجّة على الناس بعد رسول الله ﷺ، وأنّ ما قال في القرآن فهو حقّ.

فقال: «رحمك الله».

٢ ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن إبراهيم، عن يونس بن يعقوب، قال: كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه، منهم: حمران بن أعين، ومحمّد بن النعمان، وهشام بن سالم، والطيّار، وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «يا هشام، ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟»

فقال هشام: يا ابن رسول الله، إنّي أُجلّك وأستحييك، ولا يعمل لساني بين يديك.

فقال أبو عبد الله: «إذا أمرتكم بشيء فافعلوا».

قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، فعظم ذلك عليّ، فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة، فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متّزر بها من صوف، وشملة مرتديها، والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثمّ قعدت في آخر القوم على ركبتي. ثمّ قلت: أيّها العالم، إنّي رجل غريب تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم، فقلت له: ألك عين؟ فقال: يا بني، أي شيء هذا من السؤال؟ وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت: هذا مسألتي. فقال: يا بني، سل وإن كانت مسألتك حمقاء. قلت: أجبني فيها؟ قال: سل. قلت: ألك عين؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص. قلت: فلك أنف؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع به؟ قال: أشمّ به الرائحة. قلت: ألك فم؟ قال: نعم. قلت:

فما تصنع به ؟ قال : أذوق به الطعم. قلت : فلك أُذن ؟ قال : نعم. قلت : فما تصنع بها ؟ قال : أسمع بها الصوت. قلت : ألك قلب ؟ قال : نعم. قلت : فما تصنع بـه ؟ قال : أُميّز به كلّ ما ورد على هذه الجوارح والحواسّ. قلت : أوَ ليس فـي هـذه الجوارح غنىً عن القلب ؟ قال : لا. قلت : وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة ؟ قال : يا بني، إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردّته إلى القلب، فيستيقن اليقين ويبطل الشكّ. قال هشام : فقلت له : فإنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح ؟ قال : نعم. قلت : لا بدّ من القلب وإلّا لم تستيقن الجوارح ؟ قال : نعم. فقلت له : يا أبا مروان، فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح ويتيقّن به ما شكّ فيه، ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتك وشكّهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك تردّ إليه حيرتك وشكّك ؟ قال : فسكت، ولم يقل لي شيئاً، ثمّ التـفت إليَّ فقال لي : أنت هشام بن الحكم ؟ فقلت : لا ـ فرضاً ـ. قال : أمن جـلسائه ؟ قلت : لا. قال : فمن أين أنت ؟ قال : قلت : من أهل الكوفة. قال : فأنت إذاً هو. ثمّ ضمّني إليه، وأقعدني في مجلسه وما نطق حتّى قمت.

قال : فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال : «يا هشام، من علّمك هذا» ؟

قلت : شيء أخذته منك وألفته.

فقال : «هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى».

٣ ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عمّن ذكره، عن يونس بن يعقوب، قـال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام، فـقال : إنّـي رجـل صاحب كلام وفقه وفرائض، وقد جئت لمناظرة أصحابك.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : «كلامك من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله أو من عندك» ؟

فقال : من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ومن عندي.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : «فأنت إذاً شريك رسول الله» ؟

قال : لا.

قال : «فسمعت الوحي عن الله عزّ وجلّ يخبرك» ؟

قال : لا.

قال : «فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله» ؟

قال : لا.

فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إليَّ فقال : «يا يونس بن يعقوب، هذا قد خصم نفسه قبل أن يتكلّم»، ثمّ قال : «يا يونس، لو كنت تحسن الكلام كلّمته».

قال يونس : فيا لها من حسرة. فقلت : جعلت فداك، إنّي سمعتك تنهى عن الكلام وتقول : ويل لأصحاب الكلام يقولون : هذا ينقاد وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقله وهذا لا نعقله.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : «إنّما قلت : فويل لهم إن تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يريدون».

ثمّ قال لي : «اخرج إلى الباب فانظر من ترى من المتكلّمين فأدخله».

قال : فأدخلت حمران بن أعين، وكان يحسن الكلام، وأدخلت هشام بن سالم وكان يحسن الكلام، وأدخلت قيس بن الماصر وكان عندي أحسنهم كلاماً، وكان قد تعلّم الكلام من عليّ بن الحسين عليه السلام.

فلمّا استقرّ بنا المجلس ـ وكان أبو عبد الله عليه السلام قبل الحجّ يستقرّ أياماً في

جبل في طرف الحرم في فازة له مضروبة ـ قال : فأخرج أبو عبد الله عليه السلام رأسه من فازته فإذا هو ببعير يخبّ فقال : «هشام وربّ الكعبة».

قال : فظننا أنّ هشاماً رجل من ولد عقيل كان شديد المحبّة له. قال : فورد هشام بن الحكم، وهو أوّل ما اختطّت لحيته، وليس فينا إلّا من هو أكبر سنّاً منه.

قال : فوسع أبو عبد الله عليه السلام وقال : «ناصرنا بقلبه ولسانه ويده».

ثمّ قال : «يا حمران كلّم الرجل».

فكلّمه فظهر عليه حمران.

ثمّ قال : «يا طاقي، كلّمه».

فكلّمه فظهر عليه الأحول.

ثمّ قال : «يا هشام بن سالم، كلّمه».

فتعارفا.

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام لقيس الماصر : «كلّمه».

فكلّمه، فأقبل أبو عبد الله عليه السلام يضحك من كلامهما ممّا قد أصاب الشامي.

فقال للشامي : «كلّم هذا الغلام» ـ يعني هشام بن الحكم ـ.

فقال : نعم.

فقال لهشام : يا غلام سلني في إمامة هذا.

فغضب هشام حتّى ارتعد، ثمّ قال للشامي : يا هذا، أربّك أنظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم ؟

فقال الشامي : بل ربّي أنظر لخلقه.

قال : ففعل بنظره لهم ماذا ؟

قال : أقام لهم حجّة ودليلاً كيلا يتشتّتوا أو يختلفوا، يتألفهم ويقيم أودهم ويخبرهم بفرض ربّه.

قال : فمن هو ؟

قال : رسول الله عليه السلام.

قال هشام : فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنّة في رفع الاختلاف عنّا ؟

قال الشامي : نعم.

قال : فلِمَ اختلفنا أنا وأنت، وصرت إلينا من الشام في مخالفتنا إيّاك ؟

قال : فسكت الشامي. فقال أبو عبد الله عليه السلام للشامي : «ما لك لا تتكلّم» ؟

قال الشامي : إن قلت : لم نختلف كذبت، وإن قلت : إنّ الكتاب والسنّة يرفعان عنّا الاختلاف أبطلت، لأنّهما يحتملان الوجوه، وإن قلت : قد اختلفنا وكلّ واحد يدّعي الحقّ فلم ينفعنا إذن الكتاب والسنّة، إلّا أنّ لي عليه هذه الحجّة.

فقال أبو عبد الله عليه السلام : «سله تجده مليّاً».

فقال الشامي : يا هذا، من أنظر للخلق أربّهم أو أنفسهم ؟

فقال هشام : ربّهم أنظر لهم منهم لأنفسهم.

فقال الشامي : فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم ويقيم أودهم ويخبرهم بحقّهم من باطلهم ؟

قال هشام : في وقت رسول الله صلى الله عليه وآله أو الساعة ؟

قال الشامي : في وقت رسول الله رسول الله صلى الله عليه وآله، والساعة من ؟

فقال هشام : هذا القاعد الذي تشدّ إليه الرحال، ويخبرنا بأخبار السماء [والأرض] وراثة عن أبٍ عن جدّ.

قال الشامي : فكيف لي أن أعلم ذلك ؟

قال هشام : سله عمّا بدا لك .

قال الشامي : قطعت عذري ، فعليَّ السؤال .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : « يا شامي ، أُخبرك كيف كان سفرك ؟ وكيف كان طريقك ؟ كان كذا وكذا » .

فأقبل الشامي يقول : صدقت ، أسلمت لله الساعة .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : « بل آمنت بالله الساعة ، إنّ الإسلام قبل الإيمان ، وعليه يتوارثون ويتناكحون ، والإيمان عليه يثابون » .

فقال الشامي : صدقت ، فأنا الساعة أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنّك وصيّ الأوصياء .

ثمّ التفت أبو عبد الله عليه السلام إلى حمران ، فقال : « تجري الكلام على الأثر فتصيب » .

والتفت إلى هشام بن سالم ، فقال : « تريد الأثر ولا تعرفه » .

ثمّ التفت إلى الأحول ، فقال : « قياس رواغ ، تكسر باطلاً بباطل ، إلّا أنّ باطلك أظهر » .

ثمّ التفت إلى قيس الماصر ، فقال : « تتكلّم وأقرب ما تكون من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أبعد ما تكون منه ، تمزج الحقّ مع الباطل ، وقليل الحقّ يكفي عن كثير الباطل ، أنت والأحول قفّازان حاذقان » .

قال يونس : فظننت والله أنّه يقول لهشام قريباً ممّا قال لهما .

ثمّ قال : « يا هشام لا تكاد تقع ، تلوي رجليك إذا هممت بالأرض طرت ،

مثلك فليكلّم الناس، فاتّق الزلّة، والشفاعة من ورائها إن شاء الله »[١].

المعاد

المعاد في القرآن الكريم :

قال الله تعالى :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾[٢].

﴿ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً ﴾[٣].

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٤].

﴿ وَالمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[٥].

---

(١) راجع شروح الكافي في هذه الروايات الشريفة لتقف على جواهر الكلام.

(٢) آل عمران : ١٨٥.

(٣) النساء : ٨٧.

(٤) البقرة : ٢٥٩.

(٥) الأنعام : ٣٦.

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[١].

﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً ﴾[٢].

﴿ وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً ﴿٦٦﴾ أَوَ لا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً ﴾[٣].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾[٤].

﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾[٥].

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ

---

(١) النحل : ٣٨.

(٢) الإسراء : ٤٩ ـ ٥١.

(٣) مريم : ٦٦ ـ ٦٨.

(٤) الحجّ : ٥.

(٥) الزخرف : ١١.

يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[١].

﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ ۞ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۞ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ۞ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾[٢].

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ ۞ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ۞ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ ۞ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۞ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ ﴾[٣].

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ المِيعَادَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَ أُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾[٤].

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾[٥].

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالعِبَادِ ﴾[٦].

---

(١) الجاثية : ٢٤ ـ ٢٦.

(٢) القيامة : ١ ـ ٤.

(٣) الواقعة : ٥٧ ـ ٦٢.

(٤) آل عمران : ٩ ـ ١٠.

(٥) آل عمران : ٢٥.

(٦) آل عمران : ٣٠.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾[١].

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾[٢].

﴿ اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾[٣].

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾[٤]

﴿ وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[٥].

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[٦].

---

(١) يونس : ٤٥.

(٢) إبراهيم : ٤٢ ـ ٤٣.

(٣) الأنبياء : ١ ـ ٢.

(٤) الأنبياء : ٣٨ ـ ٤٠.

(٥) الأنبياء : ٤٧.

(٦) الأنبياء : ١٠٤.

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾[١].

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنْ الأجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٢].

﴿ قُلْ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[٣].

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴾[٤].

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾[٥].

---

(١) المؤمنون : ١٠١ ـ ١٠٣.

(٢) يس : ٥١ ـ ٥٤.

(٣) الجاثية : ٢٦.

(٤) الواقعة : ١ ـ ٣.

(٥) التكوير : ١ ـ ١٤.

المعاد في الأحاديث الشريفة :

ــ ورد في حديث الزنديق الذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل أنّه قال : أخبرني عن السراج إذا انطفأ أين يذهب نوره ؟

قال : « يذهب فلا يعود » .

قال : فما أنكرت أن يكون الإنسان مثل ذلك ، إذا مات وفارق الروح البدن لم يرجع إليه أبداً كما لا يرجع ضوء السراج إليه إذا انطفأ ؟

قال : قال : « لم تصب القياس ، إنّ النار في الأجسام كامنة قائمة بأعيانها ، كالحجر والحديد ، فإذا ضرب أحدهما بآخر سطعت من بينهما نار يقتبس منها سراج له ضوء ، فالنار ثابتة في أجسامها ، والضوء ذاهب ، والروح جسم رقيق ، قد أُلبس قالباً كثيفاً ليس بمنزلة السراج الذي ذكرت ، إنّ الذي خلق في الرحم جنيناً من ماء صافٍ وركّب فيه ضروباً مختلفة من عروق وعصب وأسنان وشعر وعظام وغير ذلك هو يحييه بعد موته ويعيده بعد فنائه »[1] .

ــ وسئل الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام : ما الموت الذي جهلوه ؟

قال : « أعظم سرور يرد على المؤمنين إذا نقلوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد ، وأعظم بثور يرد على الكافرين إذا نقلوا عن جنّتهم إلى نار لا تنفذ »[2] .

---

(١) بحار الأنوار ٦ : ٢١٦ .

(٢) المصدر نفسه .

ـــ وقال عليّ بن الحسين عليهما السلام :

«لمّا اشتدّ الأمر على الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام ، نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم، لأنّهم كلّما اشتدّ الأمر تغيّرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم، وكان الحسين صلوات الله عليه وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم وتهدأ جوارحهم وتسكن نفوسهم، فقال بعضهم لبعض : انظروا لا يبالي بالموت ؟ فقال لهم الحسين عليه السلام : صبراً بني الكرام، فما الموت إلّا قنطرة يعبر بكم عن البؤس والضرّاء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فأيّكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر ؟ وما هو لأعدائكم إلّا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب، إنّ أبي حدّثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ما كُذبت ولا كَذبت»[1].

ـــ وقيل لمحمّد بن عليّ عليه السلام : ما الموت ؟

قال : «هو النوم الذي يأتيكم كلّ ليلة إلّا أنّه طويل مدّته، لا ينتبه منه إلّا يوم القيامة، فمن رأى في نومه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره، ومن أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره، فكيف حال فرح في النوم ووجل فيه ؟ هذا هو الموت فاستعدّوا له»[2].

ـــ وعن عليّ بن الحسين عليهما السلام في رواية نفخ الصور :

«... فعند ذلك ينادي الجبّار جلّ جلاله مجيباً لنفسه في قوله تعالى :

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) بحار الأنوار ٦ : ١٥٤ ـ ١٥٥.

لمن الملك : لله الواحد القهّار، وأنا قهرت الخلائق كلّهم وأمتّهم، إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا، وحدي لا شريك لي ولا وزير، وأنا خلقت بيدي وأنا أمتّهم بمشيّتي وأنا أُحييهم بقدرتي، قال : فنفخ الجبّار نفخة في الصور يخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السماوات، فلا يبقى في السماوات أحد إلّا حي وقام كما كان، ويعود حملة العرش ويحضر الجنّة والنار ويحشر الخلائق للحساب، قال : فرأيت عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما يبكي عند ذلك بكاءً شديداً»[١].

ـ وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته :

«فإنّ الغاية أمامكم، وإنّ وراءكم الساعة تحدوكم، تخفّفوا تلحقوا، فإنّما ينتظر بأوّلكم آخركم»[٢].

ـ وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

«واتّقوا الله عباد الله، وبادروا آجالكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم، وترحّلوا فقد جدّ بكم، واستعدّوا للموت فقد أظلّكم، وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا، وعلموا أنّ الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا، فإنّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدىً، وما بين أحدكم وبين الجنّة أو النار إلّا الموت أن ينزل به... فيا لها حسرة على ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجّة، وأن تؤدّيه أيامه إلى شقوة، نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإيّاكم ممّن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة ربّه غاية، ولا تحلّ به بعد الموت ندامة ولا كآبة»[٣].

---

(١) بحار الأنوار ٦ : ٣٢٤.

(٢) بحار الأنوار ٦ : ١٣٥.

(٣) نهج البلاغة : ١٦٥.

ـ وقال عليه السلام :

«وجاء من أمر الله ما يريده من تجديد خلقه أماد السماء وفطرها، وأرج الأرض وأرجفها، وقلع جبالها ونسفها، ودلّ بعضها بعضاً من هيبة جلالته ومخوف سطوته، وأخرج من فيها فجدّدهم بعد أخلاقهم، وجمعهم بعد تفريقهم، ثمّ ميّزهم لما يريد من مسألتهم عن خفايا الأعمال وخبايا الأفعال، وجعلهم فريقين أنعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء، فأمّا أهل طاعته فأثابهم بجواره، وخلّدهم في داره»[1].

هذا قبس من أنوار الهداية من الكتاب وسنّة النبيّ وعترته الطاهرين صلى الله عليه وآله، في أُصول الدين. نسأل الله حقّ اليقين بالعلم والعمل الصالح، آمين ربّ العالمين.

ونودّ أن نذكر (دعاء العديلة) من كتاب (مفاتيح الجنان) لخاتم المحدّثين الشيخ عباس القمّي (عليه الرحمة)، يشتمل على الأُصول الخمسة، والأفضل قراءته بين حين وآخر، لا سيّما في الآيام المباركة والأماكن المشرّفة، بل عند الأئمة الأطهار، كما فعل سيّدنا عبد العظيم الحسني، الذي له مزار جليل في مدينة ري بجوار طهران عاصمة إيران، حينما عرض دينه على إمام زمانه الإمام الهادي عليه السلام فدعا له الإمام، ونحن نعتقد في أئمتنا عليهم السلام كما جاء في زيارة مولانا الإمام الرضا عليه السلام : «أشهد أنّك ترى مكاني وتسمع كلامي وتردّ سلامي». فالإمام المعصوم يرى ويسمع.

---

(١) نفس المصدر : ٢٦٣.

فإليكم دعاء العديلة[1]، وسأجعل لكم الأُصول الخمسة بين قوسين إتماماً للفائدة:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

١ ـ التوحيد:

«شهد الله أنّه لا إله إلّا هو والملائكة وأُولوا العلم قائماً بالقسط، لا إله إلّا هو العزيز الحكيم، إنّ الدين عند الله الإسلام، وأنا العبد الضعيف المذنب العاصي المحتاج الحقير، أشهد لمنعمي وخالقي ورازقي ومكرمي كما شهد لذاته وشهدت له الملائكة وأُولوا العلم من عباده بأنّه لا إله إلّا هو ذو النعم والإحسان والكرم والامتنان، قادر أزلي عالم أبدي حيّ أحدي موجود سرمدي سميع بصير مريد كاره مدرك صمدي، يستحقّ هذه الصفات وهو على ما هو عليه في صفاته، كان قوياً قبل وجود القدرة والقوّة، وكان عليماً قبل إيجاد العلم والعلّة، لم يزل سلطاناً إذ لا مملكة ولا مال، ولم يزل سجّاناً على جميع الأحوال، وجوده قبل القبل في أزل الأزل، وبقاؤه بعد البعد من غير انتقال ولا زوال، غنيّ في الأوّل والآخر، مستغنٍ في الباطن والظاهر».

٢ ـ العدل:

«لا جور في قضيّته، ولا ميل في مشيّته، ولا ظلم في تقديره، ولا مهرب من حكومته، ولا ملجأ من سطواته، ولا منجى من نقماته، سبقت رحمته غضبه، ولا يفوته أحد إذا طلبه، أزاح العلل في التكليف، وسوّى التوفيق بين الضعيف

---

(١) مفاتيح الجنان المعرّب: ١٩٦.

والشريف، مكّن أداء المأمور وسهّل سبيل اجتناب المحظور، لم يكلّف الطاعة إلّا دون الوسع والطاقة، سبحانه ما أبين كرمه وأعلى شأنه، سبحانه ما أجلّ نيله وأعظم إحسانه».

٣ـ النبوّة:

«بعث الأنبياء ليبيّن عدله، ونصب الأوصياء ليظهر طوله وفضله، وجعلنا من أُمّة سيّد الأنبياء وخير الأولياء وأفضل الأصفياء وأعلى الأزكياء محمّد ﷺ، آمنّا به وبما دعانا إليه وبالقرآن الذي أنزله عليه».

٤ـ الإمامة:

«وبوصيّه الذي نصبه يوم الغدير، وأشار بقوله هذا عليّ إليه، وأشهد أنّ الأئمة الأبرار والخلفاء الأخيار بعد الرسول المختار، عليّ قامع الكفّار، ومن بعده سيّد أولاده الحسن بن علي، ثمّ أخوه السبط التابع لمرضاة الله الحسين، ثمّ العابد عليّ، ثمّ الباقر محمّد، ثمّ الصادق جعفر، ثمّ الكاظم موسى، ثمّ الرضا علي، ثمّ التقي محمّد، ثمّ النقيّ علي، ثمّ الزكيّ الحسن، ثمّ الحجّة الخلف القائم المنتظر المهدي المرجّى الذي ببقائه بقيت الدنيا وبيمنه رزق الورى وبوجوده ثبت الأرض والسماء، وبه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً. وأشهد أنّ أقوالهم حجّة، وامتثالهم فريضة، وطاعتهم مفروضة، ومودّتهم لازمة مقضيّة، والاقتداء به منجية، ومخالفتهم مردية، وهم سادات أهل الجنّة أجمعين، وشفعاء يوم الدين، وأئمة أهل الأرض على اليقين، وأفضل الأوصياء المرضيين».

٥ـ المعاد:

«وأشهد أنّ الموت حقّ، ومسائلة القبر حقّ، والبعث حقّ، والنشور

والصراط حقّ، والميزان حقّ، والحساب والكتاب حقّ، والجنّة حقّ، والنار حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور».

«اللهمّ فضلك رجائي، وكرمك ورحمتك أملي، لا عمل لي أستحقّ به الجنّة، ولا طاعة لي أستوجب بها الرضوان، إلّا أنّي اعتقدت توحيدك وعدلك، وارتجيت إحسانك وفضلك، وتشفّعت إليك بالنبيّ وآله من أحبّتك، وأنت أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، وصلّى الله على نبيّنا محمّد وآله أجمعين الطيّبين الطاهرين، وسلّم تسليماً كثيراً كثيراً، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم».

«اللهمّ يا أرحم الراحمين، إنّي أودعتك يقيني هذا وثبات ديني، وأنت خير مستودع، وقد أمرتنا بحفظ الودائع، فردّه عليّ وقت حضور موتي برحمتك يا أرحم الراحمين».

ثمّ قال صاحب الكتاب، المحقّق الشيخ عباس القمّي ﷺ: قد ورد في الأدعية المأثورة: «اللهمّ إنّي أعوذ بك من العديلة عند الموت»، ومعنى العديلة عند الموت: هو العدول إلى الباطل عن الحقّ، وهو بأن يحضر الشيطان عند المحتضر ويوسوس في صدره ويجعله يشكّ في دينه، فيستلّ الإيمان من فؤاده، ولهذا قد وردت الاستعاذة منها في الدعوات.

وقال فخر المحقّقين ابن العلّامة الحلّي ﷺ: من أراد أن يسلم من العديلة فليستحضر الإيمان بأدلّتها، والأُصول الخمس ببراهينها القطعية، بخلوص وصفاء، وليودعها الله تعالى ليردّها إليه في ساعة الاحتضار، بأن يقول بعد استحضار عقائده الحقّة:

«اللهمّ يا أرحم الراحمين، إنّي قد أودعتك يقيني هذا وثبات ديني، وأنت خير مستودع، وقد أمرتنا بحفظ الودائع، فردّه عليَّ وقت حضور موتي».

فقراءة هذا الدعاء الشريف ـ دعاء العديلة ـ واستحضار مضمونه في البال تمنح المرء أماناً من خطر العديلة عند الموت.

وأمّا هذا الدعاء، فهل هو عن المعصوم عليه السلام، أم هو إنشاء من بعض العلماء؟ يقول في ذلك خريت صناعة الحديث وجامع أخبار الأئمة عليهم السلام، العالم المتبحّر الخبير والمحدّث الناقد البصير مولانا الحاجّ ميرزا حسين النوري (نوّر الله مرقده): وأمّا دعاء العديلة المعروفة، فهو من مؤلفات بعض أهل العلم، ليس بمأثور ولا موجود في كتب حملة الأحاديث ونقّادها.

واعلم أنّه روى الطوسي عليه الرحمة، عن محمّد بن سليمان الديلمي، أنّه قال للصادق عليه السلام: إنّ شيعتك تقول: إنّ الإيمان قسمين: فمستقرّ ثابت، ومستودع يزول، فعلّمني دعاءً يكمل به إيماني إذا دعوت به فلا يزول. قال عليه السلام: «قل عقيب كلّ صلاة مكتوبة: (رضيت بالله ربّاً، وبمحمّد صلى الله عليه وآله نبيّاً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن كتاباً، وبالكعبة قبلة، وبعليّ ولياً وإماماً، وبالحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد وموسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمّد بن عليّ وعليّ بن محمّد والحسن بن عليّ والحجّة بن الحسن صلوات الله عليهم أئمة، اللهمّ إنّي رضيت لهم أئمة فارضني بهم، إنّك على كلّ شيءٍ قدير)، وفي دعاء آخر عن الكفعمي، تقول بعد الصلوات: (رضيت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمّد صلى الله عليه وآله نبيّاً، وبعليّ إماماً، وبالحسن والحسين وعليّ ومحمّد وجعفر وموسى وعليّ ومحمّد وعليّ والحسن والخلف الصالح عليهم السلام أئمة

وسادة وقادة، بهم أتولّى، ومن أعدائهم أتبرّأ)»، ثمّ تقول ثلاثاً: «اللهمّ إنّي أسألك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة».

هذه نبذة ممّا أردنا بيانه في أُصول الدين التي هي بمنزلة جذور شجرة الإسلام المترسّخة في صدور المؤمنين.

وختاماً أُهدي إليك (مناجاة العارفين)، وختامه مسك، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون:

(مناجاة العارفين)[1]

«بسم الله الرحمن الرحيم.

إلهي، قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك كما يليق بجلالك، وعجزت العقول عن إدراك كنه جمالك، وانحسرت الأبصار دون النظر إلى سبحات وجهك، ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلّا بالعجز عن معرفتك.

إلهي، فاجعلنا من الذين ترسّخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبّتك بمجامع قلوبهم، فهم إلى أوكار الأفكار يأوون،

---

(١) المناجاة الثانية عشر من المناجات الخمسة عشر المعروفة لمولانا الإمام زين العابدين عليه السلام، وقد ذكرها الشيخ القمّي في (مفاتيح الجنان)، وهي من كنوز الأدعية ودررها وبحار موّاجة من المعارف الإلهية، وشموس وهّاجة من العلوم الربّانية، فعليكم بها لا سيّما المناجاة الثامنة (مناجاة المريدين).

وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون، ومن حياض المحبّة بكأس الملاطفة يكرعون، وشرائع المصافاة يردون، قد كشف الغطاء عن أبصارهم، وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم وضمائرهم، وانتفت مخالجة الشكّ عن قلوبهم وسرائرهم، وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم، وعلت لسبق السعادة في الزهادة هممهم، وعذب في معين المعاملة شربهم، وطاب في مجلس الأُنس سرّهم، وأمن في موطن المخافة سربهم، واطمأنّت بالرجوع إلى ربّ الأرباب أنفسهم، وتيقّنت بالفوز والفلاح أرواحهم، وقرّت بالنظر إلى محبوبهم أعينهم، واستقرّ بإدراك السؤال ونيل المأمول قرارهم، وربحت في بيع الدنيا بالآخرة تجارتهم.

إلهي، ما ألذّ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب، وما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب، وما أطيب طعم حبّك، وما أعذب شرب قربك، فأعذنا من طردك وإبعادك، واجعلنا من أخصّ عارفيك وأصلح عبادك وأصدق طائعيك وأخلص عبادك، يا عظيم، يا جليل، يا كريم، يا منيل، برحمتك ومنك يا أرحم الراحمين».

فـــروع
الـديـــن

الفرع الأوّل

الصلاة

قال الله عزّ وجلّ في محكم كتابه الكريم :

﴿ ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُـدىً لِـلْمُتَّقِينَ ۞ الَّـذِينَ يُـؤْمِنُونَ بِـالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ ﴾[1].

وقال سبحانه في مواضع من كتابه المجيد :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾[2].

وقال جلّ وعلا :

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾[3].

وقال تعالى :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ﴾[4].

---

(١) البقرة : ٢ ـ ٣.

(٢) البقرة : ٤٣، ٨٣ و ١١٠، والنساء : ٧٧ و ١٠٣، وغير ذلك.

(٣) طه : ١٣٢.

(٤) العنكبوت : ٤٥.

وقال عزّ من قائل :

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ ﴾[١].

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ ﴾[٢].

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى المُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾[٣].

﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً ﴾[٤].

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾[٥].

إنّ الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده، يريد لهم السعادة الأبدية، ومن لطفه يهديهم بكتبه ورسله إلى الصراط المستقيم، وإنّما كلّفهم بتكاليف وأحكام شرعية من أجل ذلك، وجعل أحكامه من الواجبات والمحرّمات وغيرهما طبقاً لمصالح عباده في نفس أفعالهم، فما فيه المصلحة الملزمة التامّة جعله واجباً وأمر به، وما فيه المفسدة البالغة جعله حراماً ونهى عنه، وما فيه المصلحة الراجحة مع جواز الترك ندب إليه وجعله مستحبّاً، وما فيه المفسدة الراجحة مع جواز الإتيان نهى عنه نهياً تنزيهيّاً فجعله مكروهاً، وفي تساوي الإتيان والترك فهو المباح.

---

(١) لقمان : ١٧.

(٢) البقرة : ٢٣٨.

(٣) النساء : ١٠٣.

(٤) مريم : ٥٥.

(٥) إبراهيم : ٤٠.

فهذه التكاليف الشرعية ـ الواجب والحرام والمستحبّ والمكروه والمباح ـ ليست إلّا من عدله ولطفه بعباده ليعرضهم للثواب، ومن ثمّ السعادة الدنيوية والأُخروية، وجنّات عدنٍ تجري من تحتها الأنهار فيها ما لا رأت عينٌ ولا سمعت أُذن، وذلك فضل الله وثوابه.

ولا بدّ أن تكون له سبحانه وتعالى في كلّ واقعة وحادثة حكم تكليفي يشترك فيه العالم والجاهل، فلا يخلو شيء من حكم واقعي في علم الله، وإن انسدّ علينا طريق العلم به، فإنّه نعمل بالظنّ المعتبر شرعاً كخبر الواحد الثقة وظواهر الكتاب، وذلك في فروع الدين وأحكامها، لا في أُصوله، فإنّ الله جعل الظنّ المعتبر بمنزلة العلم عند انسداده.

ومن أهمّ الفروع الدينية والواجبات الإلهية في الدين الإسلامي الحنيف هو الصلاة، وما أدراك ما الصلاة؟ فإنّ الصلوات اليومية الخمس لهي من أفضل الأعمال الدينية وأحبّها إلى الله سبحانه، وهي آخر وصايا الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وهي قوام الإسلام وعمود الدين، إن قُبلت في الآخرة وفي الميزان الإلهي قُبل ما سواها من الأفعال والأعمال، وإن رُدّت رُدّ ما سواها. فهي أوّل ما ينظر فيه من عمل ابن آدم، فإن صحّت وقُبلت ينظر في عمله، وإن لم تصحّ لم يُنظر في بقيّة أعماله، كما ورد ذلك عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وعترته الأطهار وصحبه الأخيار.

وقد جاء في الحديث الشريف:

١ ـ «مثل الصلاة كمثل النهر الجاري، فكما أنّ من اغتسل فيه كلّ يوم خمس مرّات لم يبقَ في بدنه شيء من الدرن والأوساخ، فكذلك كلّما صلّى صلاة

فقد كفّر ما بينهما من الذنوب والمعاصي»[١].

ويكفيك في عظمة الصلاة أنّها الفارق بين المسلم والكافر، وأوّل شيء يسئل عنه من العبد يوم القيامة الصلاة، فإذا جاء بها تامّة، وإلّا زخّ في النار[٢].

٢ ـ قال رسول الله ﷺ:

«حافظوا على الصلوات الخمس، فإنّ الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة يدعو بالعبد، فأوّل شيء يسأل عنه الصلاة، فإن جاء بها تامّاً وإلّا زخ في النار».

٣ ـ «أوّل ما ينظر في عمل العبد في يوم القيامة في صلاته، فإن قبلت نظر في غيرها، وإن لم تقبل لم ينظر في عمله شيء».

وحكمة الصلاة الطهر والتواضع لله سبحانه وأنّها الملّة.

٤ ـ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«عباد الله، إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون إلى الله جلّ ذكره: الإيمان بالله وبرسله وما جاءت به من عند الله... وإقامة الصلاة فإنّها الملّة».

٥ ـ «فرض الله الصلاة تنزيهاً عن الكبر».

٦ ـ وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«الصلاة تثبيت للإخلاص وتنزيه عن الكبر».

---

(١) بحار الأنوار ٨٢: ٢٢٠.

(٢) بحار الأنوار ٨٢: ٢٠١، عن جامع الأخبار.

٧ ـ عن الإمام الرضا عليه السلام فيما كتب عن علّة الصلاة، قال:

«إنّها إقرار بالربوبيّة لله عزّ وجلّ، وخلع الأنداد، وقيام بين يدي الجبّار جلّ جلاله بالذلّ والمسكنة والخضوع والاعتراف، والطلب للإقالة من سالف الذنوب، ووضع الوجه على الأرض كلّ يوم خمس مرّات إعظاماً لله عزّ وجلّ، وأن يكون ذاكراً غير ناسٍ ولا بطر، ويكون خاشعاً متذلّلاً راغباً طالباً للزيادة في الدين والدنيا، مع ما فيه من الانزجار والمداومة على ذكر الله عزّ وجلّ بالليل والنهار، لئلّا ينسى العبد سيّده ومدبّره وخالقه فيبطر ويطغى، ويكون في ذكره لربّه وقيامه بين يديه زاجراً له عن المعاصي وماعاً من أنواع الفساد».

وفي فضل المصلّي:

٨ ـ يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«لو يعلم المصلّي ما يغشاه من جلال الله ما سرّه أن يرفع رأسه من سجوده».

٩ ـ «إنّ الإنسان إذا كان في الصلاة فإنّ جسده وثيابه وكلّ شيء حوله يسبّح».

١٠ ـ «إذا قام الرجل إلى الصلاة أقبل إبليس ينظر إليه حسداً لما يرى من رحمة الله التي تغشاه».

١١ ـ «وما دمت في الصلاة فإنّك تقرع باب الملك الجبّار، ومن يكثر قرع باب الملك يفتح له».

١٢ ـ عن رسول الله ﷺ :

«ما من مؤمن يقوم إلى الصلاة إلّا تناثر عليه البرّ ما بينه وبين العرش، ووكّل به ملك ينادي : يا ابن آدم، لو تعلم ما لك في صلاتك ومن تناجي ما سئمت وما التفت»[١].

وتبلغ من العظمة ذروتها، ومن الأهمية البالغة أنّها آخر ما أوصى بها مولانا وإمامنا الصادق عليه السلام.

١٣ ـ فعن أبي بصير، قال : دخلت على أُمّ حميدة أُعزّيها بأبي عبد الله عليه السلام، فبكت وبكيت لبكائها، قالت : يا أبا محمّد، لو رأيت أبا عبد الله عند الموت لرأيت عجباً، فتح عينه ثمّ قال :

«اجمعوا كلّ من بيني وبينه قرابة».

قالت : فما تركنا أحداً إلّا جمعناه، فنظر إليهم ثمّ قال :

«إنّ شفاعتنا لا تنال مستخفّاً بالصلاة».

فشفاعة أهل البيت عليهم السلام لا ينالها من يستخفّ بالصلاة، فكيف بمن يتركها ؟!

١٤ ـ كما جاء في الخبر الصحيح عن مولانا الصادق عليه السلام :

«ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألا ترى إلى العبد الصالح عيسى بن مريم قال : وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّاً»[٢].

---

(١) البحار ٨٢ : ٢٣٤.

(٢) بحار الأنوار ٨٢ : ٢٢٥.

وقد استفاضت الروايات في الحثّ على المحافظة عليها في أوائل الأوقات، وإنّ من استخفّ بها كان بحكم التارك لها.

١٥ ـ فقد قال الرسول الأعظم منجي عالم البشرية من حضيض الجهل والشقاء إلى وادي العلم والسعادة والهناء ﷺ:

«ليس منّي من استخفّ بصلاته، لا يرد على الحوض، لا والله».

١٦ ـ وقال:

«لا تضيّعوا صلاتكم، فإنّ من ضيّع صلاته حُشر مع قارون وفرعون وهامان، وكان حقّاً على الله أن يدخله النار مع المنافقين، فالويل لمن لم يحافظ على صلاته»[1].

١٧ ـ كما ورد في الخبر الشريف: بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد إذ دخل رجل فقام فصلّى فلم يتمّ ركوعه ولا سجوده، فقال عليه السلام:

«نقر كنقر الغراب، لئن مات هذا وهكذا صلاته ليموتنّ على غير ديني».

وبالجملة، فما ورد من الآيات الشريفة أكثر من أن يحصى، تدلّ بوضوح وترشدنا إلى عظمة الصلاة في الإسلام، ولله درّ صاحب الدرّة[2]، قال:

تنهى عن المنكرِ والفحشاء أقصر فهذا منتهى الثناء

وعن أمين الإسلام الشيخ الطبرسي في مجمع البيان في قوله تعالى: ﴿ إنَّ

---

(١) بحار الأنوار ٨٢: ٢٠١، عن جامع الأخبار: ٨٧.

(٢) الدرّة النجفية: لسيّد الطائفة السيّد مهدي بحر العلوم الطباطبائي.

الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ ﴾[١]، قال: في هذا دلالة على أنّ فعل الصلاة لطف للمكلّف في ترك القبيح والمعاصي التي يقرّرها العقل والشرع، فإن انتهى عن القبيح يكون توفيقاً، ولا فقد أتى المكلّف من قبل نفسه.

١٨ ـ وروي أنّ فتىً من الأنصار كان يصلّي الصلاة مع رسول الله ﷺ ويرتكب الفواحش، فوصف ذلك لرسول الله ﷺ فقال:

«إنّ صلاته تنهاه يوماً ما».

فلم يلبث أن تاب[٢].

١٩ ـ روى أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«من أحبّ أن يعلم أقُبِلَت صلاته أم لم تُقبل؟ فلينظر هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر؟ فبقدر ما منعته قبلت منه».

٢٠ ـ قال رسول الله ﷺ:

«من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد من الله إلّا بُعداً».

٢١ ـ «لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر».

٢٢ ـ وقال في رجل يصلّي بالنهار ويسرق بالليل:

«إنّ صلاته لتردعه».

فالويل كلّ الويل لمن تركها متعمّداً، فإنّما يُسئل أهل النار: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ

---

(١) العنكبوت: ٤٥.

(٢) بحار الأنوار ٨٢: ٢٨٥.

فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾[١].

٢٣ ـ ويقول رسول الله ﷺ :

«في جهنّم وادٍ، فيه حيّات، كلّ حيّة ثخن رقبة البعير، تلسع تارك الصلاة، فيغلي سمّها جسمه سبعين سنة، ثمّ يتهرّى لحمه».

٢٤ ـ وقال ﷺ :

«ما بين المسلم والكافر إلّا أن يترك الصلاة الفريضة متعمّداً أو يتهاون بها فلا يصلّيها»[٢].

٢٥ ـ وقال ﷺ :

«لا ينال شفاعتي غداً من أخّر المفروضة بعد وقتها»[٣].

الله الله في صلاتكم، فقد اهتمّ بها أئمة الدين غاية الاهتمام، ولا تترك في أيّ حال من الأحوال حتّى حين الغرق، فلو سمع الغريق صوت المؤذّن فإنّه يأتي بصلاته ولو بتكبيرة الإحرام.

٢٦ ـ عن مولانا أبي الحسن العسكري عليه السلام، قال :

«كلّم الله عزّ وجلّ موسى بن عمران عليه السلام، قال موسى : إلهي، ما جزاء من صلّى الصلوات لوقتها ؟ قال : أعطيته سؤله وأُبيحه جنّتي».

ولا خير في عمل قدّم على الصلاة، كما ورد في الأثر، وعلينا أن نقول

---

(١) المدّثّر : ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) عقاب الأعمال : ٢٣١.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي : ٢٨١.

لأعمالنا : علينا صلاة، ولا نقول للصلاة : عندنا شغل وعمل، فنجعلها آخر أعمالنا كما يفعل البعض ومع الأسف الشديد.

٢٧ ـ عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، قال :

«قال النبيّ صلى الله عليه وآله : ما من صلاة يحضر وقتها إلّا نادى ملك بين يدي الناس [أيّها الناس] قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فاطفئوها بصلاتكم»[١]. والمراد من النيران الذنوب، وإنّما شُبّهت بالنار إذ تهلك من وقع فيها.

٢٨ ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في كلام يوصي أصحابه :

«تعاهدوا الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقرّبوا بها، فإنّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً»[٢].

فالصلاة من شرائع الدين، وهي منهاج الأنبياء وقربان كلّ تقيّ مؤمن.

٢٩ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«الصلاة من شرايع الدين، وفيها مرضاة الربّ عزّ وجلّ، وهي منهاج الأنبياء»[٣].

٣٠ ـ وقال صلى الله عليه وآله :

«ليكن أكثر همّك الصلاة، فإنّها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين»[٤].

---

(١) أمالي الصدوق : ٢٩٧.

(٢) بحار الأنوار ٨٢ : ٢٢٤، عن نهج البلاغة.

(٣) الخصال ٣ : ٥٢٢.

(٤) البحار ٧٧ : ١٢٧.

٣١ ـ وقال ﷺ :

«لكلّ شيء وجه، ووجه دينكم الصلاة»[١].

٣٢ ـ وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«الصلاة حصن من سطوات الشيطان».

٣٣ ـ وقال عليه السلام :

«الصلاة تستنزل الرحمة، الصلاة ميزان، فمن وفّى استوفى».

٣٤ ـ قال رسول الله ﷺ :

«جعل الله جلّ ثناؤه قرّة عيني في الصلاة، وحبّب إليّ الصلاة كما حبّب إلى الجائع الطعام، وإلى الظمآن الماء، وإنّ الجائع إذا أكل شبع، وإنّ الظمآن إذا شرب روي، وأنا لا أشبع من الصلاة»[٢].

٣٥ ـ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«كان رسول الله لا يؤثر على الصلاة عشاءً ولا غيره، وكان إذا دخل وقتها كأنّه لا يعرف أهلاً ولا حميماً»[٣].

٣٦ ـ وقال عليه السلام :

«الصلاة قربان كلّ تقيّ».

«الصلاة أفضل القربتين».

---

(١) دعائم الإسلام ١ : ١٣٣.

(٢) مكارم الأخلاق ٢ : ٣٦٦.

(٣) تنبيه الخواطر ٢ : ٧٨.

«أُوصيكم بالصلاة وحفظها، فإنّها خير العمل وهي عمود دينكم».

٣٧ ـ وعن الإمام الكاظم عليه السلام:

«صلوات النوافل قربات كلّ مؤمن».

٣٨ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مثل الصلاة مثل عمود الفسطاط، إذا ثبت العمود نفعت الأطناب والأوتاد والغشاء، وإذا انكسر العمود لم ينفع طنب ولا وتد ولا غشاء»[1].

«الصلاة عماد الدين».

٣٩ ـ وقال صلى الله عليه وآله:

«إذا قمت إلى الصلاة وتوجّهت وقرأت أُمّ الكتاب وما تيسّر من السور، ثمّ ركعت فأتممت ركوعها وسجودها، وتشهّدت وسلّمت غفر لك كلّ ذنب فيما بينك وبين الصلاة التي قدّمتها إلى الصلاة المؤخّرة».

٤٠ ـ وقال لأصحابه لمّا أخذ غصناً من شجرة كانوا في ظلّه، فنفضه فتساقط ورقه وأخبرهم عمّا صنع:

«إنّ العبد المسلم إذا قام إلى الصلاة تحاتت عنه خطاياه كما تحاتت ورق هذه الشجرة».

٤١ ـ وقال صلى الله عليه وآله:

«تحترقون ـ أي بالذنوب ـ فإذا صلّيتم الفجر غسلتها، ثمّ تحترقون فإذا صلّيتم الظهر غسلتها، ثمّ تحترقون فإذا صلّيتم المغرب غسلتها، ثمّ تحترقون

---

(١) الكافي ٣ : ٢٦٤.

تحترقون فإذا صلّيتم العشاء غسلتها، ثمّ تنامون فلا يكتب عليكم حتّى تغتسلوا»[١].

٤٢ ـ وقال عليه السلام:

«سمعت منادياً عند حضرة كلّ صلاة فيقول: يا بني آدم، قوموا فأطفئوا عنكم ما أوقدتموه على أنفسكم، فيقومون فيتطهّرون فتسقط خطاياهم من أعينهم، ويصلّون فيغفر لهم ما بينهما...».

٤٣ ـ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في وصيّته بالصلاة:

«وإنّها لتحتّ الذنوب حتّ الورق، وتطلقها إطلاق الربق».

«الصلوات الخمس كفّارة لما بينهنّ ما اجتنبت من الكبائر، وهي التي قال الله: ﴿ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾[٢]».

وأمّا حدود الصلاة:

٤٤ ـ فقد قال الإمام الرضا عليه السلام:

«الصلاة لها أربعة آلاف باب».

٤٥ ـ وقال الصادق عليه السلام:

«للصلاة أربعة آلاف حدود».

٤٦ ـ وقال لحمّاد بن عيسى من أصحابه:

---

(١) البحار ٨٢: ٢٢٣.

(٢) هود: ١١٤.

«تحسن أن تصلّي يا حمّاد ؟... قم صلّ، فقمت بين يديه متوجّهاً إلى القبلة فاستفتحت الصلاة وركعت وسجدت، فقال: يا حمّاد! لا تحسن أن تصلّي ؟! ما أقبح بالرجل أن يأتي عليه ستّون سنة أو سبعون سنة فما يقيم صلاة واحدة بحدودها تامّة ؟!»[١].

فلا بدّ من رعاية آداب الصلاة وحدودها:

٤٧ ـ قال رسول الله ﷺ:

«إنّ الرجلين من أُمّتي يقومان في الصلاة، وركوعهما وسجودهما واحد، وإنّ ما بين صلاتيهما مثل ما بين السماء والأرض».

فللصلاة آداب كثيرة ظاهريّة وباطنيّة لها دخل في تمامها وكمالها وعروجها.

منها: الخشوع، قال الله تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ ﴾[٢].

٤٨ ـ قال رسول الله ﷺ:

«الخشوع زينة الصلاة».

«لا صلاة لمن لا يتخشّع في صلاته».

٤٩ ـ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«يا كميل، ليس الشأن أن تصلّي وتصوم وتتصدّق، إنّما الشأن أن تكون

---

(١) أمالي الصدوق: ٣٣٧.

(٢) المؤمنون: ١ ـ ٢.

الصلاة فُعلت بقلب نقي، وعمل عند الله مرضيّ، وخشوع سويّ».

٥٠ ـ ولمّا سئل الرسول الأعظم ﷺ عن الخشوع، قال:

«التواضع في الصلاة، وأن يقبل العبد بقلبه كلّه على ربّه».

٥١ ـ وأنّه رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته، قال:

«أما إنّه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه».

فالخشوع يكون بالقلب والجوارح معاً، وكان النبيّ ﷺ إذا قام إلى الصلاة تربّد وجهه خوفاً من الله تعالى. وكان عليّ عليه السلام إذا قام للصلاة وقال: «وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض» تغيّر لونه، حتّى يعرف ذلك في وجهه. وكانت فاطمة الزهراء عليها السلام تنهج في الصلاة من خيفة الله تعالى، وزهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ترتعد فرائصها وتقبل بقلبها على عبادة الله، وهكذا الأئمة الأطهار عليهم السلام كانت ترتعد فرائصهم ويصفرّ وجههم ويتغيّر لونهم وتقشعرّ جلودهم.

ومنها: الورع عن محارم الله.

٥٢ ـ قال رسول الله ﷺ:

«لو صلّيتم حتّى تكونوا كالأوتار، وصمتم حتّى تكونوا كالحنايا، لم يقبل الله منكم إلّا بورع».

٥٣ ـ وفيما أوحى الله إلى داود النبيّ ﷺ:

«كم ركعة طويلة فيها بكاء بخشية قد صلّاها صاحبها لا تساوي عندي فتيلاً حين نظرت في قلبه ووجدته إن سلّم من الصلاة وبرزت له امرأة وعرضت عليه نفسها أجابها، وإن عامله مؤمن خانه».

٥٤ ـ وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«أُنظر فيم تصلّي، إن لم تكن من وجهه وحلّه فلا قبول».

٥٥ ـ ولمّا سئل الإمام زين العابدين عليه السلام عن سبب قبول الصلاة قال :

«ولايتنا والبراءة من أعدائنا».

٥٦ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام :

«قال الله تبارك وتعالى : إنّما أقبل الصلاة لمن تواضع لعظمتي، ويكفّ نفسه عن الشهوات من أجلي، ويقطع نهاره بذكري، ولا يتعاظم على خلقي، ويطعم الجائع، ويكسو العاري، ويرحم المصاب، ويؤوي الغريب، فذلك يشرق نوره مثل الشمس، أجعل له في الظلمات نوراً وفي الجهالة علماً».

٥٧ ـ «وعقوق الوالدين مانع من قبول الصلاة».

٥٨ ـ «ومن اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله تعالى صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة، إلّا أن يغفر له صاحبه».

٥٩ ـ «ومن استخفّ بالصلاة فلا يقبل منه، فإنّ الله عزّ وجلّ لا يقبل إلّا الحسن، فكيف تقبل ما يستخفّ به».

٦٠ ـ «ومن شرب الخمر لم تحسب صلاته أربعين صباحاً، إلّا أن يتوب».

ومنها : حضور القلب في الصلاة.

٦١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«لا يقبل الله صلاة عبد لا يحضر قلبه مع بدنه».

٦٢ ـ وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

«لا يقومنّ أحدكم في الصلاة متكاسلاً ولا ناعساً، ولا يفكّرن في نفسه،

فإنّه بين يدي ربّه عزّ وجلّ، وإنّما للعبد في صلاته ما أقبل عليه منها بقلبه».

٦٣ ـ وعن رسول الله ﷺ:

«إنّ العبد ليصلّي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عُشرها، وإنّما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها».

«إذا قمت في صلاتك فأقبل على الله بوجهك يقبل عليك».

٦٤ ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا قام العبد إلى الصلاة أقبل الله عزّ وجلّ عليه بوجهه، فلا يزال مقبلاً عليه حتّى يلتفت ثلاث مرّات، فإذا التفت ثلاث مرّات أعرض عنه».

ومنها: التدبّر في الصلاة.

٦٥ ـ قال رسول الله ﷺ لأبي ذرّ:

«يا أبا ذر، ركعتان مقتصدتان في تفكّر خير من قيام ليلة والقلب ساهي».

٦٦ ـ وقال ﷺ:

«من صلّى ركعتين ولم يحدّث فيهما نفسه بشيء من أُمور الدنيا غفر الله له ذنوبه».

٦٧ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ ربّكم لرحيم يشكر القليل، إنّ العبد ليصلّي الركعتين يريد بها وجه الله فيدخله الله به الجنّة».

٦٨ ـ وقال رسول الله ﷺ:

«صلّ صلاة مودّع، فإنّ فيها الوصلة والقربى، واعلم أنّك بين يدي من يراك ولا تراه، وإنّ من الصلاة لما يقبل نصفها وثلثها وربعها وخمسها إلى العُشر،

وإنّ منها لما يلفّ كما يلفّ الثوب الخَلق ـ أي القديم ـ فيضرب بها وجه صاحبها، وإنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك».

ثمّ قال رسول الله ﷺ:

«لا صلاة لمن لا يتمّ ركوعها وسجودها».

٦٩ ـ «لا صلاة لمن لا زكاة له».

٧٠ ـ «يأتي على الناس زمان يجتمعون في مساجدهم يصلّون ليس فيهم مؤمن».

٧١ ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«ربّ متمسّك ولا دين له».

ومنها: عدم التكاسل في الصلاة.

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾[1].

٧٢ ـ عن الحلبي يسأل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا... ﴾، قال:

«يعني سكر النوم، يقول: وبكم نُعاس يمنعكم أن تعلموا ما تقولون في ركوعكم وسجودكم وتكبيركم، ليس كما يصف كثير من الناس يزعمون أنّ المؤمنين يسكرون من الشراب، والمؤمن لا يشرب مسكراً ولا يسكر»[2].

---

(١) النساء: ٤٣.

(٢) تفسير العيّاشي ١: ٢٤٢.

٧٣ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام :

«لا تقم إلى الصلاة متكاسلاً ولا متناعساً ولا متثاقلاً، فإنّها من خلل النفاق، وإنّ الله نهى المؤمنين أن يقوموا إلى الصلاة وهم سكارى، يعني من النوم».

ومنها : المحافظة على أوقات الصلوات.

٧٤ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله :

«ما من عبد اهتمّ بمواقيت الصلاة ومواضع الشمس إلّا ضمنت له الروح عند الموت، وانقطاع الهموم والأحزان، والنجاة من النار».

قال الله تعالى :

﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ﴾[1].

٧٥ ـ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«ليس عمل أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من الصلاة، فلا يشغلنكم عن أوقاتها شيء من أُمور الدنيا، فإنّ الله عزّ وجلّ ذمّ أقواماً فقال : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ يعني أنّها غافلون استهانوا بأوقاتها».

٧٦ ـ وقال عليه السلام في كتابه لمحمّد بن أبي بكر لمّا أرسله إلى مصر :

«ارتقب وقت الصلاة فصلّها لوقتها، ولا تعجّل بها قبله لفراغ، ولا تؤخّرها عنه لشغل».

٧٧ ـ «حسب الرجل من دينه، كثرة محافظته على إقامة الصلوات».

---

(١) الماعون : ٤ ـ ٥.

٧٨ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام :

«فضل الوقت الأوّل على الأخير كفضل الآخرة على الدنيا».

٧٩ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام :

«اعلم أنّ أوّل الوقت أبداً أفضل، فعجّل بالخير ما استطعت، وأحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ ما داوم العبد عليه وإن قلّ».

٨٠ ـ «أوّل الوقت رضوان الله، وآخر الوقت عفو الله».

٨١ ـ «أوّله جزور، وآخره عصفور».

٨٢ ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«بين الكفر والإيمان ترك الصلاة».

٨٣ ـ وقال صلى الله عليه وآله :

«الصلاة عماد الدين، فمن ترك صلاته متعمّداً فقد هدم دينه، ومن ترك أوقاتها يدخل الويل، والويل وادٍ في جهنّم كما قال الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ﴾».

٨٤ ـ وعنه صلى الله عليه وآله :

«من ترك الصلاة لا يرجو ثوابها ولا يخاف عقابها، فلا أُبالي أن يموت يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً».

٨٥ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام لمّا سئل عن علّة تسمية تارك الصلاة كافراً دون الزاني :

«لأنّ الزاني وما أشبهه إنّما يفعل ذلك لمكان الشهوة لأنّها تغلبه، وتارك الصلاة لا يتركها إلّا استخفافاً بها».

٨٦ ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه لمحمّد بن أبي بكر قال :

«واعلم يا محمّد، إنّ كلّ شيء تبع لصلاتك، واعلم أنّ من ضيّع الصلاة فهو لغيرها أضيع».

٨٧ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام :

«إنّ العبد إذا صلّى لوقتها وحافظ عليها ارتفعت بيضاء نقيّة تقول : حفظتني حفظك الله، وإذا لم يصلّها لوقتها ولم يحافظ عليها رجعت سوداء مظلمة تقول : ضيّعتني ضيّعك الله».

٨٨ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام :

«لا تتهاون بصلاتك، فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال عند موته : ليس منّي من استخفّ بصلاته».

وإليكم جوامع آداب الصلاة :

٨٩ ـ عن مولانا زين العابدين الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام، قال :

«وحقّ الصلاة أن تعلم أنّها وفادة إلى الله عزّ وجلّ، وأنّك فيها قائم بين يدي الله عزّ وجلّ، فإذا علمت ذلك قمت مقام الذليل الحقير، الراغب الراهب، الراجي الخائف، المستكين المتضرّع، والمعظم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار، وتقبل عليها بقلبك وتقيمها بحدودها وحقوقها».

٩٠ ـ قال مولانا الإمام الصادق عليه السلام :

«إذا استقبلت القبلة فانسَ الدنيا وما فيها، واستفرغ قلبك عن كلّ شاغل يشغلك عن الله، وعاين بسرّك عظمة الله، واذكر وقوفك بين يديه يوم تبلو كلّ

نفسٍ ما أسلفت وردّوا إلى الله مولاهم الحقّ، وقِف على قدم الخوف والرجاء، فإذا كبّرت فاستصغر ما بين السماوات العلى والثرى دون كبريائه، فإنّ الله تعالى إذا اطّلع على قلب العبد وهو يكبّر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال: يا كاذب، أتخدعني؟ وعزّتي وجلالي لأُحرمنّك حلاوة ذكري، ولأحجبنّك عن قربي والمسارّة بمناجاتي.

واعلم أنّه غير محتاج إلى خدمتك، وهو غنيّ عن عبادتك ودعائك، وإنّما دعاك بفضله ليرحمك ويبعّدك عن عقوبته».

٩١ ـ سئل بعض العلماء من آل محمّد عليهم السلام فقيل له: جعلت فداك، ما معنى الصلاة في الحقيقة؟ قال:

«صلة الله للعبد بالرحمة، وطلب الوصال إلى الله من العبد إذا كان يدخل بالنيّة ويكبّر بالتعظيم والإجلال، ويقرأ بالترتيل، ويركع بالخشوع، ويرفع بالتواضع، ويسجد بالذلّ والخضوع، ويتشهّد بالإخلاص مع الأمل، ويسلّم بالرحمة والرغبة، وينصرف بالخوف والرجاء، فإذا فعل ذلك أدّاها بالحقيقة».

ثمّ قيل: ما أدب الصلاة؟ قال:

«حضور القلب وإفراغ الجوارح، وذلّ المقام بين يدي الله تبارك وتعالى، ويجعل الجنّة عن يمينه، والنار يراها عن يساره، والصراط بين يديه، والله أمامه».

٩٢ ـ في صحف إدريس:

«إذا دخلتم في الصلاة فاصرفوا لها خواطركم وأفكاركم، وادعوا الله دعاءً

طاهراً متفرّغاً، وسلوه مصالحكم ومنافعكم بخضوع وخشوع وطاعة واستكانة، وإذا ركعتم وسجدتم فأبعدوا عن نفوسكم أفكار الدنيا وهواجس السوء وأفعال الشرّ واعتقاد المكر ومآكل السحت والعدوان والأحقاد، واطرحوا بينكم ذلك كلّه».

٩٣ ـ وفيما أوحى الله إلى موسى بن عمران:

«عجّل التوبة، وأخّر الذنب، وتأنّ في المكث بين يديّ في الصلاة»[١].

أقول: هذا غيض من فيض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة المرويّة عن رسول الإسلام وعترته الطاهرين عليهم السلام، وإنّ علماءنا الأعلام ـ رحم الله الماضين وحفظ الباقين وجزاهم الله عن الإسلام خير الجزاء ـ قد صنّفوا وألّفوا الكثير في معرفة الآداب المعنوية للصلاة وبيان أسرارها، وكشف القناع عن جمالها وكمالها وجلالها.

وبعد هذا كلّه، فهل يستخفّ المسلم بصلاته، أو لا يصلّيها في أوقاتها، أو يتركها ـ والعياذ بالله ـ فيكون في زمرة الكافرين؟!!...

أليست الصلاة معراج المؤمنين، وزاد المتّقين، وسراج الصالحين، ومناجاة العاشقين، وكفّارة ذنوب العاصين، وتطهير نفوس المذنبين، ورحمة ربّ العالمين، وعمود الدنيا والدين، وعنوان صحيفة المسلمين، وبركة الله في الأرضين؟!...

---

(١) نقلنا معظم هذه الروايات الشريفة من كتاب (ميزان الحكمة) وهو من البحار والوسائل والكتب الأربعة وكنز العمّال وغيرها، فراجع.

أليس من آمن بالله وعمل صالحاً يقيم الصلاة ؟...

فقم وتقرّب إلى ربّك بإقامة الصلاة بورع وتقوى وإخلاص، وتدبّر وتفكّر وإحساس، فإنّك في حضرة الله ورياض فيضه وقدسه، تحفّك الملائكة بالرحمة والبركة والاستغفار، وإنّك بعين الله البصير السميع، يحبّ أن يسمع مناجاتك في صلاتك، كما تُحبّ أن تناجيه في سرّك وعلانيتك.

أما تسمع في قلبك ووجودك نداء المؤذّن مُعلناً: «حيّ على الصلاة»، وصوت المقيم هاتفاً: «قد قامت الصلاة»...

الفرع الثاني

الصوم

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1].

صيام شهر رمضان المبارك من أهمّ الواجبات الإسلامية بعد الصلاة، وأحد الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام، كما ورد في الخبر الشريف عن مولانا الصادق عليه السلام:

١ ـ «بني الإسلام على خمس دعائم، على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحجّ، وولاية أمير المؤمنين والأئمة من ولده، وما نودي بمثل ما نودي بالولاية»[2].

ويعتبر في الشرع الإسلامي المبين وجوب صيام شهر رمضان من ضروريات الدين، فمن أنكره تمرّداً وتحدّياً، كان كافراً، كما لو تجاهر في البلاد

---

(١) البقرة: ١٨٣.

(٢) بحار الأنوار: الجزء ٩٣.

الإسلامية بالإفطار كان عليه الحدّ والتعزير، وإن أنكره فهو مرتدّ فطري أو ملّي، ولكلّ واحد في الشرع حكمه الخاصّ.

فالصوم هو الفرع الثاني من فروع الدين، وهو الغصن الثاني من أغصان شجرة الإسلام المباركة، ويجب على كلّ مسلم كامل بالبلوغ والعقل يتمتّع بالصحّة والسلامة البدنية أن يصوم شهر رمضان المبارك، ولم يفرض على المسلمين وحسب، بل بنصّ القرآن المجيد قد فرضه وكتبه جلّ وعلا شأنه على من قبلنا، إلّا أنّه ورد في الحديث الشريف:

٢ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ شهر رمضان لم يفرض الله صيامه على أحد من الأُمم قبلنا».

فقلت له: فقول الله عزّ وجلّ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ... ﴾[1]؟! قال:

«إنّما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأُمم، ففضّل الله به هذه الأُمّة، وجعل صيامه فرضاً على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أُمّته».

٣ ـ وعن مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام من دعائه في وداع شهر رمضان:

«ثمّ آثرتنا به على سائر الأُمم، واصطفيتنا بفضله دون أهل الملل، فصمنا بأمرك نهاره، وقمنا بعونك ليله...».

وأمّا علّة الصيام وحكمة وجوبه:

٤ ـ فيقول مولانا الإمام الصادق عليه السلام:

---

(١) البقرة: ١٨٣.

«أمّا العلّة في الصيام ليستوي به الغنيّ والفقير، وذلك لأنّ الغني لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير، لأنّ الغنيّ كلّما أراد شيئاً قدر عليه، فأراد الله عزّ وجلّ أن يسوّي بين خلقه، وأن يذيق الغنيّ مسّ الجوع والألم ليرقّ على الضعيف ويرحم الجائع».

٥ ـ ويقول الإمام الرضا عليه السلام في علّة وجوب الصوم:

«لكي يعرفوا ألم الجوع والعطش، ويستدلّوا على فقر الآخرة، وليكون الصائم خاشعاً ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً عارفاً صابراً لما أصابه من الجوع والعطش، فيستوجب الثواب مع ما فيه من الإمساك عن الشهوات، وليكون ذلك واعظاً لهم في العاجل، ورائضاً لهم على أداء ما كلّفهم ودليلاً لهم في الأجر، وليعرفوا شدّة مبلغ ذلك على أهل الفقر والمسكنة في الدنيا، فيؤدّوا إليهم ما فرض الله تعالى لهم في أموالهم».

٦ ـ وعن مولاتنا سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام:

«فرض الله الصيام تثبيتاً للإخلاص».

٧ ـ وعن الإمام مولانا العسكري عليه السلام لمّا سئل عن علّة وجوب الصيام:

«ليجد الغنيّ مسّ الجوع، فيمنّ على الفقير».

٨ ـ كما ورد عن الإمام مولانا الحسين عليه السلام:

«ليجد الغنيّ مسّ الجوع، فيعود بالفضل على المساكين».

٩ ـ وعن مولانا الإمام الباقر عليه السلام:

«الصيام والحجّ تسكين القلوب».

١٠ ـ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«عليكم بالصوم، فإنّه محسمة للعروق ومذهبة للأشر».

١١ ـ وقال عليه السلام :

«الصوم يدقّ المصير، ويذيل اللحم، ويبعد من حرّ السعير».

١٢ ـ وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال :

«فرض الله... الصيام ابتلاءً لإخلاص الخلق».

١٣ ـ وعنه عليه السلام :

«وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الأيام المفروضات، تسكيناً لأطرافهم وتخشيعاً لأبصارهم وتذليلاً لنفوسهم وتخفيضاً (تخضيعاً) لقلوبهم...».

فالصوم: عبادة مستقلّة، عبارة عن الكفّ والإمساك عن أشياء معيّنة من الطعام والشراب وغيرهما، ويعبّر عنها بالمفطرات، كما هي مذكورة في الكتب الفقهية. وإنّما يكون هذا الإمساك في شهر معيّن ألا وهو شهر الله رمضان المبارك ربيع القرآن، ويكون المسلم والمسلمة في ضيافة الله سبحانه وتعالى.

وفي الصوم فوائد عظيمة ومنافع كثيرة لا يعوّض عنها بغيرها، كالصحّة البدنية والسلامة الروحية، والعافية النفسية، كما ورد في الحديث الشريف:

١٤ ـ «صوموا تصحّوا»[1].

١٥ ـ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«الصيام أحد الصحّتين».

وكذلك تقوية الإرادة ورسوخ العزم وقوّة التصميم والإحساس بآلام الفقراء والبؤساء الجياع، ومن ثمّ مساعدتهم والأخذ بأيديهم والترفيه عنهم.

---

(١) علل الشرائع: ٣٧٩.

وجاءت الروايات الشريفة في ثوابه وأهمّيته البالغة ما ملئت الطوامير والأسفار وكتب الحديث.

١٦ ـ قال رسول الله ﷺ :

«أيّها الناس، من صام شهر رمضان وكفّ سمعه وبصره ولسانه ويديه وجوارحه، من الكذب والحرام والغيبة والأذى، قرب يوم القيامة حتّى يمسّ ركبتيه ركبة إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام».

١٧ ـ قال النبيّ ﷺ :

«ما من مؤمن يصوم شهر رمضان احتساباً إلّا أوجب الله له سبع خصال :

أوّلها : يذوب الحرام من جسده.

والثانية : يقرب من رحمة الله.

والثالثة : يكون قد كفّر خطيئة أبيه آدم عليه السلام.

والرابعة : يهون الله عليه سكرات الموت.

والخامسة : أمان من الجوع والعطش يوم القيامة.

والسادسة : يعطيه الله براءة من النار.

والسابعة : يطعمه الله من طيّبات الجنّة»[1].

١٨ ـ وقال ﷺ :

«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله ما مضى من ذنوبه».

١٩ ـ وقال مولانا الصادق عليه السلام :

«من أفطر يوماً من شهر رمضان خرج روح الإيمان منه».

---

(١) بحار الأنوار : ٢٢٤، عن نهج البلاغة.

يا حبّذا أن نخوض في أعماق الروايات الشريفة، فإنّه يستخرج منها فلسفة الأحكام وعظمتها، ومعاني الأخبار ودررها، بعد التعمّق والتدبّر فيها ومطالعتها بعقلٍ سليم من الشوائب، وبروح صقلتها التقوى والورع، فإنّ حديث أهل البيت صعب مستصعب، لا يتحمّله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان.

فهلمّ معي لأنقل لكم بعض روايات الصوم، وعليكم بالفكر والتأمّل فيها، ومن الله اللطف والتوفيق، وتفكّر ساعة خير من عبادة ستّين سنة، كما في الخبر الشريف.

٢٠ ـ قال مولانا الصادق، عن آبائه عليهم السلام:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: ألا أُخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب؟ قالوا: بلى. قال: الصوم يسوّد وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحبّ في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطعان دوابره، والاستغفار يقطع وتينه، ولكلّ شيء زكاة، وزكاة الأبدان الصيام».

٢١ ـ وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

«من صام تطوّعاً ابتغاء ثواب الله وجبت له المغفرة».

٢٢ ـ وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

«من صام يوماً في الحرّ فأصاب ظمأ، وكل الله به ألف ملك يمسحون وجهه ويبشّرونه حتّى إذا أفطر قال الله عزّ وجلّ: ما أطيب ريحك وروحك، يا ملائكتي، اشهدوا أنّي قد غفرت له».

٢٣ ـ وفي ما أوصى أمير المؤمنين عليه السلام عند وفاته :

« عليك بالصوم، فإنّه زكاة الأبدان وجُنّة لأهله ».

٢٤ ـ وقد جاء في الخبر النبوي :

« للصائم فرحتان : فرحة عند إفطاره، وفرحة يوم يلقى ربّه ».

وجاء في البحار[١] عند شرح هذا الحديث : يعني بفرحة عند إفطاره فرحة المسلم بتحصيل ذلك اليوم في ديوان حسناته وفواضل أعماله، لأنّ فرحته تلك إنّما أبيح من الطعام وقته ذلك، وليس الفرح بالأكل ولحاجة البطن من شرائف ما يمدح به الصائمون، وأمّا فرحته عند لقاء ربّه عزّ وجلّ فيما يفيض الله عليه من فضل عطائه الذي ليس لأحد من أهل القيامة مثله، إلّا لمن عمل مثل عمله.

٢٥ ـ وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام :

« نوم الصائم عبادة، ونفسه تسبيح، وعمله متقبّل ومضاعف، ودعاؤه مستجاب ».

٢٦ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله :

« عليك بالصوم، فإنّه جُنّة من النار ـ أي يحفظك من النار ـ كالدرع الذي يحفظ صاحبه في الحرب، وكالقلعة التي تحفظ أصحابها من شرّ الأعداء ».

ثمّ قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله :

« وإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع فافعل ».

٢٧ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام :

« الصوم جُنّة من النار ».

---

(١) بحار الأنوار ٩٣ : ٢٥١، وكذلك الروايات السابقة.

وجاء في فضل الصائم :

٢٨ ـ عن رسول الله ﷺ، قال :

«الصائم في عبادة الله وإن كان نائماً على فراشه، ما لم يغتب مسلماً».

٢٩ ـ وقال ﷺ :

«نوم الصائم عبادة، ونفسه تسبيح».

٣٠ ـ وعنه ﷺ :

«إنّ للجنّة باباً يدعى الريّان، لا يدخل منه إلّا الصائمون».

وفي خبر :

«فإذا دخل آخرهم أُغلق ذلك الباب».

٣١ ـ وقال ﷺ :

«ما من صائم يحضر قوماً يطعمون إلّا سبّحت أعضاؤه، وكانت صلاة الملائكة عليه، وكانت صلاتهم استغفاراً».

٣٢ ـ وقال ﷺ :

«من منعه الصوم من طعام يشتهيه كان حقّاً على الله أن يطعمه من طعام الجنّة ويسقيه من شرابها».

٣٣ ـ وإنّه ﷺ كان إذا أفطر يقول :

«اللهمّ لك صمنا، وعلى رزقك أفطرنا، فتقبّله منّا، ذهب الظماء وابتلّت العروق وبقي الأجر».

٣٤ ـ وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، ودعاؤه مستجاب، وعمله مضاعف، إنّ للصائم عند إفطاره دعوة لا تردّ».

الله الله في صومكم، فإنّه جانب أخلاقي يصقل الروح ويهذّب الإنسان، ولا بدّ مع الإمساك عن المفطرات أن تصوم جوارحه وجوانحه. ولا تظنّ إذا صمت أنّ الصوم هو ترك الطعام والشراب وباقي المفطرات لا غير، ففي الحديث الشريف:

٣٥ ـ «كم من صائمٍ ليس له من صيامه إلّا الجوع والعطش».

بل تمام الصيام بكفّ الجوارح عمّا كره الله تعالى، بل ينبغي أن تحفظ العين عن النظر إلى المحارم وما لا يرضي الله، واللسان عن النطق بما لا يعنيه والمحرّمات، والأُذن عن الاستماع إلى ما حرّم الله، فإنّ المستمع شريك القائل.

٣٦ ـ قال الصادق عليه السلام:

«إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك»، وعدّ أشياء غير هذا.

٣٧ ـ وقال عليه السلام:

«ولا يكون يوم صومك كيوم فطرك».

٣٨ ـ وزاد في خبر آخر:

«ودع المراء وأذى الخادم، وليكن عليك وقار الصيام، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سمع امرأةً تسبّ جاريتها وهي صائمة فدعا بطعام فقال لها: كلي، فقالت: إنّي صائمة. فقال: كيف تكوين صائمة وقد سببتِ جاريتكِ؟ إنّ الصوم ليس من طعام وشراب».

٣٩ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«الصيام اجتناب المحارم، كما يمتنع الرجل من الطعام والشراب».

٤٠ ـ وقال عليه السلام:

«صيام القلب عن الفكر في الآثام، أفضل من صيام البطن عن الطعام».

٤١ ـ وقال عليه السلام :

«صوم القلب خير من صيام اللسان، وصيام اللسان خير من صيام البطن».

٤٢ ـ وعنه عليه السلام :

«صوم النفس عن لذّات الدنيا أنفع الصيام».

٤٣ ـ وقال عليه السلام :

«صوم الجسد الإمساك عن الأغذية بإرادة واختيار خوفاً من العقاب، ورغبة في الثواب والأجر، وصوم النفس إمساك الحواسّ الخمس عن سائر المآثم، وخلوّ القلب من جميع أسباب الشرّ».

وفي أدب الصوم :

٤٤ ـ تقول فاطمة الزهراء سيّدة النساء عليها السلام :

«ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه ؟!».

٤٥ ـ وعن أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول لجابر بن عبد الله الأنصاري :

«يا جابر، هذا شهر رمضان، من صام نهاره وقام ورداً من ليله، وعفّ بطنه وفرجه وكفّ لسانه، خرج من ذنوبه كخروجه من الشهر».

فقال جابر : يا رسول الله، ما أحسن هذا الحديث ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«يا جابر، وما أشدّ هذه الشروط».

٤٦ ـ وعنه صلى الله عليه وآله :

«يقول الله عزّ وجلّ : من لم تصم جوارحه عن محارمي فلا حاجة لي في أن يدع طعامه وشرابه من أجلي».

٤٧ ـ وعن الإمام زين العابدين عليه السلام، كان من دعائه إذا دخل شهر

رمضان:

«وأعنّا على صيامه بكفّ الجوارح عن معاصيك، واستعمالها فيه بما يرضيك، حتّى لا نصغي بأسماعنا إلى لغوٍ، ولا نسرع بأبصارنا إلى لهوٍ، وحتّى لا نبسط أيدينا إلى محظور، ولا نخطو بأقدامنا إلى محجور، وحتّى لا تعي بطوننا إلّا ما أحللت، ولا تنطق ألسنتنا إلّا بما مثّلت، ولا نتكلّف إلّا ما يدني من ثوابك، ولا نتعاطى إلّا الذي يقي من عقابك».

٤٨ ـ وعن مولانا الصادق عليه السلام، قال:

«إذا أصبحت صائماً فليصم سمعك وبصرك في الحرام، وجارحتك وجميع أعضاؤك من القبيح، ودع عنك الهذي وأذى الخادم، وليكن عليك وقار الصيام، والزم ما استطعت من الصمت والسكوت إلّا عن ذكر الله، ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك، وإيّاك والمباشرة والقبل والقهقهة بالضحك، فإنّ الله مقت ذلك».

٤٩ ـ وفي الحديث النبوي:

«إنّما الصوم جُنّة من النار، فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرىء قاتله أو شاتمه، فليقل: إنّي صائم، إنّي صائم».

قال المحقّق الفيض الكاشاني قدس سره: «ثمّ اجتهد أن تفطر على طعام حلال ولا تستكثر فتزيد على ما تأكله دفعة أو دفعتين، وإنّما المقصود كسر شهوتك وتضعيف قوّتك، لتقوى بذلك على التقوى، فإذا أكلت عشيّة ما تداركت به ما فاتك، فلا فائدة في صومك وقد ثقلت معدتك، وما من وعاء أبغض إلى الله تعالى من بطن مليء».

فإذا عرفت معنى الصوم فاستكثر منه ما استطعت، فإنّه أساس العبادات ومفتاح القربات، ففي الحديث الشريف:

٥٠ ـ «قال الله تعالى: كلّ حسنةٍ بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلّا الصيام، فإنّه لي وأنا أجزي به»[١].

إذ الصائم لا يعلم أحد منه في الظاهر أنّه متعبّد لله إلّا الله عزّ وجلّ، فهو مجزيه خير الجزاء، هذا لو كان (أجزي به) بفتح الهمزة وكسر الزاي من باب المعلوم فاعله. أو يكون جزاؤه هو الله تعالى نفسه، أي لقاءه ورضوانه، إن كان بضمّ الهمزة وفتح الزاي من باب المجهول فاعله.

وأمّا ميراث الصوم وآثاره:

٥١ ـ في حديث المعراج:

«قال النبيّ: يا ربّ، وما ميراث الصوم؟ قال: الصوم يورث الحكمة، والحكمة تورث المعرفة، والمعرفة تورث اليقين، فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح بعسرٍ أم يسر».

فالصوم يميت مواد النفس وشهوة الطبع الحيواني، ويورث الحكمة والمعرفة واليقين، وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن، والشكر على النعم والإحسان إلى الفقراء وزيادة التضرّع والخشوع والبكاء وحبل الالتجاء إلى الله، وسبب انكسار الهمّة وتخفيف السيّئات وتضعيف الحسنات،

---

(١) لقد ذكر الفاضل المقداد في كتابه (نضد القواعد الفقهية على مذهب الإمامية) قاعدة يقول فيها: كلّ الأعمال الصالحة لله، فلم جاء في الخبر (كلّ عمل ابن آدم له إلّا الصوم فإنّه لي وأنا أجزي به)، مع قوله ﷺ: (أفضل أعمالكم الصلاة)، فأجاب بوجوه وناقشها، فعليكم بالمراجعة، وإنّما لم نطرق أبواب مثل هذه المباحث طلباً للاختصار.

وفيه من الفوائد ما لا يحصى، وكفى ما ذكرناه لمن عقل ووُفّق لاستعماله، وألقى السمع وهو شهيد.

ولا يخفى أنّ الواجب من الصوم هو صيام شهر رمضان المبارك لمن كان من المكلّفين من الرجال والنساء، إلّا أنّه يستحبّ الصيام تطوّعاً في الأيام الأُخرى، لا سيّما الأيام الخاصّة من أيام الله، كيوم الثامن عشر من ذي الحجّة (يوم الغدير)، و(يوم المبعث) وغيرهما.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ، قال:

٥٢ ـ «من صام يوماً تطوّعاً فلو أُعطي ملء الأرض ذهباً، ما وُفّي اجره دون يوم الحساب».

٥٣ ـ وعنه ﷺ:

«من صام يوماً تطوّعاً ابتغاء ثواب الله وجبت له المغفرة».

٥٤ ـ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«إنّ الله تبارك وتعالى أتمّ صلاة الفريضة بصلاة النافلة، وأتمّ صيام الفريضة بصيام النافلة».

٥٥ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«إيّاكم والكسل، إنّ ربّكم رحيم يشكر القليل، إنّ الرجل ليصوم اليوم تطوّعاً يريد به وجه الله تعالى فيدخله الله به الجنّة».

٥٦ ـ وعن رسول الله ﷺ:

«من صام ثلاثة أيام من كلّ شهر، كان كمن صام الدهر، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[1]».

---

(١) الأنعام: ١٦٠.

٥٧ ـ وعنه ﷺ :

«صوم ثلاثة أيام في كلّ شهر، ورمضان إلى رمضان، صوم الدهر وإفطاره».

٥٨ ـ وقال ﷺ :

«من سرّه أن يذهب كثير من وحر صدره فليصم شهر الصبر، وثلاثة أيام من كلّ شهر».

٥٩ ـ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

«صوم ثلاثة أيام من كلّ شهر، أربعاء بين خميسين، وصوم شعبان، يذهب بوساوس الصدر وبلابل القلب».

٦٠ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام :

«كان رسول الله ﷺ أوّل ما بُعث يصوم حتّى يقال: ما يفطر، ويفطر حتّى يقال: ما يصوم، ثمّ ترك ذلك وصام يوماً وأفطر يوماً، وهو صوم داود، ثمّ ترك ذلك وفرّقها في كلّ عشرة أيام يوماً خميسين بينهما أربعاء، فقبض، عليه وآله السلام، وهو يعمل ذلك».

أيّها المسلم العزيز، لك في رسول الله أُسوة حسنة وقدوة صالحة...

فهل عملت بسنّته المباركة في صيامه، ولو لعام واحد؟...

افعل ذلك ولو لسنة واحدة، فإنّك ترى بركاته وآثاره المادّية والمعنوية والروحانية الخاصّة، فلا تتركه طيلة حياتك... والله المستعان.

الفرع الثالث

الزكاة

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾[1].

وقال سبحانه :

﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾[2].

وقال عزّ وجلّ :

﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾[3].

وقال جلّ وعلا :

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ

---

(١) الحجّ : ٧٨.

(٢) فصّلت : ٦ ـ ٧.

(٣) التوبة : ٥.

وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[١].

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢].

لا يخفى على أُولي النهى، أنّ تفاوت العباد في الغنى والفقر إنّما هو لحكمة ربانية، ومن الأسرار الإلهية في خليقته، فإنّ الله سبحانه أودع الفقر والغنى بين الناس لتيسير أُمورهم وتمشية مصالحهم وتحريك دولاب المجتمع في الاقتصاد، وإنّما جعل الفقر والغنى ليبلو العباد أيّهم أحسن عملاً وأطهر صنعاً.

فقد فرض عزّ وجلّ للفقير سهماً في مال الغني كافياً له، كما وعد الغنيّ الأجر الجزيل على إعطائه، وأوعده العذاب الأليم على منعه وحرمانه، فجعل الفقراء عياله والأغنياء وكلاءه.

والزكاة في الدين الإسلامي الحنيف من الواجبات، إنّما وضعها الله سبحانه وشرّعها من أجل إقامة العدالة الاجتماعية، وليقوم الناس بالقسط، وتسودهم الرفاهية والسعادة الدنيوية، فيعمّ المجتمع الأمن والاطمئنان في مدينة فاضلة.

والزكاة لغةً بمعنى النماء، وفي المصطلح الشرعي: أخذ حصّة من المال، وإنّما سمّي بالزكاة ليعني نموّ المال ورشده وزيادته وحفظه بدلاً من أن تنقصه، فالزكاة من زكى الزرع إذا نمى، فإنّ إخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم والسخاء، أو من الزكاة بمعنى الطهارة، فإنّها تطهّر المال من الخبث والنفس من البخل.

---

(١) التوبة: ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) التوبة: ١٠٣.

والويل لمانع الزكاة، فإنّه قد ينفق أكثر من الزكاة في إثم ومعصية خالقه ورازقه، وقد يتسلّط عليه الظالمون، كما قد يتعرّض للسرقة والنهب، والتاريخ يشهد على ذلك.

ويكفيك في أهمية الزكاة وعظمتها، أنّها اقترنت بالصلاة في الآيات الكريمة والروايات الشريفة، قال الله تعالى:

﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً ﴾[١].

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[٢].

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ ﴾[٣].

ونقف على عظمة الزكاة وأثرها البالغ في المجتمع من خلال مجال صرفها وإلى من تصل ومن يستحقّها، وذلك في قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٤].

١ ـ وعن مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام، في حديث، قال:

«إنّ الله عزّ وجلّ فرض للفقراء في مال الأغنياء ما يسعهم، ولو علم أنّ ذلك

---

(١) مريم: ٥٥.

(٢) النمل: ٣.

(٣) البيّنة: ٥.

(٤) التوبة: ٦٠.

لا يسعهم لزادهم، إنّهم لم يؤتوا من قبل فريضة الله عزّ وجلّ، ولكن أُوتوا من منع من منعهم حقّهم لأنّما فرض الله لهم، ولو أنّ الناس أدّوا حقوقهم لكانوا عايشين بخير»[١].

٢ ـ وعنه أيضاً عليه السلام، قال:

«إنّما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء ومعونةً للفقراء، ولو أنّ الناس أدّوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً، ولاستغنى بما فرض الله له، وإنّ الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلّا بذنوب الأغنياء، وحقيق على الله تبارك وتعالى أن يمنع رحمته ممّن منع حقّ الله في ماله، وأقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق، أنّه ما ضاع مال في برّ ولا بحر إلّا بترك الزكاة»[٢].

٣ ـ وعن معمر بن يحيى، أنّه سمع أبا جعفر عليه السلام يقول:

«لا يسأل الله عبداً عن صلاة بعد الفريضة، ولا عن صدقة بعد الزكاة».

٤ ـ وفي حديث نبوي، قال صلى الله عليه وآله:

«داووا مرضاكم بالصدقة، وحصّنوا أموالكم بالزكاة».

٥ ـ وقال:

«ملعون ملعون مالٌ لا يزكّى».

٦ ـ وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام:

«وإذا حبست الزكاة ماتت المواشي».

٧ ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام:

«إنّ الزكاة ليس يحمد بها صاحبها، إنّما هو شيء ظاهر، إنّما حقن الله بها

---

(١) وسائل الشيعة ٤: ٣، الباب ١، الحديث ٢.

(٢) وسائل الشيعة ٤: ٤.

دمه وسمّي بها مسلماً».

٨ ـ وعنه عليه السلام:

«من منع الزكاة فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً»[١].

٩ ـ وقال مولانا الرضا عليه السلام:

«إنّ الله أمر بثلاثة مقرونة بها ثلاثة: أمر بالصلاة والزكاة، فمن صلّى ولم يزكِّ لم تقبل صلاته»[٢].

فالزكاة تحفظ المال وتصونه من الضياع والتلف، وكأنّها (شركة التأمين) ومتعهّدها هو الله سبحانه وتعالى، كما تسعد المجتمع الإسلامي ولا يبقى فيه فقير، ويعيش الكلّ فيه بخير ورفاعية واطمئنان وفراغة البال، فتظهر حينئذٍ الاستعدادات والطاقات والنبوغ الكامن في النفوس، فيرتقي المجتمع ويتكامل في جميع حقوله وجوانبه، وتنشدها الجوامع الأُخرى لتقتدي به، فيضرب به المثل، كما كان في صدر الإسلام.

كما يطهر المال بالزكاة وإن كان حلالاً بكدّ اليمين وعرق الجبين، إذ الإنسان في أيّ عمل من أعماله من التجارة والصناعة والزراعة وغير ذلك، يحتاج إلى أبناء نوعه، ولولاهم لاختلّ نظامه وحياته، فيرى بوضوح أنّ مجتمعه الإنساني قد ساهم في مصنوعاته ومحصولاته ومنتوجاته، وحينئذٍ يحسّ الإنسان بضميره الحيّ، وأحاسيسه الواعية وعواطفه المرهفة، إنّه مقصّر أمام مجتمعه وبني نوعه، فلا بدّ أن يطهر نفسه وماله بردّ الإحسان إحساناً والجميل

---

(١) وسائل الشيعة ٤: ٦ ـ ١٤ ـ ١٧.

(٢) الخصال ١: ٧٠.

جميلاً، فيجد الزكاة والصادقات تلبية لنداء الباطن بإعطاء قسم وحصّة من ماله ـ قد حدّه وعيّنه الشرع المبين ـ إلى مجتمعه، إلى الفقراء والمساكين وأبناء السبيل، وفي سبيل الله: من بناء المساجد والمدارس والدور للفقراء والجسور والحسينيات والمستشفيات وغير ذلك من موارد مصاريف الزكاة.

فالمسلمون المؤمنون ما أن وقفوا على وجوب الزكاة وشاهدوا آثارها الجبّارة النافعة في المجتمع، إلّا وتصدّقوا وأنفقوا ممّا رزقهم الله وأدّوا الحقوق لأهليها، فيقرضون ويسعفون الحاجات ويأخذون بأيدي الضعفاء وينجونهم من المهالك.

١٠ ـ وقد قال رسول الله ﷺ:

«من أدّى الزكاة إلى مستحقّها وأقام الصلاة على حدودها ولم يلحق بهما من الموبقات ما يبطلهما جاء يوم القيامة يغبطه كلّ من في تلك العرصات حتّى يرفعه نسيم الجنّة إلى غرفها وعاليها بحضرة من كان يواليه من محمّد وآله الطيّبين»[1].

١١ ـ وقال ﷺ:

«آتوا الزكاة من أموالكم المستحقّين لها من الضعفاء، لا تبخسوهم ولا توكسوهم ولا تيمّموا الخبيث أن تعطوهم، فإنّ من أعطى زكاته طيّبةً بها نفسه أعطاه الله بكلّ حبّةٍ منها قصراً من فضّة وقصراً من لؤلؤ وقصراً من زبرجد وقصراً من زمرّد وقصراً من نور ربّ العالمين، وإن قصّر في الزكاة قال الله تعالى: يا عبدي، أتبخلني أم تتّهمني أم تظنّ أنّي عاجز غير قادر على إثابتك؟ سوف

---

(١) بحار الأنوار ٩٦: ٨.

يرد عليك يوم تكون أحوج المحتاجين إليها، إن أدّيتها كما أُمرت، وسوف يرد عليك إن بخلت يوم تكون فيه أخسر الخاسرين، قال: فسمع ذلك المسلمون فقالوا: سمعنا وأطعنا يا رسول الله (صلى الله عليه وآله)».

١٢ ـ وقال الصادق عليه السلام:

«من منع قيراطاً من الزكاة فليس هو بمؤمن ولا مسلم، ولا كرامة».

١٣ ـ وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يدفع بالصدقة الدبيلة والغرق والحرق والهدم والجنون، حتّى عدّ صلى الله عليه وآله سبعين نوعاً من البلاء».

١٤ ـ وعن مولانا الصادق عليه السلام، قال:

«ما من ذي مال ذهب أو فضّة يمنع زكاة ماله إلّا حبسه الله عزّ وجلّ يوم القيامة بقاع قرقر، وسلّط عليه شجاعاً (أي ثعباناً) أقرع يريده وهو يحيد عنه، فإذا رأى أنّه لا يتخلّص منه أمكنه من يده فيقضمها كما يقضم الفجل، ثمّ يصير طوقاً في عنقه وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1]، وما من ذي مال إبل أو بقر أو غنم يمنع زكاة ماله إلّا حبسه الله عزّ وجلّ يوم القيامة بقاع قرقر، تطؤه كلّ ذات ظلف بظلفها وتنهشه كلّ ذات ناب بنابها، وما من ذي مال نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاتها، إلّا طوّقه الله ربعة أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامة».

وهناك روايات أُخرى مذكورة في جوامع الحديث في فضل معطي الزكاة وثوابه وبيان عقاب مانع الزكاة.

---

(١) آل عمران: ١٨٠.

وإنّما تجب الزكاة في النقدين والأنعام الثلاثة والغلّات الأربع، بشرائط خاصّة كما هي مذكورة في الكتب الفقهية، وهو بالنسبة إلى الزكاة في الأموال وهو بالمعنى الأخصّ، وفي روايتنا وكتب الأخلاق تذكر الزكاة بالمعنى الأعمّ.

وإليك هذه الرواية الشريفة عن مولانا الصادق عليه السلام، كما في مصباح الشريعة:

١٥ ـ قال عليه السلام:

«على كلّ جزء من أجزائك زكاة واجبة لله عزّ وجلّ، بل على كلّ شعرة، بل على كلّ لحظة، فزكاة العين: النظر بالعبرة، والغضّ عن الشهوات وما يضاهيها، وزكاة الأُذن: استماع العلم والحكمة والقرآن وفوائد الدين من الحكمة والموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك بالإعراض عمّا هو ضدّه من الكذب والغيبة وأشباهها، وزكاة اللسان: النصح للمسلمين والتيقّظ للغافلين، وكثرة التسبيح والذكر وغيره، وزكاة اليد: البذل والعطاء والسخاء بما أنعم الله عليك به وتحريكها بكتبة العلوم، ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى والقبض عن الشرور، وزكاة الرجل: السعي في حقوق الله تعالى من زيارة الصالحين، ومجالس الذكر وإصلاح الناس وصلة الرحم والجهاد وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك.

هذا ممّا يحتمل القلوب فهمه، والنفوس استعماله، وما لا يشرف عليه إلّا عباده المقرّبون المخلصون أكثر من أن يحصى وهم أربابه وهو شعارهم دون غيرهم»[1].

وإنّما يعلم عظمة الزكاة من خلال الآيات الكريمة والروايات الشريفة، كلّ

---

(١) بحار الأنوار ٩٣: ٧.

من كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد.

فعلى القارئ الكريم أن يمعن النظر فيها، ويدقّق في كلّ حكم إسلامي، ويرجع البصر ويقرأ كرّةً أُخرى، ليستخرج منه حقائق ناصعة ومطالب جامعة، تنفعه وتنفع مجتمعه الإسلامي، فيعيشوا برغد وسعادة، وهناء وإيمان، ويعلو الإسلام ولا يُعلى عليه.

١٦ ـ قال رسول الله ﷺ:

«الزكاة قنطرة الإسلام، فمن أدّاها جاز القنطرة، ومن منعها احتبس دونها، وهي تطفئ غضب الربّ».

١٧ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام:

«ما فرض الله على هذه الأُمّة شيئاً أشدّ عليهم من الزكاة، وما تهلك عامّتهم إلّا فيها».

وفي حكمة الزكاة وعلّة وجوبها:

١٨ ـ ورد عن الإمام الرضا عليه السلام:

«علّة الزكاة من أجل قوت الفقراء، وتحصين أموال الأغنياء، لأنّ الله تعالى كلّف أهل الصحّة القيام بشأن أهل الزمانة من البلوى، كما قال عزّ وجلّ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾[1] في أموال إخراج الزكاة وفي أنفسكم توطين النفس على الصبر، مع ما في ذلك من أداء شكر نِعَم الله عزّ وجلّ، والطمع في الزيادة، مع ما فيه من الزيادة والرأفة والرحمة لأهل الضعف، والعطف على أهل المسكنة،

---

(١) آل عمران: ١٨٦.

والحثّ لهم على المساواة، وتقوية الفقراء، والمعونة لهم على أمر الدين، وهي عظة لأهلى الغنى وعبرة لهم ليستدلّوا على فقر الآخرة بهم».

١٩ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام :

«إنّ الله عزّ وجلّ فرض للفقراء في أموال الأغنياء ممّا يكتفون به ولو علم الله أنّ الذي فرض لهم لم يكفهم لزادهم، فإنّما يؤتى الفقراء فيما أُوتوا من منع من منعهم حقوقهم لا من الفريضة».

٢٠ ـ وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، قال :

«إنّ الله فرض على أغنياء الناس في أموالهم قدر الذي يسع فقراءهم، فإن ضاع فقير أو أُجهد أو عُري، فيما يمنع الغني، وإنّ الله عزّ وجلّ محاسب الأغنياء في ذلك يوم القيامة ومعذّبهم عذاباً أليماً».

٢١ ـ وقال الإمام الكاظم عليه السلام :

«إنّما وضعت الزكاة قوتاً للفقراء، وتوفيراً لأموال الأغنياء».

٢٢ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام :

«الزكاة تزيد في الرزق».

٢٣ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«إذا أردت أن يثري الله مالك فزكّه».

٢٤ ـ قال الإمام الحسن عليه السلام :

«ما نقصت زكاة من مالٍ قطّ».

٢٥ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام :

«يا مفضّل، قل لأصحابك يضعون الزكاة في أهلها، وإنّي ضامن لما ذهب لهم».

٢٦ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ ﴾[١]: وإنّ الله يعطي بالواحدة عشرة إلى مائة ألف فما زاد، ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝ ﴾[٢]: لا يريد شيئاً من الخير إلّا يسّره الله له.

٢٧ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام:

«ما ضاع مال في برّ ولا بحر إلّا بتضييع الزكاة، فحصّنوا أموالكم بالزكاة».

٢٨ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام:

«ما نقصت زكاة من مال قطّ، ولا هلك مال في برّ أو بحر أُدّيت زكاته».

٢٩ ـ عنه عليه السلام:

«وجدنا في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلّها».

٣٠ ـ قال الإمام الرضا عليه السلام:

«إذا حُبست الزكاة ماتت المواشي».

٣١ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«حصّنوا أموالكم بالزكاة».

٣٢ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا قام القائم عليه السلام أخذ مانع الزكاة فضرب عنقه».

٣٣ ـ وعنه عليه السلام:

«من منع الزكاة سأل الرجعة عند الموت وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿ حَتَّى إِذَا

---

(١) الليل: ٥ ـ ٦.

(٢) الليل: ٧.

جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾[1]».

٣٤ ـ وقال عليه السلام :

«السرّاق ثلاثة : مانع الزكاة، ومستحلّ مهور النساء، وكذلك من استدان ولم ينوِ قضاءه».

٣٥ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«والذي نفس محمّدٍ بيده ما خان الله أحد شيئاً من زكاة ماله إلّا مشرك بالله».

٣٦ ـ وعنه صلى الله عليه وآله :

«يا عليّ، كفر بالله العظيم من هذه الأُمّة عشرة... ومانع الزكاة».

٣٧ ـ وقال صلى الله عليه وآله :

«من منع قيراطاً من زكاة ماله فليس هو بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة».

٣٨ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام :

«من منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً».

٣٩ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«مانع الزكاة يجرّ قصبه في النار ـ يعني أمعاءه في النار ـ ومُثّل له ماله في النار في صورة شجاع ـ ثعبان ـ أقرع له زبيبان أو زبيبتان يفرّ الإنسان منه، وهو يتبعه حتّى يقضمه كما يقضم الفجل ويقول : أنا مالك الذي بخلت به».

٤٠ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام، قال :

«الذي يمنع الزكاة يحوّل الله ماله يوم القيامة شجاعاً من نار له ريمتان

---

(١) المؤمنون : ٩٩ ـ ١٠٠.

فيطوّقه إيّاه ثمّ يقول: الزمه كما لزمك في الدنيا، وهو قول الله: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ ﴾[١]».

٤١ ـ وقال عليه السلام:

«إنّ الله عزّ وجلّ يبعث يوم القيامة ناساً من قبورهم مشدودة أيديهم إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيس أنملة، معهم ملائكة يعيّرونهم تعييراً شديداً، يقولون: هؤلاء الذين منعوا خيراً قليلاً من خيرٍ كثير، هؤلاء الذين أعطاهم الله عزّ وجلّ فمنعوا حقّ الله عزّ وجلّ في أموالهم».

٤٢ ـ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«إنّ الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام، فمن أعطاها طيّب النفس بها، فإنّها تجعل له كفّارة، ومن النار حجازاً (حجاباً) ووقاية، فلا يتبعنّها أحد نفسه، ولا يكثرنّ عليها لهفه، فإنّ من أعطاها غير طيّب النفس بها يرجو بها ما هو أفضل منها فهو جاهل بالسنّة، مغبون الأجر، ضالّ العمل، طويل الندم».

ثمّ الزكاة إمّا ظاهرة وإمّا باطنة:

٤٣ ـ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام لمّا سأله رجل في كم تجب الزكاة من المال؟ قال عليه السلام: «الزكاة الظاهرة أم الباطنة تريد؟» قال: أُريدهما جميعاً، فقال: «أمّا الظاهرة ففي كلّ ألف خمسة وعشرون درهماً، وأمّا الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليك منه».

ثمّ لكلّ شيء زكاة.

---

(١) آل عمران: ١٨٠.

٤٤ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام :

« زكاة القدرة الإنصاف ».

« زكاة الجمال العفاف ».

« زكاة الظفر الإحسان ».

« العفو زكاة الظفر ».

« زكاة اليسار برّ الجيران وصلة الأرحام ».

« زكاة الصحّة السعي في طاعة الله ».

« زكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله ».

« زكاة النعم اصطناع المعروف ».

« زكاة العلم بذله لمستحقّه وإجهاد النفس في العمل به ».

« زكاة العقل احتمال الجهّال ».

« إنّ الله فرض عليكم زكاة جاهكم كما فرض عليكم زكاة ما ملكت أيمانكم ».

« زكاة البدن الصوم والجهاد ».

٤٥ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام :

« المعروف زكاة النعم، والشفاعة زكاة الجاه، والعلل زكاة الأبدان، والعفو زكاة الظفر، وما أدّيت زكاته فهو مأمون السلب ».

٤٦ ـ وقال عليه السلام :

« على كلّ جزء من أجزائك زكاة واجبة لله عزّ وجلّ، بل على كلّ شعرة، بل على كلّ لحظة، فزكاة العين النظر بالعبرة والغضّ عن الشهوات وما يضاهيها، وزكاة الأُذن استماع العلم والحكمة والقرآن ».

فهل أدّيت الزكاة بأقسامها ومعانيها ؟

الفرع الرابع

الخمس

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ ﴾[1].

الخمس من الفرائض الإسلامية والواجبات الدينية على كلّ مسلم ومؤمن، وقد جعلها الله تعالى لنبيّه الأكرم محمّد ﷺ ولذرّيته البررة عوضاً عن الزكاة وذلك إكراماً لهم، فإنّه ألف عينٍ لأجل عين تكرم، ومن منع منه درهماً أو أقلّ كان مندرجاً في الظالمين لهم والغاصبين لحقوقهم، بل من كان مستحلاً بذلك كان من الكافرين وأنكر ضرورياً من ضروريات الدين، وأصبح من المرتدّين، وعليه لعنة الله إلى يوم الدين.

١ ـ في الخبر الشريف عن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال عليه السلام: من أكل مال اليتيم درهماً، ونحن اليتيم[2].

---

(١) الأنفال: ٤١.

(٢) وسائل الشيعة ٦: ٣٣٧، وكذلك الروايات الأُخرى.

قال الشيخ الصدوق عليه الرحمة في كتابه الشريف إكمال الدين : معنى اليتيم هو المنقطع القرين في هذا الموضع، فسمّي النبيّ ﷺ بهذا المعنى يتيماً، وكذلك كلّ إمام بعده يتيم بهذا المعنى، والآية في أكل أموال اليتامى ظلماً فيهم نزلت، وجرت من بعد في سائر الأنام، والدرّة اليتيمة إنّما سمّيت يتيمة، لأنّها كانت منقطعة القرين والنظير.

٢ ـ وعن مولانا الصادق عليه السلام، قال :

«إنّ الله لا إله إلّا هو، حيث حرّم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس، فالصدقة علينا حرام والخمس لنا فريضة، والكرامة لنا حلال».

٣ ـ وعن أبي جعفر عليه السلام :

«لا يحلّ لأحد أن يشري من الخمس شيئاً حتّى يصل إلينا حقّنا».

٤ ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام :

«لا يعذر عبد اشترى من الخمس شيئاً أن يقول يا ربّ اشتريته بمالي حتّى يأذن له أهل الخمس».

٥ ـ وعنه عليه السلام قال :

«إنّي لآخذ من أحدكم الدرهم وإنّي لمن أكثر أهل المدينة مالاً، ما أُريد بذلك، إلّا أن تطهروا».

فمن فلسفة الخمس الطهارة كما كان في الزكاة، ومن فلسفته السعة على فقراء ذراري رسول الله ﷺ.

٦ ـ وعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، قال عندما قرئت عليه آية الخمس :

«ما كان لله فهو لرسوله، وما كان لرسوله فهو لنا».

ثمّ قال :

«والله لقد يسّر الله على المؤمنين أرزاقهم بخمسة دراهم، جعلوا لربّهم واحداً، وأكلوا أربعة أحلّاء».

ثمّ قال :

«هذا من حديثنا صعب مستصعب، لا يعمل به ولا يصبر عليه إلّا ممتحن قلبه للإيمان».

٧ ـ وفي الحديث المستفيض عن الأئمة عليهم السلام :

«إنّ حديثنا ـ في رواية : أمرنا ـ صعب مستصعب، لا يتحمّله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان».

والمقصود من الحديث (وأمرهم) هو الولاية، فلمّا عرضت على الملائكة لم يتحمّلها ولم يقبلها حقّ القبول إلّا ملك مقرّب، ولمّا عرضت على الأنبياء لم يطق حمل ثقلها إلّا المرسل، ولمّا عرضت على العباد لم يتحمّلها إلّا مؤمن امتحن الله قلبه في مواطن بالإيمان.

ويبدو لي أنّ إعطاء الخمس من مظاهر هذا الامتحان الإلهي، فمن أعطى الخمس بطيب نفسه وابتهاج وسرور، فإنّ ذلك من علامات الإيمان، ولا يصبر عليه إلّا ممتحن قلبه للإيمان، ومن لم يعطِ خمسه من ماله كيف يعطي نفسه عند ظهور إمام زمانه ؟!

٨ ـ وعن مولانا الكاظم عليه السلام، قال :

«قال لي هارون : أتقولون إنّ الخمس لكم ؟

قلت : نعم.

قال : إنّه لكثير .

قال : قلت : إنّ الذي أعطاناه علم أنّه لنا غير كثير »[١].

فمن أمثال هارون الرشيد الطاغية يصعب عليه الخمس ، ويراه كثيراً ، فكيف بمن ينكر ويمنع أصل ذلك ؟

هذا ولا يخفى أنّما وجب الخمس في زمن النبيّ الأعظم ﷺ في الغنائم الحربية ، ثمّ بين موالينا الأطهار أئمة الحقّ عليهم السلام من زمن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام باقي الموارد التي يجب فيها الخمس ، كما في الرسائل العملية والكتب الفقهية ، وإنّما التأخير في بيان الموارد والغنائم الأُخرى غير الحربية لحكمة ربانية .

وإنّما الخمس كما في الآية الشريفة للأصناف الستّة : لله ، وللرسول ﷺ ، ولذوي القربى الأئمة الأطهار عليهم السلام ، وما كان لله فهو لرسوله ، وما كان للرسول فهو للإمام المعصوم عليه السلام ، وقد تعارف بين المتشرّعة وجود سهم في زمن الغيبة الكبرى باسم سهم الإمام يصرف في ترويج الدين الإسلامي ، بإذن من مرجع التقليد الجامع للشرائط أو وكيله ، وأمّا النصف الثاني من الخمس فإنّه يعطى للأصناف الثلاثة الأُخرى المذكورين في الآية الشريفة من الهاشميين بدلاً من الزكاة ، لأنّها من غيرهم تحرم عليهم ، ويسمّى هذا القسم بسهم السادة .

فالخمس من الفرائض المؤكّدة المنصوص عليها في القرآن الكريم ، وقد ورد الاهتمام الكبير بشأنه في كثير من الروايات المأثورة عن أهل البيت سلام الله

---

(١) بحار الأنوار ٩٣ : ١٨٨ .

عليهم، وفي بعضها اللعن والويل والثبور على من يمتنع من أدائه وعلى من يأكله بغير استحقاق.

٩ ـ فمن كتاب لإمامنا الحجّة الثاني عشر المهدي المنتظر عليه السلام وعجّل الله فرجه الشريف قال:

«ومن أكل من مالنا شيئاً فإنّما يأكل في بطنه ناراً».

١٠ ـ وقال عليه السلام في كتاب آخر:

«بسم الله الرحمن الرحيم، لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على كلّ من أكل من مالنا درهماً حراماً».

١١ ـ وقال عليه السلام:

«وأمّا المتلبّسون بأموالنا، فمن استحلّ منها شيئاً فأكله، فإنّما يأكل النيران»[1].

فيا ترى، فهل يعيش برغد وسعادة من يمنع الخمس؟ وأنّي يكون ذلك وقطب عالم الإمكان صاحب العصر والزمان عليه السلام يدعو عليه؟ وطوبى لمن أدّى خمسه وشمله دعاء مولاه، فكيف لا يسعد ولا يوفّق في حياته، ولا يعيش بهناء في الدنيا، وجنّات عرضها السماوات والأرض في الآخرة.

ويا هذا، ممّن المال؟ أليس من الله سبحانه؟ فلماذا يبخل الإنسان؟ وإن قيل: إنّما هو بكدّي وعرق جبيني، فنقول: وممّن الحول والقوّة؟ وممّن الصحّة والعافية؟ وممّن التوفيق؟ فلماذا لا نطيع ربّ العالمين؟ ولماذا البخل؟ وما قيمة

---

(١) الروايات الثلاثة وأمثالها توجد في وسائل الشيعة ٦: ٣٨٣.

المال بلغ ما بلغ ؟ فكيف لو كان ذلك موجباً لدعاء صاحب الأمر عليه السلام عليه، ولعن مانع الخمس فيما لو لم يؤدّ حقوقه الشرعيّة ؟ وفي المال حقّ للسائل والمحروم، وما ثمن المال لو كان عاقبته النيران والويل ولعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله.

فلا تحزن على ما فات، ولا تفرح بما هو آت، واغتنم الساعة التي أنت فيها، وتب إلى ربّك، واقضِ ما فات، وأدِّ حقوق الله التي عليك، وطِب نفساً، واحذر كلّ الحذر من أهوال يوم القيامة ومن النار.

وقد جاء في تفسير القمّي في الآية الشريفة عندما يسأل أهل النار: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾[1] ؟ فمن أجوبتهم يقولون: ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾[2]، قال: حقوق آل محمّد صلى الله عليه وآله من الخمس لذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وهم آل محمّد صلوات الله عليهم.

وأيضاً في قوله تعالى: ﴿ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾[3]، أي لا ترعون، وهم الذين غصبوا آل محمّد حقّهم وأكلوا أموال أيتامهم وفقرائهم وأبناء سبيلهم ـ وهذا من التأويل إن لم يكن من التفسير، فتدبّر وأمعن النظر ـ فلا يقلّ الخمس عن الزكاة في القدر، ولا في الحكمة والأثر، ومن أنكر ففي سقر،

---

(١) المدّثّر: ٤٢.

(٢) المدّثّر: ٤٤.

(٣) الفجر: ١٨.

وبئس المستقرّ.

وأمّا كيفية استخراج الخمس، فإنّه مذكور بالتفصيل في الرسائل العملية لمراجعنا الكرام، فمن لم يستخرج خمسه من قبل ـ أي من سنّ البلوغ، إذ يجب الخمس من سنّ البلوغ كما تجب الصلاة ـ إلى يوم إعطاء الخمس، فإنّه يقيّم جميع ما يملك، ثمّ يتصالح مع المجتهد أو وكيله، ثمّ بعد أن يقرّر لنفسه تاريخاً لخمسه في كلّ عام في ذلك التاريخ يستخرج خمس أمواله الزائدة عن المؤونة مطلقاً، سواءً كانت نقدية أو غيرها، منقولة أو غيرها. ولا بأس بالمراجعة إلى علماء بلدتك من تثق بهم للمحاسبة واستخراج الخمس.

ولا بأس أن نذكر ما قاله العلّامة الطباطبائي المفسّر الكبير قدس سره في كتابه الشريف (الميزان في تفسير القرآن)[1] في آية الخمس، فقال: قوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾[2] إلى آخر الآية، الغنم والغنيمة: إصابة الفائدة من جهة تجارة أو عمل أو حرب، وينطبق بحسب موارد نزول الآية على غنيمة الحرب، قال الراغب: الغَنَم ـ بفتحتين ـ معروف، قال ومن البقر والغنم ما حرّمنا عليهم شحومهما، والغُنْم ـ بالضمّ فالسكون ـ إصابته، والظفر به، ثمّ استعمل في كلّ مظفور به من جهة العدى وغيرهم، قال: واعلموا أنّما غنمتم من شيء، فكلوا ممّا غنمتم وجمعه مغانم، قال: فعند الله مغانم كثيرة، انتهى.

---

(١) الميزان ٩: ٨٩.

(٢) الأنفال: ٤١.

١٢ ـ... ثمّ قال في البحث الروائي : في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن الحسين بن عثمان عن سماعة قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن الخمس فقال : في كلّ ما أفاد الناس من قليل أو كثير.

١٣ ـ وفيه عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن بعض أصحابنا عن العبد الصالح الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام قال : الخمس في خمسة أشياء من الغنائم والغوص ومن المعادن والملاحة يؤخذ من كلّ هذه الصنوف الخمس لمن جعل الله له، ويقسم أربعة أخماس بين من قاتل عليه وولى ذلك.

ويقسم بينهم الخمس على ستّة أسهم، سهم لله، وسهم لرسوله، وسهم لذي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل. فسهم الله وسهم رسوله لأُولي الأمر من بعد رسول الله وراثة، فله ثلاثة أسهم : سهمان وراثة، وسهم مقسوم له من الله، فله نصف الخمس كلاً، ونصف الخمس الثاني بين أهل بيته : فسهم ليتاماهم، وسهم لمساكينهم، وسهم لأبناء سبيلهم، يقسم بينهم على الكتاب والسنّة ما يستغنون به في سنتهم، فإن فضل منهم شيء فهو للوالي، وإن عجزوا، ونقص عن استغنائهم، كان على الوالي أن ينفق من عنده ما يستغنون به، وإنّما جعل الله هذا الخمس خاصّة لهم دون مساكين الناس وأبناء سبيلهم، عوضاً لهم عن صدقات الناس تنزيهاً من الله لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وكرامةً من الله لهم من أوساخ الناس، فجعل لهم خاصّة من عنده وما يغنيهم به، أن يصيّرهم في موضع الذلّ والمسكنة، ولا بأس بصدقة بعضهم على بعض.

وهؤلاء الذين جعل الله لهم الخمس هم قرابة النبيّ صلى الله عليه وآله الذين ذكرهم الله

فقال: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[1]، وهم بنو عبد المطّلب أنفسهم، الذكر منهم والأُنثى ليس فيهم من أهل بيوتات قريش ولا من العرب أحد ولا فيهم ولا منهم في هذا الخمس من مواليهم، وقد تحلّ صدقات الناس لمواليهم، وهم والناس سواء.

ثمّ قال ﷺ: والأخبار عن أئمة أهل البيت عليهم السلام متواترة في اختصاص الخمس بالله ورسوله والإمام من أهل بيته ويتامى قرابته ومساكينهم وأبناء سبيلهم لا يتعدّاهم إلى غيرهم، وإنّه يقسم ستّة أسهم على ما مرّ في الروايات، وإنّه لا يختصّ بغنائم الحرب بل يعمّ كلّ ما كان يسمّى غنيمة لغةً من أرباح المكاسب والكنوز والغوص والمعادن والملاحة، وفي رواياتهم ـ كما تقدّم ـ إنّ ذلك موهبة من الله لأهل البيت بما حرّم عليهم الزكوات والصدقات.

هذا ونحن نأخذ ديننا من أهل بيت النبوّة، ففي أبياتهم نزل الخطاب، وهم أهل بيت الوحي، فنقول بالخمس في كلّ ما يطلق ويصدق عليه اسم الغنيمة لغةً، وإن كان عند أبناء العامّة يختصّ الخمس بغنائم الحرب، على خلاف ما عليه الروايات من طرق أئمة أهل البيت عليهم السلام.

كما وإنّ ظاهر الآية الشريفة أنّها مشتملة على تشريع مؤبّد كما هو ظاهر التشريعات القرآنية، وإنّ الحكم متعلّق بما يسمّى غنماً وغنيمة حربية مأخوذة من الكفّار أو غيرها، ممّا يطلق عليه الغنيمة لغةً كأرباح المكاسب والغوص والملاحة والمستخرج من الكنوز والمعادن، وإن كان مورد نزول الآية هو غنيمة الحرب،

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

فليس للمورد أن يخصّص.

وكذا ظاهر ما عدّ من موارد الصرف بقوله: ﴿ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَآبْنِ السَّبِيلِ ﴾[1] انحصار الموارد في هؤلاء الأصناف، وأنّ لكلّ منهم سهماً بمعنى استقلاله في أخذ السهم كما يستفاد مثله من آية الزكاة من غير أن يكون ذكر الأصناف من قبيل التمثيل.

فهذا كلّه ممّا لا ريب فيه بالنظر إلى المتبادر من ظاهر معنى الآية، وعليه وردت الأخبار من طرق الشيعة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام[2].

بقي الكلام فيما تضمّنته الروايات، فإنّ الله سبحانه أراد بتشريع الخمس إكرام أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وأُسرته، وترفيعهم من أن يأخذوا أوساخ الناس في أموالهم، والظاهر أنّ ذلك مأخوذ من قوله تعالى في آية الزكاة خطاباً لنبيّه صلّى الله عليه:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾[3].

فإنّ التطهير والتزكية إنّما يتعلّق بما لا يخلو من دنس ووسخ ونحوهما، ولم يقع في آية الخمس ما يشعر بذلك.

وما يتعلّق بالآية من محصّل البحث التفسيري هو الذي قدّمناه، وهناك

---

(١) الأنفال: ٤١.

(٢) تفسير الميزان ٩: ٩١.

(٣) التوبة: ١٠٣.

أبحاث أُخر كلامية أو فقهية خارجة عن غرضنا، وهناك بحث حقوقي اجتماعي في ما يؤثّره الخمس من الأثر في المجتمع الإسلامي سيوافيك في ضمن الكلام على الزكاة[١].

والواقع أنّ الخمس يعدّ من أطهر أموال الشخص المخمّس، لأنّه قُرن بالله سبحانه ﴿ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾[٢]، وما ينسب إلى الله يكون شريفاً وعظيماً وطاهراً مطهّراً كبيت الله وكتابه وحرمه ومساجده وغير ذلك، فتدبّر.

إكرام السادة الأجلّاء[٣]:

هذا، وعلينا أن نعظم السادة الكرام آل محمّد ﷺ وذراريه، فقد وردت الروايات الكثيرة في مدح الذرّية الطيّبة وثواب صلتهم[٤]، فقد عقد العلّامة المجلسي باباً في بيان ذلك، أذكر بعض الروايات، ومن أراد التفصيل فعليه بالمراجعة.

١٤ ـ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال:

«إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، فتغشاهم ظلمة فيضجّون إلى ربّهم ويقولون: يا ربّ، اكشف عنّا هذه الظلمة.

---

(١) المصدر نفسه: ١٠٦.

(٢) الأنفال: ٤١.

(٣) لقد تعرّضت إلى هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب (المأمول في تكريم ذرّية الرسول)، وهو مطبوع، فراجع.

(٤) راجع بحار الأنوار ٩٣: ٢١٧.

قال : فيقبل قوم يمشي النور بين أيديهم قد أضاء أرض القيامة، فيقول أهل الجمع : هؤلاء أنبياء الله، فيجيئهم النداء من عند الله : ما هؤلاء بأنبياء، فيقول أهل الجمع : فهؤلاء ملائكة، فيجيئهم النداء من عند الله : ما هؤلاء بملائكة، فيقول أهل الجمع : هؤلاء شهداء، فيجيئهم النداء من عند الله : ما هؤلاء بشهداء، فيقولون : مَن هم ؟ فيجيئهم النداء : يا أهل الجمع، سلوهم من أنتم ؟ فيقول أهل الجمع : من أنتم ؟ فيقولون : نحن العلويون، نحن ذرّية محمّد رسول الله ﷺ، نحن أولاد عليّ وليّ الله، نحن المخصوصون بكرامة الله، نحن الآمنون المطمئنّون، فيجيئهم النداء من عند الله عزّ وجلّ : اشفعوا في محبّيكم وأهل مودّتكم، فيشفعون فيشفّعون».

١٥ ـ وعن الرضا عليه السلام، قال :

«النظر إلى ذرّيتنا عبادة».

فقيل له : يا ابن رسول الله، النظر إلى الأئمة منكم عبادة ؟ أم النظر إلى جميع ذرّية النبيّ ﷺ ؟

فقال : «بل النظر إلى جميع ذرّية النبيّ ﷺ عبادة».

١٦ ـ وروى في عيون الأخبار مثله[1]، وزاد في آخره :

«ما لم يفارقوا منهاجه، ولم يتلوّثوا بالمعاصي».

١٧ ـ وعن الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن عليّ عليه السلام، قال :

«قال رسول الله ﷺ : أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة : المكرم لذرّيتي من

---

(١) عيون الأخبار ٢ : ٥١.

بعدي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أُمورهم عند اضطرارهم، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه»[١].

١٨ ـ وقال ﷺ:

«أيّما رجل صنع إلى رجل من ولدي صنيعة فلم يكافئه عليها، فأنا المكافئ له عليها».

١٩ ـ وفي رواية:

«فأنا أُجازيه غداً إذا لقيني يوم القيامة».

٢٠ ـ وقال ﷺ:

«بغض عليّ كفر، وبغض بني هاشم نفاق»[٢].

٢١ ـ وعن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، قال:

«قال رسول الله ﷺ: إذا قمت المقام المحمود، تشفّعت في أصحاب الكبائر من أُمّتي فيشفعني والله فيهم، والله لا تشفّعت في مَن آذى ذرّيتي»[٣].

٢٢ ـ وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ:

«أنا سيّد الأوصياء والمرسلين، وأفضل من الملائكة المقرّبين، وأوصيائي سادة أوصياء النبيّين، وذرّيتي أفضل ذرّيات النبيّين والمرسلين»[٤].

---

(١) بحار الأنوار، عن عيون الأخبار ١: ٢٥٣.

(٢) بحار الأنوار ٩٣: ٢٢١، عن عيون أخبار الرضا ٢: ٦٠.

(٣) أمالي الصدوق: ١٧٦.

(٤) أمالي الصدوق: ١٧٩.

٢٣ ـ وعن أبي جعفر عليه السلام :

«إنّ صفيّة بنت عبد المطّلب مات ابن لها، فأقبلت، فقال لها عمر : غطّي قرطكِ، فإنّ قرابتكِ من رسول الله لا ينفعكِ شيئاً، فقالت له : هل رأيت لي قرطاً يا ابن اللخناء ؟ ثمّ دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بذلك وبكت، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فنادى الصلاة جامعة. فاجتمع الناس فقال صلى الله عليه وآله : ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتي لا تنفع، لو قمت المقام المحمود لشفعت في حاروحكم، لا يسألني اليوم أحد من أبواه إلّا أخبرته، فقام إليه رجل فقال : مَن أبي يا رسول الله ؟ فقال : أبوك غير الذي تدعى له، أبوك فلان. فقام آخر فقال : مَن أبي يا رسول الله ؟ قال : أبوك الذي تُدعى له، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما بال الذي يزعم أنّ قرابتي لا تنفع، لا يسألني عن أبيه ؟ فقام إليه عمر فقال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، اعفُ عنّي عفا الله عنك، فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[1] إلى قوله : ﴿ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾[2]»[3].

نعم، أيّها القارئ الكريم، إنّما نحترم ونحبّ ونودّ الذرّية الطيّبة، صالحهم لله وطالحهم لرسوله، كما ورد في الخبر، فإنّ ألفُ عينٍ لأجل عينٍ تكرم، فلأجل عين رسول الله نكرم ذرّيته، وهل جزاء إبلاغ الرسالة المحمّدية إلّا المودّة في

---

(١) المائدة : ١٠١.

(٢) المائدة : ١٠٢.

(٣) بحار الأنوار ٩٣ : ٢٢٠، عن تفسير القمّي : ١٧٤ و ١٧٥.

القربى ؟ وما أكثر من اهتدى وسعد جزاءً لخدمته لذرّية رسول الله كما يحدّثنا التاريخ بمئات من الحوادث والوقائع، كالذي حصل للرجل المجوسي، الذي هداه الله إلى الإسلام ببركة العلوية وبناتها، لمّا أسكنهم داره في بلد الغربة، راجع في ذلك بحار الأنوار وتذكرة الخواصّ[1]، لتقف على ما أقول، ولتعرف الحقّ والحقيقة بنفسك، وقفوهم فإنّهم مسؤولون، وكفى بنفسك اليوم حسيباً.

فنتقرّب إلى الله بإكرام ذرّية رسول الله محمّد ﷺ، كما نؤدّي الخمس الذي أوجبه الله علينا في كتابه الكريم، ولا نكون كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ـ والعياذ بالله ـ فنصلّي ولكن لا نزكّي أو لا ندفع الخمس، حتّى يستحوذ الشيطان علينا فيلقي في روعنا الأباطيل وكيل التهم على مراجع التقليد أو وكلائهم...

أقولها صراحةً: على كلّ واحد منّا أن يعمل بتكليفه الشرعي، فمن عليه الخمس عليه أن يدفع ذلك إلى أهله ومستحقّيه، كما جاء في الرسائل العمليّة لمراجعنا العظام، كما على المرجع تكليفه الخاصّ، فإن لم يفعل بتكليفه، أو ترى الأموال تصرف ـ بحسب نظرك أو معلوماتك الناقصة ـ في غير محلّه، فإنّه لا يعني أن لا تعمل بتكليفك ووظيفتك، فإنّ الدنيا دار امتحان، وكما أنت صاحب الخمس تمتحن بإعطاء الخمس، فكذلك المرجع أو من يأخذ الخمس، فإنّه يمتحن به، فكلّ واحدٍ يمتحن بالآخر، ولا يكون عندك عدم العمل بالتكليف من الآخرين أن لا تعمل بتكليفك أيضاً، فهذا ممّا لا يقبل الله منك عذراً يوم القيامة، بل ادفع

---

(١) بحار الأنوار ٩٣: ٢٢٥، وتذكرة الخواصّ لابن الجوزي الحنبلي: ١٠٧.

ما وجب عليك من الخمس واضمن بذلك الجنّة وطهارة الأموال والأولاد وسعادة الأهل والعيال. وربما من يأخذ منك الخمس يدخل النار، فكلٌّ يعمل على شاكلته، فاليوم يوم عمل وغداً يوم الحساب.

٢٤ ـ عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام، قال:

«إنّ أشدّ ما يكون الناس حالاً يوم القيامة، إذا قام صاحب الخمس فقال: يا ربّ، خمسي...».

٢٥ ـ وفي الخبر الوارد عن الناحية المقدّسة صاحب العصر والزمان عليه السلام:

«ومن أكل من أموالنا شيئاً، فإنّما يأكل في بطنه ناراً وسيصلى سعيراً»[١].

فيا هذا، فهل بعد هذا يُمتنع عن الخمس ولو درهماً واحداً؟!

---

(١) سفينة البحار، الطبعة الجديدة ٢: ٧٢٧.

الفرع الخامس

الجهاد

قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾[1].

وقال سبحانه:

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لله فَإِنِ انتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[2].

وقال عزّ من قائل:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[3].

---

(١) البقرة: ١٩٠ ـ ١٩١.

(٢) البقرة: ١٩٣.

(٣) البقرة: ٢١٦.

وقال جلّ وعلا:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَـئِكَ يَـرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ ﴾[١].

وقال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِـنْكُمْ وَيَـعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾[٢].

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَـبِيلِ اللهِ أَمْـوَاتاً بَـلْ أَحْـيَاءٌ عِـنْدَ رَبِّـهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

وقال سبحانه:

﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُـتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾[٤].

وقال عزّ وجلّ:

---

(١) البقرة: ٢١٨.

(٢) آل عمران: ١٤٢.

(٣) آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١.

(٤) آل عمران: ١٩٥.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعاً ﴾[١].

وقال تعالى:

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾[٢].

وقال جلّ وعلا:

﴿ لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلّاً وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾[٣].

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَ أُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[٤].

أيّها القارئ الكريم، لو درست تعاليم الإسلام ومناهجه في الحياة وأحكامه الشرعيّة، لوجدتها تماشي أعلى تطوّر حضاري، وأدقّ سلوك ثقافي، وأجمل تمدّن إنساني، عرفه التاريخ والمجتمع البشري.

---

(١) النساء: ٧١.

(٢) النساء: ٧٤.

(٣) النساء: ٩٥ ـ ٩٦.

(٤) التوبة: ٢٠ ـ ٢٢.

ومن التعاليم الإسلامية السمحاء، هو الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى من أجل إعلاء كلمة الحقّ وإدحاض كلمة الباطل، كلمة الكفر والشرك والنفاق.

الجهاد سنّة من سنن الله سبحانه، فرضها على أوليائه وعباده، إذ الحكمة الربانية اقتضت منذ أن خلق الله الإنسان وعاش على هذه الأرض أن يكون بين معسكرين: معسكر الخير ومعسكر الشرّ، فكان الناس بين فريقين: فريق يدعون إلى الله، إلى الصدق والهدى والحقّ، وهم الأنبياء وأتباعهم، وفريق يدعون إلى الباطل والضلال والنار، ومنذ البداية كان الصراع المرير بين هذين الفريقين، وكان لا بدّ منْ أن ينتصر الحقّ بأهله، ولا بدّ لفريق الحقّ من أن يجاهد من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، من أجل إنقاذ البشرية من براثن الشيطان وإنقاذ الناس من الظلمات والظلم وكسر القيود والأغلال، لكي لا تكون فتنة، ويكون الدين كلّه لله، ويعيش الإنسان في ظلّ العدالة والحرّية والحقّ.

فالجهاد ركن من أركان الدين الإلهي، وهو الخروج للقتال من أجل إعلاء كلمة الإسلام أو لصدّ عدوّ، والدفاع عن البلاد الإسلامية، وهو واجب على كلّ مسلم متمكّن من حمل السلاح أن يخرج وقت الحاجة مع اجتماع الشرائط المذكورة في الكتب الفقهية.

وإنّما شرّع الجهاد حصناً للإسلام، وبه يحفظ المسلمون من الأخطار ومداهمة الكفر بلادهم، وإنّما نقف على عظمة آثاره المباركة، عندما نتصفّح التاريخ الإسلامي المجيد، فنجد أثره في حياة الشعوب وتقدّمها وحضارتها أعظم من أن يوصف، لا سيّما عندما يتجلّى بالعقيدة والإخلاص، فإنّ الحياة عقيدة وجهاد.

وفريضة الجهاد تختلف عن غيرها من الفرائض والواجبات الإسلامية، فإنّها لم تشرّع لذاتها كالصلاة والصوم والحجّ، بل الجهاد كوسيلة ضرورية لحفظ المجتمع من الانهيار، فلم يشرّعه الإسلام إلّا إذا تمرّد الإنسان وطغى، وأبى السير في طريق الهدى والإيمان، وعاث في الأرض فساداً، فحينئذٍ يكون الجهاد وسيلةً لردع الضالّ والمنحرف والفاسد، كما كان في صدر الإسلام.

١ ـ قال مولانا الصادق عليه السلام:

«إنّ الله عزّ وجلّ بعث رسوله بالإسلام إلى الناس عشر سنين فأبوا أن يقبلوا، حتّى أمره بالقتال، فالخير في السيف، والأمر يعود كما بدأ»[1].

وأعداء الإسلام عرفوا أنّ مجد المسلمين وعزّتهم في الجهاد، فأثاروا حوله الشبهات، إذ اكتشفوا أنّ الأُمّة الإسلامية لا يمكن أن تقهر أو تستعبد وفيها روح الجهاد، لهذا حاربوا هذه الروح البطولية في الإنسان المسلم، ليخضع ويرضى بالذلّ والاستعمار، ويخضع لسيطرة الطغاة والجبابرة الظالمين، ويزكع لسوط الإرهاب والجور.

ولكنّ الرسول الأعظم نبّه أُمّته إلى مصدر عزّها ومجدها بقوله:

٢ ـ «اغزوا توارثوا أبناءكم مجداً».

فالمجد والكرامة في سبيل الله في الغزو والجهاد، والذلّ والهوان بالضعف وترك الجهاد.

والجهاد مع كونه واجباً، ولكنّ الله سبحانه من لطفه وعنايته يتفضّل على

---

(١) وسائل الشيعة ٦ : ٩.

المجاهدين بأجرٍ عظيم، ويثيبهم بثواب جزيل وعطاء جميل، كما نجد هذه البشرى في عشرات من الآيات الكريمة والمئات من الروايات الشريفة.

جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾[١].

﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾[٢].

﴿ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

٣ ـ وقال رسول الله ﷺ:

«من خرج في سبيل الله مجاهداً فله بكلّ خطوة سبعمائة ألف حسنة، ويمحى عنه سبعمائة ألف سيّئة، ويرفع له سبعمائة ألف درجة، وكان في ضمان الله، بأيّ حتفٍ مات كان شهيداً، وإن رجع، رجع مغفوراً له مستجاباً دعاؤه».

٤ ـ ومن كلام لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«أمّا بعد، فإنّ الله تعالى فرض الجهاد وعظّمه وجعله نصرةً له، والله

---

(١) الصفّ: ١٠ ـ ١٢.

(٢) الصفّ: ٤.

(٣) الصفّ: ١٣.

ما صلحت دنيا قطّ ولا دين إلّا به».

٥ ـ وقال عليه السلام في نهج البلاغة الشريف:

«أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة، فتحه الله لخاصّة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة، وجنّته الوثيقة، فمن تركه رغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذلّ، وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماءة، وضرب على قلبه بالإسهاب، وأُديل الحقّ منه بتضييع الجهاد...».

٦ ـ وقال عليه السلام:

«الجهاد عماد الدين ومنهاج السعداء».

٧ ـ وقال عليه السلام:

«إنّ الله فرض الجهاد وعظّمه وجعله نصره وناصره، والله ما صلحت دنيا ولا دين إلّا به».

٨ ـ وقال عليه السلام:

«إنّ الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام، وهو قوام الدين، والأجر فيه عظيم مع العزّة والمنعة، وهو الكرّة، فيه الحسنات والبشرى بالجنّة بعد الشهادة».

٩ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام:

«الجهاد أفضل الأشياء بعد الفرائض».

١٠ ـ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من لقى الله بغير أثرٍ من جهاد، لقي الله وفيه ثلمة».

١١ ـ وقال صلى الله عليه وآله:

«من مات ولم يغزُ ولم يحدّث به نفسه، مات على شعبةٍ من نفاق».

١٢ ـ وقال ﷺ :

«إنّ لكلّ أُمّةٍ سياحة، وسياحة أُمّتي الجهاد في سبيل الله».

١٣ ـ وعنه ﷺ :

«ما من خطوة أحبّ إلى الله من خطوتين : خطوة يسدّ بها مؤمن صفّاً في سبيل الله، وخطوة يخطوها مؤمن إلى ذي رحم قاطع يصلها».

١٤ ـ وعن مولانا الصادق عليه السلام ، قال :

«قال رسول الله ﷺ : أشرف الموت قتل الشهادة»[١].

١٥ ـ وبهذا الإسناد قال :

«قال رسول الله ﷺ : للجنّة باب يقال له : باب المجاهدين، يمضون إليه، فإذا هو مفتوح، وهم متقلّدون سيوفهم، والجمع في الموقف، والملائكة ترحّب بهم، فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً في نفسه، وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه، إنّ الله تبارك وتعالى أعزّ أُمّتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها»[٢].

فالجهاد ذروة الإسلام، وهذا فضل الجهاد والمجاهد في سبيل الله، وعقاب من ترك الجهاد وآثاره في الدنيا والآخرة.

وأمّا مقام المجاهد في سبيل الله، فقد قال سبحانه وتعالى :

﴿ لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾[٣].

---

(١) بحار الأنوار ١٠٠ : ٨.

(٢) أمالي الصدوق : ٥٧٧.

(٣) النساء : ٩٥.

وقال عزّ وجلّ:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾[1].

١٦ ـ قال رسول الله ﷺ:

«للجنّة باب يقال له: باب (المجاهدون) يمضون إليه فإذا هو مفتوح، وهم متقلّدون بسيوفهم، الجمع في الموقف والملائكة ترحّب بهم».

١٧ ـ وعنه ﷺ:

«خير الناس رجل حبس نفسه في سبيل الله يجاهد أعداءه يلتمس الموت أو القتل في مصافّه».

١٨ ـ وقال ﷺ:

«ما أعمال العباد كلّهم عند المجاهدين في سبيل الله إلّا كمثل خطّاف أخذ بمنقاره من ماء البحر».

١٩ ـ وقال ﷺ:

«لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخّان في جهنّم».

٢٠ ـ عنه ﷺ:

«السيوف مفاتيح الجنّة».

٢١ ـ وعنه ﷺ:

«إنّ الله عزّ وجلّ يباهي بالمتقلّد سيفه في سبيل الله ملائكته، وهم يصلّون

---

(١) محمّد ﷺ: ٣١.

عليه ما دام متقلّده».

٢٢ ـ وقال ﷺ:

«صلاة الرجل متقلّداً بسيفه تفضل على صلاته غير متقلّد بسبعمائة ضعف».

٢٣ ـ وقال ﷺ:

«فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً في نفسه، وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه، إنّ الله تبارك وتعالى أعزّ أُمّتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها».

٢٤ ـ وعنه ﷺ:

«اتّقوا أذى المجاهدين في سبيل الله، فإنّ الله يغضب لهم كما يغضب للرسل، ويستجيب لهم كما يستجيب لهم».

٢٥ ـ وقال ﷺ:

«إنّ الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين، وكلٌّ آتيه منيّته كما كتب الله له، فطوبى للمجاهدين في سبيله، والمقتولين في طاعته».

٢٦ ـ عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام، قال:

«أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: إنّي راغب نشيط في الجهاد، قال: فجاهد في سبيل الله، فإنّك إن تقتل كنت حيّاً عند الله ترزق، وإن متّ فقد وقع أجرك على الله، وإن رجعت خرجت من الذنوب إلى الله».

فما أعظم أجر وثواب المجاهد في سبيل الله، فإن نال الشهادة والقتل فقد فاز بالحظّ الأوفى كان حيّاً عند الله يرزق، فلا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء عند ربّك يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله، وإن مات ولم

يقتل في ساحة المعركة، فقد وقع أجره على الله وأعطاه ثواب الشهداء، جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً، وإن رجع إلى أهله، فإنّه يرجع بذنوب مغفورة وسعي مشكور وعمل مقبول، فهل بعد هذا يتهاون أو يتكاسل عن الجهاد في سبيل الله ؟...

ــ وأمّا المرابط في الثغور وفي مواقع الحدود للبلاد الإسلامية، فقد قال الله تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ ﴾[1].

وقال عزّ وجلّ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ ﴾[2].

٢٧ ـ فقد قال رسول الله ﷺ :

« رباط يوم كصيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطاً في سبيل الله أُجير من فتنة القبر، وأُجري له كلّ ما كان يعمل إلى يوم القيامة ».

٢٨ ـ وعنه ﷺ :

« رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها ».

٢٩ ـ وقال ﷺ :

« كلّ عمل منقطع عن صاحبه إذا مات إلّا المرابط في سبيل الله، فإنّه ينمى

---

(١) الأنفال : ٦٠.

(٢) آل عمران : ٢٠٠.

له عمله ويُجرى عليه رزقه إلى يوم القيامة».

٣٠ـ وقال ﷺ:

«إنّ صلاة المرابط تعدل خمسمائة صلاة».

٣١ـ وعنه ﷺ:

«حرس ليلة في سبيل الله عزّ وجلّ أفضل من ألف ليلة يُقام ليلها ويُصام نهارها».

٣٢ـ وقال ﷺ:

«لأن أحرس ثلاث ليالٍ مرابطاً من وراء بيضة المسلمين أحبّ إليَّ من أن تصيبني ليلة القدر في أحد المسجدين: المدينة أو بيت المقدّس».

٣٣ـ وقال ﷺ:

«عينان لا تمسّهما النار: عينٌ بكت من خشية الله، وعينٌ باتت تحرس في سبيل الله».

وأمّا مقام الشهيد، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].

٣٤ـ وقد قال الرسول الكريم ﷺ:

«فوق كلّ برّ برّ، حتّى يقتل في سبيل الله عزّ وجلّ، فإذا قُتل فليس فوقه برّ»[2].

---

(١) آل عمران: ١٦٩.

(٢) الخصال: ٩.

٣٥ ـ وقال ﷺ :

«ما من قطرة أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من قطرتين : قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمعة في سواد الليل لا يريد بها عبد إلّا الله عزّ وجلّ»[١].

وأمّا الفرار من الجهاد ومن الزحف الإسلامي، فهو من كبائر الذنوب التي أوعد الله بها النار، فقد قال في محكم كتابه الكريم :

﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ ﴾[٢].

٣٦ ـ وقال مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أسد الله الغالب عليه السلام :

«واستحيوا من الفرار، فإنّه عارٌ في الأعقاب، ونارٌ يوم الحساب».

«ولا تعرّضوا لمقت الله، ولا تفرّوا من الموت، فإنّ الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[٣]، وأيم الله، لئن فررتم من سيف العاجلة، لا تسلموا من سيف الآخرة، فاستعينوا بالصبر والصلاة والصدق في النيّة، فإنّ الله بعد الصبر ينزل».

أي نصر الله بعد أن يصبر ويرابط ينزل على عبده.

وما أروع هذه الكلمة العلوية التي تهتزّ منها المشاعر، وتملأ القلوب بسالة وقوّة وحماساً، فقد قالها سيّد الأحرار أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وروحي

---

(١) بحار الأنوار ١٠٠ : ١٠.

(٢) الأنفال : ١٦.

(٣) الأحزاب : ١٦.

وكلّ ما أملك فداه، وحريّ أن تكتب هذه الكلمات بأقلام من نور على وجنات الحور.

٣٧ ـ قال عليه السلام:

«الموت طالب ومطلوب، لا يعجزه المقيم، ولا يفوته الهارب، فقدّموا ولا تتّكلوا، فإنّه ليس عن الموت محيص، إنّكم إن لم تقتلوا تموتوا، والذي نفس عليّ بيده لألف ضربةٍ بالسيف على الرأس أهون من موت على فراش»[1].

ولا يخفى كما ذكرنا أنّ الإسلام دين الله القويم، إنّما ينظر إلى السيف والقتال كآخر علاج لقلع جذور الضلال والطغيان، وإلّا فإنّه قد رفع شعاره الخالد، كما في القرآن الكريم:

﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ ﴾[2].

فحروبه وغزواته إنّما كانت دفاعية كما يشهد بها التاريخ.

ويعتبر القتال في سبيل الله هو الجهاد الأصغر، ويقابله الجهاد الأكبر، وهو الجهاد مع النفس الأمّارة بالسوء، فإنّ أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك ـ كما جاء في الخبر النبوي ـ وأشجع الناس من غلب هواه، ومن ثمّ من تغلّب على عدوّه الباطني وهو ألدّ الخصام وأعدى الأعداء، فإنّه وبكلّ سهولة يتغلّب على عدوّه الظاهري، ومئات من الآيات والروايات تحثّ المسلم المؤمن الرسالي على الجهاد الأكبر، كما تحثّه على الجهاد الأصغر.

---

(١) أمالي الطوسي ١ : ٢٢٠.

(٢) البقرة : ٢٥٦.

٣٨ ـ فعن مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام :

«إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعث بسريّة، فلمّا رجعوا قال : مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل : يا رسول الله، ما الجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد النفس»[1].

الله الله في الجهاد، فإنّه السبيل القويم والصراط المستقيم الذي سار عليه الأنبياء والأولياء والصالحون والشهداء الأبرار، وضحّوا من أجله بالنفس والنفيس، وسقوا شجرة الإسلام بدمائهم الطاهرة، وحملوا مشاعل النور والحرّية والهداية للعالم. فهم أرخصوا دماءهم كي يستضيء المجتمع الإسلامي والإنساني بها، ويسعد من بعدهم، وكان المجاهدون في سبيل الله عبر التاريخ البشري حملة أوسمة المجد والعزّ للشعوب المحرومة.

لقد أرسى الإسلام بالجهاد دعائم دولته المباركة على يد رسول الله صلى الله عليه وآله، واتّسعت هذه الدولة المباركة بالجهاد أيضاً لتعمّ عدالتها البلاد الأُخرى، حتّى امتدّت رقعة الإسلام من بلاد الصين إلى ربوع الأندلس.

وما أحوج أُمّتنا الإسلامية في هذا العصر ـ عصر الصحوة الإسلامية ـ حيث يربو عدد المسلمين على مليارد مسلم، إلى إعادة مجدها وسؤددها وبناء دولتها وحضارتها العالمية من جديد، لتحلّق وتنقل هذا العالم الضائع وشعوبه الحائرة ـ بمعسكريه الغربي والشرقي ـ إلى هدى الإسلام وعدالة تشريعه، ولا يكون ذلك إلّا بالجهاد...

---

(١) وسائل الشيعة ٦ : ١٢٢، فراجع.

فإلى الجهاد يا شباب البلاد.

إلى عزّكم وشرفكم.

إلى إسلامكم وقرآنكم.

إلى الشهادة في سبيل الله.

إلى محاربة الطواغيت والجبابرة.

إلى خصم الظالم ومعونة المظلوم.

إلى تمهيد دولة الحقّ، عسى أن نكون من الموطّئين لحكومة القائم المهدي من آل محمّد ﷺ، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

إلى إحياء آيات الجهاد وأحكامه وشعائره ومعالمه في الأُمّة الإسلامية... وفي ربوع الأرض...

الفرع السادس

الحجّ

قال الله تعالى في محكم كتابه ومبرم خطابه :

﴿ وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾[1].

وقال سبحانه :

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[2].

الحجّ من العبادات الاجتماعية والسياسية في الإسلام، ذات المغزى العظيم روحياً وبدنياً، فردياً واجتماعياً، في جميع حقول الحياة من العبادة والسياسة والاقتصاد والثقافة والحضارة والتقدّم والأُخوّة الإسلامية وغير ذلك.

الحجّ نقلة اجتماعية يتّجه فيها الجمهور، جمهور المسلمين المكلّفين بأداء هذه الفريضة، أو المتطوّعين للتواجد والحضور في مكان مقدّس واحد، وهو

---

(١) آل عمران : ٩٧.

(٢) الحجّ : ٢٧.

أشرف بقاع الأرض، وزمان واحد من الأشهر الحرم ذي الحجّة المبارك، يمارسون شعائر موحّدة، تجرّد الإنسان عن عالم المادّيات، وتحلّق به إلى الرفيق الأعلى، إلى عالم ملكوتي وروحاني بلا نهاية، إلى حضرة الله سبحانه، مستجمع الصفات الكمالية بنحو الإطلاق.

ويكفي في عظمة الحجّ أنّه أحد الأركان التي بني الإسلام عليها، فهو أساس يعلو عليه بناء الإسلام الشامخ، وتتجلّى فيه روح المودّة والأُخوّة والصفاء وحكومة المعنويات على المادّيات، وإنّ الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، ولا بدّ من يوم ترفرف رايات الإسلام على ربوع الأرض، فمن يحضر مكّة المكرّمة والمدينة الطيّبة يلمس ذلك بوضوح.

وإنّ هذا الدين القيّم لو تمسّك به أصحابه حقّ التمسّك وطبّقوه في مجالاتهم وحياتهم لحكم العالم ولو كره المشركون، إذ يجد الإنسان الضائع والبشرية المتحيّرة أُنشودتها وبغيتها في هذا الدين، دين الإسلام العظيم، فهو الذي تكفّل سعادة الإنسان في الدارين، دار الدنيا ودار الآخرة.

١ ـ عن مولانا الباقر عليه السلام، قال:

«بني الإسلام على خمس: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصوم شهر رمضان، والولاية لنا أهل البيت، وما نودي بمثل ما نودي بالولاية»[1].

فالحجّ يمثّل عزّ الإسلام وبقاءه وسلطانه، فليس لأُمّة من الأُمم مثل هذا المؤتمر العالمي الكبير والمشهد العظيم الحافل بالخيرات والبركات، يجتمع فيه المسلمون من شرق الأرض وغربها على اختلاف النحل والطوائف، وبمختلف

---

(١) الخصال: ٢٥٣.

الأشكال والألوان واللغات والهيئات، لا يتميّز غنيّهم عن فقيرهم، وملكهم عن مملوكهم، كلّ منهم قد اتّزر برداء وتردّى بآخر، ملبّين دعوة الله المنعكسة صداها في الأجيال عبر الأحقاب والدهور من سيّد الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام قائلاً له: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[1].

أُولئك الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ويحبّون أن يطّهروا، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

وكأنّه سبحانه وتعالى أراد بموقف الإحرام والمواقف الأُخرى من مناسك الحجّ، أن يذكّر الناس بمواقف يوم القيامة والاستعداد لها بحمل الزاد، وأنّ خير الزاد التقوى، وفعلاً فكم من شقي أمّ وقصد هذا البيت الحرام المبارك فرجع سعيداً، وكم من عاصٍ رجع مطيعاً، وفاجر تحوّل تقيّاً، وغافل ساهٍ صار متذكّراً، وليس هذا إلّا من بركات تلك المشاهد العظيمة والمواقف السامية الرفيعة.

فالحجّ فلاح، وقد أفلح من أقامه كما هو المطلوب شرعاً، وإنّما ركّز الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام على الحجّ علماً بأهمّيته، وأنّه يحتوي على كثير من العبادات والفضائل والخير الاجتماعي والثواب الأُخروي.

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنّ الحاجّ إذا أخذ في جهازه لم يرفع شيئاً ولم يضعه إلّا كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيّئات، ورفع له عشر درجات... وإذا طاف بالبيت

---

(١) الحجّ: ٢٧.

خرج من ذنوبه، وإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه، وإذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه».

٣ ـ وفي بعض الروايات:

«خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمّه».

٤ ـ عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، قال عند شهادته في وصيّة لأولاده:

«الله الله في بيت ربّكم، لا تخلّوه ما بقيتم، فإنّه إن ترك لم تناصروا».

٥ ـ وقال عليه السلام:

«الحجّ جهاد كلّ ضعيف».

٦ ـ وعنه عليه السلام:

«نفقة درهم في الحجّ تعدل ألف درهم».

٧ ـ وقال عليه السلام:

«الحاجّ والمعتمر وفد الله، ويحبوه بالمغفرة».

٨ ـ عن الإمام الباقر أو الإمام الصادق عليهما السلام:

«إنّ إبراهيم أذّن في الناس بالحجّ، فقال: أيّها الناس، إنّي إبراهيم خليل الله، إنّ الله أمركم أن تحجّوا هذا البيت فحجّوه، فأجابه من يحجّ إلى يوم القيامة، وكان أوّل من أجابه من أهل اليمن».

٩ ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«من حجّ حجّتين لم يزل في خير حتّى يموت، ومن حجّ ثلاث حجج لم يصبه فقر أبداً».

١٠ ـ وعنه عليه السلام:

«ما رأيت أسرع غنىً ولا أنفى للفقر من إدمان حجّ البيت».

١١ ـ ولمّا سأله إسحاق بن عمّار وقال: إنّي قد وطّنت نفسي على لزوم الحجّ كلّ عام بنفسي أو برجل من أهل بيتي بمالي، فقال الإمام الصادق عليه السلام: «وقد عزمت على ذلك؟»، قال إسحاق: نعم. فقال عليه السلام: «فإن فعلت ذلك فأيقن بكثرة المال، وأبشر بكثرة المال».

١٢ ـ وعن مولانا زين العابدين عليه السلام:

«حقّ الحجّ أن تعلم أنّه وفادة إلى ربّك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك».

١٣ ـ وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«وحجّ البيت والعمرة، فإنّهما ينفيان الفقر، ويكفّران الذنب، ويوجبان الجنّة».

١٤ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام لمّا قال له عبد الرحمن: إنّ أُناساً من هؤلاء القصّاص يقولون: إذا حجّ رجل حجّة ثمّ تصدّق ووصل كان خيراً له، فقال عليه السلام:

«كذبوا، لو فعل هذا الناس لعطّل هذا البيت، إنّ الله عزّ وجلّ جعل هذا البيت قياماً للناس».

١٥ ـ وقال عليه السلام:

«لو عطّل الناس الحجّ لوجب على الإمام أن يجبرهم على الحجّ إن شاؤوا وإن أبوا، لأنّ هذا البيت إنّما وضع للحجّ».

١٦ ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«يا عليّ، كفر بالله العظيم من هذه الأُمّة عشرة: ... ومن وجد سعة فمات ولم يحجّ».

والمراد من الكفر هنا كما في قوله تعالى في آية الحجّ:

﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾[1]، هو الكفر العملي الذي يوجب الفسق.

١٧ ـ وعنه ﷺ:

«من سوّف الحجّ حتّى يموت بعثه الله يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً».

١٨ ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«من مات ولم يحجّ حجّة الإسلام، ولم تمنعه من ذلك حاجة تجحف به، أو مرض لا يطيق الحجّ من أجله، أو سلطان يمنعه، فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً».

١٩ ـ وعن الصادق، عن أبيه عليهما السلام، قال:

«قال رسول الله ﷺ: للحاجّ والمعتمر إحدى ثلاث خصال: إمّا أن يقال له: قد غفر لك ما مضى وما بقي. وإمّا أن يقال له: قد غفر لك ما مضى، فاستأنف العمل. وإمّا أن يقال له: قد حفظت في أهلك وولدك، وهي أحسنهن».

أوَ تدري ما أثر من ترك الحجّ مستطيعاً؟

٢٠ ـ قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[2]، قال:

«نزلت في مَن يسوّف الحجّ حتّى مات ولم يحجّ، فعمي عن فريضة من فرائض الله».

---

(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) الإسراء: ٧٢.

ومعنى (يسوّف الحجّ) كما في رواية أُخرى: ذاك الذي سوّف الحجّ، يعني حجّة الإسلام، يقول: العامّ أحجّ، العامّ أحجّ، حتّى يجيئه الموت.

٢١ ـ وعن مولانا الصادق عليه السلام، قال:

«من أراد الحجّ فتهيّأ له فحرمه، فبذنبٍ حُرِمه».

هذا لمن تهيّأ واستعدّ للحجّ، فكيف بمن غفل عنه، وسوّلت له نفسه في تركه بالتسويف والآمال؟ والمراد من الحفظ في أهله كما في رواية كليب بن معاوية.

٢٢ ـ قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: شيعتك تقول: الحاجّ أهله وماله في ضمان الله، ويخلف أهله، وقد أراه يخرج فيحدث على أهله الأحداث؟ فقال: إنّما يخلفه فيهم بما كان يقوم به، فأمّا ما كان حاضراً لم يستطع دفعه فلا».

نعم... روايات أهل البيت تفسّر بعضها بعضاً، كالقرآن الكريم يفسّر بعضه البعض الآخر، فكلامهم نور ووصيّتهم التقوى، وفعلهم الخير، وسجيّتهم الكرم، وعادتهم الإحسان، وبآل محمّد عرف الصواب، وفي بيوتهم نزل الخطاب.

ونعود إلى الموضوع ونقول: العبادات في الشريعة السمحاء تنقسم إلى قسمين:

١ ـ عبادة عملية: كالصلاة والصوم.

٢ ـ عبادة مادّية: كالخمس والزكاة.

والحجّ هو العبادة الوحيدة التي تشتمل على القسمين معاً، فهو عبادة عملية؛ لما فيه من الأعمال كالطواف والسعي، ومادّية؛ لما فيه من نفقات الذهاب

والإياب والاضحية وغير ذلك.

ويا ترى، من يملك مثل هذا المؤتمر العالمي السنوي العظيم ؟ فلا بدّ على كلّ مسلم رسالي ومؤمن بالشريعة المحمّدية الخالصة أن يحسّ بالمسؤولية في قبال هذا المؤتمر الفذّ، فيستغلّه لترويج الدين الإسلامي الحنيف وتحقيق أهدافه المقدّسة في العالم والتفاهم عن مشاكل المسلمين وحلولها، فهو رحمة كبرى للمسلمين، وفيه منافع للناس، وإنّه خير دليل على عظمة الإسلام وحكومته، وكونه أفضل الشرائع وناسخ الأديان والمذاهب والمنتصر على الحكومات اللاإسلامية، وقد عرف الاستعمار المقيت بمعسكريه الغربي والشرقي هذه الحقيقة، فتراهم ليل نهار يخطّطون ويدسّون السمّ القاتل، ويبثّون ثقافتهم المنحطّة وأخلاقهم الرذيلة بين المسلمين لتفريغ الحجّ من محتواه الأصيل، ليكتفِ المسلمون بظاهر الإسلام وظاهر الحجّ، فيسلّطون على معالم الحجّ وحقيقته عملاءهم الخونة بحقّ المسلمين، ليسوغ لهم سلب ثرواتهم الطبيعية كالبترول، لتنام أعينهم برغد وهناء باستثمار المسلمين السذّج، ولكن هيهات هيهات، فإنّ الصحوة الإسلامية وروح الإسلام قد دبّ في جسد المسلمين، وعاد الإسلام على ما كان في بداية دعوته، وقد بشّر الله المسلمين بأنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون، فسلبوا النوم من عيون المستعمرين والاستكبار العالمي، ولا بدّ للقدر أن يستجيب، ولا بدّ للقيد أن ينكسر، وللظلام أن ينجلي، وللحقّ أن ينتصر، أليس الصبح بقريب ؟ نعم والله، إنّه لقريب.

هذا وربما نقف على فلسفة الحجّ بنحو الإجمال من خلال آيات الحجّ في القرآن الكريم، فإنّه سبحانه وتعالى قال :

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾[١].

ولا يمكن حصر هذه المنافع والإحاطة بها، سواء المنافع الاقتصادية أم الثقافية والسياسية وكلّ ما ينطبق عليه عنوان المنفعة من المنافع الدنيوية وحتّى النفسية والروحية والأُخروية، وقد تكثر المنافع والمعاني السامية التي تعترض هاجس الحاجّ وهو يتهيّأ لأفضل رحلة في الحياة، فتراه يحرص على البحث عن المدلولات الشرعية والإسلامية لكلّ ما يمرّ به، ويدرك ما يتركه الإسلام في النفوس من سحر جذّاب وأُخوّة صادقة، وهذه منفعة من المنافع في الحجّ، فإنّ الحاجّ يدرك معنى قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٢].

ويتجلّى له هذا المفهوم ـ الأُخوّة الإسلامية ـ في الحجّ، إذ اختلطت في ديار الحجّ جنسيات عديدة وألوان متغايرة ولغات متباينة وطباع مختلفة باختلاف الديار التي قدموا منها، ولكن الاخوّة يلمسها الحاجّ من كلّ واحد منهم مهما اختلفت لغته وبعدت داره، فيدرك حينئذٍ ما يتركه الحجّ في النفوس من أُلفة ومحبّة ومودّة وأُخوّة صادقة. فإنّ الإسلام قد ألّف بين قلوبهم، وآخت العقيدة بين ضمائرهم، ويتجلّى الاعتصام والوحدة الإسلامية في أروع صورة، وإنّ الأُلفة التي تدوم بدوام الحياة بل وبعد الممات، هي أُلفة الدين، أُلفة العقيدة الراسخة، ولا أرسخ من عقيدة الإسلام.

﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ

---

(١) الحجّ: ٢٨.

(٢) الحجرات: ١٠.

بَيْنَهُمْ ﴾[١].

أجل، الحجّ من أركان الإسلام، وقد خصّت سورة من سور القرآن باسم الحجّ، وقد ذكر الحجّ في القرآن الكريم في عشرة مواضع، تسعة منها بلفظ (الحجّ) بفتح الحاء المهملة، وواحدة بلفظ (حجّ البيت) بكسر الحاء، وكلاهما من أصل واحد.

الحجّ ـ بالفتح ـ بمعنى قصد الزيارة، و ـ بالكسر ـ بمعنى نتيجة القصد ـ أي الزيارة المقصودة ـ.

وبعبارة أُخرى: الأوّل مصدر (حجج)، والثاني اسم المصدر.

والواجب على الناس حجّ البيت، أي الزيارة المقصودة، ولا يكفي قصد الزيارة وحسب، فالحجّ ـ بالفتح ـ مقدّمة للحجّ ـ بالكسر ـ. فإنّ النيّة والقصد القلبي مقدّمة الأعمال والأفعال والمناسك.

والحجّ في اللغة يأتي على معانٍ يمكن إرادتها في الحجّ المصطلح الذي بمعنى زيارة بيت الله الحرام، فالحجّ لغةً بمعنى:

١ ـ القصد أو كثرته إلى من يراد تعظيمه، فالناس في حجّهم بيت الله الحرام يقصدون ربّ البيت تعظيماً لشعائره، فإنّ تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب.

٢ ـ الكفّ، فالقاصد إلى الله في سفره الروحي الملكوتي عليه أن يكفّ عمّا سوى الله ويترك كلّ شيء لم يمتّ بصلة مع الله سبحانه، حتّى نفسه التي بين جنبيه، حتّى يصل إلى مقام الفناء في الله، ويمتلئ وجوده شوقاً وحبّاً وعشقاً لله عزّ وجلّ.

---

(١) الأنفال: ٦٣.

٣ ـ القدوم، فيقدم على بيت الله وبيت الناس بنيّة صادقة وإيمان وتقوى وإخلاص.

٤ ـ الغلبة بالحجّة، فمن يضع أقدامه في صراط الله المستقيم يتغلّب على النفس الأمّارة بالسوء، وعلى شياطين الجنّ والإنس، وعلى الدنيا المغرية، بحجّة دامغة وبرهان قاطع.

٥ ـ كثرة الاختلاف والتردّد على بيت الله الحرام، ليجتمع مع الناس في أيام معلومات في مؤتمر عالمي، ليستعيذ بالله من شرّ الوسواس الخنّاس، ويصل إلى المقام المحمود في مقعد صدق، عند مليكٍ مقتدر.

وخير برهان وحجّة للإسلام وأحقّيته، هي (حجّة الإسلام) الذي يجب على كلّ من استطاع إليه سبيلاً في العمر مرّة.

كما أنّ العمرة (عمرة الإسلام) هي الزيارة التي فيها عمارة الودّ والمحبّة والصفاء، وهي مقدّمة لتكميل الحجّ وكماله.

والبيت الحرام كعبة المسلمين وقبلتهم ومطافهم، قد ذكر في كتاب الله في ستّة عشر موضعاً.

في موضعين ينسب ربّنا الله البيت إلى نفسه في قوله تعالى مخاطباً إبراهيم خليله عليه السلام:

﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾[1].

ومخاطباً إيّاه مع إسماعيل ذبيح الله:

---

(١) الحجّ: ٢٦.

﴿ أنْ طَهِّرَا بَيْتِي ﴾[١].

وفي موضع ينسب إبراهيم الخليل البيت إلى ربّه، في قوله:

﴿ رَبَّنَا إنِّي أسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ ﴾[٢].

وفي ثلاث مواضع ينسب إلى الناس:

١ ـ ﴿ إنَّ أوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ ﴾[٣].

٢ ـ ﴿ جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ ﴾[٤].

٣ ـ ﴿ وَإذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأمْناً ﴾[٥].

والمثابة في اللغة بمعنى: الملجأ، المتاب، المنتبه، المرجع، المقام، المستقى، وهذه المعاني كلّها تتجلّى في الحجّ وفي البيت الحرام.

والبيت مكان الاستراحة البدنية تارةً، والروحية أُخرى، والناس في بيت الله الحرام في راحة روحية ومعنوية.

وأمّا المواضع الأُخرى، فقد ذكر البيت إشارة إلى ذلك البيت الذي هو بيت الله وبيت الناس، كما في قوله تعالى:

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيْتِ ﴾[٦].

---

(١) البقرة: ١٢٥.

(٢) إبراهيم: ٣٧.

(٣) آل عمران: ٩٦.

(٤) المائدة: ٩٧.

(٥) البقرة: ١٢٥.

(٦) قريش: ٣.

ونسبة البيت إلى الله سبحانه نسبة تشريفية.

فالروح في الحجّ في رَوح وريحان، في نهضة إنسانية وحركة بشرية وقيام أُناسي، تتطهّر من العلائق الدنيوية، فالروح في حجّها البيت المعمور، بيت الله العتيق، لتعبد ربّ البيت، وترجع إلى ربّها في حياة إنسانية ربّانية، في جمع سنوي عالمي، تقيم في كنف ربّها، لنظم أمرها الفردي والاجتماعي، السياسي والثقافي، الاقتصادي والعسكري، وتلتجئ في ملجأ صدقٍ إلهي، من أخطار الشرك والضلال والأنانية، وتستقي لظمأها، لتروي عطشها للمعارف وأسرار الكون والعلوم الإلهية، تائبةً من ذنوبها وجرمها ومعاصيها، وتنتبه من الغفلات والهفوات، إذ جعل الله البيتَ مثابةً للناس وأمناً وهدىً ورحمة وبركة.

وكما بنيت الكعبة على قوائم أربعة، فكذلك تشيّدت في كتاب الله على أُسس أربعة:

١ ـ ليشهدوا منافع لهم.

٢ ـ مثابةً للناس.

٣ ـ قياماً للناس.

٤ ـ هدىً ومباركاً.

فبعد الشهود والحضور، والمثابة بمعانيها، يقوم الناس لله، وهذه موعظة القرآن الكريم:

﴿ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ﴾[1].

أي القيام الفردي والجماعي، ويتجلّى هذا القيام الإلهي في مناسك الحجّ،

---

(١) سبأ: ٤٦.

وفيها الهداية التشريعية والتكوينية، وفيها البركات السماوية والأرضية، وفي مثل هذا المؤتمر، تظهر عزّة الإسلام وشوكة المسلمين وعظمتهم، لو رجعنا إلى أصالة الحجّ في الإسلام دين الله القويم.

الحجّ قيام الناس، للخلاص من شرّ الخنّاس الذي يوسوس في صدور الناس من الجِنّة والناس.

الحجّ خلاصة الإسلام، ومناسكه فكر وحركة ونضال وثورة وقيام للناس، لتشكيل دولة إسلامية عالمية، مثابة لهم وأمناً وهدىً ومباركاً ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله، ويتعلّموا كيف الوصول إلى الله سبحانه، وكيف الحياة وكيف الممات.

على الحاجّ أن يدرك أسرار الحجّ، ويقف على معاني الحركة والسكون في الحجّ، ويعرف حقيقة الإحرام والطواف والصلاة والسعي والوقوف في عرفة ومشعر الحرام والبيتوتة في منى ورمي الجمار والذبح والحلق والتقصير، ويصل إلى مقام العبودية والحرّية ـ عبد الله وحرّاً ممّن سواه، حرّاً من الأنانية والنفس الأمّارة والطواغيت والناس والشياطين وكلّ ما سوى الله سبحانه ـ فلا بدّ من الهجرة من غير الله إلى الله جلّ وعلا في السير إلى الله وفي حجّ بيت الله الحرام، فهلمّوا إلى حجّ يرضي الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام وصحبه الكرام.

ولا بأس أن نذكر بعض العلل والحِكَم التي جاءت في الأخبار والروايات الشريفة:

٢٣ ـ قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة:

«وفرض عليكم حجّ بيته الحرام الذي جعله قبلةً للأنام، يردونه ورود الأنعام، ويألهون الله ولوه الحمام، جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته،

وإذعانهم لعزّته، واختار من خلقه سماعاً أجابوا إليه دعوته، وصدّقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عنده موعد مغفرته، جعله سبحانه وتعالى للإسلام علماً وللعائذين حرماً...».

٢٤ ـ وعن مولانا الإمام الرضا عليه السلام كما في بحار الأنوار:

«علّة الحجّ: الوفادة إلى الله عزّ وجلّ، وطلب الزيادة والخروج من كلّ ما اقترف، وليكون تائباً ممّا مضى، مستأنفاً لما يستقبل. وما فيه من استخراج الأموال، وتعب الأبدان، وحظرها عن الشهوات واللذّات، والتقرّب في العبادة إلى الله عزّ وجلّ، والخضوع والاستكانة والذلّ، شاخصاً في الحرّ والبرد والأمن والخوف، ثابتاً في ذلك دائماً، وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع والرغبة والرهبة إلى الله عزّ وجلّ، ومنه ترك قساوة القلب وخساسة الأنفس ونسيان الذكر وانقطاع الرجاء والأمل، وتجديد الحقوق وحظر الأنفس عن الفساد ومنفعة من في المشرق والمغرب ومن في البرّ والبحر، وممّن لا يحجّ، من تاجر وجالب وبائع ومشترٍ وكاتب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها، كذلك ليشهدوا منافع لهم».

٢٥ ـ وعن الفضل بن يونس، قال: «أتى ابن أبي العوجاء ـ الزنديق ـ مولانا الإمام الصادق عليه السلام، فجلس إليه في جماعة من نظرائه، ثمّ قال له: يا أبا عبد الله، إنّ المجالس أمانات، ولا بدّ لكلّ من كان به سعال أن يسعل، فتأذن لي في الكلام؟

فقال الصادق عليه السلام: تكلّم بما شئت.

فقال ابن أبي العوجاء: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر،

وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر، من فكّر في هذا أو قدّر، علم أنّ هذا فعلٌ أسّسه غير حكيم ولا ذي نظر، فقل، فإنّك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أُسّه ونظامه؟

فقال الصادق عليه السلام: إنّ من أضلّه الله وأعمى قلبه استوخم الحقّ فلم يستعذ به، وصار الشيطان وليّه، يورده مناهل الهلكة ثمّ لا يصدره، وهذا بيت استعبد الله به خلقه، ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثّهم على تعظيمه وزيارته، وقد جعله محلّ الأنبياء وقبلة المصلّين له، فهو شعبة من رضوانه، وطريق تؤدّي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، ومجتمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام، وأحقّ من أُطيع فيما أمر وانتهى عمّا نهى عنه، وزجر الله المنشئ للأرواح والصور».

هذا وقد ذكرت معالم الحجّ وفلسفة مناسكه، كما ذكرت تاريخ مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة في كتاب سمّيته: (معالم مكّة والمدينة).

وقد ذكرت فيه حكمة الحجّ من الروايات الشريفة، وإليك إجمالها.

١ ـ الكعبة قبلة للأنام.

٢ ـ علامة لتواضع الناس لعظمته.

٣ ـ تصديق مواقف الأنبياء.

٤ ـ تشبّه بالملائكة الطائفين.

٥ ـ علم الإسلام.

٦ ـ حرم للعائذين.

٧ ـ استعبد الله به خلقه للاختبار.

٨ ـ محلّ الأنبياء.

٩ ـ شعبة من رضوان الله.

١٠ ـ طريق يؤدّي إلى غفران الله.

١١ ـ الوفادة إلى الله وطلب الزيادة.

١٢ ـ الخروج عن كلّ ما اقترف العبد من الذنوب.

١٣ ـ فيه منافع لجميع الخلق من يحجّ ومن لا يحجّ.

١٤ ـ جعل فيه الاجتماع من المشرق والمغرب.

١٥ ـ ليعرف أخبار الرسول صلى الله عليه وآله وآثاره ويذكر ولا ينسى.

١٦ ـ يعلم أهل البيت عليهم السلام ولايته.

١٧ ـ أمر الله آدم أن يحجّ ليتوب عليه.

١٨ ـ اختبار الأوّلين والآخرين.

١٩ ـ إخراجاً للتكبّر من القلوب.

٢٠ ـ قياماً للناس.

ولا بدّ من الإخلاص في كلّ نيّة وعمل، وكذلك الحجّ.

٢٦ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام:

«الحجّ حجّان: حجّ لله وحجّ للناس، فمن حجّ لله كان ثوابه على الله الجنّة، ومن حجّ للناس كان ثوابه على الناس يوم القيامة».

٢٧ ـ وعنه عليه السلام:

«من حجّ يريد الله عزّ وجلّ لا يريد به رياءً ولا سمعة، غفر الله له البتّة».

٢٨ ـ وقال عليه السلام في علامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام:

«ورأيت طلب الحجّ والجهاد لغير الله... فكن على حذر، واطلب من الله النجاة».

واعلم أنّ من تمام الحجّ معرفة الولاية ولقاء الإمام عليه السلام : ﴿ وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ للهِ ﴾[١].

٢٩ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام :

« تمام الحجّ لقاء الإمام ».

٣٠ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله : ﴿ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾[٢] : « لقاء الإمام ».

٣١ ـ وقال عليه السلام :

« إذا حجّ أحدكم فليختم حجّه بزيارتنا، لأنّ ذلك من تمام الحجّ ».

٣٢ ـ وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

« أتمّوا برسول الله صلى الله عليه وآله حجّكم إذا خرجتم إلى بيت الله، فإنّ تركه جفاء، وبذلك أُمرتم، وأتمّوا بالقبور التي ألزمكم الله عزّ وجلّ حقّها وزيارتها، واطلبوا الرزق عندها ».

٣٣ ـ وقال الإمام الباقر عليه السلام :

« إنّما أُمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها، ثمّ يأتوننا فيخبرونا بولايتهم، ويعرضوا علينا نصرهم ».

ثمّ لكلّ شيء أدب ـ والأدب بمعنى حُسن العمل وظرافته ـ وكذلك للحجّ والإحرام والحاجّ آداب وآداب.

---

(١) البقرة : ١٩٦.

(٢) الحجّ : ٢٩.

٣٤ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام :

«ما يُعبا بمن يؤمّ هذا البيت إذا لم يكن فيه ثلاث خصال : ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الصحابة لمن صحبه».

٣٥ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام :

«إذا أحرمت فعليك بتقوى الله وذكر الله كثيراً، وقلّة الكلام إلّا بخير، فإنّ من تمام الحجّ والعمرة أن يحفظ المرء في لسانه إلّا من خير، كما قال الله تعالى، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلا رَفَثَ ﴾[1]».

٣٦ ـ عن مالك بن أنس قال : حججت مع الصادق عليه السلام سنة، فلمّا استوت به راحلته عند الإحرام كان كلّما همّ بالتلبية انقطع الصوت في حلقه، وكاد أن يخرّ من راحلته، فقلت : يا بن رسول الله، ولا بدّ لك من أن تقول ؟ فقال عليه السلام :

«يا ابن أبي عامر، كيف أجسر أن أقول : لبّيك اللّهم لبّيك، وأخشى أن يقول عزّ وجلّ لي : لا لبّيك ولا سعديك» ! !

إذا كان حال الإمام المعصوم عليه السلام هكذا، فما بالنا وبال الآخرين ؟ ! !

٣٧ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام :

«إذا اكتسب الرجل مالاً من غير حلّه ثمّ حجّ فلبّى، نودي : لا لبّيك ولا سعديك، وإن كان من حِلّه فلبّى نودي : لبّيك وسعديك».

٣٨ ـ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال :

«من حجّ بمال حرام فقال : لبّيك اللهمّ لبّيك، قال الله له : لا لبّيك

---

(١) البقرة : ١٩٧.

ولا سعديك، حجّك مردود عليك».

٣٩ـ وعن مولانا الإمام الرضا عليه السلام:

«إنّما أُمروا بالإحرام ليخشعوا قبل دخولهم حرم الله وأمنه، ولئلّا يلهوا ويشتغلوا بشيء من أُمور الدنيا وزينتها ولذّاتها، ويكونو جادّين فيما هم فيه، قاصدين نحوه، مقبلين عليه بكلّيتهم».

٤٠ـ وعن مولانا الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا أردت الحجّ فجرّد قلبك لله تعالى من قبل عزمك من كلّ شاغل، وحجاب كلّ حاجب، وفوّض أُمورك كلّها إلى خالقك، وتوكّل عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكناتك، وسلّم لقضائه وحكمه وقدره، وودّع الدنيا والراحة والخلق، وأخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين، ولا تعتمد على زادك وراحلتك وأصحابك وقوّتك وشبابك ومالك، مخافة أن يصير ذلك عدوّاً ووبالاً، فإنّ من ادّعى رضا الله واعتمد على شيء صيّره عليه عدوّاً ووبالاً، ليعلم أنّه ليس له قوّة ولا حيلة ولا لأحدٍ إلّا بعصمة الله وتوفيقه، واستعدّ استعداد من لا يرجو الرجوع، وأحسن الصحبة، وراعِ أوقات فرائض الله وسنن نبيّه صلى الله عليه وآله، وما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاء وإيثار الزاد على دوام الأوقات، ثمّ اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك، والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع، وأحرم من كلّ شيء يمنعك من ذكر الله ويحجبك عن طاعته، ولبّ بمعنى إجابة صافية زاكية لله عزّ وجلّ في دعوتك له متمسّكاً بالعروة الوثقى، وطُف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت، وهرول هرولة من هواك، وتبرّياً من جميع حولك وقوّتك،

فاخرج من غفلتك وزلّاتك بخروجك إلى منى، ولا تتمنّ ما لا يحلّ لك ولا تستحقّه، واعترف بالخطايا بعرفات وجدّد عهدك عند الله بوحدانيّته، وتقرّب إلى الله ذا ثقة بمزدلفة، واصعد بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك إلى الجبل، واذبح حنجرتي الهوى والطمع عند الذبيحة، وارمِ الشهوات والخساسة والدناءة والأفعال الذميمة عند رمي الجمرات، واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق رأسك، وادخل في أمان الله وكنفه وستره وكلاءته من متابعة مرادك بدخولك الحرم، وزر البيت متحقّقاً لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه، واستلم الحجر رضاً بقسمته وخضوعاً لعزّته، وودّع ما سواه بطواف الوداع، وصَفِّ روحك وسرّك للقاء الله يوم تلقاه بوقوفك على الصفا، وكن ذا مروّة من الله تقيّاً أوصافك عند المروة، واستقم على شرط حجّك هذا ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربّك، وأوجبته إلى يوم القيامة»[1].

وأخيراً، هذا غيض من فيض في عظمة الحجّ، وناهيك بهذا الركن القويم، واللقاء العظيم، الذي يحضره المسلمون القادرون في كلّ عام، ليشهدوا منافع لهم، وليطوفوا بالبيت الحرام، وهل يخفى على أحد ما فيه الشموخ والرفعة والسموّ والعظمة؟ أفلا يتدبّرون؟

سبحانك يا ربّ العالمين، ونحمدك اللهمّ على ما أنعمت علينا بنعمة الإيمان، وإيّاك نعبد وإيّاك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، واغفر لنا يوم الدين، واحشرنا في زمرة المتّقين مع محمّد وآله الطاهرين.

---

(١) نقلنا الروايات من ميزان الحكمة، فراجع.

وحبّذا أن نطلب من الله سبحانه حجّ بيت الله الحرام.

وإليكم بداية دعاء من أدعية طلب الحجّ:

«اللهمّ ارزقني الحجّ الذي فرضته على من استطاع إليه سبيلاً، واجعل لي فيه هادياً، وإليه دليلاً، وقرّب لي بُعد المسالك، وأعنّي على تأدية المناسك...»[1].

(١) مفاتيح الجنان: ٤٦١، مناجاة طلب الحجّ.

الفرعان السابع والثامن

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ المُفْلِحُونَ ﴾[1].

وقال سبحانه:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ ﴾[2].

وقال عزّ وجلّ:

﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[3].

وقال عزّ من قائل:

﴿ وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

---

(١) آل عمران: ١٠٤.

(٢) آل عمران: ١١٠.

(٣) آل عمران: ١١٤.

عَنِ المُنكَرِ ﴾[1].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فرعان من فروع الدين الإسلامي الحنيف.

ومعنى الأوّل: هو الأمر بجميع الأعمال الصالحة والطيّبة التي طلبها الله سبحانه وتعالى من الناس المؤمنين، كالفرائض وغيرها من الواجبات الشرعية، وقيل: المعروف هو الفعل الحسن عند العقل والشرع، المشتمل على صفة راجحة تزيد حسنه وتخصّ به.

ومعنى الثاني: هو أن ينتهى عن جميع الأعمال التي نهى الله تعالى عنها، وعن جميع القبائح والمساوئ الأخلاقية وذميم الصفات.

ولا يختصّ ذلك برجال الدين وأهل العلم وحسب، بل هو واجب على كلّ مسلم ومسلمة، كلّ على حسب مقدرته وتمكّنه، إذ كما ورد في الخبر النبويّ الشريف:

١ ـ «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته».

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان واجبتان من الله عزّ وجلّ مع الإمكان، فعلى العبد أن يغيّر المنكر بقلبه ولسانه ويده، فإن لم يقدر عليه فبقلبه ولسانه، فإن لم يقدر فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان.

والله سبحانه قد جعل للفعل المعروف علامات، وعلى الفعل المنكر أمارات، ووعد على فعل المعروف حلول دار النعيم، جنّات تجري من تحتها الأنهار، وأوعد على فعل المنكر خلود دار الجحيم، إنّها لظى نزّاعةً للشوى، وهما

---

(١) التوبة: ٧١.

لا يقرّبان أجلاً، ولا يقطعان رزقاً، بل يصلحان الفرد والمجتمع، ويوجبان سعادة البشر.

وإنّما الشيطان اللعين وأعوانه وحزبه من الجنّ والإنس، يصوّرون للمسلم أنّ في الأمر بالمعروف مثلاً مخاطر وأهوال، وربما يصاب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بالمتاعب والمصائب، ولكن هيهات، فإنّ ذلك من إلقاءات الشيطان، وإيحاءات أزلامه الفَسَقَة وأعوانه الفَجَرَة، ولا بدّ من محاربتهم والجهاد ضدّهم، والتغلّب عليهم بنصرة الله جلّ وعلا، فإنّه خير ناصرٍ وخير معين.

٢ ـ وعنه صلى الله عليه وآله:

«إنّ الله عزّ وجلّ ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له».

فقيل له: وما المؤمن الذي لا دين له؟ قال:

«الذي لا ينهى عن المنكر».

فهذا وإن كان مؤمناً، إلّا أنّه إذا لم ينه عن المنكر فهو ضعيف الإيمان، بل لم يكمل في دينه، فلا دين كامل له.

٣ ـ وقال صلى الله عليه وآله:

«لا ينبغي لنفس مؤمنة ترى من يعصي الله فلا تنكر عليه».

٤ ـ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«قوام الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود».

٥ ـ وعنه عليه السلام في وصيّته لمحمّد بن الحنفيّة:

«وأمر بالمعروف تكن من أهله، فإنّ استتمام الأُمور عند الله تبارك وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

٦ ـ وعنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾[1]، قال: «من المشقّة والأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

٧ ـ وقال عليه السلام:

«الأمر بالمعروف أفضل أعمال الخلق...».

٨ ـ «وفرض الأمر بالمعروف مصلحةً للعوام...».

٩ ـ «فمن أمر بالمعروف شدّ ظهور المؤمنين...».

١٠ ـ «فرض الله... النهي عن المنكر ردعاً للسفهاء...».

١١ ـ «ومن نهى عن المنكر أرغم أُنوف الكافرين (المنافقين)».

١٢ ـ وقال عليه السلام:

«إنّما هلك من كان قبلكم بحيث ما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربّانيون والأحبار عن ذلك ـ أي العلماء ـ فإنّهما لمّا تمادوا في المعاصي نزلت بهم العقوبات».

١٣ ـ وعنه عليه السلام:

«فإنّ الله سبحانه لم يلعن القرون الماضية بين أيديكم إلّا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلعن الله السفهاء لركوب المعاصي، والحلماء لترك المناهي».

١٤ ـ وكان الإمام الحسين عليه السلام يقول:

«لا تحلّ لعينٍ مؤمنةٍ ترى الله يُعصى فتطرف حتّى يغيّره».

---

(١) لقمان: ١٧.

١٥ ـ وقال عليه السلام :

«اعتبروا أيّها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الأحبار إذ يقول : ﴿ لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ ﴾[١]، وقال : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[٢]، وإنّما عاب الله ذلك عليهم لأنّهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك، رغبةً فيما كانوا ينالون منهم، ورهبةً ممّا يحذرون، والله يقول : ﴿ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾[٣]».

١٦ ـ وقال عليه السلام :

«اعتبروا أيّها الناس بما وعظ الله به أولياءه... وقال : ﴿ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ ﴾[٤]، فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه، لعلمه بأنّها إذا أُدّيت وأُقيمت استقامت الفرائض كلّها هيّنها وصعبها، وذلك أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع ردّ المظالم ومخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها، ووضعها في حقّها».

١٧ ـ قال الإمام مولانا الباقر عليه السلام :

«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله، فمن نصرهما أعزّه الله، ومن خذلهما خذله الله عزّ وجلّ»[٥].

---

(١) المائدة : ٦٣.

(٢) المائدة : ٧٨.

(٣) المائدة : ٤٤.

(٤) التوبة : ٧١.

(٥) الخصال : ٤٢.

١٨ ـ وفي حديث له عليه السلام :

«إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة، بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحلّ المكاسب، وتردّ المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأُمراء».

الله أكبر، ما أكثر وأروع فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبهما يتحقّق الدين، وتقوم أركانه، ويسعد المجتمع، وتسود العدالة الاجتماعية، في أرجاء المعمورة، ويسلم المرء بهما في الدنيا والآخرة.

١٩ ـ قال مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

«من كنّ فيه ثلاث خصال، سلمت له الدنيا والآخرة : من أمر بالمعروف وائتمر به، ونهى عن المنكر وانتهى عنه، وحافظ حدود الله»[1].

أوَ تدري ما لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

٢٠ ـ اقرأ ما قاله النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله :

«لا يزال الناس بخيرٍ ما أمروا بمعروف ونهوا عن منكر، وتعاونوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، وسلّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء»[2].

٢١ ـ وفي نهج البلاغة، عن أمير المؤمنين عليه السلام :

«أيّها المؤمنون، إنّه من رأى عدواناً يعمل به، ومنكراً يدعى إليه، فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أُجر وهو أفضل من صاحبه، ومن

---

(١) أمالي المفيد : ٧٧.

(٢) مشكاة الأنوار : ٥١.

أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، وقام على الطريق، ونوّر في قلبه اليقين».

٢٢ ـ وفي كلام آخر له عليه السلام يجري هذا المجرى:

«... فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه، فذلك المستكمل خصال الخير. ومنهم: المنكر بلسانه وقلبه، والتارك بيده، فذلك متسمّك بخصلتين من خصال الخير ومضيّع خصلة. ومنهم: المنكر بقلبه، والتارك بيده ولسانه، فذلك الذي ضيّع أشرف الخصلتين من الثلاث، وتمسّك بواحدة. ومنهم: التارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده، فذلك ميّت الأحياء. وما أعمال البرّ كلّها، والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلّا كنفثة في بحرٍ لجّي، وإنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقرّبان من أجل، ولا ينقصان من رزق، وأفضل من ذلك كلّه، كلمة عدل عند إمام جائر».

حقّاً كلام الإمام إمام الكلام، كلامه عليه السلام فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق. فماذا يعني في قوله: «إلّا كنفثةٍ في بحرٍ لُجّي»؟ وما المقصود؟ وما الأثر في قوله: «وأفضل من ذلك كلّه كلمة عدلٍ عند إمامٍ جائر»؟ ماذا أقول أمام هذه الكلمات المشرقة، وهذه الحروف الناصعة؟ ولا غرو لو خطّت على وجنات الحور، بأقلام من نور، لما تحمل من معاني سامية بسموّ السماء، ومفاهيم عالية بعلوّ العلياء، فإنّها والله دروس قيّمة تعجّ بالحيوية والنشاط والحركة، تعلّم الأجيال في تمام العصور والأحقاب، وتبيّن وظائفهم الدينية، ومسؤولياتهم الإنسانية.

هذا، وإذا أردنا أن نقف على عظمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعلينا أن نرجع البصر كرّةً أُخرى في الآيات الكريمة، والروايات الشريفة،

لنشاهد ما يروي الظمآن ويشفي الغليل، ويسعد الإنسان في حياته.

قال الله تعالى:

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[1].

ولهما مراتب ثلاثة: باعتبار الظروف التي يعيشها الإنسان المسلم الرسالي، ولهما شروط مذكورة في الكتب الفقهية والرسائل العمليّة، فراجع.

وإنّ الأمر بالمعروف هو الحمل على الطاعة قولاً، وإرادة وقوعها من المأمور به.

والنهي عن المنكر هو المنع عن فعل المعاصي قولاً أو فعلاً أو كراهة وقوعها.

وإنّما ثبت وجوبهما نقلاً بإجماع أهل القبلة للآيات والروايات، وعقلاً لأنّهما لطف، إذ أنّهما ممّا يقرّبان إلى الطاعة، ويبعدان عن المعصية، من غير أن يبلغا حدّ الإلجاء، واللطف كما ثبت في علم الكلام واجب، على مقتضى قواعد العدل، لأنّه ممّا يحصل به الغرض ويلزم من عدم وجوبه عدم حصول الغرض، فوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عقلاً وثبت المطلوب.

ووجوبهما من الواجب الكفائي، الذي يسقط عن الآخرين بإتيان البعض، وإلّا يأثم الجميع، وإنّما وجوبهما كفائي لأنّ الغرض شرعاً، وقوع المعروف وحصوله في المجتمع، وارتفاع المنكر، إذ المجتمع بحكم السفينة، فعامل المنكر كأنّما يثقب السفينة، فمن رآه ولم يردعه ويمنعه ليرتفع المنكر، لكانت النتيجة

---

(١) لقمان: ١٧.

غرق السفينة في بحر الظلمات، ظلمات بعضها فوق بعض، من الشهوات والانحطاط الخلقي والضياع والشقاء في الدنيا والآخرة، فالمراد ارتفاع المنكر من غير اعتبار مباشر معيّن، فكلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته، فإذا حصلا ارتفع الوجوب، وهذا معنى الواجب الكفائي، كما يستحبّ الأمر بالمندوب والنهي عن المكروه.

وإنّما يجبان مع علم الآمر والناهي المعروف والمنكر شرعاً، لئلّا يأمر بمنكر أو ينهى عن معروف، ومع الأمن من الضرر وانتفاء المفسدة على المباشر أو على بعض المؤمنين نفساً أو مالاً أو عرضاً، ومع تجويز التأثير بأن لا يكون التأثير ممتنعاً، بل ممكناً بحسب ما يظهر له من حاله، وإصرار الفاعل على المنكر، وقد ذكر الفقهاء مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتبهم الفقهية من الرسائل العملية والمطوّلات الاستدلالية، جزاهم الله خير الجزاء.

أيّها القارئ الكريم، يعزّ عليَّ أن أترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا أذكر في شأنهما الشامخ بعض الروايات الشريفة، عن أهل البيت عليهم السلام، فإنّهم أدرى بما في البيت، فإليك روايات قصيرة الألفاظ كبيرة المعاني، وجيزة الحروف عظيمة المفاهيم، وأملي بك أن تمعن النظر وتتأمّل بدقّة فيها، وتحفظها وتنشرها بين الناس، لتسعد ويسعد مجتمعك، وتفوز ويفوز الناس، وتنال الثواب والأجر، ولنعم أجر العاملين، هذا وزكاة العلم نشره.

٢٣ ـ عن أحدهما عليهما السلام ـ الباقر أو الصادق ـ أنّه قال:

«لا دين لمن لا يدى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[1].

---

(١) بحار الأنوار ٩٧: ٨٦.

٢٤ ـ وعن الرسول الأعظم ﷺ :

«من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فهو خليفة الله في الأرض وخليفة رسوله»[١].

٢٥ ـ وعن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام :

«غاية الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود»[٢].

وفي القرآن الكريم :

﴿ إِنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغْيِ ﴾[٣].

٢٦ ـ وعن مولانا الصادق عليه السلام :

«إذا رأى المنكر فلم ينكره وهو يقدر عليه، فقد أحبّ أن يعصى الله، ومن أحبّ أن يعصى الله فقد بارز الله بالعداوة»[٤].

٢٧ ـ وعن أبي بصير، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ قُوا أنفُسَكُمْ وَأهْلِيكُمْ نَاراً ﴾[٥]، قلت : هذه نفسي أقيها، فكيف أقي أهلي ؟

قال : «تأمرهم بما أمر الله به، وتنهاهم عمّا نهاهم الله عنه، فإن أطاعوك كنت وقيتهم، وإن عصوك فكنت قد قضيت ما عليك»[٦].

---

(١) مستدرك الوسائل ٢ : ٣٥٨.

(٢) المصدر السابق : ٣٥٩.

(٣) النحل : ٩٠.

(٤) مستدرك الوسائل ٢ : ٢٥٧.

(٥) التحريم : ٦.

(٦) بحار الأنوار ٩٧ : ٧٤.

٢٨ ـ وعن الرسول الأكرم ﷺ :

«إذا لم يأمروا بمعروف ولم ينهوا عن منكر، ولم يتّبعوا الأخيار من أهل بيتي، سلّط الله عليهم شرارهم، فيدعو عند ذلك خيارهم، فلا يستجاب لهم»[1].

٢٩ ـ ومن وصايا أمير المؤمنين عليه السلام عند شهادته :

«لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّى عليكم شراركم ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم».

٣٠ ـ وعن الإمام جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام، قال :

«قال رسول الله ﷺ : إنّ المعصية إذا عمل بها العبد سرّاً، لم تضرّ إلّا عاملها، وإذا عمل بها علانية ولم يغير عليه، أضرّت العامّة».

٣١ ـ قال جعفر بن محمّد عليهما السلام :

«وذلك إنّه يذلّ بعمله دين الله، ويقتدي به أهل عداوة الله».

٣٢ ـ وعنه عليه السلام :

«ما أقرّ قوم بالمنكر بين أظهرهم لا يغيّرونه، إلّا أوشك أن يعمّهم الله بعقابٍ من عنده».

٣٣ ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام :

«أيّها الناس، إنّما يجمع الناس الرضى والسخط، وإنّما عَقر ناقة ثمود رجل واحد، فعمّهم الله بالعذاب لمّا عمّوه بالرضا».

٣٤ ـ وقال عليه السلام :

«من استحسن قبيحاً، كان شريكاً فيه».

---

(١) المصدر السابق : ٧٢.

٣٥ ـ أيّها المطالع الكريم، لا تكن والعياذ بالله من الذين قال الباقر عليه السلام فيهم:

«يكون في آخر الزمان قوم، يتبع فيهم قوم مراؤون، يتقرّأون ويتنسّكون، حدثاء، سفهاء، لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلّا إذا أمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير».

ولا نكون من الذين قال الله في حقّهم:

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾[1].

٣٦ ـ وأمير المؤمنين عليه السلام يقول:

«إنّي لأرفع نفسي عن أن أنهى الناس عمّا لست أنتهي عنه، أو آمرهم بما لا أسبقهم إليه بعملي».

٣٧ ـ وقال عليه السلام:

«لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل».

٣٨ ـ وقال عليه السلام:

«لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، والناهين عن المنكر العاملين به».

٣٩ ـ والإمام الباقر عليه السلام يقول:

«ولو أضرّت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها، كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها».

---

(١) البقرة: ٤٤.

٤٠ ـ وقال الرسول الأعظم ﷺ :

«غشيتكم السكرتان : سكرة حبّ العيش، وحبّ الجهل، فعند ذلك لا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر».

قال الله تعالى :

﴿ المُنَافِقُونَ وَالمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأمُرُونَ بِالمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ ﴾[1].

والواجب على كلّ واحدٍ منّا أن لا يخشى الناس في مقام النهي عن المنكر بل يخشى الله سبحانه.

قال عزّ وجلّ :

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾[2].

٤١ ـ قال رسول الله ﷺ :

«لا يحقّرن أحدكم نفسه».

قالوا : يا رسول الله، وكيف يحقّر أحدنا نفسه ؟ قال :

«يرى أنّ عليه مقالاً، ثمّ لا يقول فيه، فيقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة : ما منعك أن تقول في كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس ! فيقول : فإيّاي كنت أحقّ أن تخشى».

---

(١) التوبة : ٦٧.

(٢) آل عمران : ١٧٣.

٤٢ ـ وقال ﷺ :

« لا يمنعنّ أحدكم هيبة الناس أن يقول الحقّ إذا رآه أو سمعه ».

ويجب علينا مواجهة المعاصي ولو بوجوه مكفهرّة والإعراض عنهم.

قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[1].

٤٣ ـ قال رسول الله ﷺ :

« تقرّبوا إلى الله تعالى ببغض أهل المعاصي، والقوهم بوجوه مكفهرّة، والتمسوا رضا الله بسخطهم، وتقرّبوا إلى الله بالتباعد منهم ».

٤٤ ـ وعنه ﷺ :

« أوحى الله إلى أيّوب عليه السلام : هل تدري ما ذنبك إليَّ حين أصابك البلاء ؟ قال : لا، قال : إنّك دخلت إلى فرعون فداهنت في كلمتين ».

٤٥ ـ قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

« أمرنا رسول الله ﷺ أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة ».

٤٦ ـ وعنه عليه السلام :

« أدنى الإنكار ان تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة ».

٤٧ ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾[2]:

---

(١) الأنعام : ٦٨.

(٢) المائدة : ٧٩.

«أما إنّهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم، ولا يجلسون مجالسهم، ولكن كانوا إذا لقوهم ضحكوا في وجوههم وآنسوا بهم».

٤٨ ـ وقال عليه السلام :

«إنّ الله عزّ وجلّ بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقلبها على أهلها، فلمّا انتهيا إلى المدينة وجدا رجلاً يدعو الله ويتضرّع... فعادا إلى الله فقال : يا ربّ، إنّي انتهيت إلى المدينة فوجدت عبدك فلاناً يدعوك ويتضرّع إليك، فقال : امضِ لما أمرتك به، فإنّ ذا رجل لم يتمعّر وجهه غيظاً لي قطّ».

٤٩ ـ وعنه عليه السلام :

«لو أنّكم إذا بلغكم عن الرجل شيء تمشيّتم إليه فقلتم : يا هذا، إمّا أن تعتزلنا وتجتنبنا، وإمّا أن تكفّ عن هذا، فإن فعل، وإلّا فاجتنبوه».

٥٠ ـ وقال عليه السلام :

«لتحملنّ ذنوب سفهائكم على علمائكم... ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهونه ـ ممّا يدخل به علينا الأذى والعيب عند الناس ـ أن تأتوه فتأنبوه وتعظوه، وتقولوا له قولاً بليغاً ؟!».

فقلت له : إذا لا يقبل منّا ولا يطيعنا ؟ قال : فقال :

«فاهجروه عند ذلك واجتنبوا مجالسته»[1].

٥١ ـ هذا ولا يكون زماننا هذا كما قال الرسول الأكرم :

«كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف !... كيف بكم

---

(١) الروايات من ميزان الحكمة، فراجع.

إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً»[١].

أعاذنا الله من ذلك، وهدانا إلى سبيله القويم وصراطه المستقيم، ووفّقنا الله لإحياء أحكام الإسلام وحدوده، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، تقرّباً إلى الله تعالى، ولا نبالي من أجل دعوة الناس إلى المعروف والصلاح بالمتاعب والمشاكل، بل نقاوم حتّى السجون، ومن ثمّ التعذيب، وحتّى الشهادة والقتل في سبيل الله، وما أروع من أن يكون المسلم والمسلمة شهيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تتجلّى فيهما آيات العزّ والشرف، وتتمثّل فيهما المبادئ الإسلامية، وتتجسّد في كلّ مؤمن ومؤمنة روح الإسلام العظيم، ليكون برنامج حياة الأحرار ما قاله سيّد الشهداء مولانا الحسين عليه السلام، في أيام عاشوراء حيث يبيّن أهداف نهضته في كلمات ناصعة، في قوله:

٥٢ ـ «لم أخرج أشِراً ولا بَطِراً، ولا ظالماً ولا مفسداً، وإنّما خرجت للإصلاح في أُمّة جدّي آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر».

يا أيّها المسلمون!! بالله عليكم هل اقتدينا برسول الله صلى الله عليه وآله وعترته الأطهار عليهم السلام والسلف الصالح من آبائنا وعلمائنا الأبرار بإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بلادنا ومجتمعاتنا الإسلامية وأهلينا وأنفسنا؟!...

---

(١) الروايات وأمثالها في بحار الأنوار في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الجزء ٩٧، وفي كتاب الكافي، وكتب الحديث الأُخرى، فراجع.

الفرعان التاسع والعاشر

التولّي والتبرّي

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم ومبرم خطابه العظيم:

﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[1].

لمّا صدع النبيّ الأعظم ﷺ بتبليغ رسالته، رسالة السماء السمحاء، ونجّى العرب من جاهليّتهم الجهلاء، وأعزّ الله المسلمين في دينهم، جاؤوا النبيّ الأكرم، ليقدّموا له أجر الرسالة، وحملها الثقيل! فسرعان ما نزل الأمين جبرئيل عليه السلام بالآية الشريفة:

﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى ﴾.

ومعناها: إلّا أن تودّوني في قرابتي منكم، وتحفظوني لها.

أو معناها: إلّا أن تودّوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم.

١ ـ وورد من طرق الفريقين، عن ابن عباس، قال: «لمّا نزلت الآية

---

(١) الشورى: ٢٣.

الشريفة، قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمرتنا بمودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة وولدهما».

٢ ـ وفي حديث، قال رسول الله ﷺ:

«إنّ الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتّى، وخلقت أنا وعليّ من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعليّ فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلّق بغصنٍ من أغصانها نجا، ومن زاغ هوى، ولو أنّ عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثمّ ألف عام ثمّ ألف عام، حتّى يصير كالشنّ البالي، ثمّ لم يدرك محبّتنا، أكبّه الله على منخريه في النار، ثمّ تلا: ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾».

واقتراف الحسنة هي المودّة لآل محمّد ﷺ، كما في كثير من الروايات والتفاسير عند الفريقين ـ الشيعة والسنّة ـ فراجع.

٣ ـ وقال الرازي في تفسيره الكبير: روى الكلبي عن ابن عباس، قال: إنّ النبيّ ﷺ لمّا قدم المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس في يده سعة، فقال الأنصار، إنّ هذا الرجل قد هداكم الله على يده، وهو ابن أُختكم، وجاركم في بلدكم، فاجمعوا له طائفة من أموالكم، ففعلوا، ثمّ أتوه به فردّه عليهم، ونزل قوله تعالى: ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً ﴾، أي على الإيمان، إلّا أن تودّوا أقاربي، فحثّهم على مودّة أقاربه، ثمّ قال ـ أي الرازي ـ نقل صاحب الكشّاف[1]:

---

(١) الكشاف، للزمخشري ٤: ١٧٣.

٤ ـ عن النبيّ ﷺ، أنّه قال:

«من مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، إلّا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد ﷺ فتح له في قبره بابان إلى الجنّة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة».

٥ ـ وروى صاحب الكشّاف عن النبيّ أنّ القرابة التي وجبت مودّتهم ومحبّتهم هم: عليّ وفاطمة وابناهما.

وفي تشهّد الصلاة: من لم يصلّ عليهم لا تقبل صلاته، عند جميع المذاهب الإسلامية، وهذا يدلّ على أنّ حبّ آل محمّد واجب.

قال الشافعي إمام الشافعية:

يا آل بيت رسول الله حبّكمُ ... فرضٌ من الله في القرآن أنزلهُ
كفاكمُ من عظيم الشأن أنّكمُ ... من لم يُصلِّ عليكم لا صلاة لهُ

وقال أيضاً:

يا راكباً قف بالمحصّب من منىٰ ... واهتف بساكنِ خيفها والناهضِ
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منىٰ ... فيضاً كملتطمِ الفرات الفائضِ
إن كان رفضاً حبّ آل محمّدٍ ... فليشهد الثقلان أنّي رافضي

٦ ـ وعن النبيّ الأكرم ﷺ :

«حرمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي».

نعم، هذا غيض من فيض، وقطرة من بحار في تفسير هذه الآية الشريفة، ومثلها المئات ومئات المئات من الروايات الشريفة، عليكم بمراجعة بحار الأنوار (الأجزاء ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ فكلّها في الإمامة، ومن الجزء ١٥ إلى ٥٣ في تاريخ النبيّ محمّد ﷺ وتاريخ الأئمة الأطهار عليهم السلام)، وهذا كتاب من آلاف الكتب في هذا المضمار[1].

ولا يخفى أنّ وجوب المودّة يستلزم وجوب الطاعة، كما هو الحقّ الحقيق عند أهل التحقيق. وبهذا يفرق بين الحبّ والمودّة، فإنّ المودّة حبّ مع الطاعة، فلا يكفي حبّ أهل البيت عليهم السلام إلّا مقروناً مع الطاعة والاعتقاد بأنّهم مفروضو الطاعة.

٧ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام، قال :

«وصّى النبيّ ﷺ إلى عليّ والحسن والحسين عليهم السلام، ثمّ قال في قول الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[2]، قال : الأئمة من ولد عليّ وفاطمة إلى أن تقوم الساعة».

٨ ـ وعن مولانا أبي جعفر عليه السلام، قال :

«ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأنبياء وباب الأشياء ورضى

---

(١) واستخرجت هذه الروايات الشريفة من بحار تلك الأنوار.

(٢) النساء : ٥٩.

الرحمن: الطاعة للإمام بعد معرفته، قال: إنّ الله يقول: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ﴾[١]، أما لو أنّ رجلاً قام ليله، وصام نهاره، وتصدّق بجميع ماله، وحجّ دهره، ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالة منه إليه، ما كان له على الله حقّ في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان، ثمّ قال: أُولئك المحسن منهم يدخله الله الجنّة بفضله ورحمته»[٢].

لقد أمر الله سبحانه وتعالى ورسوله الأكرم خاتم النبيّين محمّد ﷺ بولاية أهل بيت النبوّة العترة الطاهرة، وأمر الله ورسوله بمودّتهم، واتّباع سيرتهم، والبراءة من أعدائهم ومبغضيهم ومنكري فضائلهم، أوَ ليس الدين إلّا الحبّ في الله والبغض في الله.

فالتولّي لأولياء الله، والتبرّي من أعدائهم، من الفرائض الدينية والواجبات الإلهية.

والتولّي والتبرّي، أي الحبّ والبغض، وإن كانا من أعمال القلب، لكنّه القلب سلطان البدن، والناس على دين ملوكهم، فإذا صلح القلب صلحت الجوارح والجوانح، وصلح الإنسان في سيرته وفكره وسلوكه، فإنّ السيرة تنصلح بالسريرة، فتظهر وتبرز آثار المودّة والمحبّة في سلوك الإنسان المحبّ، حتّى يتفانى من أجل أوليائه الأبرار، مطيعاً مخلصاً، فإنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع، ويضحّي بالنفس والنفيس، ويصعد المشانق والأعواد، من أجل مبادئه ومعتقدات

---

(١) النساء: ٨٠.

(٢) بحار الأنوار ٢٣: ١٩٤.

أولياء الله، وبهداهم يهتدي، وبآثارهم يقتدي، وله فيهم أُسوة حسنة وقدوة صالحة.

كما يتجلّى الغضب والعداء لأعداء الله وأعداء النبوّة والولاية، على لسانه وأعماله وأفعاله، ولا يبالي بالموت، وقع عليه أم وقع على الموت، وذلك حينما يمتلئ قلبه من بغضهم والتبرّي منهم.

فموالي أهل البيت المعصومين الأطهار عليهم السلام، لا يخالفهم في صغيرة ولاكبيرة، ويتّصف بصفات الخير والعدل، وينال الحظّ الأوفى من الكمالات النفسية، ومن الإيمان والعمل الصالح والعلم النافع، فإنّ للحب الطاهر علامات وآثار في السير والسلوك.

٩ ـ وقد قال الرسول الأكرم حبيب ربّ العالمين وسيّد الأنبياء والمرسلين محمّد صلى الله عليه وآله:

«من رزقه الله حبّ الأئمة من أهل بيتي فقد أصاب خير الدنيا والآخرة، فلا يشكّن أحد أنّه في الجنّة، فإنّ في حبّ أهل بيتي عشرون خصلة، عشر منها في الدنيا، وعشر منها في الآخرة.

أمّا التي في الدنيا: فالزهد، والحرص على العمل، والورع في الدين، والرغبة في العبادة، والتوبة قبل الموت، والنشاط في قيام الليل، والياس ممّا في أيدي الناس، والحفظ لأمر الله ونهيه عزّ وجلّ، والتاسعة: بغض الدنيا، والعاشرة: السخاء.

وأمّا التي في الآخرة: فلا ينشر له ديوان، ولا ينصب له ميزان، ويعطى كتابه بيمينه، ويكتب له براءة من النار، ويبيضّ وجهه، ويكسى من حلل الجنّة،

ويشفع في مائة من أهل بيته، وينظر الله عزّ وجلّ إليه بالرحمة، ويتوّج من تيجان الجنّة، والعاشرة: يدخل الجنّة بغير حساب.

فطوبى لمحبّي أهل بيتي»[1].

والتاسعة من القسم الأوّل بغض الدنيا، إذ أنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، وكيف المحبّ لأهل البيت يحبّ الدنيا، وكيف يخطئ فإنّ المؤمن قليل زلله، وكيف يعصي الله ورسوله وأُولي الأمر من أهل بيته، وإذا أذنب فسرعان ما يتبصّر ويستغفر ويتوب إلى بارئه، ولا يعود إليه ثانية، وهذه رشحة من رشحات المودّة، ولمعة من لمعات الولاية، وما نودي في الإسلام بمثل ما نودي بالولاية، كما ورد في الخبر الصحيح، فإنّها روح الإسلام وحقيقته، وإنّها مقرونة بالعمل، والعبادات من دونها كالجسد بلا روح، فإنّه ينتن ويتعفّن، فرائحة العبادات من دونها تؤذي المشام العرفانية، الأرواح الشفّافة الملكوتية، والقلوب الروحانية، ومن نالها يقف بوضوح على ما أقول.

١٠ ـ والولاية، إنّما هي مقرونة بالعمل، فلا ولاية بلا عمل، ولا عمل بلا ولاية، وإليك حديث باقر العلوم مولانا محمّد بن عليّ عليهما السلام، لجابر الجعفي:

«أيكتفي من انتحل التشيّع أن يقول بحبّنا أهل البيت؟ والله ما شيعتنا إلّا من اتّقى الله، وما كانوا يعرفون يا جابر إلّا بالتواضع والتخشّع وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والتعهّد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفّ الألسن عن الناس إلّا من خير، فكانوا أُمناء

---

(١) الخصال: ٥١٥.

عشائرهم في الأشياء...».

إلى أن قال عليه السلام:

«من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ، ومن كان عاصياً فهو لنا عدوّ، ولا ينال ولايتنا إلّا بالورع والعمل».

يا ترى، كيف لا نوالي أهل بيت العصمة عليهم السلام، وفي بيوتهم ـ التي أذن الله أن تُرفع ـ نزل الكتاب، وبهم عُرف الصواب، وهم ميزان الأعمال، وسادة الخلق، وأركان البلاد، وساسة العباد، وخلفاء الرسول؟

يا هذا، بالله عليك كيف نقدّم المفضول على الفاضل؟ أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أم لا يهدي إلّا أن يهدى؟

وكيف نتبع من يقول: أقيلوني أقيلوني، ومن قال: كلّ الناس أعلم منه حتّى النساء المخدّرات!! ولا نتبع من نزل في فضله ومقامه وولايته وطاعته ثلاثمائة آية، بل ثلث القرآن الكريم، كما نصّ على ذلك الفريقان ـ السنّة والشيعة ـ، ألا وهو سيّد الأوصياء، وإمام الأولياء، مولى الموحّدين أمير المؤمنين، أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، كما وردت آلاف الأخبار والأحاديث، وملئت الطوامير في فضله وفضل أولاده المعصومين الأئمة الميامين عليهم السلام، كيف والعدوّ كتم فضله حقداً، والصديق خوفاً، مع ذلك ملأت فضائله الخافقين؟ ناهيك عن حديث الثقلين المقدّس[1] وحده، وقد بلغت طرقه مائتين وخمسين طريقاً، من السنّة والشيعة من الصحاح الستّة والكتب الأربعة ومئات الأسفار والكتب.

---

(١) لقد ذكرت تفصيل ذلك سنداً ومتناً في كتاب (في رحاب حديث الثقلين)، فراجع.

١١ ـ فقد قال رسول الله ﷺ منجي عالم البشرية جمعاء:

«إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني وتحفظوني فيهما، وإنّ الله سائلي وسائلكم، فما أنتم قائلون...».

ومن هذا المنطق الربّاني نجد الرسول الأعظم ﷺ يكرّره مراراً على المسلمين، ويأمرهم بولاية أهل بيته عليهم السلام في كلّ مناسبة، طالباً من الأُمّة التمسّك بهم وبالقرآن الكريم: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ﴾[1] في اعتصامكم بحبل الله.

لقد أراد الله ورسوله للأُمّة المؤمنة والطليعة الرسالية، التمسّك بالأئمة الأطهار عليهم السلام وولاءهم والبغض من أعدائهم، وأحاديث الرسول ﷺ في أنّ الأئمة عليهم السلام اثنا عشر متواترة بشكلٍ عجيب، وهذه لا تنطبق إلّا على الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام، الثقل الثاني، الذي تركه الرسول ﷺ بين ظهراني الأُمّة، لهدايتهم ولحفظ الشريعة الإسلامية من الضياع والانعدام والانحراف عن الأُصول.

ولمّا لم يستطع أحد إنكارها، أو الخدش في سندها، لتواترها وكثرة رواتها ومخرجيها من العلماء، حاول بعض الحاقدين أن يخرج هذه الأحاديث عن مدلولها، ويتأوّل لها أُناس آخرون.

ومهما حاولوا ذلك، فإنّه يقصر العدد أو يزيد، فالخلفاء الراشدون دون

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

العدد، والأُمويون أكثر، والعباسيون أضعاف ذلك، وحاول آخرون أن يجمعوا لفيفاً من هؤلاء وهؤلاء كيما يكملوا العدد ويأتوا بالعدّة، فاضطروا إلى إدخال حكام الجور والضلال، ونبذة الكتاب في القائمة ـ كمعاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان وأبنائه ـ ومع ذلك لم يتمّ لهم العدد، ولم يستقم لهم النصاب، وفضحتهم المسمّيات، فهم أقلّ من أن يريدهم الرسول ﷺ أئمة للأُمّة، ونظراء وقرناء للقرآن الكريم، كما وأنّ هناك أحاديث صرّحت بأسماء الأئمة، لا يمكن الغمز فيها لكثرتها وثبوتها.

وقد أفرد غير واحد من الأعلام كتاباً مستقلاً جمع فيه الأحاديث الواردة عنه ﷺ في الأئمة الاثني عشر، أُنظر كتاب (كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر) تأليف الشيخ علي بن محمّد بن علي الخزّاز الرازي، وكتاب (مقتضب الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر) للشيخ أبي عبد الله أحمد بن عبد الله بن عباس، وكتاب (الاستنصار في النصّ على الأئمة الأطهار) للشيخ محمّد بن علي بن عثمان الكراجكي)[1]، وكتاب (إثبات الهداة) للشيخ الحرّ العاملي.

إنّ الإنسانية في تاريخها الطويل لم تشهد مثل أئمتنا الاثنى عشر الأطهار، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فهم مجمع الفضائل والمكارم والمثل العليا، وإذا كانت الأُمم الحيّة تعتني بحياة عظمائها وساداتها، تشيّد لهم النصب والتماثيل التذكارية، وتدرس حياتهم للأجيال، إذ ترى في ذلك دعماً

---

(١) نقلنا هذه الفقرة من كتاب (أئمتنا) للأُستاذ علي دخيّل ١ : ١٦، وإنّه كتاب قيّم.

لتمدّنها، وتحكيماً لدعوتها وقداستها، فجدير بالأُمّة الإسلامية، لا سيّما في مثل هذا العصر، عصر الصحوة الإسلامية، أن تدرس من دون تعصّب وتقليد حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وتبحث عن آثارهم وتنقّب عن أخبارهم، لتنهج مناهجهم، وتأخذ من علومهم وعملهم وسيرتهم، نموذجاً واقعياً حيّاً، يوصلها إلى ساحل السلام، وقمم الرقيّ والسعادة، ويحقّق لها الخير المنشود، ليعود لواؤها يخفق على العالم من جديد.

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

وممّا يحزّ في النفس، ويقطع أنياط القلب، أنّ بعض الأُمّة استحوذ عليهم الشيطان، وتركوا طريق أهل البيت عليهم السلام، وأخطأوا في تقديم المفضول على الفاضل، وإهمالهم عن الإقرار بإمامتهم، ظلم لهم، وغمز لحقوقهم، التي شرّعها الله والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، كما هو ظلم لأنفسهم بجحدهم الحقّ، ونكوصهم عن الطريق السوي، مع علمهم بفضلهم وجليل مقامهم الشامخ:

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ﴾[2].

هذا الحديث ذو شجون، وعلى الصدر الأوّل يقع العبء الكبير من هذه التبعية والبيعة، ولله في خلقه شؤون، ونكوصهم عن الحقّ سبب لما نشاهده اليوم من تلاعب الكافرين بمقدّرات المسلمين واستيلاء الفجّار الأجانب عليهم

---

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) النمل: ١٤.

واستعمارهم، ونهب خيراتهم المعنوية والماديّة.

فلا بدّ من إحياء الركنين الأساسيّين ـ التولّي لأولياء الله، والتبرّي من أعداء الله ـ في الأُمّة الإسلامية، ونعود بكلّ إخلاص إلى العترة الطاهرة، إلى القرآن الكريم والسنّة المحمّدية الخالصة، نرجع إلى أئمة الحقّ والهداية، فهم الطريق إلى الله سبحانه، وهم باب الله الذي منه يؤتى، بهم فتح الله وبهم يختم، وإنّما تقيّم الأعمال بولايتهم، كما ورد في ذلك الأحاديث الشريفة المتواترة والآيات الكريمة المنصوصة المحكمة، فإنّ أفضل بقاع الأرض ما بين الركن والمقام.

١٢ ـ ويقول الرسول الأكرم ﷺ:

«ولو أنّ رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة إلّا خمسين، يصوم النهار ويقوم الليل، في ذلك الموضع ـ ما بين الركن والمقام ـ ثمّ لقي الله بغير ولاية أهل البيت لم ينفعه ذلك شيئاً، ومن لم يوالِ علياً لم يشمّ رائحة الجنّة، ولم يدخلها».

١٣ ـ وقال ﷺ:

«لو أنّ رجلاً صلّى وصفّ قدميه بين الركن والمقام، ولقى الله ببغضكم أهل البيت دخل النار»[١].

١٤ ـ وقال معلّم البشرية ومنذرهم ﷺ:

«والذي بعثني بالحقّ نبيّاً، لو أنّ رجلاً لقي الله بعمل سبعين نبيّاً، ثمّ لم يأتِ بولاية وليّ الأمر من أهل بيتي، ما قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»[٢].

---

(١) أمالي الطوسي: ٧٣.

(٢) أمالي المفيد: ٧٥.

وأخيراً: قال المحقّق الفيض الكاشاني في كتابه (منهاج النجاة): (حبّ أولياء الله واجب، وكذا بغض أعداء الله والبراءة منهم ومن أئمتهم، سيّما من الذين ظلموا آل محمّد عليهم السلام حقّهم وغصبوا ميراثهم وغيّروا سنّة نبيّهم، ومن الذين نكثوا بيعة إمامهم...).

ولا بأس أن أُلفت أنظاركم إلى موضوع مهمّ، وهو: إنّ تاريخ التشيّع يرجع إلى زمان النبيّ الأكرم، فإنّه صلى الله عليه وآله في كثير من المواطن، قد ذكر أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وشيعته الكرم، وإنّهم الصفوة، وهم من أهل الجنّة، وهذا ما يذكره الفريقان السنّة والشيعة في كتبهم ـ راجع في ذلك كتاب (أصل الشيعة وأُصولها) ـ وأمّا اصطلاح السنّة والجماعة فقد ورد في لسان أتباع معاوية لأوّل مرّة.

وقد اختلف المسلمون، وانقلبوا على أعقابهم بعد رحلة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله إلى جوار ربّه، وتشعّبوا إلى ثلاث وسبعين فرقة، كما أخبر النبيّ بذلك، ثمّ الهادي المبشّر النذير والسراج المنير، أرشدنا إلى الفرقة الناجية من تلك الفرق، بمثل حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين، وحديث السفينة «مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجى، ومن تخلّف عنها غرق وهوى»[1]، ومئات الأحاديث والروايات الشريفة، كما أشاد القرآن الكريم بذلك.

ولكن نحن الإمامية الاثنى عشرية، نحكم بطهارة الفرق الإسلامية، وإن اختلفنا معهم في خصائص الأُصول والفروع، فنتعامل معهم، وجرت المناكح والمواريث بيننا وبينهم، ودوماً ندعو كلّ المسلمين إلى الوحدة الإسلامية

---

(١) ذكرت تفصيل ذلك سنداً ودلالة في (أهل البيت سفينة النجاة)، مطبوع، فراجع.

والاعتصام بحبل الله جميعاً، لا سيّما في عصرنا هذا، لما عندنا من العدوّ المشترك وهو الاستكبار العالمي بمعسكريه الغربي (أمريكا) والشرقي (روسيا) وأذنابهم وعملائهم.

إلّا أنّه هناك طوائف، نحكم عليهم بالكفر والنجاسة، وإن انتحلوا الإسلام، كالخوارج والغلاة والنواصب والمجسّمة، لأنّهم ينكرون ضرورياً من ضروريات الدين، أو نصّ على كفرهم وارتدادهم[1].

أمّا الخوارج، فكفرهم بإنكارهم جملة من الضروريات، كاستحلالهم قتل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ومن معه من المسلمين، وحكمهم بتكفيرهم بمجرّد التحكيم، فهم المارقون عن الدين.

١٥ ـ وعن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في وصفهم:

«إنّهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرامي»[2].

وأمّا الغلاة، وهم الذين تجاوزوا الحدّ في الأئمة المعصومين عليهم السلام حتّى ادّعوا فيهم الربوبية، فادّعوا أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام هذا العبد الصالح هو الصانع والخالق، فأنكروا ما علم بطلانه بالضرورة من الدين.

١٦ ـ وفي الخبر الشريف عن أبي الحسن عليه السلام، أنّه قال:

«توقّوا مساورته».

أي سؤر الغالي.

---

(١) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (زبدة الأفكار في طهارة أو نجاسة الكفّار)، مطبوع، فراجع.

(٢) جواهر الكلام ١: ١٥٩.

وأمّا النواصب، فهم الذين نصبوا عداوة عليّ عليه السلام وأولاده الطاهرين عليهم السلام وشيعتهم في قلوبهم، فهم أنجس من الكلاب، كما ورد في الأخبار الشريفة.

١٧ ـ ففي خبر أبي يعفور عن الصادق عليه السلام:

«لا يغتسل من البئر التي تجتمع فيها غسالة الحمّام، فإنّ فيها غسالة ولد الزنا، وهو لا يطهر إلى سبعة آباء، وفيها غسالة الناصب، وهو شرّهما، إنّ الله لم يخلق خلقاً شرّاً من الكلب، والناصب لنا أهون على الله من الكلب»[١].

١٨ ـ وفي خبر آخر:

«إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقاً أنجس من الكلب، وإنّ الناصب لنا أهل البيت لأنجس منه».

وأمّا المجسّمة، فهم القائلون بكون الله سبحانه جسماً كالأجسام، أو جسماً لا كالأجسام، فقالوا بجسمية الله الذي ينافي مقام واجب الوجود لذاته، ويلزمه الإمكان والاحتياج، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً[٢].

فالضابط في كفر الفرق المخالفة من المسلمين، إنكار ضروري الدين أو ما نصّ على كفرهم منها، نعم، هو لا يندرج فيه السابّ منهم للنبيّ والإمام المعصوم عليه السلام والزهراء عليها السلام، أو الهاتك لحرمة الإسلام بقول أو فعل وإن وجب

---

(١) وسائل الشيعة ١ : ١٥٩.

(٢) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (دروس اليقين في معرفة أُصول الدين)، و (عقائد المؤمنين ـ الذي بين يديك)، و (القول الحميد في شرح التجريد)، و (بداية الفكر في شرح الباب الحادي عشر).

قتله، وربما يلحق كما قيل، وكذا لا يندرج في الضابط المذكور، معتقد خلاف الحقّ من فرق المسلمين، كجاحد النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّ الأقوى طهارتهم في مثل هذه الأعصار، وإن كان عند ظهور صاحب الأمر عليه السلام يعاملهم معاملة غير ما نتعامل معهم اليوم، كما أنّ الله تعالى شأنه يعاملهم كذلك بعد مفارقة أرواحهم أبدانهم، وإنّما نحكم بطهارتهم وفاقاً للمشهور بين الأصحاب، بل لعلّه ضروريّ المذهب، للسيرة القاطعة من سائر الفرقة المحقّة، في سائر الأعصار والأمصار، وللقطع بمخالطة الأئمة الأطهار عليهم السلام وأصحابهم لهم، حتّى لرؤسائهم ومؤسّسي مذهبهم، وللعمومات وشدّة العسر والحرج على تقدير النجاسة، وللنصوص المستفيضة، بل المتواترة في حلّ ما يوجد في أسواق المسلمين والطهارة، مع القطع بندرة الإمامية في جميع الأزمنة، سيّما أزمنة صدور تلك النصوص، فضلاً عن أن يكون لهم سوق يكون مورداً لتلك الأحكام المزبورة، فهو من أقوى الأدلّة على طهارة هؤلاء.

ثمّ ورد في الأخبار الشريفة الفرق بين الإسلام والإيمان، فالإسلام هو عبارة عن الشهادتين.

١٩ ـ ففي أُصول الكافي عن سفيان بن السمط، قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن الإسلام والإيمان، ما الفرق بينهما؟ فلم يجب، ثمّ سأله فلم يجب، ثمّ التقينا في الطريق وقد أزف من الرجل الرحيل.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «كأن قد أزف منك الرحيل»؟

فقال: نعم.

فقال: «فالقني في البيت».

فلقيه فسأله عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما ؟

فقال : «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس، شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله ﷺ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصيام شهر رمضان».

وقال : «الإيمان معرفة هذا الأمر، أي ولاية أهل البيت عليهم السلام، مع هذا فإنّ أقرّ بها ولم يعرف الأمر كان مسلماً وكان ضالاً».

٢٠ ـ وفي خبر سماعة، قال : قلت لأبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام : أخبرني عن الإسلام والإيمان، أهما مختلفان ؟

فقال : «الإيمان يشارك الإسلام، والإسلام ولا يشارك الإيمان».

فقلت : فصفهما لي ؟

فقال : «الإسلام شهادة أن لا إله إلّا الله، والتصديق برسول الله، وبه حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس. والإيمان الهدى، وما ثبت في قلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل».

٢١ ـ وفي خبر حمران بن أعين، عن الباقر عليه السلام، قال : سمعته يقول :

«الإيمان ما استقرّ في القلب، وأفضى به إلى الله تعالى عزّ وجلّ، وصدق العمل بالطاعة والتسليم لأمره، والإسلام ما ظهر من قول أو فعل، وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلّها، وبه حقنت الدماء، وعليه جرت المواريث، وجاز النكاح، واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحجّ، فخرجوا بذلك من الكفر، وأُضيفوا إلى الإيمان».

إلى أن قال فيه : قلت : فهل للمؤمن على المسلم في شيء من الفضائل

والأحكام والحدود وغير ذلك ؟

فقال :

«لا، هما يجريان في ذلك مجرى واحد، ولكنّ المؤمن فضّل على المسلم في أعمالهما، وما يتقرّبان به إلى الله عزّ وجلّ».

والحديث طويل.

وخلاصة ما في الأخبار أنّ المسلم لا يخرج عن الإسلام إلى الكفر، إلّا بالجحود وإنكار الضروري، وإنّه قد يطلق الإسلام على ما يرادف الإيمان، وقد يطلق على المصدّق بغير الولاية، وعلى مجرّد إظهار الشهادتين، ويقابله الكفر في الثلاثة، كما أنّه يطلق المؤمن على الأوّل، وعلى المصدّق بالولاية، ولاية أهل البيت الأئمة الاثني عشر وإمامتهم.

هذا وجاء في (تحرير الوسيلة)[1] في أقسام النجاسات :

(العاشر منها : الكافر : وهو من انتحل غير الإسلام، أو انتحله وجحد ما يعلم من الدين ضرورة بحيث يرجع جحوده إلى إنكار الرسالة، أو تكذيب النبيّ ﷺ، أو تنقيص شريعته المطهّرة، أو صدر منه ما يقتضي كفره، من قول أو فعل من غير فرق بين المرتدّ والكافر الأصلي الحربي والذمّي، وأمّا النواصب والخوارج لعنهم الله تعالى، فهما نجسان من غير توقّف ذلك على جحودهما، الراجع إلى إنكار الرسالة، وأمّا الغالي فإن كان غلوّه مستلزماً لإنكار الألُوهيّة، أو التوحيد أو النبوّة فهو كافر، وإلّا فلا.

---

(١) تحرير الوسيلة ١ : ١٠٢.

غير الاثنى عشرية من فرق الشيعة، إذا لم يظهر منهم نصب، ومعاداة، وسبّ لسائر الأئمة الذين لا يعتقدون بإمامتهم طاهرون، وأمّا مع ظهور ذلك منهم فهم مثل سائر النواصب).

هذا وقد تعرّضت لمثل هذه المباحث، ولدراسة أُصول الدين بنحو أكثر تفصيلاً في كتاب (بداية الفكر في شرح الباب الحادي عشر) و (القول الحميد في شرح التجريد).

وأمّا في هذه الرسالة والدراسة السريعة، فأكتفي بما ذكرت، طلباً للاختصار والإيجاز.

وليعلم أنّ الولاية في الإمامة من أُصول الدين، والولاء والطاعة لمحمّد وآله الطاهرين من فروعه، فالولاية باعتبار النصب الإلهي كالنبوّة من أفعال الله، فيدخل في أُصول الدين وعلم الكلام، وباعتبار المودّة القلبيّة والطاعة يدخل في فروع الدين وإنّه من علم الفقه إذ يتعلّق بأفعال المكلّفين. وبهذا نعتقد.أنّ التولّي وإن كان من فروع الدين، ولكن باعتبار الرئاسة العامّة في الدين والدنيا وأنّ الإمامة امتداد خطّ النبوّة وأن نصب الوصيّ والوليّ بيد الله سبحانه، فإنّه يكون من أُصول الدين.

ولا بأس أن نختم هذا الفصل بدعاء عن مولانا زين العابدين وسيّد الساجدين الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام:

«اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، شجرة النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعدن العلم، وأهل بيت الوحي.

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، الفُلك الجارية في اللجج الغامرة، يأمن

من ركبها، ويغرق من تركها، المتقدّم لهم مارق، والمتأخّر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق.

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، الكهف الحصين، وغياث المضطرّ المستكين، وملجأ الهاربين، وعصمة المعتصمين.

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، صلاةً كثيرةً تكون لهم رضىً ولحقّ محمّد وآل محمّد أداءً وقضاء، بحولٍ منك وقوّة، يا ربّ العالمين.

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، الطيّبين الأبرار الأخيار، الذين أوجبت حقوقهم، وفرضت طاعتهم وولايتهم.

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، واعمر قلبي بطاعتك، ولا تخزني بمعصيتك، وارزقني مواساة من قترت عليه من رزقك بما وسعت عليّ من فضلك، ونشرت عليّ من عدلك، وأحييني تحت ظلّك...»[1].

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٥٦، من أعمال شهر شعبان المبارك.

واعلم أنّي قد ذكرت بحث الولاية بالتفصيل بذكر المئات من الآيات والأحاديث الشريفة في كتاب (هذه هي الولاية ـ المجلّد الخامس من موسوعة رسالات إسلامية ـ مطبوع)، فراجع.

خاتمة المطاف

العقيدة من العقد القلبي، فإنّه لو ربطنا وعقدنا بين المحمول والموضوع في قضيّة، كما لو قلنا: (زيد قائم) بعد علمنا بقيامه، فإنّه يسمّى بعقد العلم، ولو عقدنا العلم بالقلب فإنّه يسمّى بالإيمان وبعقد الإيمان والقلب، كما يسمّى بالعقيدة.

وأُصول الدين الإسلامي الحنيف ومفاهيمه السامية، لو عقدناها بالقلوب وذلك بالبراهين والأدلّة الفطرية والعقلية والنقلية، وآمنّا بها حقّاً، وتبلورت في سلوكنا وأفكارنا وفي كلّ أبعاد حياتنا، كما يرضي الله سبحانه، فإنّها تعني الإسلام الرسالي والعقائد الإسلامية الحقّة.

وأُصول الدين بمنزلة الجذور الأصلية لشجرة الإسلام الباسقة، التي يعمّ ظلّها الوارف تمام العالم، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

أجل، بعد أن مرّ عليك أيّها القارئ الكريم، هذا الموجز والإلمامة العجلى من أُصول الدين وفروعه المقدّسة، فالجدير أن تكون هذه الوريقات دعوة حقٍّ إلى الصراط المستقيم، والاستقامة على المبدأ القويم وإيماناً بالمعاد.

ونوراً يستضاء به، ومنهجاً ناصعاً ينتهج عليه، وطريقاً واضحاً يرتسم، وعلماً نافعاً يسار على هداه، لما فيه من الآيات الكريمة والروايات الشريفة والأدلّة العقلية، والمنطق السليم، ليعود لواء الإسلام خفّاقاً من جديد على أرجاء المعمورة، وينادى بكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، في كلّ قطرٍ من أقطار العالم، ويظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون.

اللهمّ أعنّا على أنفسنا بما تعين به الصالحين على أنفسهم، وأخرج حبّ

الدنيا من قلوبنا، كما فعلت بالصالحين، وهب لنا كمال الانقطاع إليك، وخذ بأيدينا إلى ساحل الأمن والسلام، ولما يسعدنا وأهلينا في الدارين، وجنّبنا مزالق الشيطان، ومهالك السوء، ومرابض الفتن، ودعاة الشرّ، وهاوية الانحطاط، وعسر الأُمور.

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعَادَ ﴾[1].

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ ﴾[2].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وصلّى الله على محمّد وآله، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

العبد
عادل العلوي
إيران ـ قم ـ ص ب ٣٦٣٤

---

(١) آل عمران: ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٢) البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

الفهرست

الإهداء ٣
كلمة المؤسسة ٤

خلاصة الإسلام
(٧ ـ ٢٠)

خلاصة الإسلام في أُصوله وفروعه ٩

أُصول الدين
(٢١ ـ ١٢٢)

الأصل الأوّل ـ التوحيد ٢٣
المقام الأوّل ـ أدلّة إثبات الصانع ٢٥
١ ـ دليل الإمكان (مسلك الحكماء) ٢٥
٢ ـ دليل الحدوث (مسلك المتكلّمين) ٢٦

٣ ـ دليل الحركة (مسلك الطبيعيين) ٢٧
٤ ـ دليل النظم ٢٧
٥ ـ دليل العلّة والمعلول ٢٨
المقام الثاني ـ صفات الله سبحانه وتعالى الجماليّة والجلاليّة ٣٠
الأصل الثاني ـ العدل ٣٣
الأصل الثالث ـ النبوّة ٣٩
المقام الأوّل ـ النبوّة العامّة ٤٠
شرائط النبيّ ٤١
المقام الثاني ـ النبوّة الخاصّة ٤٤
الأصل الرابع ـ الإمامة ٤٧
المقام الأوّل ـ الإمامة العامّة ٤٨
المقام الثاني ـ الإمامة الخاصّة ٥٠
الأصل الخامس ـ المعاد ٥٥
أُصول الدين في ميزان القرآن والعترة ٥٩
القرآن الكريم وعترة الرسول الأكرم ﷺ ٥٩
التوحيد ٦١
التوحيد في القرآن الكريم ٦١
التوحيد في الأحاديث ٦٢
الصفات الربوبية في القرآن الكريم ٦٧
الصفات الربوبية في الأحاديث الشريفة ٧٠
باب جوامع التوحيد ٧٤
العدل ٧٨

العدل الإلهي في القرآن الكريم ٧٨
العدل الإلهي في الأحاديث الشريفة ٨٠
النبوّة ٨٢
النبوّة العامّة في القرآن الكريم ٨٢
النبوّة الخاصّة في القرآن الكريم ٨٤
النبوّة العامّة والخاصّة في الأحاديث الشريفة ٨٨
الإمامة ٩٢
الإمامة العامّة والخاصّة في القرآن الكريم ٩٢
الإمامة العامّة والخاصّة في الأحاديث الشريفة ٩٥
المعاد ١٠٨
المعاد في القرآن الكريم ١٠٨
المعاد في الأحاديث الشريفة ١١٣
(مناجاة العارفين) ١٢١

فروع الدين
(١٢٣ ـ ٢٧٠)

الفرع الأوّل ـ الصلاة ١٢٥
فضل المصلّي ١٢٩
حدود الصلاة ١٣٧
جوامع آداب الصلاة ١٤٥
الفرع الثاني ـ الصوم ١٤٩

علّة الصيام وحكمة وجوبه ١٥٠
فضل الصائم ١٥٦
أدب الصوم ١٥٨
ميراث الصوم وآثاره ١٦٠
الفرع الثالث ـ الزكاة ١٦٣
حكمة الزكاة وعلّة وجوبها ١٧١
الفرع الرابع ـ الخمس ١٧٧
إكرام السادة الأجلّاء ١٨٧
الفرع الخامس ـ الجهاد ١٩٣
الفرع السادس ـ الحجّ ٢٠٩
الفرعان السابع والثامن ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٣١
الفرعان التاسع والعاشر ـ التولّي والتبرّي ٢٤٧
خاتمة المطاف ٢٦٧
الفهرست ٢٦٩

المؤلّف في سطور

سماحة العلّامة الأُستاذ الفقيه السيّد عادل العلوي دامت بركاته.

ولد في الكاظمية المقدّسة بين الطلوعين في السادس من شهر رمضان المبارك عام ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م، ويتّصل نسبه الشريف بالإمام السجّاد بـ ٣٨ واسطة من عبد الله الباهر ـ أخ الإمام الباقر عليه السلام وأُمّهما السيّدة فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ـ ابن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

والده العلّامة آية الله السيّد علي بن الحسين العلوي قدس سره، من علماء الكاظمية والنجف وبغداد وقم المقدّسة، دفن في المكتبة في (مسجد علوي) بقم، وله مؤلفات وخدمات اجتماعية.

تلقّىٰ دروسه في العراق في النجف الأشرف وبغداد علىٰ يد والده المرحوم وعلىٰ غيره، وفي قم المقدّسة علىٰ يد كبار المراجع العظام والعلماء الأعلام، أمثال السيّد المرعشي النجفي دام ظلّه والسيّد الگلپايگاني دام ظلّه والشيخ فاضل اللنكراني دام ظلّه والشيخ جواد التبريزي دام ظلّه وغيرهم.

يعدّ اليوم من المدرّسين في حوزة قم المقدّسة، يقوم بتدريس خارج الفقهَ والأُصول والفلسفة والكلام مضافاً إلىٰ محاضرات في التفسير والأخلاق، شهد بعض الآيات العظام باجتهاده وفضيلته وكتب رسالته (زبدة الأفكار في نجاسة أو طهارة الكفّار) التي نال عليها درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية من حوزة قم العلميّة.

وقد اشتهر بكثرة تأليفاته المتنوّعة والمفيدة، فهو يسعىٰ إلىٰ تأسيس موسوعة إسلامية كبرى بقلمه المبارك في شتّى الفنون والعلوم الإسلامية[1] في أكثر من ١٥٠ كتاب ورسالة، وقد

---

(١) طبع من هذه الموسوعة ٢٠ مجلّداً حتّى سنة ١٤٢٢، والمقصود من الرسالة ما تزيد عن عشر صفحات إلى مئة صفحة، والكتاب ما يزيد عن المئة.

طبع منها ١٠٥ ما بين كتاب ورسالة، فضلاً عن المقالات في الصحف والمجلّات.

وقد عُرف بخدماته الثقافية والاجتماعية، مثل: تأسيس مستوصف الإمام السجّاد عليه السلام الخيري، والمؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، وجماعة العلماء والخطباء في الكاظمية وبغداد، ودار المحقّقين ومكتبة الإمام الصادق عليه السلام بقم المقدّسة، ومكتبات عامّة، وتأسيس وتولية وإشراف على حسينيات كحسينية الإمامين الجوادين عليهما السلام في مشهد الإمام الرضا عليه السلام وحسينية الإمامين الكاظمين عليهما السلام، ومدرسة الإمامين الجوادين عليهما السلام العلمية بقم المقدّسة، وحسينية أهالي الكاظمية في طهران، وحسينية أُمّ البنين في قرجك، وحسينية أهالي الكاظمية في إصفهان وأهواز وكاشان، وغير ذلك.

وقد أجازه في الرواية ما يقرب من العشرين من مشايخ الرواية كالآيات العظام: السيّد النجفي والسيّد الگلپايگاني والشيخ الأراكي والشيخ اللنكراني والسيّد عبد الله الشيرازي والسيّد محمّد الشاهرودي والسيّد مفتي الشيعة والسيّد محمّد حسن اللنگرودي وغيرهم[1].

وقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنّما العلم ثلاث: آية محكمة، وسنّة قائمة، وفريضة عادلة، وما سواهن فضل)، وهذا يعني أنّ أُمّهات العلوم الإسلامية ثلاثة: العقائد (آية محكمة)، والأخلاق (سنّة قائمة)، والفقه (فريضة عادلة)، وما سواها فمن الفضيلة والزيادة.

فانطلاقاً من هذا الحديث الشريف تجد موسوعة (رسالات إسلامية) لسيّدنا الأُستاذ تنقسم إلى أربعة أقسام، فإنّه كتب في العقائد والأخلاق والفقه، والقسم الرابع في الثقافة العامّة، أمّا المطبوعات منها فهي كما يلي حسب الحروف الهجائيّة:

---

(١) اقتباس من كتاب (عظمة أمير المؤمنين علي عليه السلام) بقلم الأُستاذ فاضل الفراتي، فنشكره علىٰ ذلك، وكتاب (القصاص على ضوء القرآن والسنّة ـ المجلّد الثالث). وجاءت ترجمة المؤلف بالتفصيل بقلمه في كتاب (أوراق من العمر = من حياتي) الناشر.

موسوعة رسالات إسلامية

قسم العقائد

ت	الكتاب	صفحة	ط	السنة
١	آثار الصلوات في رحاب الروايات.	١٢٠	١	١٤٢٣
٢	الإمام الحسين في عرش الله.	٣٠٠	١	١٤٢١
٣	الإمام المهدي وطول العمر في نظرة جديدة.	١٢٨	١	١٤٢١
٤	الأنفاس القدسية في أسرار الزيارة الرضوية.	٥٨	٢	١٤٢١
٥	الأنوار القدسيّة.	٩٦	٢	١٤٢١
٦	أهل البيت سفينة النجاة.	٩٦	٢	١٤٢١
٧	البارقة الحيدرية في الأسرار العلويّة.	٣٢	٢	١٤٢١
٨	تحفة الزائرين.	٢٠٠	١.	١٤١١
٩	جلوة من ولاية أهل البيت.	٣٢	٢	١٤١٩
١٠	الحقّ والحقيقة بين الجبر والتفويض.	١٣٠	١	١٣٩٨
١١	الدرّ الثمين في عظمة أمير المؤمنين.	١٦	٢	١٤٢١
١٢	دروس اليقين في معرفة أُصول الدين.	٤٥٤	١	١٤١٤
١٣	الدرّة البهيّة في الأسرار الفاطمية.	٢٠	٢	١٤٢١
١٤	زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ.	١٦	٢	١٤٢١
١٥	السرّ في آية الاعتصام.	٧٢	٢	١٤٢١

١٦	سهام في نحر الوهابيّة.	٣٢	٢	١٤٢٣
١٧	السيف الموعود في نحر اليهود.	٦١	٢	١٤١٨
١٨	شهد الأرواح.	١٦٠	١	١٤٢٣
١٩	عصمة الحوراء زينب.	٨٠	٢	١٤٢٣
٢٠	عقائد المؤمنين.	٢٧٢	١	١٤١١
٢١	عليّ المرتضى نقطة باء البسملة.	١٢٤	٢	١٤٢١
٢٢	فاطمة الزهراء سرّ الوجود.	٩٦	٢	١٤٢٣
٢٣	فاطمة الزهراء ليلة القدر.	٣٢	٢	١٤٢١
٢٤	في رحاب حديث الثقلين.	٤٥٠	١	١٤٢٣
٢٥	في رحاب وليد الكعبة.	٦٤	٢	١٤٢٣
٢٦	القرآن الكريم في ميزان الثقلين.	١٤٤	١	١٤٢٣
٢٧	لمعة من الأفكار في الجبر والاختيار.	١٦	١	١٤٢٣
٢٨	ماذا تعرف عن الغلوّ والغلاة.	٤٨	١	١٤٢٣
٢٩	المأمول في تكريم ذرّية الرسول.	١٢٨	١	١٤٢٣
٣٠	النجوم المتناثرة.	١٩٢	١	١٤٢٣
٣١	وميض من قبسات الحقّ.	١٦	٢	١٤٢١
٣٢	الهدى والضلال في ميزان الثقلين.	٨٠	١	١٤٢٣
٣٣	هذه هي البراءة.	١٨٤	١	١٤٢٣
٣٤	هذه هي الولاية.	٤٧٠	١	١٤١٩

موسوعة رسالات إسلامية
قسم الأخلاق

ت	الكتاب	صفحة	ط	السنة
١	الإخلاص في الحجّ.	٢٤	٢	١٤٢٣
٢	أخلاق الطبيب في الإسلام.	١٧٦	١	١٤١٨
٣	إشراقات نبويّة.	٣٠	١	١٤٢١
٤	بهجة المؤمنين في زيارات الطيّبات والطيّبين.	٨٨	٢	١٤٢٣
٥	بيان المحذوف في تتمّة كتاب الأمر بالمعروف.	٧٨	١	١٤١١
٦	تحفة فدوى يا نيايش مؤمنان (فارسي).	١١٢	٢	١٤١٠
٧	تربية الأُسرة على ضوء القرآن والعترة.	٣٦٠	١	١٤٢٣
٨	التوبة والتائبون على ضوء القرآن والسنّة.	٤٠٨	١	١٤١٤
٩	حبّ الله نماذج وصور.	٨٠	٢	١٤٢١
١٠	حقيقة الأدب على ضوء المذهب.	٤٠	١	١٤٢٣
١١	حقيقة القلوب في القرآن الكريم.	٢٥٥	٢	١٤٢٣
١٢	خصائص القائد الإسلامي في القرآن الكريم.	١٢٨	٢	١٤١٨
١٣	دروس في الأخلاق.	١٢٠	١	١٤٢٣
١٤	دور الأخلاق المحمّدية في تحكيم مباني الوحدة الإسلامية.	٣٠	٢	١٤١٨
١٥	الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي.	١١٢	٢	١٤٢١
١٦	رسالتنا.	٥٤	٢	١٤١٨
١٧	رسالة في العشق.	٣٢	١	١٣٩٨

١٨	سرّ الخليقة وفلسفة الحياة.	٣٢	٢	١٤٢٣
١٩	السعيد والسعادة بين القدماء والمتأخّرين.	١٦٨	١	١٤٠٥
٢٠	السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة.	٥٦	٢	١٤٢٣
٢١	السيرة النبوية في السطور العلوية.	٤٨	٢	١٤٢١
٢٢	شهر رمضان ربيع القرآن.	٢٢	٢	١٤٢١
٢٣	الشيطان على ضوء القرآن.	٥٦	١	١٤٢٣
٢٤	طالب العلم والسيرة الأخلاقية.	١٧٦	١	١٤١٨
٢٥	على أبواب شهر رمضان المبارك.	٣٨	٢	١٤٢١
٢٦	فضيلة العلم والعلماء.	٦٤	١	١٤٢٣
٢٧	قبس من أدب الأولاد.	١٢	١	١٤٢٣
٢٨	كلمة التقوى في القرآن الكريم.	٦٤	٢	١٤٢٣
٢٩	كيف أكون موفّقاً في الحياة ؟.	٨٨	٢	١٤٢١
٣٠	محاضرات في علم الأخلاق ـ القسم الأوّل ـ	١٢	١	١٤٢٠
٣١	معالم الصديق والصداقة.	١١٢	١	١٤٢١
٣٢	مقام الأُنس بالله.	٤٠	٢	١٤٢٣
٣٣	من لطائف مناسك الحجّ والزيارة.	٣٢	١	١٤٢٣
٣٤	من وحي التربية والتعليم.	٨٠	١	١٤٢١
٣٥	مواعظ ونصائح.	٣٢	١	١٤١٨
٣٦	المؤمن مرآة المؤمن.	٤٨	٢	١٤٢٣
٣٧	النبوغ وسرّ النجاح في الحياة.	٢٢	٢	١٤٢١
٣٨	الياقوت الثمين في بيعة العاشقين.	٦٤	٢	١٤٢٣
٣٩	اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية.	١٦	١	١٤٢٣

موسوعة رسالات إسلامية
قسم الفقه

ت	الكتاب	صفحة	ط	السنة
١	احكام دين اسلام (فارسي).	١٢٨	٢	١٣٩٩
٢	التقيّة بين الأعلام.	٢١٨	٢	١٤١٧
٣	التقيّة في رحاب العلمين.	٣٧	٢	١٤١٧
٤	راهنماى قدم بقدم حجاج (فارسي).	٢٧١	٣	١٤٠١
٥	رسالة التكليف والمكلّف.	١٤٤	١	١٤٢٣
٦	زبدة الأفكار في طهارة أو نجاسة الكفّار.	٢٣٢	١	١٤١٧
٧	القصاص على ضوء القرآن والسنّة (٣ أجزاء).	١٤٩٣	١	١٤١٩
٨	القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد (جزءان).	٨٩٦	١	١٤٢٢
٩	القول المحمود في القانون والحدود.	٣٢	٢	١٤٢٢
١٠	من آفاق أوّليات أُصول الفقه (القسم الأوّل).	٤٨	١٠	١٤٢٣
١١	منهاج المؤمنين (جزءان).	٦٢٠	١	١٤٠٦
١٢				
١٣				
١٤				
١٥				
١٦				
١٧				
١٨				

موسوعة رسالات إسلامية

قسم الثقافة العامّة

ت	الكتاب	صفحة	ط	السنة
١	امام و قيام (فارسي).	٣٢	١	١٤٠٠
٢	أسئلة وأجوبة عبر شبكة الانترنيت.	٣٢	١	١٤٢٣
٣	أيّام في الثابتيّة.	٧٢	١	١٤٢٣
٤	بيوتات الكاظمية.	٢٤	٢	١٤١٩
٥	حول دائرة المعارف والموسوعة الفقهيّة.	٢٤	٢	١٤٢٣
٦	دليل السائحين إلى سورية ودمشق.	١٢٨	١	١٤١٢
٧	رفض المساومة في نشيد المقاومة.	١٤	١	١٤٢٠
٨	الروضة البهيّة في شؤون حوزة قم العلميّة.	٤٠	٢	١٤٢٣
٩	الشاكري كما عرفته.	١٢	١	١٤١٨
١٠	طلوع البدرين في ترجمة العلمين.	٤٨	١	١٤١٥
١١	عبقات الأنوار في تراجم أعلام دمشق.	١٥٢	١	١٤١٢
١٢	فقهاء الكاظمية المقدّسة (طبع في صحيفة صوت الكاظمين).	١٠٠	١	١٤١٠
١٣	فنّ الخطابة في سطور.	١٦	٢	١٤٢٣
١٤	في رحاب الحسينيات ـ القسم الأوّل.	٤٠	١	١٤١٠
١٥	في رحاب الحسينيات ـ القسم الثاني.	٦٢	١	١٤١٠
١٦	في رحاب علم الرجال.	٣٢	١	١٤١٠

١٧	قبسات من حياة سيّدنا الأُستاذ.	١٦٢	٢	١٤١١
١٨	الكوكب الدرّي في حياة السيّد العلوي.	٣٢	١	١٤٠٢
١٩	الكوكب السماوي مقدّمة ترجمة الشيخ العوامي.	٢٥	١	١٤١٩
٢٠	لماذا الشهور القمريّة ؟	١٦	١	١٤٢٢
٢١	لمحات عن الشعر والشعراء.	١٢٠	٢	١٤٢٣
٢٢	لمحة من حياة الإمام القائد.	١٥٢	١	١٤٠٠
٢٣	ماذا تعرف عن العلوم الغريبة ؟	٦٤	١	١٤٢٣
٢٤	المعالم الأثرية في الرحلة الشامية.	٩٠	١	١٤١٢
٢٥	من حياتي (أوراق من العمر).	١٠٤	١	١٤٢٢
٢٦	منهل الفوائد ـ القسم الأوّل ـ.	٣٩٢	١	١٤٢٣
٢٧	النفحات القدسية في تراجم أعلام الكاظمية.	٤٦٤	١	١٤١٩
٢٨	نسيم الأسحار في ترجمة سليل الأطهار (من حياة السيّد الخوئي).	١٢	٢	١٤٢٠
٢٩				
٣٠				
٣١				
٣٢				
٣٣				
٣٤				
٣٥				
٣٦				

المخطوطات

ت	الكتاب
١	إعراب سورة الحمد.
٢	الإسلام وعلم النفس.
٣	الأصل حبّنا أهل البيت.
٤	الأقوال المختارة في أحكام الطهارة.
٥	الآمال في القرآن الكريم.
٦	الجرائم والانحرافات الجنسيّة.
٧	الخصائص الفاطمية في رحاب الروايات.
٨	الدروس الفقهية في شرح الروضة البهيّة.
٩	السياسة أُصولها ومنهاجها.
١٠	الشعب يسأل.
١١	العقل والعقلاء.
١٢	العمرة المفردة في سطور.
١٣	القول الحميد في شرح التجريد.
١٤	أُحكام السرقة على ضوء القرآن والسنّة.
١٥	بداية الفكر في شرح الباب الحادي عشر.
١٦	تسهيل الوصول إلى شرح كفاية الأُصول.
١٧	تقريرات أُصول الجواد.
١٨	تقريرات أُصول الفاضل.
١٩	تقريرات كتاب الطهارة.
٢٠	تقريرات كتاب القضاء.

٢١	دروس الهداية في علم الدراية.
٢٢	روضة الطالب في شرح بيع المكاسب.
٢٣	زبدة الأسرار.
٢٤	سؤال وجواب (بداهة الأجوبة).
٢٥	الشهيد عقل التاريخ المفكّر.
٢٦	عزّة المسلمين في رحاب نهج البلاغة.
٢٧	غريزة الحبّ.
٢٨	فاطمة الزهراء مشكاة الأنوار.
٢٩	فنّ التأليف.
٣٠	كيف تكون مفسّراً للقرآن الكريم ؟
٣١	لباب كفاية الأُصول.
٣٢	لحظات مع شهيد الإسلام السيّد الصدر.
٣٣	لمعات من حياة السيّد عبد الله الشيرازي.
٣٤	ماذا تعرف عن علم الفلك ؟
٣٥	ما هي السياسة الإسلامية ؟
٣٦	محاضرات في علم الأخلاق ـ القسم الثاني ـ.
٣٧	مختصر دليل الحاجّ.
٣٨	معالم الحرمين مكّة ومدينة.
٣٩	مقتطفات في علم الحساب.
٤٠	مقتل الإمام الحسين عليه السلام.
٤١	ملك الله وملكوته في القرآن الكريم.
٤٢	من آفاق الحجّ والمذاهب الخمسة.
٤٣	منهل الفوائد ـ القسم الثاني ـ.

صدر من الموسوعة الكبرى
(رسالات إسلاميّة)

١ ــ المجلّد الأوّل (عقائد)
١ ــ دروس اليقين في معرفة أُصول الدين
٢ ــ المجلّد الثاني (فقه استدلالي)
٢ ــ زبدة الأفكار في طهارة أو نجاسة الكفّار
٣ ــ التقيّة بين الأعلام
٤ ــ التقيّة في رحاب العلمين (الشيخ الأنصاري والإمام الخميني)
٣ ــ المجلّد الثالث (أخلاق)
٥ ــ طالب العلم والسيرة الأخلاقيّة
٦ ــ خصائص القائد الإسلامي في القرآن الكريم
٧ ــ أخلاق الطبيب في الإسلام
٨ ــ الأخلاق المحمّديّة في تحكيم مباني الوحدة الإسلاميّة
٩ ــ رسالتنا
٤ ــ المجلّد الرابع (أخلاق)
١٠ ــ التوبة والتائبون على ضوء القرآن والسنّة
٥ ــ المجلّد الخامس (عقائد)
١١ ــ هذه هي الولاية
١٢ ــ جلوة من ولاية أهل البيت
٦ ــ المجلّد السادس (عقائد)
١٣ ــ البارقة الحيدريّة في الأسرار العلويّة
١٤ ــ وميض من قبسات الحقّ
١٥ ــ الدرّ الثمين في عظمة أمير المؤمنين
١٦ ــ عليّ المرتضى نقطة باء البسملة
١٧ ــ فاطمة الزهراء ليلة القدر
١٨ ــ الدرّة البهيّة في الأسرار الفاطميّة
١٩ ــ الإمام الحسين في عرش الله
٢٠ ــ زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ
٧ ــ المجلّد السابع (عقائد)
٢١ ــ إشراقات نبويّة
٢٢ ــ السيرة النبويّة في السطور العلويّة
٢٣ ــ الأنوار القدسيّة
٢٤ ــ أهل البيت سفينة النجاة
٢٥ ــ آثار الصلوات في رحاب الروايات

٢٦ ــ الإمام المهدي وطول العمر في نظرة جديدة
٢٧ ــ الأنفاس القدسيّة في أسرار الزيارة الرضويّة
٢٨ ــ السرّ في آية الاعتصام

٨ ــ المجلّد الثامن (فقه استدلالي) (طبع مكتبة السيّد المرعشي النجفي)
٢٩ ــ القصاص على ضوء القرآن والسنّة (الجزء الأوّل)

٩ ــ المجلّد التاسع (فقه استدلالي) (طبع مكتبة السيّد المرعشي النجفي)
٣٠ ــ القصاص على ضوء القرآن والسنّة (الجزء الثاني)

١٠ ــ المجلّد العاشر (فقه استدلالي) (طبع مكتبة السيّد المرعشي النجفي)
٣١ ــ القصاص على ضوء القرآن والسنّة (الجزء الثالث)

١١ ــ المجلّد الحادي عشر (أخلاق)
٣٢ ــ على أبواب شهر رمضان المبارك
٣٣ ــ من وحي التربية والتعليم
٣٤ ــ حبّ الله نماذج وصور
٣٥ ــ الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي
٣٦ ــ السؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة
٣٧ ــ شهر رمضان ربيع القرآن
٣٨ ــ النبوغ وسرّ النجاح في الحياة
٣٩ ــ كيف أكون موفّقاً في الحياة ؟
٤٠ ــ معالم الصديق والصداقة في رحاب الروايات

١٢ ــ المجلّد الثاني عشر (ثقافة عامّة ــ تراجم)
٤١ ــ النفحات القدسيّة في تراجم أعلام الكاظميّة
٤٢ ــ بيوتات الكاظميّة المقدّسة

١٣ ــ المجلّد الثالث عشر (أخلاق)
٤٣ ــ تربية الأُسرة على ضوء القرآن والعترة
٤٤ ــ حقيقة الأدب على ضوء المذهب
٤٥ ــ قبس من أدب الأولاد
٤٦ ــ اليقظة الإنسانيّة في المفاهيم الإسلاميّة
٤٧ ــ محاضرات في علم الأخلاق (القسم الأوّل)
٤٨ ــ دروس في الأخلاق
٤٩ ــ كلمة التقوى في القرآن الكريم

١٤ ــ المجلّد الرابع عشر (ثقافة عامّة)
٥٠ ــ منهل الفوائد في تتمّة الرافد (القسم الأوّل)
٥١ ــ ماذا تعرف عن العلوم الغريبة ؟
٥٢ ــ فنّ الخطابة في سطور

٥٣ ــ لماذا الشهور القمريّة ؟
٥٤ ــ لمحات عن الشعر والشعراء
٥٥ ــ رفض المساومة في نشيد المقاومة
٥٦ ــ حول دائرة المعارف والموسوعة الفقهيّة
١٥ ــ المجلّد الخامس عشر (فقه استدلالي) (طبع مكتبة السيّد المرعشي النجفي)
٥٧ ــ القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد (الجزء الأوّل)
١٦ ــ المجلّد السادس عشر (فقه استدلالي) (طبع مكتبة السيّد المرعشي النجفي)
٥٨ ــ القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد (الجزء الثاني)
١٧ ــ المجلّد السابع عشر (أخلاق) (طبع المؤسسة المجلّد الثامن)
٥٩ ــ فضيلة العلم والعلماء
٦٠ ــ حقيقة القلوب في القرآن الكريم
٦١ ــ الياقوت الثمين في بيعة العاشقين
٦٢ ــ المؤمن مرآة المؤمن
٦٣ ــ الإخلاص في الحجّ
٦٤ ــ مقام الأُنس بالله
٦٥ ــ الشيطان على ضوء القرآن
١٨ ــ المجلّد الثامن عشر (عقائد) (طبع المؤسسة المجلّد التاسع)
٦٦ ــ القرآن الكريم في ميزان الثقلين
٦٧ ــ في رحاب حديث الثقلين
٦٨ ــ الهدى والضلال على ضوء الثقلين
١٩ ــ المجلّد التاسع عشر (عقائد) (طبع المؤسسة المجلّد العاشر)
٦٩ ــ عقائد المؤمنين
٧٠ ــ سرّ الخليقة وفلسفة الحياة
٧١ ــ في رحاب وليد الكعبة
٧٢ ــ فاطمة الزهراء سرّ الوجود
٧٣ ــ عصمة الحوراء زينب
٧٤ ــ المأمول في تكريم ذرّية الرسول
٢٠ ــ المجلّد العشرون (عقائد) (طبع المؤسسة المجلّد الخامس عشر)
٧٥ ــ شهد الأرواح
٧٦ ــ النجوم المتناثرة
٧٧ ــ الروضة البهيّة في شؤون حوزة قم العلميّة
٧٨ ــ ماذا تعرف عن الغلوّ والغلاة ؟
٧٩ ــ لمعة من الأفكار في الجبر والاختيار
٨٠ ــ السيف الموعود في نحر اليهود
٨١ ــ سهام في نحر الوهابيّة (القسم الأوّل)

سر الخليقة

وفلسفة الحياة

السيد عادل العلوي

رسالات إسلامية

علوی، عادل. ۱۹۵۵ ـ
سرّ الخليقة وفلسفة الحياة / تأليف السيّد عادل العلوي. ـ قم : المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ۱٤۲۰ ق. = ۱۳۷۹.
۳۲ ص. ـ (موسوعة رسالات إسلامية)
ISBN 964 - 5915 - 18 - X (دوره). - ISBN 964 - 5915 - 24 - 4
فهرستنويسی بر اساس اطلاعات فيپا.
عربی.
کتابنامه به صورت زيرنويس.
۱. آفرينش ـ جنبه‌های قرآنی. ۲. خدا و انسان. ۳. عبادت (اسلام) ـ جنبه‌های قرآنی. الف. عنوان. ب. عنوان : رسالة سرّ الخليقة وفلسفة الحياة.
٤ س ۸ ع / ٤ / BP ۲۳۲ ۲۹۷ / ٤۲
کتابخانهٔ ملی ايران ۵۱۶۷ ـ ۷۹ م

موسوعة

رسالات إسلامية

***
***

رسالة
سرّ الخليقة وفلسفة الحياة
تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ۳٦۳٤
الطبعة الثانية ـ ۱٤۲۳ هجري قمري
صفّ الحروف ـ حكمت، قم
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ٤ ـ ۲٤ ـ ۵۹۱۵ ـ ۹٦٤ ISBN 964 - 5915 - 24 - 4
ای. ای. ان. ۹۷۸۹٦٤۵۹۱۵۲٤۵ EAN 9789645915245
شابك X ـ ۱۸ ـ ۵۹۱۵ ـ ۹٦٤ (دورة ۱۰۰ جلد) 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

بسم الله الرحمن الرحيم

سرّ الخليقة وفلسفة الحياة[1]

قال الله تعالى في محكم كتابه ومبرم خطابه:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً ﴾[2].

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴾[3].

مهما بلغ الإنسان في سير تقدّمه العلمي وتمدّنه الحضاري المزدهر بأحدث الصناعات والتكنولوجيا، فإنّه لا يزال يدور في فلك من المجهولات الآفاقيّة والأنفسيّة، فلو تسلّق سُلّم العلوم والفنون وسخّر الفضاء والقمر، فإنّه لا يكاد يرى نفسه إلّا في بداية الطريق، وأنّ معلوماته وما كشفه ليست إلّا كالقطرة أمام البحر الهائج من مجهولات الكون وأسراره، ولو وضع جهله تحت أقدامه لنطح رأسه السماء السابعة، ولا زالت جبال المجهولات لم تفتح قممها الشامخة التي تعلو السحاب، فإنّه ما أُوتيتم من العلم إلّا قليلاً، وفوق كلّ ذي علمٍ عليم.

---

(١) طبع في مجلة (الكوثر)، العدد الأوّل سنة ١٤١٥ هـ.

(٢) المؤمنون: ١١٥.

(٣) الأنبياء: ١٦.

ولكن مهما كان من الأمر فإنّ الإنسان خُلق مفطوراً على التفكير، وقد أودع الله سبحانه فيه حبّ الاستطلاع وكشف الحقائق وفكّ رموز أسرار الحياة، فهو بجبلته لحكمة ربانية، يمتاز بالطموح والعمل الدؤوب المتواصل، يبحث دوماً عن المجهولات الكونية، ليكشفها ويرفع القناع والستار عن حقيقتها وذاتها، فلا يفتر في طلب العلم، وإنّه يسفك المهج ويخوض اللجج من أجله.

ومن أعظم وأكبر مجهولاته، والذي ساير موكب البشرية منذ البداية وإلى يومنا هذا وغداً، هو أن يكشف سرّ الحياة وفلسفة الخلقة والهدف من هذا الكون الرحب، فما هي فلسفة الحياة ؟!

خلاصة الأقوال

مهما تعمّق الباحث عن الحقيقة في هذا السؤال الرهيب، فإنّه يرى نفسه قد انغمر في بحار متلاطمة الأمواج، بعيدة الغور والمدى، وبلا ساحل يُرتجى، ومن مثلي ـ قصير الباع قليل المتاع، وفي مثل هذه العجالة ـ من الصعب بل كاد أن يكون مستحيلاً أنّ أُوفّي وأقضي حقّ الموضوع، ولكن أوّل الغيث قطرة، وبالميسور لا يسقط المعسور، فوددت أن أذكر رؤوس أقلام في جواب هذا السؤال، عسى أن أفتح قلاع أفكار القارئ الكريم، فإنّ فيه انطوى العالم الأكبر، كما جاء في الأثر.

أتـــزعم أنّك جـــرمٌ صـــغير وفـــيك انـــطوى العـالم الأكـبرُ

فأقول مقدّمةً: إنّ الإنسان منذ أن خُلق وعرف نفسه، فإنّه يسأل عن علّة وجوده وحكمة خلقه وفلسفة حياته، ومن ثمّ ما هو الهدف والغاية من خلقة هذا الكون العظيم الدقيق بكلّ ما فيه من ذرّاته، ومن حركة الألكترون والنترون وإلى مجرّاته وحركة المجموعة الشمسيّة؟ ولماذا هذه الدنيا التي شُحنت بألوان الشقاء والعذاب والأهوال والأحداث كالزلازل والفيضانات والحروب، وكثير من الناس يشعر بالتعاسة والبؤس والحرمان؟!

قد اختلف الجواب عن ذلك، فمن كان متوغّلاً في الملاذّ والشهوات وتغلّبت عليه القوّة البهيميّة، وجذبته المادّة وزخارف العيش، يجيب عن السؤال: بأنّه

خُلقنا للأكل والشرب والتزوّد من الملذّات الدنيويّة، وأنّ السعيد من حاز على نصيب أوفر منها. فإنّهم لم يؤمنوا بالمعاد وبحياة أُخرى، كما قال الله تعالى في كتابه الكريم عن لسانهم:

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[1].

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾[2].

ومنهم من يجيب أنّه خُلقنا للشقاء، فإنّ الحياة كلّها شقاء ونصب وتعب، ومنهم من يقول: خُلِق بعضنا للسعادة والبعض الآخر للشقاء، وهذا رأي الأشاعرة. وهذا كلّه من الجهل والرجم بالغيب. وقال بعض المتكلّمين: إنّ التكليف من الله سبحانه هو وجه الحكمة الذي لأجله حسن من الله تعالى خلق العالم بما فيه من إنسان وحيوان ونبات وجماد، فالله سبحانه خلق كلّ شيء للإنسان وخلق الإنسان ليكلّفه ثم يُثيبه، فإنّ الثواب هو العطاء الاستحقاقي والنفع المستحقّ على الله تعالى على سبيل التعظيم والإجلال ولا يكون إلّا للمكلّفين، كثمرة التكليف حسب استحقاقهم ذلك. وقال بعضهم: خلق الله الخلق لأنّ الأمر أمره، والملك ملكه، ولا ينفعهم ولا يضرّهم، ولا لوجه يخرج به عن كونه عبثاً. وقال آخر: خلق الله الخلق لإظهار قدرته وقوّته، فبعض الخلق للنار، وبعض للجنّة. وذهب بعض الحكماء: إلى أنّ الخلق لا لغرض أعلى من صدوره لغرض، لما فيه من احتمال النقص لو صدر لغرض. وعند بعض الفلاسفة خلاف ذلك بأنّ الخلق لا لغرض هو الذي يدلّ على النقص.

---

(١) الجاثية: ٢٤.

(٢) محمّد: ١٢.

القول السليم

والرأي الصائب كما هو معتقد الإماميّة:

إنّما خلق الله الأشياء من أجل الإنسان:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾[1].

وخُلق الإنسان من أجل تكامله، فخلقنا لنتكامل ونتزوّد بالعلم والمعرفة والتقوى لنيل النعيم الأبدي، وليكون الإنسان خليفة الله في ظهور أسمائه الحسنى وصفاته العليا، فخلقنا من الرحمة الإلهيّة ونشأنا بالرحمة، ونرجع بالعلم والعبادة إلى رحمة الله تعالى، كما عليه الآيات الكريمة والروايات الشريفة، وزبدة المخاض أنّ فلسفة الحياة هو التكامل، وذلك بالرحمة والعلم والعبادة، فالعلم من الله في قوس نزولي، والعبادة من الإنسان في قوس صعودي، وظاهر القوس الدائري وباطنه الرحمة الرحمانيّة والرحيميّة.

توضيح ذلك: أنّ المعاني والمفاهيم على قسمين: إمّا حقيقيّة ـ كالإنسان والحيوان ـ بحيث لا يتوقّف تصوّرها وتعقّلها على معانٍ أُخرى، وإمّا إضافيّة ـ أي

---

(١) الجاثية: ١٣.

بالإضافة إلى الغير ـ فإنّ تعقّلها وتصوّرها يتوقّف على معانٍ أُخرى كالعلم والعشق، حيث العلم رابط بين العالم والمعلوم، وإنّما نتصوّر العشق بعد تصوّر العاشق والمعشوق.

والخلق مصدر من (خَلَقَ، يَخلُقُ، خَلقاً) يتوقّف تصوّره على معنى الخالق والمخلوق فهو رابط بينهما والحاصل منهما، فإذا أردنا أن نقف على سرّ الخلق والخليقة فلا بدّ أن نتصوّر سرّ الخالق وسرّ المخلوق، وبعبارة أُخرى سرّ العلّة الأُولى والمسمّى بعلّة العلل وهو واجب الوجود لذاته، وسرّ المعلول، وهو ما سوى الله سبحانه وتعالى وهو ممكن الوجود لذاته، فإنّ الله سبحانه وتعالى على حسب تعبير فلاسفة المشّاء هو علّة العلل، وما سواه المعلولات وإن كانت بعضها لبعض عللاً.

وربما يقال: إنّ الله سبحانه فوق أن يوصف بذلك، فهو خالق العلّة والمعلول فكيف يتأطّر بمخلوقه ويدخل ضمن نظام العلّة والمعلول، كما يلزم قدم العالم بقدم علّته، إذ لا انفكاك بين العلّة والمعلول، فيلزم أن يكون موجباً ويسلب منه القدرة والاختيار، وكيف يكون ذلك؟ فإنّ لازمه نفي الذات، فإنّ القدرة عينها، فلا بدّ من معرفة الخالق والمخلوق حتّى نُشرف على سرّ الخلق. وهذا يحتّم علينا أن نسلّط الأضواء على غاية خلق هذا الكون تارة من ناحية الصانع والخالق الموجد الأوّل، بأنّه لماذا خلق وصدر عنه المخلوقات بمراتبها وعدم نهايتها؟ وأُخرى نبحث من ناحية المخلوقات بأنّها لماذا صدرت عن الله سبحانه؟ وما هو السرّ وهو الحكيم العليم الخبير؟ وأنّه لم يخلق السماوات والأرض عبثاً ولا لهواً ولا لعباً، كما يحكم بذلك العقل السليم والفطرة المستقيمة، وتصرّح بذلك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

سرّ الخالق

ربما يقال لا يمكن معرفة سرّ الخالق، إذ الإنسان الممكن الفقير في وجوده وبقائه إنّما هو محاط بعلم الله وقدرته، فإنّ الله هو المحيط العليم القدير، فكيف المحاط يدرك المحيط، وكيف بالإنسان يدرك سرّ الله سبحانه في خالقيّته؟ فإنّه يستحيل ذلك.

ولكنّ الحديث ليس في ذات الله وسرّ كنهه حتّى يلزم الضلال والحيرة والكفر، لأنّا نُهينا أن نفكّر في ذات الله سبحانه، وإنّما أُمرنا أن نفكّر في صفاته وأسمائه، بل الحديث عن صفة من صفات الفعل، وهي صفة الخالقيّة، فإنّ الله هو الخالق والصانع والمصوّر الأوّل، وإليه تنتهي سلسلة العلل والمعاليل من الممكنات والمخلوقات، فربما من هذا المنطلق يمكن أن نستضيء ببصيص من نور واجب الوجود لذاته، لنعلم به من علمه السرّ في خلقه.

فلمّا كان سبحانه وتعالى هو الوجود البحت المطلق المستجمع لجميع الصفات الجماليّة والكماليّة على نحو الإطلاق وبلا نهاية، فهو العالم القادر الحيّ المطلق في علمه وقدرته وحياته، كما تدلّ على ذلك البراهين الواضحة والأدلّة الساطعة، فهو الكمال المطلق والمطلق في الكمال.

والله المطلق في صفاته الثبوتية الذاتية والفعلية سبحانه وتعالى، من كماله المطلق: أن تتجلّى صفاته في مصنوعاته ومخلوقاته، فإنّ من يُجيد هندسة الطائرة

النقّاشة إنّما تظهر جودته وكماله في هندسته، لو صنع لنا الطائرة، وفاق أقرانه في إيجادها وإتقانها وطيرانها. فلولا الصنع لما عرفنا كماله، ومن الوجدانيّات ـ والوجداني من البديهيّات ـ أنّ من يملك الصوت الجميل مثلاً، فإنّه يحاول بين الأقران والأخلّاء أن يُغرّد ويظهر صوته، فيتغنّى ويترنّم، بل حتّى لو كان وحده فإنّه يصدح ويعلو صوته، وذلك من كمال الصوت الجميل، فمقتضى الكمال وطبيعته الذاتية أن يظهر نفسه، فهو الظاهر بنفسه والمظهر لغيره كالنور. ولمّا كان الله سبحانه مطلق الكمال والكمال المطلق فمقتضى ذاته ـ ولا يعلمها إلّا هو ـ أن يتجلّى في صفاته وجماله وجلاله، فيظهر علمه وقدرته وحياته وأسمائه الحسنى في مخلوقاته ومصنوعاته، الأقرب فالأقرب، والصادر الأوّل منه الذي يحمل أسماء الله وصفاته على وجه أتمّ، وهو الإنسان الجامع والذي يعبّر عنه بالحقيقة المحمّديّة....

ورد في الحديث القدسي عن الله سبحانه: (كنت كنزاً مخفيّاً فخلقت الخلق لكي أُعرف)، فخلق ليظهر قدرته كما ورد في الحديث الشريف ـ كما سنذكره ـ فالخلق مظهر لأسماء الله وصفاته. وإنّما يقف على كُنه هذه الحقيقة وسرّها الأنبياء والأوصياء والأولياء الأمثل فالأمثل، كما جاء في زيارة الجامعة في زيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام: (السلام على حَمَلَة سرّ الله)، فأهل البيت عليهم السلام هم حملة الأسرار وهم أدرى بما في البيت، فلا نطرق باب سرّ الخالق أكثر من أن نقول ـ إن صحّ التعبير والقول ـ: إنّ الله سبحانه هو الكمال المطلق، ومن كمال كماله أن يتجلّى ويظهر في كلّ شيء كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله ومعه وبعده)، وقد ورد في دعاء سحر شهر رمضان: (اللهمّ إنّي أسألك من كمالك بأكمله وكلّ كمالك كامل، اللهمّ إنّي أسألك بكمالك كلّه)، وأنّ الله جميل ويحبّ الجمال، ومن جماله أن يظهر جماله (اللهمّ إنّي أسألك من جمالك بأجمله وكلّ جمالك جميل، اللهمّ إنّي أسألك بجمالك كلّه).

سرّ المخلوق في القرآن والسنّة

هذا وإنّما نطلق العنان في سرّ المخلوق، فإنّ الله سبحانه خلق السماوات والأرض وما بينهما من أجل الإنسان كما في قوله تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾[1].

وجاء في الحديث القدسي في خطاب الله سبحانه للإنسان: (خلقت الأشياء من أجلك، وخلقتك من أجلي).

فإنّ الله جلّ جلاله خلق الكائنات وما في الطبيعة وما وراءها من أجل الإنسان، وخلق الإنسان ذلك الكائن الذي لا يزال مجهولاً من أجله سبحانه، فهو خليفة الله في الأرض:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[2].

والقرآن الكريم الذي يهدي للتي هي أقوم يلخّص لنا سرّ الخلق وفلسفة الحياة في حقائق ثلاثة: الرحمة والعلم والعبادة.

---

(١) الجاثية: ١٣.

(٢) البقرة: ٣٠.

آية الرحمة :

قال الله تعالى :

﴿ وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[١].

آية العلم :

وقال سبحانه :

﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾[٢].

آية العبادة :

وقال جلّ جلاله :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣].

وقد ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله : ﴿ إِلّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي : إلّا ليعرفون، فإنّ العبادة لا تتمّ ولا تصحّ إلّا بعد المعرفة، فما خلق الجنّ والإنس إلّا ليعرفوه وإذا عرفوه عبدوه، فهو من باب إطلاق السبب على المسبّب.

في كتاب تحف العقول عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال : (لا يقبل عمل إلّا بمعرفة، ولا معرفة إلّا بعمل، ومن عرف دلّته معرفته على العمل، ومن لم يعرف فلا عمل).

---

(١) هود : ١١٩.

(٢) الطلاق : ١٢.

(٣) الذاريات : ٥٩.

وجاء في علل الشرائع[١]، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: خرج الحسين ابن عليّ عليهما السلام على أصحابه فقال: أيّها الناس إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه، فقال له رجل: يا بن رسول الله، بأبي أنت وأُمّي، فما معرفة الله؟ قال عليه السلام: معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته.

قال مصنّف الكتاب الشيخ الصدوق عليه الرحمة: يعني بذلك أن يعلم أهل كلّ زمان أنّ الله هو الذي لا يُخلّيهم في كلّ زمان عن إمام معصوم، فمن عبد ربّاً لم يقم لهم الحجّة، فإنّما عبد غير الله عزّ وجلّ.

وإنّ الأئمّة الأطهار ـ كما هو ثابت في محلّه ـ هم باب الله الذي منه يؤتى، ولولاهم لما عرف الله سبحانه، وإنّهم السبب المتّصل بين السماء والأرض، ووجه الله الذي يتوجّه إليه الأولياء[٢].

عن ابن عمارة عن أبيه قال: سألت الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام، فقلت له: لِمَ خلق الله الخلق؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً، ولم يتركهم سُدىً، بل خلقهم لإظهار قدرته، وليكلّفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرّة، بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد.

في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام: يقول الله تعالى: يا بن آدم لم أخلقك لأربح عليك، إنّما خلقتك لتربح عليّ، فاتّخذني بدلاً من كلّ شيء فإنّي ناصرٌ لك من

---

(١) علل الشرائع: ٩.

(٢) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (هذه هي الولاية)، فراجع.

كلّ شيء.

عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلّا لِيَعْبُدُونِ ﴾، قال: خلقهم ليأمرهم بالعبادة، قال: وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إلّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾، قال: خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم.

عن جميل بن درّاج، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، ما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلّا لِيَعْبُدُونِ ﴾، فقال: خلقهم للعبادة، قلت: خاصّة أم عامّة؟ قال: بل عامّة.

تفسير آية العبادة

جاء في تفسير الميزان[1] للعلّامة الطباطبائي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ إِلّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ اللام فيه للغرض، إذ أنّه استثناء من النفي، ولا ريب في ظهوره في أنّ للخلقة غرضاً، وأنّ الغرض العبادة، بمعنى كونهم عابدين لله، لا كونه معبوداً، فقد قال: ﴿ لِيَعْبُدُونِ ﴾ ولم يقل: (لأعبد) أو (لأكون معبوداً لهم) فالعبادة غرض لخلقة الإنسان، وكمال عائد إليه، ولو كان للعبادة غرض كالمعرفة الحاصلة بها والخلوص لله، كان هو الغرض الأقصى والعبادة غرضاً متوسّطاً ـ وربما هذا معنى قول الإمام عليه السلام: (ليعرفون) ـ.

لا يقال: كون اللام في (ليعبدون) للغرض يعارضه قوله تعالى: ﴿ لا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾، فإنّ الظاهر كون الغرض من الخلقة الاختلاف.

كما يعارض قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ ﴾[2]،

---

(١) الميزان ١٨: ٣٨٥.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

فظاهره كون الغرض من خلق كثير من الجنّ والإنس دخول جهنّم.

لأنّه يقال: أمّا الآية الأُولى فالإشارة فيها إلى الرحمة دون الاختلاف، وأمّا الثانية فاللام للغرض لكنّه غرض تبعي وبالقصد الثاني، لا كما في ﴿ لِيَعْبُدُونِ ﴾.

فإن قلت: مراد الله لا يتخلّف عن إرادته، فإذا أراد الله شيئاً أن يقول له كن فيكون، فلو كان اللام للغرض لما تخلّف الناس عن العبادة، ومن المعلوم المشاهد أنّ كثيراً من الناس لا يعبدونه تعالى، فاللام ليس للغرض.

فالجواب: إنّما يرد الإشكال لو كان اللام من الجنّ والإنس للاستغراق، فيكون تخلّف الغرض في بعض الأفراد منافياً له وتخلّفاً من الغرض، والظاهر ـ والظواهر حجّة ـ أنّ اللام فيهما للجنس دون الاستغراق ووجود العبادة في النوع في الجملة تحقّق للغرض، ولا يضرّه تخلّفه في بعض الأفراد. نعم لو ارتفعت العبادة عن جميع الأفراد كان ذلك بطلاناً للغرض، ولله سبحانه في النوع غرض، كما أنّ له في الفرد غرضاً.

وإن قيل: اللام للغرض ولكنّ المراد من العبادة العبادة التكوينية وليست التشريعية ـ التي هي عبارة عن التكاليف الشرعية التي فيها الثواب والعقاب ـ فيكون كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾[1]، فالعبادة تكوينية للجنّ والإنس كالتسبيح التكويني لكلّ شيء.

فالجواب: لو كانت تكوينيّة، فلماذا قد خصّص الله الجنّ والإنس بهما؟ كما أنّ سياقها سياق توبيخ الكفّار على ترك عبادة الله التشريعية، وتهديدهم على إنكار المعاد، وذلك يتعلّق بالعبادة التشريعية دون التكوينية.

---

(١) الإسراء: ٤٤.

فاللام في (ليعبدون) للغرض، وفي (الجنّ والإنس) للجنس، والمراد من العبادة العبادة التشريعية، بمعنى أنّ ما يأتي به العبد من الأعمال بالجوارح من قيام وركوع ونحوهما، غرض مطلوب لأجل غرض آخر، هو المثول بين يدي الله سبحانه.

فحقيقة العبادة نصب العبد نفسه في مقام الذلّة والعبودية، وتوجيه وجهه إلى مقام ربّه، وهذا هو مراد من فسّر العبادة بالمعرفة، يعني المعرفة الحاصلة بالعبادة.

فحقيقة العبادة هي الغرض الأقصى من الخِلقة، وهي أن ينقطع العبد عن نفسه وعن كلّ شيء ويذكر ربّه الغني المحض والعزيز المطلق، فيرى نفسه فقيراً مملوكاً لربّ العالمين، فيسلّم أمره إليه، فإنّه هو الضارّ وهو النافع. والإنسان لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ولا حياةً ولا نشوراً.

وأوّل العلم معرفة الجبّار، وآخر العلم تفويض الأمر إليه، فالإنسان الكامل من كان بين المعرفة والتفويض، متزيّناً بالعبادة، والدعاء روح العبادة:

﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ ﴾[1].

وعبادتكم، فإنّ الدعاء مخّ العبادة ـ كما ورد في الخبر الشريف ـ والعبادة هي غرض الفعل، أي كمال عائد إليه لا إلى الفاعل.

ويظهر من النفي والاستثناء في الآية الشريفة، الذي هو من القصر ـ كما في علم البلاغة ـ أن لا عناية لله بمن لا يعبده، كما يفيده قوله تعالى:

﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ ﴾.

وهذا يدلّ على أهمية الدعاء والعبادة. ولعلّ تقديم الجنّ على الإنس في آية

---

(١) الفرقان: ٧٧.

(ليعبدون) لسبق خلقهم على خلق الإنس، قال تعالى:

﴿ وَالجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾[١].

ثمّ قد وقع نزاع بين الأعلام في علم الكلام في معرفة الله سبحانه، بأنّها اكتسابية ونظرية، أو أنّها بديهيّة وضروريّة. والحقّ أنّها من النظريات كما عند محقّقي المتكلّمين في قولهم: إنّ النظر أوّل الواجبات على المكلّفين.

وإنّ الآيات القرآنية والروايات الشريفة تحثّ الإنسان على النظر والاستدلال والتعقّل والتفكّر والتدبّر، في المعرفة بالله تعالى وتوحيده وكمال قدرته وعلمه وغاية حكمته. قال الله تعالى:

﴿ أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾[٢].

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[٣].

فخلقنا برحمة الله للعبادة بعلم ومعرفة، وثمرة العلم العبادة:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ﴾[٤].

وإنّما الدنيا دار امتحان، والغاية منه تكميل النفوس وتقرّبها إلى بارئها، فإلى الله المنتهى، وإنّ الإنسان كادح إلى ربّه كدحاً فملاقيه، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

والمعرفة لا تكون نصيب النفوس المنافقة والمريضة الرجسة والمتلوّثة

---

(١) الحجر: ٢٧.

(٢) الأعراف: ١٨٥.

(٣) الملك: ٢.

(٤) فاطر: ٢٨.

بالذنوب والمعاصي والصفات الرذيلة، بل لا بدّ من قلب زكي نقي طاهر لا فساد فيه ولا مرض، ولا يكون ذلك إلّا بالعبادة والخضوع لله سبحانه والائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه، فبرحمة الله خلق الإنسان، ولإيصال رحمة الله ـ الرحمانيّة العامّة للمؤمنين والكفّار، والرحيميّة الخاصّة بالمحسنين ـ كلّف العباد من غير حاجة منه سبحانه في خلقهم ولا في تكليفهم ولا ليربح عليهم، وما أرسل الرسل وبعث الأنبياء وأنزل الكتب، إلّا لتعميق وترسيخ هذه المعرفة، وتركيز الحبّ الإلهي والعشق الربّاني الصمداني في النفوس الطاهرة والأرواح الزكيّة:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1].

فلا بدّ في إيمان العبد ومعرفته من إثبات (أن اعبدوا الله) ورفض (اجتنبوا الطاغوت) فعلى الإنسان أن يبذل كلّ ما في وسعه في تحصيل معرفة الله، ويبلغ الغاية التي خلق لأجلها.

وبالمعرفة يصل الإنسان الكامل إلى قاب قوسين أو أدنى، إلى جنّة عرضها السماوات والأرض:

﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

ورأس التقوى: المعرفة والعلم.

﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3].

---

(١) النحل: ٣٦.

(٢) آل عمران: ١٣٣.

(٣) البقرة: ٢٨٢.

فضل العلم والعبادة

أجل: العلم والعبادة جوهران لأجلهما خلقت السماوات والأرض وما بينهما، ولأجلهما أُنزلت الكتب من السماء وأُرسلت الرسل، فهما كلّ شيء، ولولاهما لكان الإنسان كالأنعام بل أضلّ سبيلاً، ولكان قلبه كالحجارة بل أشدّ قسوة.

فحقيق علينا وعلى كلّ إنسان فهم الحياة وكشف سرّ الخلقة، أن لا يشتغل إلّا بهما، ولا ينظر إلّا فيهما، فما سواهما لغو لا حاصل له. ولمثل هذا يقول الإمام السجّاد عليه السلام: (لو علمتم ما في طلب العلم لطلبتموه ولو بسفك المُهج وخوض اللجج) هذا في مقدار وكيفيّة السعي، وأمّا في الزمان فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: (اطلب العلم من المهد إلى اللحد) أي طيلة الحياة، وأمّا في المكان فقد قال النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: (اطلبوا العلم ولو في الصين) كناية عن البعد المكاني.

وأشرف الجوهرين: العلم، فقد جاء في الكافي[1] عن مولانا الباقر عليه السلام: (عالم ينتفع بعلمه ـ هو ينتفع من علمه كما أنّ الناس ينتفعون من علمه ـ أفضل من سبعين ألف عابد).

---

(١) الكافي ١: ٣٣.

فلا بدّ للعلم من عمل وعبادة، وهذا معنى العلم النافع والانتفاع به وأنّ ثمرة العلم العبادة، وإلّا كان العلم هو الحجاب الأكبر، ولم يزدد صاحبه من الله إلّا بُعداً ـ كما ورد في الخبر ـ فالعلم بلا عمل كليلة بلا قمر ـ كناية عن الظلام والظلمة ـ وإنّ العلم بمنزلة الشجرة اليانعة، والعمل والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها، فالشرف للشجرة، إذ هي الأصل، لكن الانتفاع بثمرتها، فلا بدّ أن يكون لنا من كلا الأمرين حظّ ونصيب ـ فمن أخذ أخذ بحظّ وافر ـ وإنّ العلم علم الدين والباقي فضل: (إنّما العلم ثلاث: آية محكمة ـ علم العقائد ـ وفريضة عادلة ـ علم الفقه ـ وسُنّة قائمة ـ علم الكلام ـ وما سواهنّ فهو فضل)[1]. فعلم الدين فريضة على كلّ مسلم ومسلمة، وبالعلم يكون الإيمان، والعبادة الصحيحة إنّما تورث في القلب صفاءً يجعله مستعدّاً لحصول نور فيه، وليس العلم بكثرة التعلّم، إنّما العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يريد الله أن يهديه[2]، ومن علم وعمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، ومن تعلّم لله وعمل لله وعلّم لله دُعي في السماوات عظيماً. وليس العلم في السماء فينزل إليكم ولا في الأرض فيخرج إليكم، إنّما العلم في قلوبكم، تخلّقوا بأخلاق الروحانيّين يظهر لكم.

إنّ تحصيل العلم مقدّم على العبادة، فإنّ من لم يعرف المعبود ولا صيغة العبادة ولا آثارها كيف وأنّى تأت له العبادة الصحيحة؟ وكيف يكون عمله صائباً؟

فثمرة العلم الطاعة والعبادة، وإنّ العلم أمام العمل، والعمل تابعه.

---

(١) لقد ذكرنا بيان هذه الرواية النبويّة في كتاب (عقائد المؤمنين)، و (دروس اليقين في معرفة أُصول الدين)، فراجع.

(٢) جاء في الخبر ذلك. البحار ١: ٢٢٥.

أقسام العبادة

اعلم أنّ العبادة في كيفيّتها على قسمين :

١ ـ العبادة الظاهرة التي هي من تقوى الجوارح والأبدان، كفعل الطاعات الظاهرة، كالصلاة والصوم والحجّ والزكاة وغير ذلك من العبادات والمعاملات، وترك المعاصي الواضحة كالزنا وشرب الخمر ونحو ذلك ممّا يوجب دخول النار.

ويسمّى العلم المتعلّق بذلك : علم الشريعة وعلم الفقه.

٢ ـ العبادة الباطنة التي هي من تقوى القلوب والأرواح، وإذا صلح القلب صلحت الجوارح، فإنّ القلب سلطان البدن، والناس على دين ملوكهم، فتقوى القلب وإصلاح السريرة والسيرة أبلغ في الوصول من العمل بالجوارح، كالتخلّق بالصفات الحميدة من الإخلاص والتوكّل على الله والصبر والشكر وغير ذلك، والتجنّب عن الملكات الرذيلة كالحسد والكبر والعجب والرياء وقول الزور والظلم.

وسمّي العلم المتعلّق بذلك علم السرّ وعلم الأخلاق.

وكلتا العبادتين فريضة على كلّ مسلم ومسلمة، لورود الأمر بهما جميعاً في الكتاب والسنّة كقوله تعالى :

﴿ وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾[١].

والتكليف بكلتيهما إنّما هو بقدر الوسع والطاقة:

﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلّا وُسْعَهَا ﴾[٢].

والقلوب أوعية، ولكن خيرها أوعاها، فلكلّ منهما درجات في الكمال والنقص وزيادة القرب من الحقّ بحسب اختلاف الناس درجاتهم في تحمّلها والعمل بها، وإنّ الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق.

ولكنّ الناس في العبادة على أقسام ثلاثة ـ كما ورد في الخبر الشريف ـ فمنهم من يعبد الله خوفاً من ناره وعذابه، وهذا مثل عمل وعبادة العبيد، ومنهم من يعبد الله طمعاً في جنّته وثوابه، وهذا مثل فعل التجّار، فعملهم إنّما هو للربح، الأكثر فالأكثر، ومن الناس وهم أولياء الله المقرّبون والخلّص من عباد الله، يعبدونه شوقاً وحبّاً وشكراً على نعمائه وآلائه، ووجدوا أنّ الله أهلاً للعبادة.

سفينة البحار[٣]، عن الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ العبادة ثلاثة: قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأُجراء، وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حبّاً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة.

وإنّ أولياء الله وأحبّاءه يحبّون عبادة الله سبحانه، حتّى أنّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة وكان قيامه في صلاته قيام العبد

---

(١) ٦ : ١٥١.

(٢) ٢ : ٢٨٢.

(٣) سفينة البحار ٦ : ٩.

الذليل بين يدي الملك الجليل.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: قليل العمل مع كثير العلم خيرٌ من كثير العمل مع قليل العلم والشكّ والشبهة.

بصائر الدرجات، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: عالم أفضل من ألف عابد ومن ألف زاهد. وقال: عالم ينتفع بعلمه أفضل من عبادة سبعين ألف عابد.

والروايات في فضل العالم على العابد كثيرة. فلا بدّ للعالم من عبادة وللعابد من علم، وإنّما يحلّق الإنسان في سماء المكارم والفضائل ويصل إلى قمّة الكمال والجمال بالعلم والعبادة.

قال الراغب في مفرداته ما ملخّصه: إنّ العبوديّة إظهار التذلّل، والعبادة أبلغ منها لأنّها غاية التذلّل، ولا يستحقّها إلّا من له غاية الأفضال وهو الله تعالى، ولهذا قال:

﴿ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾.

والعبادة ضربان:

عبادة بالتسخير ـ أي عبادة تكوينيّة ـ كسجود الحيوانات والنباتات والظلال، قال الله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾[1].

فهذا سجود تسخير، وهو الدلالة الصامتة الناطقة المنتبهة على كونها مخلوقة وأنّها خلق فاعلٍ حكيمٍ.

---

(١) الرعد: ١٥.

والضرب الثاني عبادة بالاختيار ـ عبادة تشريعيّة ـ وهي لذوي النطق، وهي المأمور بها في نحو قوله تعالى: ﴿ اُعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾.

والعبد يقال على أربعة أضرب:

الأوّل: عبد بحكم الشرع، وهو الإنسان الذي يصحّ بيعه وابتياعه نحو العبد بالعبد.

الثاني: عبد بالإيجاد، وليس ليس إلّا لله، قال تعالى:

﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ﴾[1].

الثالث: عبد بالعبادة والخدمة، والناس في هذا ضربان: عبد لله مخلصاً، كقوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾، ﴿ إِنَّ عِبَادِي ﴾، ﴿ عَبْدَنَا أَيُّوب ﴾، ﴿ عَبْداً شَكُوراً ﴾، ونحو ذلك، وعبد للدنيا وأعراضها وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها، قال النبيّ ﷺ: تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار.

وعلى هذا النحو يصحّ أن يقال: ليس كلّ إنسان عبداً لله، فإنّ العبد على هذا بمعنى العابد، لكنّ العبد أبلغ من العابد، والناس كلّهم عباد الله، بل الأشياء كلّها كذلك، لكن بعضها بالتسخير وبعضها بالاختيار. انتهى.

ثمّ كما ورد في الأخبار: أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً، وأقلّ الناس قيمة أقلّهم علماً، وقيمة كلّ امرئ ما يحسنه من العلم والمعرفة، ومن سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنّة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً به، وإنّه ليستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتّى الحوت في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وإنّ العلماء

---

(١) مريم: ٩٣.

ورثة الأنبياء، فمن أخذ منه أخذ بحظّ وافر.

قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلّا به، وأوجب العمل عليك ما أنت مسؤول عن العمل به، وألزم العلم لك ما دلّك على صلاح قلبك وأظهر لك فساده، وأحمد العلم عاقبة ما زاد في علمك العاجل، فلا تشتغلنّ بعلم ما لا يضرّك جهله، ولا تغفلنّ عن علم ما يزيد في جهلك تركه[١].

عن الصادق عليه السلام، قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله عزّ وجلّ الناس في صعيد واحد ووضعت الموازين فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء[٢].

كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا جاءه طالب علم فقال: مرحباً بوصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ يقول: إنّ طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجليه على رطب ولا يابس من الأرض إلّا سبّحت له إلى الأرضين السابعة.

فكن عالماً أو متعلّماً على سبيل النجاة، فتحضر مجالس العلماء الصالحين الأخيار الذين زهدوا في الدنيا، ومن لم يحضر فيصاب بالخذلان الإلهي: (أو لعلّك فقدّتني من مجالس العلماء فخذلتني)[٣].

جامع الأخبار، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: سيأتي زمان على الناس يفرّون من العلماء كما يفرّ الغنم من الذئب، ابتلاهم الله تعالى بثلاثة أشياء:

الأوّل: يرفع البركة من أموالهم.

---

(١) سفينة البحار ٦: ٣٤٤.

(٢) البحار ٧: ٢٢٦.

(٣) مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي.

والثاني : سلّط عليهم سلطاناً جائراً.

والثالث : يخرجون من الدنيا بلا إيمان[١].

فغاية الخلق وسرّ الحياة : العلم والعبادة المتبلورة بالرحمة الإلهية، والجنّ والإنس إنّما كلّفوا بكسب العلم والعبادة، وعلى كلّ فرد أن يكون عارفاً بالله عابداً إيّاه :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين ﴾[٢].

وأمّا الامتحان والابتلاء والبلاء الإلهي والفتن والحوادث الكونية إنّما هي ليعلم الناس أيّهم أحسن عملاً، ومن ثمّ أحسن عقلاً ومعرفة، إذ حسن العمل والعبادة بعد حسن المعرفة والعلم بعلم الله وقدرته، ونتيجة ذلك تكامل الإنسان، وبلوغ القمّة والوصول إلى الله سبحانه.

﴿ الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ ﴾[٣].

والله سبحانه إنّما يريد حسن العمل لا كثرته من دون الحسن، وحسن العمل إنّما هو بالعلم والتقوى :

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾[٤].

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ ﴾[٥].

---

(١) السفينة ٦ : ٣٤٧.

(٢) الحمد : ٣.

(٣) الملك : ٢.

(٤) الأحقاف : ١٦.

(٥) المائدة : ٢٧.

وما أروع ما يقوله صدر المتألّهين الشيرازي[١]: (فلا غاية له ـ أي لله سبحانه ـ في فعل الوجود إلّا إفاضة الخير والجود، بل ليس لجوده غاية سوى وجوده إذ هو غاية الغايات ونهاية النهايات، إليه ينتهي كلّ موجود، وبه يقضى كلّ حاجة ومقصود، إنّما الغاية في فعله لما سواه من ذوي الفقر والحاجة وأُولي المسكنة والفاقة وهو إيصال كلّ واحد إلى كماله، وإرواء كلّ وارد من مشرب جماله، إذ لم يخلق هذا الجسماني الفسيح والفلك والدوّار المسيح، إلّا لأمرٍ عظيم خطير، أعظم من هذا المحسوس الحقير).

(١) الواردات القلبية في معرفة الربوبيّة: ٥٨.

سرّ الخليقة الكمال والتكامل

فالغاية والمقصود من المخلوقات (هو إيصال كلّ واحد إلى كماله).

وقد ورد عن الإمامين الصادقين عليهما السلام:

(الكمال كلّ الكمال: التفقّه في الدين والصبر على النائبة والتقدير في المعيشة).

وهذا يعني أنّ كمال الإنسان في كلّ أبعاده، العلمي والعملي، والفردي والاجتماعي، المادّي والمعنوي، إنّما هو في حركات ثلاثة، واستفدنا الحركة من قوله عليه السلام: (الكمال كلّ الكمال)، فإنّ الكمال فيما سوى الله سبحانه لازمه الحركة، وأمّا في الله سبحانه فإنّه الثابت فلا يتّصف بالحركة والسكون، فكمال الإنسان في حركات ثلاثة:

١ ـ الحركة العلمية (التفقّه في الدين) فإنّ الفقه بمعنى الفهم وهو يرادف العلم أو يلازمه.

٢ ـ الحركة الأخلاقية (الصبر على النائبة) فإنّ أساس الأخلاقيات هو الصبر والفرد الشاخص له هو الصبر على النائبة.

٣ ـ الحركة الاقتصادية (التقدير في المعيشة) فيكون عيشه بقدر معلوم من دون إفراط وتفريط، فيراعي الجانب الاقتصادي في حياته.

زبدة الكلام :

وخلاصة الكلام يتّضح بهذا المخطّط :

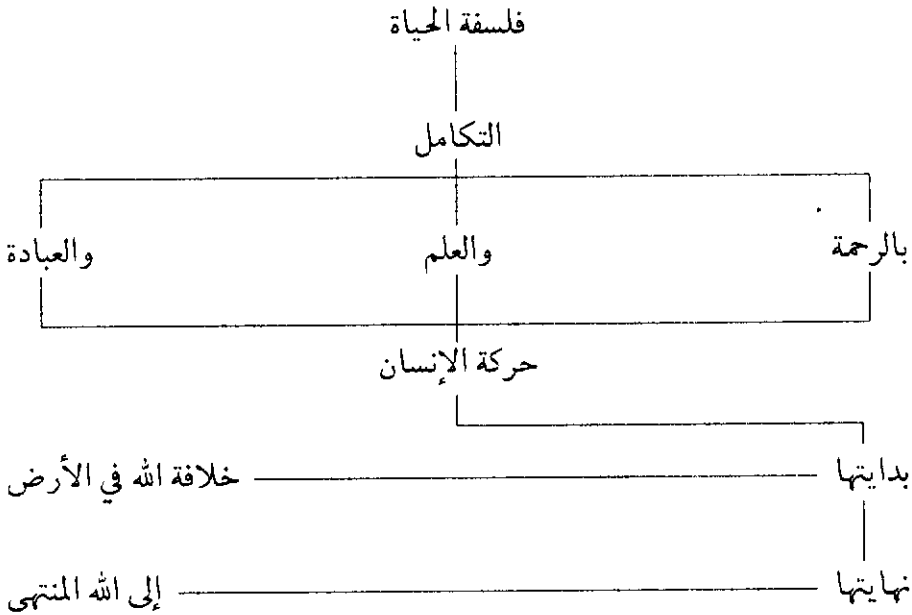

«فمن الله وإلى الله بالرحمة والعلم والعبادة»

ختامه مسك

هذا والدعاء والتوسّل بالله سبحانه وتعالى وشفاعة أوليائه الكرام البررة، له التأثير البالغ في تكامل روح الإنسان وتعاليه وبلوغ مناه، فنسأله عزّ وجلّ، بلطفه وكرمه وجوده، أن يوفّقنا لكلّ خير، ولما يحبّ ويرضى، ويسعدنا وجميع المؤمنين والمؤمنات وقرّاءنا الأعزّاء في الدارين، آمين ربّ العالمين.

(إلهي انظر إليَّ نظر من ناديته فأجابك، واستعملته بمعونتك فأطاعك، يا قريباً لا يبعد عن المغترّ به، ويا جواداً لا يبخل عمّن رجا ثوابه، إلهي هب لي قلباً يُدنيه منك شوقه، ولساناً يرفع إليك صدقه، ونظراً يُقرّبه منك حقّه، إلهي إنّ من تعرّف بك غير مجهول، ومن لاذ بك غير مخذول، ومن أقبلت عليه غير مملوك (ملول)، إلهي إنّ من انتهج بك لمستنير، وإنّ من اعتصم بك لمستجير، وقد لذتُ بك يا إلهي فلا تخيّب ظنّي من رحمتك، ولا تحجبني عن رأفتك، إلهي أقمني في أهل ولايتك مقام من رجا الزيادة من محبّتك، ألهمني ولهاً بذكرك إلى ذكرك وهمّتي في روح نجاح أسمائك ومحلّ قدسك، إلهي بك عليك إلّا ألحقتني بمحلّ أهل طاعتك والمثوى الصالح من مرضاتك، فإنّي لا أقدرُ لنفسي دفعاً، ولا أملك لها نفعاً، إلهي أنا عبدك الضعيف المذنب ومملوكك المنيب (المعيب)، فلا تجعلني ممّن صرفت عنه

وجهك، وحجبه سهوه عن عفوك، إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتّى تخرق أبصار القلوب حُجب النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدسك، إلهي واجعلني ممّن ناديته فأجابك، ولاحظته فصعق لجلالك، فناجيته سرّاً وعمل لك جهراً، إلهي لم أُسلّط على حسن ظنّي قنوط الأياس ولا انقطع رجائي من جميل كرمك، إلهي إن كانت الخطايا قد أسقطتني لديك فاصفح عنّي بحسن توكّلي عليك، إلهي إن حطّتني الذنوب من مكارم لطفك فقد نبّهني اليقين إلى كرم عطفك، إلهي إن أنامتني الغفلة عن الاستعداد للقائك فقد نبّهتني المعرفة بكرم آلائك، إلهي إن دعاني إلى النار عظيم عقابك فقد دعاني إلى الجنّة جزيل ثوابك، إلهي فلك أسأل وإليك أبتهل وأرغب، وأسألك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وأن تجعلني ممّن يديم ذكرك، ولا ينقص عهدك ولا يغفل عن شكرك، ولا يستخفّ بأمرك، إلهي وألحقني بنور عزّك الأبهج فأكون لك عارفاً، وعن سواك منحرفاً، ومنك خائفاً مترقّباً، يا ذا الجلال والإكرام، وصلّى الله على محمّد ورسوله وآله الطاهرين وسلّم تسليماً كثيراً)[1].

---

(١) من دعاء (المناجاة الشعبانيّة) في مفاتيح الجنان، وقد ذكرت بيان ذلك في كتاب (عقائد المؤمنين) و (دروس اليقين في معرفة أُصول الدين) وكتاب (التوبة والتائبون)، فراجع.

في رحاب وليد الكعبة

محاضرات إسلامية

السيد عادل العلوي

رسالات إسلامية

موسوعة
رسالات إسلامية

رسالة
في رحاب وليد الكعبة
تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
الطبعة الثانية ـ ١٤٢٣ هجري قمري
التنضيد والإخراج الكومبيوتري ـ حكمت، قم
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ٢ ـ ٧٣ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤
ISBN 964 - 5915 - 73 - 2
اى. اى. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٧٣٣
EAN 9789645915733
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)
964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

في رحاب وليد الكعبة[1]

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمّد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم.

أمّا بعد:

فاعلموا أيّها الأحبّاء الكرام أنّ العقائد تعني العلوم والمفاهيم التي تنعقد بالقلب، حتّى تكون من صميم الإنسان وواقعه، فهي بحكم المسامير في ألواح القلوب، فتحتاج دوماً إلى الدِّقّة والدَّقّة، أي يكون المعتقد دقيقاً في معتقداته، كما يدقّ على تلك المسامير دائماً حتّى لا تزول ولا تسقط عن القلب، وبهذا يحتاج الإنسان إلى الذكر والذكرى ـ والذكرى بمعنى تكرار الذِّكر ـ وإلّا فإنّ القلوب إذا تزلزلت بالشبهات والأباطيل فإنّها أوجبت سقوط عقائدها ومفاهيمها القلبيّة.

---

(١) محاضرة إسلامية ألقاها الكاتب في مسجد الإمام الرضا عليه السلام ليلة ميلاد أمير المؤمنين عليه السلام ١٣ رجب الخير سنة ١٤٢٠ هـ. ق.

ثمّ لا يخفى أنّ العلم والعصمة من المفاهيم العقائدية الهامّة في قاموس الثقافة الإسلاميّة في مذهب أهل البيت عليهم السلام.

والعلم هو الانكشاف وحصول أو حضور المعلوم لدى العالم أو انطباع صورة الشيء في الذهن، وإنّه ينقسم إلى علم حصولي وعلم حضوري، والأوّل إلى كسبي وإلهامي، والثاني إلى ذاتي ولدنّي.

فالحصولي الكسبي بحاجة إلى دراسة وتحصيل وتعليم، وإنّه في الصِّغر كالنقش على الحجر، وفي الكبر كالنقش على البحر، ومن طلب العلى والعلم سهر الليالي، وهو بمعنى حضور صورة المعلوم لدى العالم.

وبداية العلم الإلهامي إنّما هو من الرحمة الرحمانية، قد أعطاه الله لكلّ الخلق على السواء عند خلق النفوس:

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾[1].

فمن اتّقى الله فإنّه يزداد علماً:

﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ ﴾[2].

ومن هذا العلم الإلهامي ما ورد في قصّة أُمّ موسى من الوحي:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ﴾[3].

ومنه ما عند أمثال زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليّ عليها السلام كما شهد

---

(١) الشمس: ٨ ـ ٩.

(٢) البقرة: ٢٨٢.

(٣) القصص: ٧.

بحقّها الإمام زين العابدين : «أنتِ بحمد الله عالمةٌ غير معلّمة»، فعندها من العلم الإلهامي في قمّته وأعلى مراتبه، وهو برزخ بين العلم الكسبي والعلم اللدني، لا يلقاه إلّا ذو حظٍّ عظيم.

والعلم اللدنّي هو علم الأنبياء والأوصياء، فهو من العلم الحضوري، وإنّه من لدن حكيمٍ، من الله العليم جلّ جلاله، ولهذا العلم اللدنّي مراتب أيضاً، فأعلاها ما عند الأربعة عشر معصوم عليهم السلام، أي النبيّ وفاطمة الزهراء والأئمة الاثنا عشر عليهم السلام.

وأمّا العلم الذاتي فهو علم الله سبحانه وتعالى، وإنّه العلم الأزلي عين ذات الله عزّ وجلّ.

فالعلم كلّي تشكيكي له مراتب طوليّة وعرضيّة، وأُمّهات المراتب فيما سوى الله سبحانه أربع، وهي كما يلي :

١ ـ العلم بالمعنى الأعمّ : وهو العلم الكسبي لعامّة الناس على السواء.

٢ ـ العلم بالمعنى العامّ : وهو العلم الإلهامي لأمثال زينب الكبرى عليها السلام.

٣ ـ العلم بالمعنى الخاصّ : وهو علم الأنبياء وأوصيائهم، وهو من العلم اللدنّي الحضوري.

٤ ـ العلم بالمعنى الأخصّ : وإنّه يختصّ بالنبيّ وبنته فاطمة الزهراء والأئمة الاثني عشر عليهم السلام، وإنّه أوسع دائرةً من كلّ العلوم، بل ما عند غيرهم بالنسبة إليهم إنّما يكون بمثل القطرة بالنسبة إلى البحار، كما ورد في الأخبار.

ثمّ العلم الحضوري بمعنى حضور المعلوم بنفسه لدى العالم، وإنّه غير قابل للخطأ دون الحصولي، ثمّ إنّ الحضوري تشترك فيها كلّ القوى، وأمّا الحصولي

فهو بقوّة واحدة كالبصر في المرئيّات، ثمّ الأفعال منشؤها هو العلم، فلا يصدر الفعل من دون علم، والعلم من مقدّمات العمل وليس العلّة التامّة، وإذا غفلت النفس عن صورة ومفهوم المعلوم، فإنّ الفعل يتخلّف عن العلم، وهذا إنّما يصدق في العلم الحصولي دون العلم الحضوري، فمع العلم تظهر آثاره.

ثمّ من علم بقبح الذنب وكان عنده حاضراً، فإنّه يعتصم منه ويتجنّبه، كما هو واضح.

والعصمة لغةً: بمعنى المنع، واصطلاحاً: عبارة عن ملكة قدسيّة راسخة في الإنسان، تمنعه من الذنوب والمعاصي، ولها مراتب، فإنّها من الكلّي التشكيكي أيضاً، وإنّها تابعة للعلم، فإنّ سبب العصمة ومنع النفس عن الآثام والمعاصي هو العلم، وكلّما ازداد الإنسان علماً ازدادت العصمة. وإنّ القرآن الكريم يصرّح في آياته الشريفة أنّ سبب عصمة الأنبياء والأوصياء هو ما أعطاهم من العلم اللدنّي.

والعصمة تارة تكون مطلقة وهي ما عند الأنبياء وأوصيائهم، وأُخرى تكون نسبيّة وهي الموجودة عند الناس، واختلافهما في سعة الدائرة وضيقها.

وأُمّهات درجات العصمة أربع:

١ ـ العصمة بالمعنى الأعمّ:

وهي تعني التقوى بالمعنى الأعمّ، أي إتيان الواجبات وترك المحرّمات، أو بعبارة أُخرى العدالة التي تشترط في إمام الجماعة، فإمام الجماعة يكون معصوماً ولو في الظاهر بهذا المقدار، وكلّ مسلم ومؤمن لا بدّ ان يكون عادلاً في حياته

وهذه العصمة من مظاهر عصمة الله سبحانه، فكما كونه لا يفعل القبائح ولا يريدها لاستحالة ذلك عليه، وهذا لا ينافي كونه مختاراً، كذلك العصمة في الأنبياء لا تتنافى مع اختيارهم، فتدبّر.

٤ـ العصمة بالمعنى الأخصّ:

وهي التي عند الأربعة عشر معصوم عليهم السلام، فهي أعلى مراتب العصمة، وهي المظهر الأتمّ للعصمة الإلهيّة، فإنّه كما عندهم الولاية العظمى، فإنّ فيهم العصمة الكبرى، والعلم الأتمّ والاسم الأعظم.

وأساس العصمة ـ عند الكلّ ـ هو العلم والانكشاف، ولمثل هذا ورد في الحديث الشريف: «العصمة ثمرة العلم»، فالعلم هو ما به الاشتراك بين مراتب العلم.

وأمّا الذي به الامتياز: فتمتاز عصمة الأنبياء بالزهد، فقد اختبرهم الله بذلك، وشرط عليهم في العوالم السابقة على عالم الدنيا، بأن يزهدوا في دنياهم حتّى لا يتلوّثوا بحبّها، فإنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، وإنّهم دعاة التوحيد في محيط الكفر والشرك والمعاصي والذنوب، فلا بدّ من طهارتهم وعصمتهم بعصمة ذاتية كلّية مطلقة، بفيض العلم عليهم من لدن حكيم عليم، وبهذا امتاز الأنبياء عن الناس، وإنّهم القدوة والأُسوة، وبهم يتمسّك ويكون النجاة، فهم حبل الله جلّ جلاله.

وأمّا عصمة الأربعة عشر معصوم عليهم السلام، فإنّما كان الامتحان والاختبار

وهذه العصمة من مظاهر عصمة الله سبحانه، فكما كونه لا يفعل القبائح ولا يريدها لاستحالة ذلك عليه، وهذا لا ينافي كونه مختاراً، كذلك العصمة في الأنبياء لا تتنافى مع اختيارهم، فتدبّر.

٤ـ العصمة بالمعنى الأخصّ:

وهي التي عند الأربعة عشر معصوم عليهم السلام، فهي أعلى مراتب العصمة، وهي المظهر الأتمّ للعصمة الإلهيّة، فإنّه كما عندهم الولاية العظمى، فإنّ فيهم العصمة الكبرى، والعلم الأتمّ والاسم الأعظم.

وأساس العصمة ـ عند الكلّ ـ هو العلم والانكشاف، ولمثل هذا ورد في الحديث الشريف: «العصمة ثمرة العلم»، فالعلم هو ما به الاشتراك بين مراتب العلم.

وأمّا الذي به الامتياز: فتمتاز عصمة الأنبياء بالزهد، فقد اختبرهم الله بذلك، وشرط عليهم في العوالم السابقة على عالم الدنيا، بأن يزهدوا في دنياهم حتّى لا يتلوّثوا بحبّها، فإنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، وإنّهم دعاة التوحيد في محيط الكفر والشرك والمعاصي والذنوب، فلا بدّ من طهارتهم وعصمتهم بعصمة ذاتية كلّية مطلقة، بفيض العلم عليهم من لدن حكيم عليم، وبهذا امتاز الأنبياء عن الناس، وإنّهم القدوة والأُسوة، وبهم يتمسّك ويكون النجاة، فهم حبل الله جلّ جلاله.

وأمّا عصمة الأربعة عشر معصوم عليهم السلام، فإنّما كان الامتحان والاختبار

بالصبر وهو أساس كلّ الصفات الأخلاقية التي منها الزهد، فهو أوسع دائرةً، وأعمق غوراً، وأدقّ مفهوماً.

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[1].

واليقين هو العلم، كما أنّ الهداية بأمر من الله سبحانه، يلزمه العلم المطلق، والأمر المطلق، فعلمهم يختلف عن علم الأنبياء، وإنّه لو كان بعض الأنبياء عنده حرف واحد أو حرفين أو ثلاثة حروف من ثلاث وسبعين حرفاً من الاسم الأعظم، فإنّ عندهم اثنين وسبعين حرفاً من الاسم الأعظم، وإذا كان بعض الأنبياء عنده علم من الكتاب فإنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام عندهم كلّ الكتاب.

وما أوسع البون بين العصمتين وبين العلمين ؟! وما أكثر الفوارق بينهما ؟ وإذا كان لا يقاس بالله أحد حتّى الأنبياء وحتّى الأربعة عشر عليهم السلام، فإنّه لا يقاس بهم أحد أيضاً بعده سبحانه، حتّى الأنبياء والأوصياء، فهم أفضل الخلق على الإطلاق، هذا ما أراد الله لهم:

﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[2].

ومن الفوارق بين العصمتين: إنّه يصدر من الأنبياء ترك الأولى، ويقول إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى ﴾[3]، ويخاطب بقوله: ﴿ أَوَ لَمْ

---

(١) السجدة: ٢٤.

(٢) البقرة: ٢٥٣.

(٣) البقرة: ٢٦٠.

تُؤْمِنْ ﴾ ؟ ويقول : ﴿ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾، ولا يصدر ذلك من الأربعة عشر عليهم السلام، بل يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً»، وإنّه أفضل من آدم ونوح وموسى وعيسى وكلّ الأنبياء إلّا خاتمهم وسيّدهم محمّد صلى الله عليه وآله، فإنّه يقول في حقّه : «أنا عبد من عبيد محمّد»، من باب (من علّمني حرفاً صيّرني عبداً)، وقد علّمه الرسول الأعظم ألف باب من العلم ينفتح من كلّ باب ألف باب. ولو جمع علم الأوّلين والآخرين قبال علم أمير المؤمنين كان كالقطرة قبال البحر، كما ورد من الأخبار، فهو الكتاب المبين، وما من صغيرة ولا كبيرة من مجرّات مليونية وإلى ذرّات ملياردية إلّا في كتاب مبين، ومن عنده علم الكتاب، فموسى الكليم الكتاب المستبين وأمير المؤمنين هو الكتاب المبين.

ولمّا كان النبيّ الخاتم محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله أفضل الخلق وأفضل الأنبياء، فكذلك من كان نفسه يكون في رتبته في الأفضليّة على غيرهما، ويدلّ على أنّه نفسه آية المباهلة، وأمّا معتقدنا في علم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

عن الشيخ الصدوق في جامع الأخبار بسنده عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال : لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[1] قام أبو بكر وعمر من مجلسهما فقالا : يا رسول الله، هو التوراة ؟ قال : لا، قالا : فهو الإنجيل ؟ قال : لا، قالا : فهو القرآن ؟ قال : لا، قال : فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : هو هذا،

---

(١) يس : ١٢.

إنّه الأمام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كلّ شيء[١].

وفي الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام، وسئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب؟ فقال: ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلّا بقدر ما يأخذ بعوضة بجناحها من ماء البحر[٢].

وهذا يعني أنّ من عنده علم من الكتاب أي الأنبياء أي علم الأوّلين والآخرين فهو ما دون القطرة أمام البحر.

قال أبو عبد الله عليه السلام: ما يقول الناس في أُولي العزم وصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: قلت: ما يقدّمون على أُولي العزم أحداً؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى قال لموسى عليه السلام: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً ﴾[٣]، ولم يقل كلّ شيء موعظة. وقال لعيسى عليه السلام: ﴿ وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾[٤]، ولم يقل كلّ شيء، وقال لصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾[٥].

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[٦]، وعلم

---

(١) البحار ٣٥: ٤٢٨.

(٢) البحار ٣٥: ٤٢٩.

(٣) الأعراف: ١٤٥.

(٤) الزخرف: ٦٣.

(٥) الرعد: ٤٣.

(٦) الأنعام: ٥٩.

هذا الكتاب عنده.

وهذا العلم الأخصّ بالنسبة إلى من يعلم به، وهو أوسع دائرة من كلّ العلوم، إنّما أنزله الله عليهم ولا يزال على الإمام المعصوم الحيّ صاحب العصر والزمان عليه السلام بواسطة الروح وهو خلق أعظم من جبرئيل عليه السلام ينزل مع أفواج من الملائكة على حجّة الله في ليلة القدر ليقدّم له كلّ أمرٍ حكيم.

في الصحيح عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[1]، قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله وهو مع الأئمة وهو من الملكوت[2].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ أيّدنا بروحٍ منه مقدّسة مطهّرة ليست بملك، لم تكن مع أحد ممّن مضى إلّا مع رسول الله وهي مع الأئمة منّا تسدّدهم وتوفّقهم وهو عمود من نور بيننا وبين الله عزّ وجلّ[3].

وفي الصحيح عن جابر في حديث: إنّ السابقين هو رسول الله صلى الله عليه وآله وخاصّة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح، أيّدهم بروح القدس، فبه بعثوا أنبياء وأيّدهم بروح الإيمان... وبروح القوّة... وبروح الشهوة... وروح المندرج...

---

(١) الإسراء: ٨٥.

(٢) الكافي ١: ٢٧٣.

(٣) البحار ٢٥: ٤٨.

عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام سألته عن علم العالم فقال لي : يا جابر، إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح : روح القدس فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى.

وفي صحيح زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ﴾[1]، قال : منذ أنزل الله ذلك الروح على نبيّه ما صعد إلى السماء وإنّه لفينا[2].

عن الإمام الصادق عليه السلام : وروح القدس من سكن فيه فإنّه لا يعمل بكبيرة أبداً.

فروح القدس حقيقة غيبيّة ترافق النبيّ أو الوصي من بعده لعلمه ورشده، وتعصمه من كلّ شين ورين، وإنّها قوّة نفسانية تمنح الأنبياء والأوصياء علماً وعصمة عن كلّ خطأ في القول أو الفعل أو السلوك والأخلاق، وإنّ الروح لها مراتب تختلف شدّة وضعفاً، فإنّ روح القدس وإن نزل على عيسى بن مزيم وغيره إلّا أنّه في الرتبة الدانية، وما كان في النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام دون الأنبياء، باعتبار الفرد الأتمّ والرتبة العليا والصنف الخاصّ بهم : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[3]، فهي تختلف شدّة وضعفاً، وما نزل على النبيّ كما في الخبر الرضوي لم ينزل على أحد من قبله وإنّه لم يصعد بل فيهم عليهم السلام، وهو مع

---

(١) الشورى : ٥٢.

(٢) بصائر الدرجات : ٤٥٧.

(٣) البقرة : ٢٥٣.

الحجّة بن الحسن العسكري عليه السلام يؤيّده ليل نهار... جعلنا الله وإيّاكم من خُلّص شيعته وأنصاره وأعوانه والمستشهدين بين يديه، ورزقنا رأفته ودعاءه ورحمته الخاصّة التي هي مظهر الرحمة الإلهيّة.

وأخيراً:

لقد بنىٰ آدم صفوة الله وأبو البشر مع هندسة جبرئيل الأمين الكعبة المشرّفة، وإبراهيم خليل الرحمن مع ولده إسماعيل عمّرها وأشادها مرّة أُخرى، وخاتم الأنبياء حبيب الله محمّد صلى الله عليه وآله طاف حولها، كلّ هذا وكأنّه مقدّمة لضيافة ضيف عزيز علىٰ الله سبحانه، ألا وهو سيّد الوصيّين أمير المؤمنين أسد الله الغالب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإنّ كيفيّة ولادته في جوف الكعبة يدلّ على مقامه العظيم وعلى أسرار عظيمة، يقف عليها العاشق المحبّ.

عن العلل والمعاني والأمالي بسندهم عن سعيد بن جبير قال: قال يزيد بن قعنب: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطّلب وفريق من عبد العزّىٰ بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أُمّ أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت حاملة به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت: ربِّ إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل، وإنّه بنى البيت العتيق، فبحقّ الذي بنى هذا البيت وبحقّ المولود الذي في بطني لما يسّرت عليَّ ولادتي، قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أنّ ذلك أمر من أمر الله عزّ وجلّ، ثمّ خرجت بعد الرابع وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ قالت: إنّي فُضِّلت على من تقدّمني من النساء، لأنّ آسية بنت مزاحم عبدت الله

عزّ وجلّ سرّاً في موضع لا يحبّ أن يُعبد الله فيه إلّا اضطراراً، وإنّ مريم بنت عمران هزّت النخلة اليابسة بيدها حتّى أكلت منها رطباً جنيّاً، وإنّي دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنّة وأوراقها، فلمّا أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة، سمّيه عليّاً فهو عليّ، والله العليّ الأعلى يقول: إنّي شققت اسمه من اسمي، وأدّبته بأدبي، ووقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسّر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذّن فوق ظهر بيتي، ويقدّسني ويمجدّني، فطوبى لمن أحبّه وأطاعه، وويلٌ لمن أبغضه وعصاه[١].

وفي مناقب آل أبي طالب: فالولد الطاهر من النسل الطاهر ولد في الموضع الطاهر، فأين توجد هذه الكرامة لغيره؟ فأشرف البقاع الحرم، وأشرف الحرم المسجد، وأشرف بقاع المسجد الكعبة، ولم يولد فيه مولود سواه، فالمولود فيه يكون في غاية الشرف، وليس المولود في سيّد الأيام ـ يوم الجمعة ـ وفي الشهر الحرام وفي البيت الحرام سوى أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

أجل، إنّ الكعبة قبلة المصلّين في كلّ العالم، يتوجّه إليها المسلم والموحّد بجسده الترابي وفي صلاته الجوارحيّة من القيام والركوع والسجود، فإنّه من تراب ويتوجّه إلى كعبة هي من الأحجار، وقد شرّفها الله سبحانه لحكمته الربانية.

وأمّا المصلّي في صلاته الجوانحيّة والروحيّة القلبية، إنّما يتوجّه بقلبه إلى

---

(١) علل الشرائع: ٥٦، معاني الأخبار: ٦٢، أمالي الصدوق: ٨٠، البحار ٣٥: ٩.

(٢) البحار ٣٥: ١٩، عن المناقب: ٣٦٠.

وليد الكعبة، ومن الثابت أنّ الولاية هي روح الصلاة وعمودها، لولاها ما قبلت الصلاة، ولولا قبول الصلاة ما قبلت ما سواها من الأعمال، فالصلاة عمود الدين، كما أنّ الولاية عمود الصلاة.

وقبلة الصلاة هي الكعبة، وقبلة قلب المؤمن وليدها، فإنّه مظهر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، إنّه مظهر الولاية الإلهيّة العظمى، والمصلّي حقّاً إنّما يتوجّه بقلبه إلى كعبته الروحانية والولائية، وهي الحقيقة العلوية المتولّدة في جوف الكعبة، والتي هي زبدة الحقيقة المحمّدية التي تبلورت فيها الولاية الإلهيّة.

عليّ حبّه جُنّة ... قسيم النار والجَنّة
وصيّ المصطفى حقّاً ... إمام الإنس والجِنّة

❊ ❊ ❊

نادِ علياً مظهر العجائب ... تجده عوناً لك في النوائب
كلّ همّ وغمّ سينجلي ... بولايتك يا علي يا علي يا علي

❊ ❊ ❊

لا عذّب الله أُمّي إنّها شربت ... حبّ الوصيّ وغذّتنيه باللبنِ
وكان لي والدٌ يهوى أبا حسنٍ ... فصرت من ذي وذا أهوى أبا حسنِ

❊ ❊ ❊

وختاماً هلمّ سويةً لنعيش مع العلّامة المحقّق شيخنا الأميني قدس سره في رحاب كتابه القيّم (الغدير) المجلّد السادس ـ الصفحة ٢١ ـ ٣٧ في ذيل قصيدة السريجي الأوالي، المتوفّى ٧٥٠ تقريباً، فقال العلّامة بعنوان (ما يتبع الشعر):

«في هذه القصيدة إشارةٌ إلى لمّة من فضائل مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وقد بسطنا القول في جملة مهمّه منها في الأجزاء السابقة ونذكر هنا ما أشار إليه شاعرنا بقوله:

من كان في حرم الرحمن مولده وحاطه الله من بأسٍ وعدوانِ ؟

يريد به قصّة ولادته صلوات الله عليه في الكعبة المعظّمة، وقد انشقّ جدار البيت لأُمّه فاطمة بنت أسد فدخلته ثمّ التأمت الفتحة، فلم تزل في البيت العتيق حتّى ولدت مشرِّف البيت بذلك الهبوط الميمون، وأكلت من ثمار الجنّة، ولم ينفلق صدف الكعبة عن درّه الدرّي إلّا وأضاء الكون بنور محيّاه الأبلج، وفاح في الأجواء شذى عنصره الأقدس، وهذه حقيقةٌ ناصعةٌ أصفق على إثباتها الفريقان، وتظافرت بها الأحاديث، وطفحت بها الكتب، فلا نعبأ بجلبة رماة القول على عواهنه بعد نصّ جمع من أعلام الفريقين على تواتر حديث هذه الأثارة.

قال الحاكم[1]: وقد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه في جوف الكعبة.

وحكى الحافظ الكنجي الشافعي في (الكفاية) من طريق ابن النجّار عن الحاكم النيسابوري أنّه قال: وُلد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب بمكّة في بيت الله الحرام ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه إكراماً له بذلك، وإجلالاً

---

(١) المستدرك ٣: ٤٨٣.

لمحلّه في التعظيم.

وتبعه أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي الشهير بشاه وليّ الله والد عبد العزيز الدهلوي مصنّف (التحفة الإثنى عشريّة في الردّ على الشيعة) فقال في كتابه (إزالة الخفاء): تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليّاً في جوف الكعبة فإنّه وُلد في يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة ولم يولد فيها أحدٌ سواه قبله ولا بعده.

قال شهاب الدين السيّد محمود الآلوسي صاحب التفسير الكبير في (سرح الخريدة الغيبيّة في شرح القصيدية العينيّة) لعبد الباقي أفندي العمري ص ١٥ عند قول الناظم:

أنت العليُّ الذي فوق العلى رفعا ببطن مكّة عند البيت إذ وضعا

وكون الأمير كرّم الله وجهه وُلد في البيت أمرٌ مشهور في الدنيا وذكر في كتب الفريقين السنّة والشيعة ـ إلى أن قال ـ: ولم يشتهر وضع غيره كرّم الله وجهه كما اشتهر وضعه بل لم تتّفق الكلمة عليه، وما أحرى بإمام الأئمّة أن يكون وضعه فيما هو قبلةٌ للمؤمنين؟ وسبحان من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين.

وقال في الصفحة ٧٥ عند قول العمري:

وأنت أنت الذي حطّت له قدمٌ في موضع يده الرحمن قد وضعا

وقيل: أحبّ عليه الصلاة والسلام (يعني عليّاً) أن يكافئ الكعبة حيث وُلد في بطنها بوضع الصنم على ظهرها فإنّها كما ورد في بعض الآثار كانت تشتكي إلى الله تعالى عبادة الأصنام حولها وتقول: أي ربّ حتّى متى تُعبد هذه الأصنام

حولي ؟ والله تعالى يعدها بتطهيرها من ذلك. ا هـ.

وإلى هذا المعنى أشار العلّامة السيّد رضا الهندي بقوله :

لمّـــا دعـــاك الله قِـدماً لأن تـــولد فـــي البـيت فـلبَّيته

شكـــرته بـــين قـــريش بأن طـهَّرتَ مـــن أصـــنامهم بـــيته

ويجدها القارئ من المتسالم عليه من فضائل مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه في غير واحد من مصادر القوم منها :

١ ـ مروج الذهب ٢ ص ٢ تأليف أبي الحسن المسعودي الهذلي

٢ ـ تذكرة خواصّ الأُمّة ص ٧ تأليف سبط ابن الجوزي الحنفي

٣ ـ الفصول المهمّة ص ١٤ تأليف ابن الصبّاغ المالكي

٤ ـ السيرة النبويّة ١ ص ١٥٠ تأليف نور الدين علي الحلبي الشافعي

٥ ـ شرح الشفا ج ١ ص ١٥١ تأليف الشيخ علي القاري الحنفي

٦ ـ مطالب السؤول ص ١١ تأليف أبي سالم محمّد بن طلحة الشافعي

٧ ـ محاضرة الأوائل ص ١٢٠ تأليف الشيخ علاء الدين السكتواري

٨ ـ مفتاح النجا في مناقب آل العبا تأليف ميرزا محمّد البدخشي

٩ ـ المناقب تأليف الأمير محمّد صالح الترمذي

١٠ ـ مدارج النبوّة تأليف الشيخ عبد الحقّ الدهلوي

١١ ـ نزهة المجالس ٢ ص ٢٠٤ تأليف عبد الرحمن الصفوري الشافعي

١٢ ـ آيينه تصوّف ط ص ١٣١١ تأليف شاه محمّد حسن الجشتي

١٣ ـ روائح المصطفى ص ١٠ تأليف صدر الدين أحمد البردوني

١٤ ـ كتاب الحسين ١ ص ١٦ تأليف السيّد علي جلال الدين

١٥ ـ نور الأبصار ص ٧٦ تأليف السيّد محمّد مؤمن الشبلنجي

١٦ ـ كفاية الطالب ص ٣٧ تأليف الشيخ حبيب الله الشنقيطي

وأمّا أعلام الشيعة فقد ذكرت منهم هذه الأثارة أُمّة كبيرة منها :

١ ـ الحسن بن محمّد بن الحسن القمّي في تاريخ قم الذي ألّفه وقدّمه إلى الصاحب بن عبّاد سنة ٣٧٨، وترجمه إلى الفارسيّة الشيخ الحسن بن علي بن الحسن القمّي سنة ٨٦٥، راجع ص ١٩١ من الترجمة.

٢ ـ الشريف الرضي المتوفّى ٤٠٦ (المترجم في ج ٤ ص ١٨١ ـ ٢٢١) ذكرها في خصائص الأئمة وقال : لم نعلم مولوداً في الكعبة غيره.

٣ ـ شيخ الأُمّة معلّم البشر أبو عبد الله المفيد المتوفّى ٤١٣ في المقنع، ومسار الشيعة ص ٥١ ط مصر، والإرشاد ص ٣ وقال : لم يولد قبله ولا بعده مولودٌ في بيت الله سواه، إكراماً من الله جلّ اسمه بذلك، وإجلالاً لمحلّه في التعظيم.

٤ ـ الشريف المرتضى المتوفّى ٤٣٦ (مرّت ترجمته في ج ٤ ص ٢٦٤ ـ ٢٩٩) ذكرها في شرح القصيدة البائيّة للحميري ص ٥١ ط مصر وقال : لا نظير له في هذه الفضيلة.

٥ ـ نجم الدين الشريف أبو الحسن عليّ بن أبي الغنائم محمّد المعروف بابن الصوفي ذكرها في كتابه (المجدي) المخطوط.

٦ ـ الشيخ أبو الفتح الكراجكي المتوفّى ٤٤٩ في (كنز الفوائد) ص ١١٥.

٧ ـ الشيخ حسين بن عبد الوهاب معاصر الشريف المرتضى في (عيون

المعجزات).

٨ ـ شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسي المتوفّى ٤٦٠ في التهذيب ج ٢، ومصباح المتهجّد ص ٥٦٠، والأمالي ص ٨٠ ـ ٨٢.

٩ ـ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفّى ٥٤٨ صاحب (مجمع البيان) في (إعلام الورى) ص ٩٣ وقال: لم يولد قطّ في بيت الله تعالى مولودٌ سواه لا قبله ولا بعده.

١٠ ـ ابن شهرآشوب السروي المتوفّى ٥٨٨ في (المناقب) ١ ص ٣٥٩، و ج ٢ ص ٥٠.

١١ ـ ابن البطريق شمس الدين أبو الحسين يحيى بن الحسن الحلّي المتوفّى ٦٠ في كتابه (العمدة) وقال: لم يولد قبله ولا بعده مولودٌ في بيت الله سواه.

١٢ ـ رضيّ الدين عليّ بن طاووس المتوفّى ٦٦٤ في كتابه (الإقبال) ص ١٤١.

١٣ ـ عماد الدين الحسن الطبري الآملي صاحب (الكامل) المؤلَّف سنة ٦٧٥ في كتابه (تحفة الأبرار) في الفصل الثامن من الباب الرابع.

١٤ ـ بهاء الدين الإربلي المتوفّى ٦٩٢ (مرّت ترجمته في ج ٥ ص ٤٤٥) في كتابه (كشف الغمّة) ص ١٩ وقال: لم يولد في البيت أحدٌ سواه قبله ولا بعده، وهي فضيلةٌ خصّه الله بها إجلالاً له، وإعلاءً لرتبته، وإظهاراً لتكرمته.

١٥ ـ أبو علي ابن الفتّال النيسابوري المترجم في كتابنا (شهداء الفضيلة) ص ٣٧ ذكرها في (روضة الواعظين) ص ٦٧.

١٦ ـ هندوشاه بن عبد الله الصاحبي النخجواني في (تجاب السلف) ص ٣٧.

١٧ ـ العلّامة الحسن بن يوسف الحلّي المتوفّى ٧٢٦ في كتابيه: كشف الحقّ، وكشف اليقين ص ٥ ونصّ على أنّه لم يولد أحدٌ سواه فيها لا قبله ولا بعده.

١٨ ـ جمال الدين بن عنبة المتوفّى ٨٢٨ في (عمدة الطالب) ص ٤١.

١٩ ـ الشيخ علي بن يونس العاملي البياضي المتوفّى ٨٧٧ في (الصراط المستقيم).

٢٠ ـ السيّد محمّد بن أحمد بن عميد الدين علي الحسيني، في (المشجَّر الكشّاف للسادة الأشراف) ص ٢٣٠ ط مصر.

٢١ ـ الشيخ تقي الدين الكفعمي الآتي ترجمته في هذا الجزء إن شاء الله، في المصباح ص ٥١٢.

٢٢ ـ أحمد بن محمّد بن عبد الغفّار الغفّاري القزويني في (تاريخ نكارستان) المؤلّف سنة ٩٤٩ ص ١٠ ط سنة ١٢٤٥.

٢٣ ـ القاضي نور الله المرعشي المستشهد ١٠١٩، المترجم في كتابنا (شهداء الفضيلة) ص ١٧١ في كتابه: إحقاق الحقّ.

٢٤ ـ الشيخ عبد النبيّ الجزائري المتوفّى ١٠٢١ في «حاوي الأقوال».

٢٥ ـ الشيخ محمّد بن الشيخ علي اللاهيجي في «محبوب القلوب».

٢٦ ـ المولى المحسن الكاشاني المتوفّى ١٠٩١ في كتابه «تقويم المحسنين».

٢٧ ـ الشيخ نظام الدين محمّد بن الحسين التفرشي الساوجي تلميذ شيخنا البهائي في تأليفه «تكملة الجامع العبّاسي» لشيخه المذكور.

٢٨ ـ الشيخ أبو الحسن الشريف المتوفّى ١١٠٠ في كتابه الضخم الفخم القيّم (ضياء العالمين) وقال: كانت مشهورة في الصدر الأوّل.

٢٩ ـ السيّد هاشم التوبلي البحراني صاحب التآليف القيّمة المتوفّى ١١٠٧ في (غاية المرام) وقال: بلغت حدّ التواتر معلومة في كتب العامّة والخاصّة.

٣٠ ـ العلّامة المجلسي المتوفّى ١١١٠ / ١١ في جلاء العيون ص ٨٠ فقال ما معناه: مشهور بين المحدّثين والمؤرّخين من الخاصّة والعامّة.

٣١ ـ السيّد نعمة الله الجزائري المتوفّى ١١١٢ في (الأنوار النعمانيّة).

٣٢ ـ السيّد علي خان الشيرازي ١١١٨ / ٢٠ في (الحدائق النديّة في شرح الفوائد الصمديّة).

٣٣ ـ السيّد محمّد الطباطبائي جدّ آية الله بحر العلوم الفارغ عن بعض تآليفه سنة ١١٢٦ في رسالته الموضوعة لتواريخ مواليد الأئمة ووفياتهم.

٣٤ ـ السيّد عبّاس بن علي بن نور الدين الموسوي الحسيني المكّي المتوفّى ١١٧٩ في كتابه (نزهة الجليس) ج ١ ص ٦٨.

٣٥ ـ أبو علي الحائري المتوفّى ١٢١٥ في رجاله الدائر (منتهى المقال) ص ٤٦.

٣٦ ـ السيّد محسن الأعرجي المتوفّى ١٢٢٧ في (عمدة الرجال).

٣٧ ـ الشيخ خضر بن شلّال العفكاوي النجفي المتوفّى ١٢٥٥ في مزاره المسمّى بأبواب الجنان وبشائر الرضوان.

٣٨ ـ السيّد حيدر الحسني الحسيني الكاظمي المتوفّى ١٢٦٥ في (عمدة الزائر) ص ٥٤.

٣٩ ـ السيّد مهدي القزويني المتوفّى ١٣٠٠ في (فلك النجاة) ص ٣٢٦.

٤٠ ـ المولى السيّد محمود بن محمّد علي بن محمّد باقر في (تحفة السلاطين) ج ٢ فقال ما معناه: مشهور كالشمس في رائعة النهار.

٤١ ـ المولى السلطان محمّد بن تاج الدين حسن في (تحفة المجالس) ص ٨٨ ط سنة ١٢٧٤.

٤٢ ـ السيّد ميرزا حسن الزنوزي نزيل خوي في كتابه الضخم (بحر العلوم).

٤٣ ـ الحاج المولى شريف الشرواني من تلمذة السيّد العظيم صاحب الرياض في كتابه: الشهاب الثاقب في مناقب عليّ بن أبي طالب.

٤٤ ـ المولى علي أصغر البروجردي في عقائد الشيعة ص ٣١ ط سنة ١٢٦٣.

٤٥ ـ الحاج ميرزا حبيب الخوئي في كتابه الكبير: شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٧١.

٤٦ ـ أبو عبد الله جعفر بن محمّد بن جعفر الحسيني الأعرجي في «مناهل الضرب في أنساب العرب».

٤٧ ـ الحاج الشيخ عبّاس القمّي المتوفّى ١٣٥٩ في (سفينة البحار) ج ٢ ص ٢٢٩.

٤٨ ـ السيّد محسن الأمين الحسيني العاملي في (أعيان الشيعة) ج ٣: ٣.

٤٩ ـ الشيخ جعفر نقدي في كتابه (نزهة المحبّين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام) ص ٢ ـ ٨.

٥٠ ـ شيخنا الاوردبادي ألّف في الموضوع كتاباً فخماً، وقد أغرق نزعاً في التحقيق ولم يبق في القوس منزعاً، وإليك فهرست عناوينه :

١ ـ حديث المولد الشريف وتواتره.

٢ ـ حديث الولادة الشريفة مشهور بين الأُمّة.

٣ ـ نبأ الولادة والمحدّثون.

٤ ـ حديث الولادة والنسّابون.

٥ ـ حديث الولادة والمؤرّخون.

٦ ـ حديث الولادة والشعراء.

٧ ـ حديث الولادة والإجماع عليه.

ألّف القاضي أبو البحتري كتاباً في مولد أمير المؤمنين عليه السلام كما ذكره النجاشي وشيخ الطائفة، ورواه أبو محمّد العلوي الحسن بن محمّد عن حجر بن محمّد السامي عن رجاء بن سهل الصنعاني عن أبي البحتري كما في تاريخ الخطيب البغدادي ٧ ص ٤١٩.

وذكر النجاشي في فهرسته ص ٢٧٩ كتاب مولد أمير المؤمنين لشيخنا ابن بابويه الصدوق.

وقد نظم هذه الأثارة كثيرون من أعلام الشيعة الفطاحل وشعرائها الأفذاذ نظراء :

١ ـ السيّد الحميري المتوفّى ١٧٣، وقد مرّت ترجمته في ج ٢ ص ٢٣١ ـ ٢٧٨ قال :

ولدتـــه فـــي حـرم الإله وأمـنه والبيت حـيث فـناؤه والمسـجدُ
بـيضاء طـاهرة الثـياب كـريمة طابت وطـاب وليـدها والمـولدُ
في ليلة غـابت نـحوس نـجومها وبدت مع القـمر المـنير الأسـعدُ
ما لُفَّ في خـرق القـوابـل مـثله إلّا ابـن آمـنة النـبيّ (مـحمّدُ)

٢ ـ محمّد بن منصور السرخسي، ذكرها في أبيات تـوجد فـي مـناقب ابن شهرآشوب ج ١ ص ٣٦٠.

٣ ـ خواجه معين الدين الجشتي الأجميري المتوفّى ٦٣٢.

٤ ـ المولى الرومي العارف الشهير المتوفّى ٦٧٢.

٥ ـ المولى محمّد بن عبد الله الكاتبي النيسابوري المتوفّى ٨٨٩، المترجم في مجالس المؤمنين.

٦ ـ المولى أهلي الشيرازي المتوفّى ٩٤٢.

٧ ـ ميرزا محمّد علي التبريزي المتخلّص في شعره بـ(صائب) من شعراء عهد السلطان سليمان المتوفّى ٩٧٤ له قصيدة يمدح بها الكعبة المشرّفة ويـذكر مزاياها وعدّ منها ولادة أمير المؤمنين بها توجد في كتاب (الخـزانـة العـامرة) صحيفة ٢٩١.

٨ ـ السيّد محمّد باقر بن محمّد الحسيني الاسترآبـادي الشـهير بـداماد المتوفّى ١٠٤١.

٩ ـ المولى محمّد مسيح المعروف بمسيحا الفسـوي الشـيرازي المـتوفّى

١١٢٧ الآتي شعره وترجمته في شعراء القرن الثاني عشر.

١٠ ـ السيّد نصر الله المدرّس الحائري الشهيد سنة ١١٦٠، أحد شعراء الغدير يأتي في شعراء القرن الثاني عشر.

١١ ـ المولى رضا الرشتي المتخلّص في شعره بـ(المحزون) في مثنويٍّ له.

١٢ ـ ميرزا نصر الله المتخلّص بـ(الشهاب).

١٣ ـ الشريف محمّد بن فلاح الكاظمي أحد شعراء الغدير يأتي شعره وترجمته في محلّهما، ذكرها في قصيدته الكرّاريّة.

١٤ ـ الشيخ محمّد رضا النحوي المتوفّى ١٢٢٦، أحد شعراء الغدير تأتي ترجمته في محلّها.

١٥ ـ الشيخ حسين نجف المتوفّى ١٢٥٢، أحد شعراء الغدير يأتي شعره وترجمته في شعراء القرن الثالث عشر قال في قصيدته الكبيرة:

جعل الله بيته لعليّ ... مولداً يا له علاً لا يُضاهى
لم يشاركه في الولادة فيه ... سيّد الرسل ولا أنبياها
علم الله شوقها لعليٍّ ... علمه بالذي به من هواها
إذ تمنّت لقاءه وتمنّى ... فأراها حبيبه ورآها
ما ادّعى مدَّعٍ لذلك كلّا ... من ترى في الورى يروم ادّعاها ؟
فاكتست مكّة بذاك افتخاراً ... وكذا المشعران بعد مناها
بل به الأرض قد علت إذ حوته ... فغدت أرضها مَطاف سماها ؟
أوَ ما تنظر الكواكب ليلاً ... ونهاراً تطوف حول حماها ؟

وإلى الحشر فـي الطـواف عـليه وبـــذاك الطــواف دام بــقاها

١٦ ـ ميرزا عباس الدامغاني المتخلّص بـ(نشاط) الهزارجريبي المـتوفّى ١٢٦٢.

١٧ ـ السيّد محمّد تقي القزويني المتوفّى ١٢٧٠، أحد شعراء الغدير تأتي ترجمته في شعراء القرن الثالث عشر.

١٨ ـ الشيخ حسين بن علي الفتوني الهمداني العاملي الحائري، من شعراء الغدير يأتي ذكره في القرن الثالث عشر.

١٩ ـ الحاج محمّد خان المولود سنة ١٢٤٦ المـتخلّص بـ(دشـتي) فـي ديوانه المطبوع.

٢٠ ـ الحاج ميرزا إسماعيل الشيرازي المتوفّى ١٣٠٥، أحد شعراء الغدير من حجج الطائفة يأتي ذكره في شعراء القرن الرابع عشر له قصيدة موشّحة فـي المولود المقدّس ألا وهي:

رغـــد العـيش فـــزده رغـــدا بســـلافٍ مـــنه تشـــفي سـقمي

طرب الصبّ على وصل الحـبيبْ وهنى العيش عـلى بُـعد الرقـيبْ

وفّني من أكـؤس الراح النـصيبْ وائـــتني تـــوماً بـــها لا مـــفردا

فالهنا كلّ الهنا في التوئمِ

آتـــني الصـــهباء نـــاراً ذائـــبه كـــلّلتها قـــبساتٌ لاهـــبه

واســقنيها والنــدامــى قـاطبه فـــلعمري إنّـــها ريُّ الصـــدى

لفؤادٍ بالتصابي مضرمِ

ما أُحيلى الراح من كفّ الملاحْ هي روح هي رَوح هي راحْ
فأدرها في غدوٍّ ورواحْ كذكاءٍ تتجلّى صرخدا
رصّعتها حببٌ كالأنجمِ
حبّذا آناء أُنس أقبلتْ أدركت نفسي بها ما أمّلتْ
وضعت أُمّ العُلى ما حُملتْ طاب أصلاً وتعالى محتدا
مالكاً ثقل ولاء الأُممِ
آنست نفسي من الكعبة نورْ مثل ما آنس موسى نار طورْ
يوم غشّى الملأ الأعلى سرورْ قرع السمع نداءٌ كندا
شاطئ الوادي طوى من حرمِ
ولدت شمس الضحى بدر التمامْ فانجلت عنّا دياجير الظلامْ
نادِ: يا بشراكمُ هذا غلامْ وجهه فلقة بدرٍ يهتدى
بسنا أنواره في الظّلمِ
هذه فاطمةُ بنت أسدْ أقبلت تحملُ لاهوت الأبدْ
فاسجدوا ذلاًّ له فيمن سجدْ فله الأملاك خرّت سُجّدا
إذ تجلّى نوره في آدمِ
كُشف الستر عن الحقِّ المبينْ وتجلّى وجه ربّ العالمينْ
وبدا مصباح مشكاة اليقينْ وبدت مشرقةً شمس الهدى
فانجلى ليل الضلال المظلمِ
نُسخ التأبد من نفي ترى فأرانا وجهه ربُّ الورى
ليت موسى كان فينا فيرى ما تمنّاه بطورٍ مُجهدا
فانثنى عنه بكفّي مُعدمِ

هل درت أُمّ العلى ما وضعت ؟ أم درت ثدي الهدى ما أرضعت ؟
أم درت كفّ النهى ما رفعت ؟ أم درى ربّ الحجى ما ولدا ؟
جلّ معناه فلمّا يُعلمِ

سيّدٌ فاق عُلاً كلّ الأنامْ كان إذ لا كائنٌ وهو إمامْ
شرَّف الله به البيت الحرامْ حين أضحى لعُلاه مولدا
فوطا تربته بالقدمِ

إن يكن يُجعل للهِ البنونْ وتعالى الله عمّا يصفونْ
فوليد البيت أحرى أن يكونْ لوليِّ البيت حقّاً ولدا
لا عزيزٌ لا ولا ابن مريمِ

هو بعد المصطفى خير الورى من ذرى العرش إلى تحت الثرى
قد كست علياءه أُمّ القرى غرّةً تحمي حماها أبدا
حيث لا يدنوه من لم يحرمِ

سبق الكون جميعاً في الوجودْ وطوى عالم غيبٍ وشهودْ
كلّما في الكون من يمناه جودْ إذ هو الكائن لله يدا
ويد الله مدرُّ الأنعمِ

سيِّدٌ حازت به الفضل مضرْ بفخارٍ فسما كلّ البشرْ
وجهه في فلك العليا قمرْ فبه لا بالنجوم يُهتدى
نحو مغناه لنيل المغنمِ

هو بدرٌ وذراريه بدورْ عقمت عن مثلهم أُمّ الدهور
كعبة الوفّاد في كلّ الشهورْ فاز من نحو فناها وفدا
بمطافٍ منه أو مُستلمِ

ورثوا العلياء قدماً من قُصيٍّ ونـــزار ثـــمَّ فـــهرٍ ولؤي
لا يـــبارى حـــبّهم قـطّ بـحيّ وهـــم أزكـــى البـــرايـا مـحتدا
وإليهم كلّ فخر ينتمي

أيّها المرجى لقـاهُ فـي المـماتْ كـــلّ مـــوت فـيه لقـياك حـياةْ
ليـــتما عـــجّل بـي مـا هـو آتْ عـلّني ألقى حـياتي فـي الردى
فايزاً منه بأوفى النِّعمِ

٢١ ـ ميرزا أبو القاسم الحسيني الشيرازي.

٢٢ ـ سراج الدين محمّد بن الحسن القـرشي التـميمي العـدويّ الأُمـويّ المعروف بفدا حسين الهندي، نظم مكرمة الولادة الشريفة في قـصيدته العـلويّة الكبيرة المطبوعة البالغة ١٤١١ بيتاً المسمّاة بالنفحة القدسيّة ص ٦٨، ١٧٨.

٢٣ ـ ميرزا محمّد تقي الشهير بحجّة الإسلام المتوفّى ١٣١٢، في ديوانـه المطبوع ص ١٩٦، ٢٠٠.

٢٤ ـ الشاعر المفلق محمّد اليـزدي المـتخلّص فـي شـعره بـ(جـيحون) المتوفّى حدود ١٣١٨، في ديوانه المطبوع.

٢٥ ـ السيّد مصطفى بن الحسين الكاشاني النجفي دفين الكاظميّة المتوفّى ١٣٣٦ أحد شعراء الغدير، يأتي شعره وترجمته في شعراء القرن الرابع عشر.

٢٦ ـ الحاج ميرزا حبيب الخراساني المترجم في كتابنا (شهداء الفـضيلة) ص ٢٨٢.

٣٧ ـ الشيخ علي الملقّب بالشيخ الرئيس الخراساني المتوفّى حدود ١٣٢٠ في منظومته المسمّاة بـ(تنبيه الخاطر في أحوال المسافر) ص ٤.

٢٨ ـ الشيخ محمود عبّاس العاملي المتوفّى ١٣٥٣، أحد شعراء الغدير يأتي.

٢٩ ـ السيّد حسن آل بحر العلوم المتوفّى ١٣٥٥، من شعراء الغدير يأتي ذكره في شعراء القرن الرابع عشر.

٣٠ ـ الحاج الشيخ محمّد الحسين الإصبهاني المتوفّى ١٣٦١، أحد شعراء الغدير الآتي ذكره في شعراء القرن الرابع عشر.

٣١ ـ السيّد مير علي أبو طبيخ النجفي المتوفّى ١٣٦١، أحد شعراء الغدير يأتي شعره وترجمته.

٣٢ ـ السيّد رضا الهندي النجفي المتوفّى ١٣٦٢، من شعراء الغدير يأتي ذكره في شعراء القرن الرابع عشر.

٣٣ ـ السيّد المحسن الأمين العاملي، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره.

٣٤ ـ الشيخ محمّد صالح المازندراني، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره.

٣٥ ـ الشيخ ميرزا محمّد علي الاوردبادي، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره، نظمها في غير واحدة من قصائده، وممّا قال فيها قوله يمدح به أمير المؤمنين عليه السلام:

سبق الكرام فها همُ لم يلحقوا ... في حلبة العلياء شأو كميتهِ
إذ خصّه المولى بفضلٍ باهرٍ ... فيه يميّز حيّه من ميتهِ
لم يتّخذ ولداً وما إن يتّخذ ... إلّا وكان ولاده في بيتهِ
في البيت مولده يحقّق إنّه ... دون الأنام ذبالة في زيتهِ

خمّسها النطاسي المحنّك ميرزا محمّد الخليلي صاحب (معجم أُدباء

الأطباء).

٣٦ـ الشيخ محمّد السماوي النجفي، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره.

٣٧ـ الشيخ محمّد علي يعقوب النجفي، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره.

٣٨ـ الشيخ جعفر نقدي، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره.

٣٩ ـ ميرزا محمّد الخليلي النجفي، أحد شعراء الغدير يأتي ذكره، له موشّحة في الميلاد الشريف يهنّئ بها سيّدنا الحجّة السيّد ميرزا علي آغا الشيرازي وهي:

من بدا فازدهر البيت الحرام ... وزهت منه ليالي رجبِ؟

طرب الكون لبشر وهنا ... إذ بدا الفخر بنور وسنا

وأتى الوحي ينادي معلناً ... قد أتاكم حجّة الله الإمام

وأبو الغرّ الهداة النجبِ

خصّه الرحمن بالفضل الصراحْ ... ومزايا أشرقت غرّاً وضاحْ

وسما منزله هام الضراحْ ... فغدا مولده خير مقامْ

طأطأت فيه رؤوس الشهبِ

إنّه أوّل بيت وُضعا ... للورى طرّاً فأضحوا خضّعا

وعلى الحاضر والبادي معا ... حجّةُ أضبح فرضاً ولزامْ

طاعةٌ تتبع أقصى القربِ

وهو القبلة في كلّ صلاهْ ... وملاذٌ يرتجى فيه النجاهْ

وقد استخلصه الله حماهْ ... فلأن يأتِ إليه مستهامْ

في ملمّ داعياً يُستجبِ

تـــلكم فـاطمة بـنت أسـدْ أمَّت البـــيت بكـرب وكـمدْ
ودعت خـــالقها البـاري الصـمدْ بـحشاً فـيه مـن الوجـد الضـرامْ
قد علته قبسات اللهبِ
نـــادت اللـــهمّ ربّ العـالمين قاضي الحاجات للمستصرخـينْ
كاشف الكرب مـجيب السـائلين إنّـــني جـــئتك مـن دون الأنـامْ
أبتغي عندك كشف الكربِ
بـــينما كـانت تـناجي ربّـــها وإلى الرحـــمن تشكـــو كـــربها
وإذا بـــــالبشر غشّـــى قـلبها من جدار البـيت إذ لاح ابـتسامْ
عن سنا ثغرٍ له ذي شنبِ
فـتق الزهـر ؟ أم انشقّ القـمر ؟ أم عمود الصـبح بـالليل انـفجر ؟
أم أضاء البرق فـالكون ازدهـر ؟ أم بدا في الأُفق خـرقُ والتـئامْ ؟
فغدا برهان معراج النبي
أم أشار البيت بـالكفّ ادخـلي ؟ واطـــمئنّي بـــالإله المـفضلِ
فـهنا يـولد ذو العـليا (عـلي) من به يـحظى حـطيمي والمـقامْ
وينال الركن أعلا الرتبِ
دخـــلت فـاطم فـارتدّ الجـدارْ مـــثلما كـان ولم يكشـف سـتارْ
إذ تجلّى النور وانـجاب السـرارْ عن سـنا بـدرٍ بـه يـجلو الظـلامْ
والورى ينجو به من عطبِ
وُلد الطـــاهر ذاك ابـــن جَـــلا مـن سـما العـرش جـلالاً وعُـلا
فـــله الأمـــلاك يـــعنو ذلّـــلا وبـــه قـــد بشّـر الرسـل العـظامْ
قومهم فيما خلا من حُقبِ

عـــــــرف الله ولا أرضٌ ولا رفـــعت ســبع طــباق ظــللا
فـــلذا خــرّ ســجوداً وتــلا كــلّما جـاء إلى الرسـل الكـرام
قبله من صحفٍ أو كتبِ
إن يك البـــيت مــطافاً للأنــامْ فــعليٌّ قــد رقــى أعـلا سـنامْ
إذ بــه يــطوّف البــيت الحـرامْ وســعى الركــن إليــه لاسـتلامْ
فغدا يزهو به من طربِ
لم يكن في البـيت مـولودٌ سـواهْ إذ تـعالى عـن مـثيل فـي عـلاهْ
أُوتـــي العـــلم بــتعليم الإله فـــغذاه درّه قـــبل الفـــطامْ
يرتوي منه بأهنى مشربِ
صــغر الكــون عــلى ســؤددهِ وانــتمى الوحــي إلى مــحتدهِ
بشّـــر الشــيعة فــي مــولدهِ واقصدوا العـلّامة الحَـبر الإمـام
منبع العلم مناط الأدبِ (القصيدة)

وله قصيدة أُخرى ميلاديّة بارى بها قصيدة (إيليا أبي ماضي) الإلحـاديّة المقفّاة بـ(لست أدري) وهي :

طرب الكـون مـن البشـر وقـد عـمّ السـرورْ
وغــدا القــمريُّ يشـدو فـي ابـتسام للـزهورْ
وتــهانت سـاجعات فـي ذرى الأيك الطـيورْ
لِمَ ذا البشر ؟ وما هذا التهاني ؟ لستُ أدري

تـلعب الريـح وفـيها الدوح قـامت راقـصاتْ
وبــها الأوراق تــزهو بــالأكـفّ الصـافقاتْ
ضــارباً ســجع هـزار الغـصن أوتـار الحـياة
مِمَّ هذي الدوح أضحت راقصات ؟ لستُ أدري

قد كسى وجه الثرى من سندس وشـي الربـيعْ
فـتهادى مـائساً فـي حُـلل الخـصب المـريعْ
وغــدا يــختال بــالأرياش والشأن البــديعْ
قائلاً : هل أحدٌ يوجد مثلي ؟ لستُ أدري

والنسيم الغضّ قد تـهمس فـي سـمع الأقـاحْ
فــترى بـاسمة الثـغر نشــاطاً وارتــياحْ
وهــزيز الغــصن يُــبدي شأن زهـوٍ ومـراحْ
ما الذي قالت فردّت بابتسام ؟ لستُ أدري

طــبّق الأرض لهــيباً نــار مــحمرّ الشـقيقْ
فـغدا البـلبل مـرتاع الحشـا خـوف الحـريقْ
صارخاً : هل لنجاتي عن لظاها مـن طـريق ؟
هذه النار أتتني كيف أُطفي ؟ لستُ أدري

أشــرقت طــلعة نـور عـمّت الكـون ضـياءا
لا أرى بــدراً عـلى الأُفـق ولم أُبـصر ذكـاءا
وتــفحّصت فــلم أُدرك هــناك الكــهرباءا
فبماذا ضاء هذا الكون نوراً ؟ لستُ أدري

كـان هـذا الروض قـبل اليـوم رهـناً للـذبولْ
سـاحبات فـوقها الأرواح قـدماً للـذيولْ
تـعصف النكـباء فـيها دون أنـفاس البـليلْ
كيف عاد اليوم يزهو في شذاه ؟ لستُ أدري

قـمت أسـتكشف عـنه سـائلاً هـذا وذاكْ
فرأيت الكـلّ مـثلي فـي اضـطرابٍ وارتـباكْ
وإذا الآراء طـرّاً فـي اصـطدامٍ واصطكاكْ
وأخيراً عمّها العجز فقالت : لستُ أدري

وإذاً نـبّهني عـاطفة الحبّ الدفـينْ
وتـظنّنت وظـنّ الألمـعي عـين اليـقينْ
إنّـه مـيلادمـولانا أمـير المـؤمنينْ
فدع الجاهل والقول : بأنّي لستُ أدري

لم يكـن فـي كـعبة الرحـمن مـولودٌ سـواهْ
إذ تـعالى فـي البـرايـا عـن مـثيل فـي عُـلاهْ
وتـولّى ذكـره فـي مـحكم الذكـر الإلهْ
أيقول الغرّ فيه بعد هذا : لستُ أدري

أقـبلت فـاطمة حـاملة خـير جـنينْ
جاء مـخلوقاً بـنور القـدس لا المـاء المـهينْ
وتـردّى مـنظر اللاهـوت بـين العـالمينْ
كيف قد أودع في جنبٍ وصدرٍ ؟ لستُ أدري

أقــبلت تـدعو وقـد جـاء بـها داءُ المـخاضْ
نحو جذع النخل من ألطاف ذي اللطف المفاضْ
فــدعت خــالقها البــاري بأحشـاءٍ مـراضْ
كيف ضجّت ؟ كيف عجّت ؟ كيف ناحت ؟ لستُ أدري
لستُ أدري غــير أنّ البـيت قـد ردّ الجـوابْ
بابتسامٍ في جـدار البـيت أضـحى مـنه بـابْ
دخلت فانجاب فيه البشر عن مـحض اللـبابْ
إنّما أدري بهذا غير هذا لستُ أدري
كيف أدري وهـو سـرٌ فـيه قـد حـار العـقولْ
حادثٌ في اليوم لكن لم يـزل أصـل الأُصـول
مــظهرٌ لله لكــن لا اتّــحاد لا حــلولْ
غاية الإدراك أن أدري بأنّي لستُ أدري
وُلد الطـهر (عـليٌّ) مـن تسـامى فـي عُـلاهْ ؟
فــاهتدى فــيه فــريقٌ وفــريقٌ فــيه تــاهْ
ضــلَّ أقــوامٌ فــظنّوا : إنّــه حــقّاً إلهْ
أم جنون العشق هذا لا يجازى ؟ لستُ أدري

ونظمها الشاعر المفلق الأُستاذ المسيحي (بولس سلامة) في أوّل ملحمته بالعربيّة (عيد الغدير) فقال في ص ٥٦ :

سمع اللـيل فـي الظـلام المـديدِ هــمسة مــثل أنّــةِ المــفقودِ
مـن خـفيِّ الآلام والكـبت فـيها ومــن البشـر والرجـاء السـعيدِ

حـرّة لزّهـا المـخاض فـلاذت ... بسـتار البـيت العـتيق الوطـيدِ
كعبة الله فـي الشـدائـد تُـرجـى ... بـابنة المـجد والعُـلى والجـودِ
يذر الفـقر أشـرف النـاس فـرداً ... والغـنيُّ الخـليع غـير فـريدِ
أيـنما سـار واكـبته جـباهٌ ... وظـهورٌ مـخلوقةٌ للسـجودِ

* * *

صبرت فاطم على الضـيم حـتّى ... لهث اللـيل لهـثة المكـدودِ
وإذا نـجمةٌ مـن الأُفـق خـفّت ... تـطعن اللـيل بـالشعاع الجـديدِ
وتـدانت مـن الحـطيم وقـرّت ... وتـدلّت تـدلّي العـنقودِ
تسكب الضوء في الأثـير دفـيقاً ... فـعلى الأرض وابـلٌ مـن سعودِ
واستفاق الحـمام يسـجع سـجعاً ... فـتهشُّ الأركـان للـتغريدِ
بسـم المسـجد الحـرام حـبوراً ... وتـنادت حـجاره للـنشيدِ
كـان فـجران ذلك اليـوم فـجرٌ ... لنـهارٍ وآخـرٌ للـنـوليدِ
هـالت الأُمّ صـرخـةٌ جـال فـيها ... بعض شيء من همهمات الأُسـودِ
دعت الشـبل حـيدراً وتـمنّت ... وأكـبّت عـلى الرجـاء المـديدِ
ـ أسـداً ـ سـمّت ابـنها كأبـيها ... لبـدة الجـدّ أُهـديت للـحفيدِ
بـل ـ عـليّاً ـ نـدعوه قـال أبـوه ... فـاستفزّ السـماء للـتأكـيدِ
ذلك اسـمٌ تـناقلته الفـيافي ... ورواه الجـلمود للـجلمودِ
يهرم الدهـر وهـو كـالصبح بـاقٍ ... كـلّ يـومٍ يأتـي بـفجرٍ جـديدِ»

* * *

وأخيراً هذا خلاصة ما قصدت بيانه في فضيلة الولادة في الكعبة المشرّفة

التي لم تحدث بهذا النحو الإعجازي إلّا لمولانا وإمامنا أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ونحمد الله ونشكره إذ علنا وإيّاكم من المتمسّكين بولايته وولاية الأئمة الأطهار من ولده، سائلاً المولى القدير أن يوفّقنا للثبات على هداهم وولايتهم في الدنيا والآخرة، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

عيد الغدير بين الثبوت والإثبات[1]

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمّد وآله.

قال الله تعالى في كتابه الكريم في قصّة المسيح مع الحواريّين:

﴿ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أعياد المسلمين أربع: الفطر والأضحى والغدير والجمعة».

والعيد لغةً: مأخوذ من عاد يعود، فيسمّى اليوم الخاصّ عيد، لأنّه يعود كلّ سنة، أو مأخوذ من العوائد، جمع العائدة، أي الفائدة الموهوبة، لأنّ الأعياد تشتمل على عوائد من الذكريات الطيّبة، كما تنزل فيها البركات الإلهيّة والرحمة الخاصّة والعطايا الربّانية والفيوضات القدسيّة.

ولكلّ أُمّة وشعب أعياد وطنيّة أو غيرها من ذكرياتهم الخاصّة، يمجّدونها

---

(١) محاضرة إسلاميّة ألقاها الكاتب في مسجد الإمام الرضا عليه السلام (موكب النجف الأشرف) ليلة عيد الغدير سنة ١٤٢١.

(٢) المائدة: ١١٤.

ويحتفلون بها ويعيدون ذكرياتها، وقد عيّن رسول الإسلام والإنسانيّة محمّد ﷺ لأُمّته في الشريعة الإسلاميّة أعياداً أربعة، كما ورد في نصوص كثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومنها: عيد الغدير الأغرّ.

ثمّ من الكلمات المتداولة على ألسن العلماء والفضلاء كلمتا (الثبوت) و(الإثبات)، ويقصد بالأوّل الواقع والمعنى ونفس الأمر، كما يقصد من الثاني عالم الدلائل والألفاظ والظهور وإبراز ما هو في الواقع، وإنّ الظاهر ينبئ عن الواقع كما يخبر عن الباطن والحقيقة.

فقوله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿ أَقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾[1] إنّما هو في عالم الإثبات الذي يخبر عن الإرادة الإلهيّة المتعلّقة بالصلاة في عالم الثبوت والواقع، والذي يسمّى بعالم المصالح والمفاسد.

ونظير الإثبات والثبوت عالمي الملك والملكوت، أو الظاهر والباطن، فكلّ شيء له ملك ظاهري كما له ملكوت باطني، والناس يختلفون ويتفاوتون في الدرجات باعتبار ما يحملون من العلوم والفنون والمعارف، ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[2] فيتفاضلون في الدنيا والآخرة بتفاضل المعرفة، وقيمة كلّ امرئ ما يحسنه من العلم والمعرفة والآداب والفنون.

وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، فالآيات والروايات باعتبار المفاهيم والمعاني ليست بمستوى واحد في فهمها ودركها ومعرفتها، بل كما ورد في الخبر

---

(١) الأنعام: ٧٢.

(٢) المجادلة: ١١.

السجّادي عليه السلام : «سيأتي في آخر الزمان أقوام يتعمّقون، فأنزل الله إليهم سورة التوحيد وآيات من سورة الحديد»، والقلوب أوعية خيرها أوعاها، كما أنّ الزمان وأهله في تطوّر وإزدهار في جانب العلوم المعاشيّة، وكذلك في العلوم المادّية وفي المعارف الإلهيّة المتبلورة بالقرآن الكريم والأخبار النبويّة الشريفة والأحاديث المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام.

ومن هذا المنطلق تطرح واقعة الغدير ـ التي هي من أهمّ الوقائع الإسلامية ـ تارة باعتبار عالم الإثبات والدلائل، وما جاء في القرآن الكريم من آيات التبليغ والإكمال وغيرهما، وما ورد في الأحاديث الشريفة من حجّة الوداع وخطبة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله ونصب أمير المؤمنين علي عليه السلام للوصاية والخلافة، واحتجاج أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء وأهل البيت بغدير خم، وما جرى فيه من الأحداث التاريخية، وتهنئة الأصحاب والشيخين أبي بكر وعمر بإمرة المؤمنين.

وأُخرى باعتبار عالم الثبوت، وما في واقع الأمر وفي علم الله سبحانه وفي العوالم السابقة على عالم الناسوت، وهي هذه الدنيا التي نعيش فيها، فإنّه كما ثبت في محلّه هناك عوالم سابقة على هذا العالم، كعالم الأنوار وعالم الأرواح وعالم الذرّ وعالم الطينة، أو عالم الجبروت واللاهوت والملكوت، ثمّ من العوالم السابقة ما كان فيها التكليف في الجملة، فإنّ في عالم الذرّ والذي يسمّى بعالم الميثاق وعالم (ألست) أيضاً، قد أخذ الله الميثاق على الخلق وخاطبهم بقوله: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[1] قالوا: ﴿ بَلَى ﴾، إلّا أنّ الإنسان كأنّه خلق من النسيان، فإنّ من الناس من أنكر تلك الدعوة والتلبيّة، فكفر وأشرك بالله،

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

كما قد أخذ الله الميثاق على الناس جميعهم بنبوّة خاتم النبيّين، والتي تعني النبوّة كلّها من آدم إلى الخاتم، فقال: «أليس محمّد نبيّكم» فقالوا: «بلى»، إلّا أنّ منهم من أنكر ختم النبوّة في هذه الدنيا، فكفر بالنبيّ الخاتم محمّد صلى الله عليه وآله، وقد أخذ الله الميثاق أيضاً بالإمامة فقال: «أليس عليّ إمامكم» قالوا: «بلى»، إلّا أنّ منهم من جحد نعمة الله سبحانه، فكفر بولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والأئمة المعصومين من بعده.

والغدير هو العيد الأكبر للخلائق أجمع بصورة عامّة، كما هو عيد المسلمين بصورة خاصّة، وللمؤمنين الموالين لأهل البيت عليهم السلام بنحو أخصّ، فإنّ الله يعود على الخلق بالفضل والعوائد والرحمة الخاصّة، في مثل هذا اليوم المبارك.

ثمّ لنا نصوص كثيرة تدلّ على عظمة وشموخ يوم الغدير، وفي بعضها ما يشير إلى حقيقته في عالم الثبوت.

ففي (المصباح) لشيخ الطائفة شيخنا الطوسي قدس سره[1]، عن داود الرقّي، عن أبي هارون عمّار بن حريز العبدي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة، فوجدته صائماً، فقال لي: هذا يوم عظيم، عظّم الله حرمته على المؤمنين، وأكمل لهم فيه الدين، وتمّم عليهم النعمة، وجدّد لهم ما أخذ عليهم من العهد والميثاق. فقيل له: ما ثواب صوم هذا اليوم؟ قال: إنّه يوم عيد وفرح وسرور، ويوم صوم شكراً لله، وإنّ صومه يعدل ستّين شهراً من أشهر الحرم[2].

---

(١) المصباح: ٥١٣.

(٢) الغدير؛ للعلّامة الأميني، الجزء ١.

قوله عليه السلام : «وجدّد لهم ما أخذ عليهم من العهد والميثاق»، يدلّ على أنّ عالم الإثبات يخبر عن عالم الثبوت، وأنّه تجديد لأمر كان قديماً على الناس وعهداً معهوداً وميثاقاً أخذه الله منهم. كما ورد في أحاديث عالم الذرّ. وفي تفسير الآية الشريفة.

منها: عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبيّة ولرسوله بالنبوّة ولأمير المؤمنين والأئمة بالإمامة، فقال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ومحمّد نبيّكم وعليّ إمامكم والأئمة الهادون أئمّتكم ﴿ قَالُوا بَلَى ﴾»... الحديث[1].

والإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين العاملي قدس سره يرى أنّ القول الإلهي في الآية الشريفة ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ من باب المجاز والتمثيل، وهو من أوسع أبواب البلاغة في لسان العرب، والقرآن الكريم إنّما نزل على لغتهم وفي أساليبهم، وما تحدّى العرب إلّا على طرائقهم وفي مجازاتهم وحقائقهم، فعجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله، فآية الميثاق والإشهاد على أنفسهم إنّما جاءت من هذا الباب كما جاء غيرها من آيات الفرقان وصحاح السنّة وسائر كلام العرب.

ويذكر في هذا الباب شواهد من التنزيل والسنّة وأشعار العرب، كعرض الأمانة على السماوات والأرض، وقوله: ﴿ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً ﴾[2]، وقوله: ﴿ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[3]، و ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى

---

(١) فلسفة الميثاق والولاية: السيّد عبد الحسين شرف الدين: ٩.

(٢) فصلّت: ١١.

(٣) النحل: ٤٠.

جَبَلٍ ﴾[1]، وبكاء السماء والأرض لسيّد الشهداء عليه السلام، وغير ذلك.

فظاهر آية (الذرّ) أنّها إنّما جاءت على سبيل التمثيل والتصوير، فمعناها والله تعالى أعلم: (و) اذكر يا محمّد صلى الله عليه وآله للناس ما قد واثقوا الله عليه بلسان حالهم التكويني من الإيمان والشهادة له بالربوبيّة، وذلك (إذ أخذ ربّك) أي حيث أخذ ربّك جلّ سلطانه (من بني آدم) أي (من ظهورهم ذرّيتهم) فأخرجها من أصلاب آبائهم نطفاً فجعلها في قرار مكين من أرحام أُمّهاتهم، ثمّ جعل النطف علقاً، ثمّ مضغاً، ثمّ عظاماً، ثمّ كسا العظام لحماً، ثمّ أنشأ كلاً منهم خلقاً سويّاً قويّاً في أحسن تقويم، سميعاً بصيراً ناطقاً عاقلاً مفكّراً مدبّراً عالماً عاملاً كاملاً ذا حواسّ ومشاعر وأعضاء أدهشت الحكماء، وذا مواهب عظيمة وبصائر نيّرة تميّز بين الصحيح والفاسد والحسن والقبيح، وتفرّق بين الحقّ والباطل، فيدرك بها آلاء الله في ملكوته، وآيات صنعه... فكأنّه تبارك وتعالى إذا خلقهم على هذه الكيفيّة قرّرهم ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ ﴾ فقال لهم: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وكأنّهم ﴿ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ على أنفسنا لك بالربوبيّة، ونجعنا لعزّتك وجلاك بالعبوديّة نزولاً على ما قد حكمت به عقولنا، وجزمت به بصائرنا، حيث ظهر لديها أمرك، وغلب عليها قهرك ـ إلى آخر ما يقوله قدس سره ـ.

ثمّ قال: وأمّا أخذ الميثاق هنا لرسوله بالنبوّة ولأوصيائه الاثنى عشر بالإمامة، فإنّما هو على حدّ ما ذكرناه من أخذ الميثاق لله عزّ وجلّ بالربوبيّة، فإنّه وله الحمد والمجد أقام على نبوّة نبيّنا وإمامة أئمّتنا من الأدلّة القاطعة والبراهين الساطعة والآيات البيّنات والحجج البالغة المتظاهرة ما لا يتسنّى

---

(١) الحشر: ٢١.

جحوده، ولا تتأتّى المكابرة فيه، ولات حين مناص، ولو فرض أنّ الله عزّ سلطانه سأل بني آدم (بعد تناصر تلك الأدلّة) وأشهدهم على نبوّة نبيّنا وإمامة أوصيائه، لما وسعهم إلّا الإقرار لهم والشهادة بالحقّ طوعاً وكرهاً. ألا ترى البرّ والفاجر والمسلم والكافر والمؤمن والمنافق والناصب والمارق قد نجعوا لفضلهم، وطأطأوا لشرفهم، فسطّروا الأساطير في مناقبهم، وملأوا الطوامير من خصائصهم، وتلك صحاح أعدائهم تشهد لهم بالحقّ الذي هم أهله ومعدنه ومأواه ومنتهاه...

أقول: تفسيره هذا إنّما هو من تفسير الظاهر وكشف القناع عن الآية الشريفة في الظاهر وفي عالم الإثبات والدلائل، وأمّا تأويلها وكشف القناع عن بواطنها وحقائقها فإنّه كما ورد في أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام، فإنّهم الأعرف بعالم الثبوت والواقع، بوحي نزل على جدّهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فحديثهم حديث جدّهم، أو بإلهام من الله سبحانه وقرع في الأسماع ونكت في القلوب.

وحسب الأخبار المرويّة في تأويل الآية الشريفة، لنا (عالم الذرّ) والنشأة الإنسانية الأُولى كما عند العلّامة الطباطبائي في تفسيره (الميزان)، وإنّ صدق القضايا في عالمنا هذا إنّما هو باعتبار مطابقتها لنفس الأمر والواقع وما جاء في النشأة الأُولى، وإنّ عالم الميثاق وعالم الذرّ يعدّ من عوالم التكليف في الجملة أيضاً، ودار الدنيا دار الامتحان والتكاليف بالجملة والتفصيل.

وقد أخذ الله سبحانه العهد والميثاق من بني آدم بالتوحيد والنبوّة والإمامة، والجامع لهذه الحقائق هي الولاية العظمى الإلهيّة الجامعة للأسماء الحسنى

والصفات العليا، والمتبلورة في النبوّة، والمتجلّية في الوصاية والإمامة التكوينية والتشريعية، وهي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة الأطهار من بعده، فبهم تختم الوصاية كما بجدّهم ختمت النبوّة، وقد ألقم الله الميثاق هذا للحجر الأسود كما ورد في الأخبار الشريفة[1].

فالله سبحانه توّج أمير المؤمنين بتاج الولاية والإمامة في عالم العهد والميثاق من العوالم السالفة والقديمة، وهذا ما نقصده من قولنا: (الغدير في عالم الثبوت)، ثمّ جدّد ذلك العهد في الثامن عشر من ذي الحجّة الحرام في السنة العاشرة من الهجرة النبويّة الشريفة، وكما ورد في التاريخ وفي الآيات والروايات.

وقصّة الغدير في عالم الإثبات والدلائل الظاهرات والبراهين الساطعات من المتواترات لا يمكن إنكارها إلّا المكابر، ومن استحوذ عليه الشيطان.

هذا ومن الروايات الدالّة على واقعة الغدير في العوالم السابقة:

ما جاء في البحار بسنده عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، قال: كنّا عند الرضا عليه السلام والمجلس غاصّ بأهله، فتذاكروا يوم الغدير، فانكره بعض الناس، فقال الرضا عليه السلام: حدّثني أبي عن أبيه، قال: إنّ يوم الغدير في السماء أشهر منه

---

(١) الوسائل ٥: ٤٠٠، باب ١٢ من أبواب الطواف، الحديث ٢، بسنده عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الله لمّا أخذ مواثيق العباد أمر الحجر فالتقمها، فلذلك يقال: أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة.

وكذلك في الباب ١٣، وفيه ١٨ رواية، خذها وتدبّر فيها لتستخرج منها اللؤلؤ والمرجان.

في الأرض، إنّ لله في الفردوس الأعلى قصراً لبنة من فضّة ولبنة من ذهب، فيه مائة ألف قبّة من ياقوتة حمراء، ومائة ألف خيمة من ياقوت خضراء، ترابه مسك والعنبر، فيه أربعة أنهار: نهر من خمر، ونهر من ماء، ونهر من لبن، ونهر من عسل، حواليه أشجار جميع الفواكه، عليه طيور أبدانها من لؤلؤ وأجنحتها من ياقوت، وتصوّت بألوان الأصوات، فإذا كان يوم الغدير ورد إلى ذلك القصر أهل السماوات يسبّحون الله ويقدّسونه ويهلّلونه، تتطاير تلك الطيور فتقع في ذلك الماء، وتتمرّغ على ذلك المسك والعنبر، فإذا اجتمعت الملائكة طارت فتنفض ذلك عليهم، وإنّهم في ذلك اليوم يتهادون نثار فاطمة عليها السلام، فإذا كان آخر ذلك اليوم نودوا: انصرفوا إلى مراتبكم فقد أمنتم الخطأ والزلل إلى قابل ـ أي إلى السنة القابلة ـ في مثل هذا اليوم تكرمةً لمحمّد وعليّ عليهما السلام.

ثمّ قال: يا ابن أبي نصر، أينما كنت فاحضر يوم الغدير عند أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّ الله يغفر لكلّ مؤمن ومؤمنة، ومسلم ومسلمة، من ذنوب ستّين سنة، ويعتق من النار ضعف ما أعتق في شهر رمضان وليلة القدر وليلة الفطر، والدرهم فيه بألف درهم لإخوانك العارفين، وأفضِل على إخوانك في هذا اليوم، وسرّ فيه كلّ مؤمن ومؤمنة.

ثمّ قال: يا أهل الكوفة، لقد أُوتيتم خيراً كثيراً، وأنتم ممّن امتحن الله قلبه للإيمان، مستذلّون مقهورون ممتحنون، ليصبّ البلاء عليكم صبّاً، ثمّ يكشفه كاشف الكرب العظيم، والله لو عرف الناس فضل هذا اليوم بحقيقته، لصافحتهم الملائكة في كلّ يوم عشر مرّات.

ولولا أنّي أكره التطويل لذكرت من فضل هذا اليوم وما أعطاه الله من عرفه

ما لا يحصى بعدد[١].

فقوله عليه السلام : «لو عرف الناس فضل هذا اليوم بحقيقته» يشير إلى عالم الثبوت وهو عالم الحقيقة والواقع. كما أنّ الملائكة تحتفل بهذا اليوم المبارك من قبل ومن بعد.

وفي البحار بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام، يقول: صوم يوم غدير خم يعدل صيام عمر الدنيا، لو عاش إنسان عمر الدنيا، ثمّ لو صام ما عَمِرت الدنيا لكان له ثواب ذلك، وصيامه يعدل عند الله عزّ وجلّ مائة حجّة ومائة عمرة، وهو عيد الله الأكبر، وما بعث الله عزّ وجلّ نبيّاً إلّا وتعيّد في هذا اليوم، وعرف حرمته ـ وهذا يعني أنّ الأنبياء كلّهم عرفوا عيد الغدير ويومه، وهو عيد الله الأكبر، في مكنون علمه وسرّه جلّ جلاله، فكان الغدير قبل خلق الخلق ـ واسمه في السماء يوم العهد المعهود، وفي الأرض يوم الميثاق المأخوذ والجمع المشهود، ومن صلّى فيه ركعتين من قبل أن تزول الشمس بنصف ساعة شكراً لله عزّ وجلّ، ويقرأ في كلّ ركعة سورة الحمد عشراً، وإنّا أنزلناه في ليلة القدر عشراً، وآية الكرسي عشراً، عدلت عند الله عزّ وجلّ مائة ألف حجّة ومائة ألف عمرة، وما سأل الله عزّ وجلّ حاجة من حوائج الدنيا والآخرة كائنة ما كانتا إلّا أتى الله عزّ وجلّ على قضائها في يسر وعافية، ومن فطّر مؤمناً كان له ثواب من أطعم فئاماً وفئاماً، فلم يزل يعدّ حتّى عدّ عشرة. ثمّ قال: أتدري ما الفئام؟ قلت: لا، قال: مائة ألف، وكان له ثواب من أطعم بعددهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين في

---

(١) البحار ٨: ١٨٢، راجع التهذيب ٢: ٨، ومصباح المتهجّد: ٥١٣، ومصباح الزائر، الفصل السابع، والإقبال: ٦٨٥.

حرم الله عزّ وجلّ، وسقاهم في يومٍ ذي مسغبة، والدرهم فيه بمائة ألف درهم، ثمّ قال: لعلّك ترى أنّ الله عزّ وجلّ خلق يوماً أعظم حرمةً منه؟ لا والله لا والله لا والله، ثمّ قال: وليكن من قولك إذا لقيت أخاك المؤمن: الحمد لله الذي أكرمنا بهذا اليوم[1] وجعلنا من المؤمنين[2] وجعلنا من المؤمنين بعهده الذي عهد إلينا، وميثاقه الذي واثقنا به من ولاية ولاةِ أمره، والقوّام بقسطه، ولم يجعلنا من الجاحدين والمكذّبين بيوم الدين[3].

ثمّ ذكر الإمام عليه السلام الدعاء الذي بعد الصلاة، ومثله مذكور في مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمّي قدس سره، فراجع.

وعن أبي الحسن الليثي، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أنّه قال لمن حضره من مواليه وشيعته: أتعرفون يوماً شيّد الله به الإسلام، وأظهر به منار الدين، وجعله عيداً لنا ولمواليا وشيعتنا؟

فقالوا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، أيوم الفطر هو يا سيّدنا؟

قال: لا.

قالوا: أفيوم الأضحى هو؟

قال: لا، وهذان يومان جليلان شريفان، ويوم منار الدين أشرف منهما، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا انصرف من حجّة الوداع وصار بغدير خُم، أمر الله عزّ وجلّ جبرئيل عليه السلام أن يهبط على النبيّ صلى الله عليه وآله

---

(١) وهذا يعني أنّه من التقوى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾.

(٢) وهذا يعني أنّه رفع درجات ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ﴾.

(٣) البحار ٩٥: ٣٠٢، عن الإقبال للسيّد ابن طاووس: ٤٧٥.

وقت قيام الظهر من ذلك اليوم وأمره أن يقوم بولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأن ينصبه علماً للناس بعده، وأن يستخلفه في أُمّته، فهبط إليه وقال له: حبيبي محمّد إنّ الله يقرئك السلام، ويقول لك: قم في هذا اليوم بولاية علي صلّى الله عليه ليكون علماً لأُمّتك بعدك، يرجعون إليه، ويكون لهم كأنت...[1].

فعيد الغدير هو عيد الله الأكبر جلّ جلاله، كما هو عيد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، إنّه عيد الأنبياء والأوصياء، عيد الأئمة الأطهار عليهم السلام وعيد مواليهم وشيعتهم الأخيار، وهو عيد المسلمين، إلّا أنّ القوم لمّا جحدوا حقّ أمير المؤمنين يوم السقيفة؛ وأنكروا يوم الغدير ـ الثابت عند الفريقين متواتراً كما ذكر العلّامة الأميني قدس سره في كتابه القيّم (الغدير) في أحد عشر مجلّداً ـ أنكروا عيد الغدير أيضاً، بل قالوا بهتاناً وافتراءً، إنّ هذا العيد السعيد من فعل الشيعة في القرن الثالث الهجري ونسبوه إلى معزّ الدولة البويهي.

وإليك ما يذكره العلّامة الأميني عليه الرحمة في كتابه العظيم الغدير حول عيد الغدير[2]:

«إنّ الذي يتجلّى للباحث حول تلك الصفة أمران:

الأوّل: أنّه ليس صلة هذا العيد بالشيعة فحسب، وإن كانت لهم به علاقة خاصّة، وإنّما اشترك معهم في التعيّد به غيرهم من فرق المسلمين، فقد عدّه البيروني في الآثار الباقية في القرون الخالية (ص ٣٣٤) ممّا استعمله أهل الإسلام من الأعياد، وفي مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي (ص ٥٣) يوم غدير خم

---

(١) المصدر ٩٥: ٣٠٠.

(٢) الغدير ١: ٢٦٧.

ذكره (أمير المؤمنين) في شعره وصار ذلك اليوم عيداً وموسماً لكونه كان وقتاً نصّه رسول الله ﷺ بهذه المنزلة العليّة، وشرّفه بها دون الناس كلّهم.

وقال (ص ٥٦): وكلّ معنى أمكن إثباته ممّا يدلّ عليه لفظ المولى لرسول الله ﷺ فقد جعله لعليّ، وهي مرتبة سامية ومنزلة سامقة ودرجة عليّة، ومكانة رفيعة، خصصه بها دون غيره، فلهذا صار ذلك اليوم عيد وموسم سرور لأوليائه. انتهى.

قال العلّامة الأميني ﷺ: تفيدنا هذه الكلمة اشتراك المسلمين قاطبة في التعيّد بذلك اليوم سواء رجع الضمير في (أوليائه) إلى النبيّ أو الوصيّ صلّى الله عليهما وآلهما، أمّا على الأوّل: فواضح، وأمّا على الثاني: فكلّ المسلمون يوالون أمير المؤمنين عليّاً شرع سواء في ذلك في يواليه بما هو خليفة الرسول بلا فصل، ومن يراه رابع الخلفاء، فلن تجد في المسلمين من ينصب له العداء إلّا شذّاذ من الخوارج مرقوا عن الدين الحنيف.

ثمّ يذكر ﷺ شواهد أُخرى تدلّ على أنّ المسلمين في القديم كانوا يحتفلون بهذا اليوم المبارك ويعدّونه عيداً عظيماً من أعياد الإسلام، ثمّ يقول:

الثاني: إنّ عهد هذا العيد يمتدّ إلى أمد قديم متواصل بالدور النبوي، فكانت البدأة به يوم الغدير من حجّة الوداع... فكان يوماً مشهوداً يسرّ موقعه كلّ معتنق للإسلام حيث وضح له فيه منتجع الشريعة، ومنبثق أنوار أحكامها، فلا تلويه من بعده الأهواء يميناً وشمالاً ولا يسفّ به الجهل إلى هوّة السفاسف، وأيّ يوم يكون أعظم منه؟ وقد لاح فيه لاحب السنن، وبان جدد الطريق، وأكمل فيه الدين، وتمّت فيه النعمة، ونوّه بذلك القرآن الكريم، ثمّ يذكر حديث التهنئة بالإمرة

لأمير المؤمنين علي عليه السلام من طرق عديدة تبلغ الستّين.

ثمّ يقول: كلّ هذه لا محالة قد أكسب هذا اليوم منعةً وبذخاً ورفعةً وشموخاً، سرّ موقعها صاحب الرسالة الخاتمة وأئمة الهدى ومن اقتصّ أثرهم من المؤمنين، وهذا هو الذي نعنيه من التعيّد به، وقد نوّه به رسول الله في ما رواه فرات بن إبراهيم الكوفي في القرن الثالث عن محمّد بن ظهير عن عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الإمام الصادق عن أبيه عن آبائه، قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يوم غدير خم أفضل أعياد أُمّتي، وهو اليوم الذي أمرني الله تعالى ذكره بنصب أخي علي بن أبي طالب علماً لأُمّتي يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وأتمّ على أُمّتي فيه النعمة، ورضي لهم الإسلام ديناً، كما يعرب عنه قوله صلى الله عليه وآله في حديث آخر أخرجه الحافظ الخركوشي (كما في الغدير ص ٢٧٤): هنّئوني هنّئوني».

واقتفى أثر النبيّ الأعظم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام نفسه فاتّخذه عيداً، وخطب فيه سنة اتّفق فيها الجمعة والغدير، ومن خطبته قوله: إنّ الله عزّ وجلّ جمع لكم معشر المؤمنين في هذا اليوم عيدين عظيمين كبيرين ولا يقوم أحدهما إلّا بصاحبه ليكمل عندكم جميل صنعه، ويقفكم على طريق رشده، ويقفو بكم آثار المستضيئين بنور هدايته، ويسلككم منهاج قصده، ويوفّر عليكم هنيء رفده، فجعل الجمعة مجمعاً ندب إليه لتطهير ما كان قبله، وغسل ما أوقعته مكاسب السوء من مثله إلى مثله، وذكرى للمؤمنين، وتبيان خشية المتّقين، ووهب من ثواب الأعمال فيه أضعاف ما وهب لأهل طاعته في الأيّام قبله، وجعله لا يتمّ إلّا بالائتمار لما أمر به، والانتهاء عمّا نهى عنه، والبخوع بطاعته في

ما حثّ عليه وندب إليه، فلا يقبل توحيده إلّا بالاعتراف لنبيّه ﷺ بنبوّته، ولا يقبل ديناً إلّا بولاية من أمر بولايته، ولا تنتظم أسباب طاعته إلّا بالتمسّك بعصمه وعصم أهل ولايته، فأنزل على نبيّه ﷺ في يوم الدوح ما بيّن به عن إرادته في خلصائه وذوي اجتبائه، وأمره بالبلاغ وترك الحفل بأهل الزيغ والنفاق وضمن له عصمته منهم.

إلى أن قال:

عودوا رحمكم الله بعد انقضاء مجمعكم بالتوسعة على عيالكم، وبالبرّ بإخوانكم، والشكر لله عزّ وجلّ على ما منحكم، وأجمعوا يجمع الله شملكم، وتبارّوا يصل الله ألفتكم، وتهادوا نعمة الله كما منّكم بالثواب فيه على أضعاف الأعياد قبله أو بعده إلّا في مثله، والبرّ فيه يثمر المال ويزيد في العمر، والتعاطف فيه يقتضي رحمة الله وعطفه، وهيّئوا لإخوانكم وعيالكم عن فضله بالجهد من وجودكم، وبما تناله القدرة من استطاعتكم، وأظهروا البشر في ما بينكم والسرور في ملاقاتكم. الخطبة[1].

وعرفه أئمة العترة الطاهرة صلوات الله عليهم فسّموه عيداً وأمروا بذلك عامّة المسلمين، ونشروا فضل اليوم ومثوبة من عمل البرّ فيه.

ففي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي في سورة المائدة عن جعفر بن محمّد الأزدي، عن محمّد بن الحسين الصائغ، عن الحسن بن علي الصيرفي، عن محمّد البزّاز، عن فرات بن أحنف، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت: جعلت فداك للمسلمين عيد أفضل من الفطر والأضحى ويوم الجمعة ويوم عرفة؟

---

(١) ذكرها شيخ الطائفة بإسناده في مصباح المتهجّد: ٥٢٤.

قال : فقال لي : نعم، أفضلها وأعظمها وأشرفها عند الله منزلة هو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأنزل على نبيّه محمّد : اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً.

قال : قلت : وأيّ يوم هو ؟

قال : فقال لي : إنّ أنبياء بني إسرائيل كانوا إذا أراد أحدهم أن يعقد الوصيّة والإمامة من بعده ففعل ذلك جعلوا ذلك اليوم عيداً، وإنّه اليوم الذي نصب فيه رسول الله ﷺ عليّاً للناس علماً وأنزل فيه ما أنزل، وكمل فيه الدين، وتمّت فيه النعمة على المؤمنين.

قال : قلت : وأيّ يوم هو في السنّة ؟

قال : فقال لي : إنّ الأيام تتقدّم وتتأخّر وربما كان يوم السبت والأحد والاثنين إلى آخر الأيام السبعة[1].

قال : قلت : فما ينبغي لنا أن نعمل في ذلك اليوم ؟

قال : هو يوم عبادة وصلاة وشكر لله وحمد له وسرور لِما منَّ الله به عليكم من ولايتنا. فإنّي أُحبّ لكم أن تصوموه.

وفي الكافي لثقة الإسلام الكليني (١ : ٣٠٣) عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن القاسم بن يحيى عن جدّه الحسن بن راشد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : جعلت فداك للمسلمين عيد غير العيدين ؟

قال : نعم يا حسن، أعظمهما وأشرفهما.

---

(١) الظاهر أنّ في لفظ الحديث سقطاً، ولعلّه ما سيأتي في لفظ الكليني عن الإمام نفسه من تعيينه باليوم الثامن عشر من ذي الحجّة.

قلت : وأيّ يوم هو ؟

قال : يوم نصب أمير المؤمنين عليه السلام علماً للناس.

قلت : جعلت فداك وما ينبغي لنا أن نصنع فيه ؟

قال : تصوم يا حسن، وتكثر الصلاة على محمّد وآله، وتبرأ إلى الله ممّن ظلمهم، فإنّ الأنبياء صلوات الله عليهم كانت تأمر الأوصياء اليوم الذي كان يقام فيه الوصيّ أن يتّخذ عيداً.

قال : قلت : فما لمن صامه ؟

قال : صيام ستّين شهراً[1].

وفي الكافي أيضاً (١ : ٢٠٤) عن سهل بن زياد عن عبد الرحمن بن سالم عن أبيه قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام هل للمسلمين عيدٌ غير يوم الجمعة والأضحى والفطر ؟

قال : نعم أعظمها حرمة.

قلت : وأيّ عيد هو جعلت فداك ؟

قال : اليوم الذي نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين وقال : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

قلت : وأيّ يوم هو ؟

قال : وما تصنع باليوم، إنّ السنّة تدور، ولكنّه يوم ثمانية عشر من ذي الحجّة.

فقلت : ما ينبغي لنا أن نفعل في ذلك اليوم ؟

---

(١) ستوافيك هذه المثوبة من رواية الحفّاظ بإسناد رجاله كلّهم ثقات.

قال: تذكرون الله عزّ ذكره فيه بالصيام والعبادة والذكر لمحمّد وآل محمّد، فإنّ رسول الله ﷺ أوصى أمير المؤمنين عليه السلام أن يتّخذوا ذلك اليوم عيداً، وكذلك كانت الأنبياء تفعل كانوا يوصون أوصياءهم بذلك فيتّخذونه عيداً.

وبإسناده عن الحسين بن الحسن الحسيني، عن محمّد بن موسى الهمداني، عن عليّ بن حسان الواسطي، عن عليّ بن الحسين العبدي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: صيام يوم غدير خمّ يعدل عند الله في كلّ عام مائة حجّة ومائة عمرة مبرورات متقبّلات وهو عيد الله الأكبر. الحديث.

وفي (الخصال) لشيخنا الصدوق بإسناده عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كم للمسلمين من عيد؟

فقال: أربعة أعياد.

قال: قلت: قد عرفت العيدين والجمعة.

فقال لي: أعظمها وأشرفها يوم الثامن عشر من ذي الحجّة وهو اليوم الذي أقام فيه رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام ونصبه للناس علماً.

قال: قلت: وما يجب علينا في ذلك اليوم؟

قال: يجب[1] عليكم صيامه شكراً لله وحمداً له مع أنّه أهل أن يشكر كلّ ساعة، كذلك أمرت الأنبياء أوصياءها أن يصوموا اليوم الذي يقام فيه الوصيّ ويتّخذونه عيداً. الحديث.

وفي (المصباح) لشيخ الطائفة الطوسي (ص: ٥١٣) عن داود الرقّي عن

---

(١) المراد بالوجوب هو الثبوت بالسنّة الشامل للندب أيضاً كما يكشف عنه التعبير بـ (ينبغي) في بقية الأحاديث وله في أحاديث الفقه نظائر جمّة.

أبي هارون عمّار بن حريز العبدي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة فوجدته صائماً، فقال لي: هذا يوم عظيم، عظّم الله حرمته على المؤمنين وأكمل لهم فيه الدين، وتمّم عليهم النعمة، وجدّد لهم ما أخذ عليهم من العهد والميثاق فقيل له: وما ثواب صوم هذا اليوم؟ قال: إنّه يوم عيد وفرح وسرور ويوم صوم شكراً لله، وإنّ صومه يعدل ستّين شهراً من أشهر الحرم. الحديث.

وروى عبد الله بن جعفر الحميري عن هارون بن مسلم عن أبي الحسن الليثي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال لمن حضره من مواليه وشيعته: أتعرفون يوماً شيّد الله به الإسلام، وأظهر به منار الدين، وجعله عيداً لنا ولموالينا وشيعتنا؟

فقالوا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، أيوم الفطر هو يا سيّدنا؟

قال: لا.

قالوا: أفيوم الأضحى هو؟

قال: لا، وهذان يومان جليلان شريفان ويوم منار الدين أشرف منهما، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا انصرف من حجّة الوداع وصار بغدير خم. الحديث.

وفي حديث الحميري بعد ذكر صلاة الشكر يوم الغدير وتقول في سجودك: اللهمّ إنّا نفرِّج وجوهنا في يوم عيدنا الذي شرّفتنا فيه بولاية أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب صلّى الله عليه.

وقال الفيّاض بن محمّد بن عمر الطوسي سنة تسع وخمسين ومائتين وقد بلغ التسعين: إنّه شهد أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في يوم الغدير

وبحضرته جماعة من خاصّته قد احتبسهم للإفطار، وقد قدّم إلى منازلهم الطعام والبرّ والصلات والكسوة حتّى الخواتيم والنعال، وقد غيّر من أحوالهم وأحوال حاشيته، وجدّدت لهم آلة غير الآلة التي جرى الرسم بابتذالها قبل يومه، وهو يذكر فضل اليوم وقدمه.

وفي مختصر بصائر الدرجات بالإسناد عن محمّد بن العلاء الهمداني الواسطي ويحيى بن جريح البغدادي، قالا في حديث: قصدنا جميعاً أحمد بن إسحاق القمّي صاحب الإمام أبي محمّد العسكري (المتوفّى ٢٦٠) بمدينة قم وقرعنا عليه الباب فخرجت إلينا من داره صبيّة عراقيّة فسألناها عنه، فقالت: هو مشغول بعيده، فإنّه يوم عيد، فقلنا: سبحان الله أعياد الشيعة أربعة: الأضحى والفطر والغدير والجمعة. الحديث.

(ما عشت أراك الدهر عجباً)

إلى هنا أوقفك البحث والتنقيب على حقيقة هذا العيد وصلته بالأُمّة جمعاء، وتقادم عهده المتّصل بالدور النبوي، ثمّ جاء من بعده متواصلة العرى من وصيّ إلى وصيّ يعلم به أئمة الدين، ويشيد بذكره أُمناء الوحي كالإمامين أبي عبد الله الصادق وأبي الحسن الرضا بعد أبيهم أمير المؤمنين صلوات الله عليهم، وقد توفّي هذان الإمامان ونطف البويهيّين لم تنعقد، وقد جاءت أخبارهما مرويّة في تفسير فرات والكافي المؤلّفين في القرن الثالث، وهذه الأخبار هي مصادر الشيعة ومداركها في اتّخاذ يوم الغدير عيداً منذ عهد طائل في القدم، ومنذ صدور تلكم الكلم الذهبيّة من معادن الحُكم والحِكَم.

إذا عرفت هذا فهلمّ معي نسائل النويري والمقريزي عن قولهما: إنّ هذا

العيد ابتدعه معزّ الدولة عليّ بن بويه (سنة ٣٥٢) قال الأوّل في (نهاية الإرب في فنون الأدب) (١ : ١٧٧) في ذكر الأعياد الإسلاميّة : وعيد ابتدعته الشيعة وسمّوه عيد الغدير، وسبب اتّخاذهم له مواخاة النبيّ ﷺ عليّ بن أبي طالب يوم غدير خم، والغدير تصبّ فيه عين وحوله شجر كبير ملتفّ بعضها ببعض، وبين الغدير والعين مسجد رسول الله ﷺ واليوم الذي ابتدعوا فيه هذا العيد هو الثامن عشر من ذي الحجّة، لأنّ المواخاة كانت فيه في سنة عشر من الهجرة وهي حجّة الوداع، وهم يحيون ليلتها بالصلاة ويصلّون في صبيحتها ركعتين قبل الزوال، وشعارهم فيه لبس الجديد وعتق الرقاب وبرّ الأجانب والذبائح.

وأوّل من أحدثه معزّ الدولة أبو الحسن عليّ بن بويه على ما نذكره إن شاء الله في أخباره في سنة ٣٥٢، ولمّا ابتدع الشيعة هذا العيد واتّخذه من سننهم عمل عوام السنّة يوم سرور نظير عيد الشيعة في سنة ٣٨٩ وجعلوه بعد عيد الشيعة بثمانية أيّام، وقالوا : هذا يوم دخول رسول الله ﷺ لغار هو وأبو بكر الصدّيق، وأظهروا في هذا اليوم الزينة ونصب القباب وإيقاد النيران. اهـ.

وقال المقريزي في الخطط ٢ : ٢٢٢ : عيد الغدير لم يكن عيداً مشروعاً ولا عمله أحد من سالف الأُمّة المقتدى بهم، وأوّل ما عرف في الإسلام بالعراق أيام معزّ الدولة عليّ بن بويه فإنّه أحدثه سنة ٣٥٢ فاتّخذه الشيعة من حينئذٍ عيداً. اهـ.

وما عساني أن أقول في بحّاثة يكتب عن تأريخ الشيعة قبل أن يقف على حقيقته، أو أنّه عرف نفس الأمر فنسيها عند الكتابة، أو أغضى عنها لأمر دُبِّر بليل، أو أنّه يقول ولا يعلم ما يقول، أو أنّه ما يبالي بما يقول، أوَ ليس المسعودي

المتوفّى ٣٤٦ يقول في التنبيه والإشراف ص ٢٢١: وولد عليّ ﷺ وشيعته يعظّمون هذا اليوم. أوَ ليس الكليني الراوي لحديث عيد الغدير في الكافي توفّي سنة ٣٢٩؟ وقبله فرات بن إبراهيم الكوفي المفسّر الراوي لحديثه الآخر في تفسيره (الموجود عندنا) الذي هو في طبقة مشايخ ثقة الإسلام الكليني المذكور، فالكتب هذه ألّفت قبل ما ذكراه (النويري والمقريزي) من التاريخ (٣٥٢). أوَ ليس الفيّاض بن محمّد بن عمر الطوسي قد أخبر به سنة ٢٥٩؟ وذكر أنّه شاهد الإمام الرضا سلام الله عليه (المتوفّى سنة ٢٠٣) يتعيّد في هذا اليوم ويذكر فضله وقدمه، ويروي ذلك عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام. والإمام الصادق المتوفّى سنة ١٤٨ قد علّم أصحابه بذلك كلّه وأخبرهم بما جرت عليه سنن الأنبياء من اتّخاذ يوم نصبوا فيه خلفاءهم عيداً كما جرت به العادة عند الملوك والأُمراء من التعيّد في أيّام تسنّموا فيها عرش الملك، وقد أمر أئمة الدين عليهم السلام في عصورهم القديمة شيعتهم بأعمال برّية ودعوات مخصوصة بهذا اليوم وأعمال وطاعات خاصّة به. والحديث الذي مرّ عن مختصر بصائر الدرجات يعرب عن كونه من أعياد الشيعة الأربعة المشهورة في أوائل القرن الثالث الهجري.

هذه حقيقة عيد الغدير لكن الرجلين أرادا طعناً بالشيعة فأنكرا ذلك السلف الصالح وصوّراه بدعةً معزوّة إلى معزّ الدولة وهما يحسبان أنّه لا يقف على كلامهما من يعرف التاريخ فيناقشهما الحساب.

﴿ فَوَقَعَ الحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾[1].

---

(١) الأعراف: ١١٨ ـ ١١٩.

وختاماً: انطلاقاً من عقيدتنا الإسلاميّة الحقّة، لا بدّ لنا ولكلّ مسلم ومسلمة أن يحتفل بهذا اليوم العظيم بالعبادة والتقرّب إلى الله سبحانه وبالصلاة والصوم والشكر لله، والصلاة على النبيّ وآله، ولعن أعدائهم ومنكري فضائلهم، كما نحتفل فيه بالسرور والأفراح وإقامة الحفلات والإطعام والسخاء والعطاء على الأهل والعيال والأصدقاء والأحبّاء، ونشاطر البهجة السماوية ونشارك الفرحة القدسيّة مع ملائكة السماء، واجتماعهم في القصر الفردوس الذي وصفه لنا مولانا وإمامنا الرضا عليه السلام، ونتعايد بعضنا مع بعض بالمعانقة والمصافحة الولائية، فرحين مستبشرين بما آتانا الله من إكمال الدين وإتمام النعمة التي لا يحصى فضائلها، ونقول: الحمد لله الذي جعلنا من المتمسّكين بولاية أمير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين.

ومن الطريف أن نذكر أنّ كثيراً من الحوادث والوقائع الإسلامية ـ كولادة النبيّ صلى الله عليه وآله ـ يوجد اختلاف بين المسلمين في تحديده ووقوعه، بل نجد الاختلاف في الأحكام والفروع الفقهيّة، وحتّى الاختلاف في العقائد وحدودها، إلّا أنّه نجد الاتّفاق بين كلّ المذاهب الإسلاميّة على هذه الأيام الأربعة (أعياد المسلمين) الفطر والأضحى والغدير والجمعة، فإنّ الجمعة نهاية الأُسبوع يجتمع فيه المسلمون ويحتفلون بها بصلاة الجمعة، كما يحتفلون بيوم الفطر الأوّل من شوّال، ويوم الأضحى العاشر من ذي الحجّة، ويوم الغدير الثامن عشر من ذي الحجّة، ولم يقع الخلاف بأنّ واقعة الغدير كانت في غير اليوم الثامن عشر، فتدبّر.

كما أنّ القاسم المشترك في هذه الأعياد هو مسألة الإمامة والالتفاف حول الإمام، ففي كلّ أُسبوع يجتمع المسلمون في صلاة الجمعة حول أئمّتهم (أئمة الجماعة والجمعة) ليسمعوا الخطب والمواعظ والبلاغ، كما أنّ أصل البلاغ وتمامه

كان في يوم الغدير، فلو لم يفعل النبيّ نصب الولي والوصي فما بلّغ رسالته، فاجتمع الناس حول إمامهم في الغدير كما يحتفل به في كلّ عام إحياءً لتلك الواقعة العظمى، وكذلك الناس يجتمعون حول أئمّتهم في عيد الفطر والأضحى، فتدبّر.

واعلم أنّ ثقافة مذهب أتباع أهل البيت عليهم السلام تبتني على أركان وأساطين أربع:

١ ـ التوحيد الكامل.

٢ ـ النبوّة الصادقة.

٣ ـ والغدير الأغرّ.

٤ ـ وعاشوراء الخالدة.

والثالث يتجلّى فيه الولاء والإمامة الحقّة، كما أنّ الرابع يتبلور فيه البراءة من الأعداء والشهادة، فالثالث يعني الولاية، كما أنّ الرابع ينتهي إلى الشهادة.

ولمثل هذا نقول: (إنّما الحياة عقيدة وجهاد) شعار وشعور وفداء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

فاطمة الزهراء عليها السلام

سرّ الوجود

محاضرات إسلامية لسماحة

السيد عادل العلوي

حررها وعلق عليها

فضيلة الشيخ علي الفلاوي

رسالات إسلامية

الرحلة الشامية :

القسم الثاني

الرحلة الشامية :

١ ـ عصمة الحوراء زينب عليها السلام	محاضرات (الشيخ الفتلاوي)
٢ ـ فاطمة الزهراء عليها السلام سرّ الوجود	محاضرات (الشيخ الفتلاوي)
ـ فاطمة بنت الإمام الكاظم عليها السلام شفيعة الدارين	محاضرات (الشيخ الفتلاوي)
ـ في رحاب أنت تسأل	محاضرات (الشيخ الفتلاوي)
ـ أيام في الثابتيّة	محاضرات (الشيخ عبد الله الأسعد)
ـ بهجة المؤمنين في زيارة الطيّبات والطيّبين	تأليف (السيّد العلوي)
ـ دروس أخلاقية في حوزة الزهراء عليها السلام النسائيّة	محاضرات (السيّد نزيه الصوص)
ـ لمحات (قراءة موجزة عن الشعر والشعراء)	تأليف (السيّد العلوي)

موسوعة
رسالات إسلامية

رسالة
فاطمة الزهراء عليها السلام سرّ الوجود
محاضرات ـ السيّد عادل العلوي
المحرّر ـ الشيخ علي الفتلاوي

نشر ـ مكتب سماحة آية الله العظمى الشيخ ميرزا جواد التبريزي
سوريا ـ دمشق ـ السيّدة زينب
المؤسسة الإسلامية العامّة للتبليغ والإرشاد
الطبعة الأولى ـ ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م
الكمية ـ ١٠٠٠ نسخة

شابك ٤ ـ ٤١ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤
ISBN 964 - 5915 - 41 - 4
اى. اى. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٤١٢
EAN 9789645915412
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)
964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يبلغ حمده الحامدون ولا يعدّ نعمه العادّون، والصلاة على من كان قاب قوسين أو أدنى من ربّه الأعلى، وعلى من هو نفسه، ومن هي روحه التي بين جنبيه، وعلى سبطيه، وخلفائه أئمة الإسلام بالحقّ، وسلّم تسليماً كثيراً.

لله تعالى في كلّ آن يدٌ علينا، ومن أياديه وآلائه أن وفّقنا لكتابة محاضراتٍ قيّمة ألقاها سيّدنا الفقيه الأُستاذ السيّد عادل العلوي حفظه الله تعالى في بلاد الشام وفي جوار سيّدة الحرائر بعد أُمّها، وعقيلة الطالبيين، وشريكة الإمام الثائر، وصاحبة النور الزاهر، السيّدة زينب الكبرى عليها صلوات المصلّين وتحيّات العارفين، وكان مضمون هذه المحاضرات يقطر حبّاً لفاطمة الشهيدة سلام الله عليها ما بقي الليل والنهار، ويفوح عطراً بذكر اسمها الشريف حيث توفّق السيّد الأُستاذ دام توفيقه للحديث عن سيّدة نساء العالمين وبيّن فيه حجّيتها ومدى قربها من خالقها، فقال عنها وأحسن القول بأنّها سرّ الوجود وجامعة النورين والعلّة الغائية لعالم الإمكان، وغاص في بحر معرفتها حتّى خشينا عليه الغرق بين أمواج بحرها المتلاطم، إلّا أنّه أثبت للحاضرين أهليّته، ودلّهم على أنّه من أهل هذا الفنّ الذي عجز عنه كثير ممّن يدّعون العلم والمعرفة، فكان عميقاً في

معرفتها وعارفاً بشخصها بأعلى درجات المعرفة الجمالية، فإلى محبّيها أُقدّم هذه الجواهر، وإلى عاشقيها أُبيّن هذا الجمال الذي أظهره سيّدنا الأُستاذ ليزدادوا حبّاً وعشقاً، فهنيئاً لنا بهذه الحديقة الغنّاء وأزهارها الشذيّة، وأقول هنيئاً لا لقراءة هذه المحاضرات فحسب، بل لما تؤول إليه النفوس من حبّ كبير وتقديس واسع لسيّدة النساء الذي سيعود علينا بأن يجعلنا من محبّيها عن معرفة ودراية، فنستحقّ أن تلتقطنا يوم القيامة من بين أفواج البشر، كما يلتقط الطير الحبّ الجيّد من الرديء.

ولا يفوتني أن أُثني وليس لثنائي قيمة إزاء أجر الله تعالى على الفريق الذي جنّد كلّ طاقاته ليظهر حبّه للزهراء عليها السلام من خلال ما قدّمه من خدمات تلو الخدمات للمحاضر والحاضرين، وأعني بذلك الإخوة المخلصين في مكتب آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي (دام ظلّه)، فللّه الحمد كلّ الحمد على هذه النعمة التي أحاط بها المحاضر والحاضر والعامل على راحتهم وأُصلّي وأُسلّم على المصطفى وأخيه وبضعته وبنيه تسليماً كثيراً.

الشيخ علي الفتلاوي

دمشق ـ السيّدة زينب

١٤٢١ هـ

(المحاضرة الأُولى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمّد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

بعد أن توفّقنا للحديث عن عصمة زينب الكبرى حبانا الله سبحانه بلطفٍ آخر حيث يسّر لنا الحديث عن الصدّيقة الكبرى وسيّدة النساء فاطمة الزهراء سلام الله عليها، من أجل إحياء امرها بإقامة العزاء عليها في أيّام شهادتها عليها السلام، وهذا التيسير ينمّ عن وجود يد غيبيّة أرادت ذلك، وكما تمّ لنا معرفة الله تعالى ورسوله والأئمة الأطهار وعقيلتهم أُمّ المصائب زينب صلوات الله عليهم أجمعين، بمعرفة جمالية آن الأوان لمعرفة سرّ الوجود ومجمع النورين النبوي والعلوي[1]،

---

(١) فاطمة الزهراء هي التي جمعت بين نور النبوّة ونور الإمامة، أي أنّها المرأة الوحيدة التي لها المكانة الأُولى في قلب النبيّ صلى الله عليه وآله ولا يدانيها أحد في ذلك لا لأنّها ابنته فحسب، بل لأنّها سيّدة نساء العالمين والعلّة الغائيّة للوجود، وهي التي أزهرت السماوات والأرض بنورها الذي هو من نور عظمة الله تعالى، فلا كفؤ لها من الرجال من آدم فما دون إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فزوّجها الله تعالى في السماوات وقال لرسوله صلى الله عليه وآله: إنّي زوّجت النور =

فاطمة أُمّ أبيها سلام الله عليها[١]، بنفس تلك المعرفة ولكي يتسنّى لنا الحديث بما يليق بهذا السرّ الكوني لا بدّ لنا من مقدّمة فنقول:

من الأسئلة التي يطرحها جميع البشر تبعاً لما في فطرتهم من حبّ الاطلاع، ولأنّ الإنسان متكوّن من بُعد مادّي وآخر مجرّد نجده يتساءل عن سرّ خلقته وفلسفة وجوده، فيسأل نفسه أوّلاً لماذا خُلقنا؟ وقبل الخوض في جواب هذا السؤال نريد أن نقول: إنّ الروحانية المجرّدة التي يحملها الإنسان تدعوه أن يهتمّ بما وراء الطبيعة، أي بما وراء المادّة والتي تسمّى باصطلاح الفلاسفة (الميتافيزيقيا) فتميل به إلى معرفة سرّ الوجود وفلسفة الخلقة ويذهب متسائلاً: هل إنّ علاقتي بالمادّة وقوانينها فحسب أم أنّ هناك ارتباطاً يتجاوز هذه الحدود البلهاء والمادّة الصمّاء؟ أي هل إنّ لي ربّاً وإلهاً وراء المادّة أم لا؟ فيأتي الجواب من صميم الفطرة التي جُبل عليها، نعم إنّ لك إلهاً وخالقاً لا شريك له في إيجادك، ولا ندّ له في الوجود، فيشترك بهذا الجواب الفطري المؤمن والكافر على حدّ سواء وهذا لا خلاف فيه وإن تظاهر الكافر بإنكاره، فإنّه كما في قوله تعالى:

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾[٢].

فهو جاحد لما استيقن ومنكر لما ثبت في الوجدان. فالسؤال الفطري الذي

= من النور وأمره بتزويجها عليها عليه السلام فصارت بذلك تحمل نور النبوّة ونور الإمامة.

(١) هذه إشارة إلى الحديث الشريف الوارد في كتب الفريقين، فلقد جاء في (أُسد الغابة ٥: ٥٢٠) من كتب الجمهور في ترجمة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: وكانت فاطمة تكنّى أُمّ أبيها اعترافاً بالحديث الوارد في حقّها بأنّها أُمّ أبيها سلام الله عليها، كما ورد في أحاديث أصحابنا.

(٢) النمل: ١٤.

يطرحه الجميع هو : من أين ؟ وإلى أين ؟ وفي أين ؟ وماذا يـراد مـنّي ؟ فـبهذه الكلمات جُمع فيها علم الأوّلين والآخرين، وكلّ الكـتب السـماوية والأديـان الإلهيّة جاءت لتثبيت هذا التساؤل، ومن ثمّ الإجابة عليه بجواب صريح وكلام مبين، بأنّك من الله وإلى الله تعالى، وهذا التساؤل الذي ينقدح في ذهن السائل يدعوه إلى التفكّر، ومن خلال تفكيره تنفتح له آفاق جديدة في سيره وسـلوكه وعقائده وأعماله فيخرج من حالة الغفلة والسكر التي يعيشها النـاس إلى حـالة اليقظة والانتباه.

ولو بحثنا في كتاب الله الكريم الذي نزل مهيمناً على غيره من الكتب التي سبقته، لوجدنا فيه آيات تبيّن فلسفة الخلقة وسرّ الوجود، ففي آيةٍ يـبيّن سـبب خلق الكون فيقول عزّ من قائل :

﴿ وَخَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُـظْلَمُونَ ﴾[1].

فسخّر لنا ما في السماوات والأرض لكـي نـصل إلى كـمالنا، وكأنّ هـذا الوجود خلق لأجل مخلوق فيه ألا وهو الإنسان[2]، فكان العالم التكـويني هـو الإنسان الكبير كما كان الإنسان هو العالم الأكبر، وهذا المخلوق هو أكرم من في الوجود وأشرف المخلوقات، فلذا امتدح الخالق نفسه عندما خلق هذا الإنسان، فقال تعالى :

---

(١) الجاثية : ٢٢، وفي هذه الآية يصرّح فيقول سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ (البقرة : ٢٩).

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية : ١٣).

﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾[١].

فهذا يدلّ على عظمة الإنسان وكرامته على الله تعالى، حتّى صرّح في كتابه الكريم بهذه الكرامة، فقال سبحانه:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾[٢].

فبترتيب هذه الآيات الكريمة التي هي كلام الحقّ سبحانه وتعالى يظهر لنا أنّ سرّ وجود الكون هو خدمة الإنسان، وإنّما استحقّ هذه الخدمة لأنّه أشرف المخلوقات وأكرمها، ولكن ما هي الحكمة من صيرورة الإنسان أشرف وأكرم من في الوجود؟ فيأتي الجواب قرآنياً في آية صريحة تبيّن سرّ وجود الإنسان وفلسفة خلقته فيقول أحسن الخالقين:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنسَ إلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣].

فاتّضح بهذه الآية الكريمة سرّ الوجود جميعه وفلسفة الخلقة لهذا الخلق العجيب.

إذن وجد الإنسان ليعبد الله سبحانه، ولازم عبادة الله أن يكفر بالطاغوت، ولازم العبادة المعرفة، فقوله تعالى: ﴿ لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي ليعرفون، كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام، فالمقصود من خلق الإنسان هو أن يعرف ويتكامل ويصل إلى قاب قوسين أو أدنى من ربّه[٤]، لأنّه محبوب لربّه، وهذا ما أشار إليه الحديث

---

(١) المؤمنون: ١٤.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) الذاريات: ٥٦.

(٤) إشارة إلى الآيتين القرآنيتين الكريمتين: ﴿ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ (النجم: ٨ ـ ٩).

القدسي: «خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي»، فطوبى لمن عرف قدر نفسه، وطوبى لمن وقف على الحقيقة فترك الغفلة وعاش في ذكر ربّه ليلاً ونهاراً.

وإنّ ذكر الله تعالى يبدأ بذكر الموت الذي هو الطريق إلى لقاء الله سبحانه، فلا تنسى هادم اللذّات[1]، ولا نفرّ من ذكره لأنّ في ذكره حياة القلوب والخروج من الغفلة واليقظة من النوم فلذا نجد الآيات القرآنية الكريمة تؤكّد هذا المعنى في أكثر من موضع في الكتاب الكريم كقوله تعالى:

﴿ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[2].

ففيها إشارة إلى نهاية المطاف، فالله تعالى هو الغاية بعد أن كانت منه البداية، فهذه الآيات الصريحة في ظاهرها والعميقة في باطنها لا تنفكّ عن ذكر المنتهى ولا تقصر في بيان السلوك إلى الله تعالى، فآية تتكلّم عن المنتهى فتقول:

﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾[3].

وآية تبيّن حركة وسير الإنسان فتقول:

﴿ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ ﴾[4].

---

(١) إشارة إلى الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام، يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله كثيراً ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول: أكثروا ذكر الموت فإنّه هادم اللذّات، حائل بينكم وبين الشهوات (القلب السليم: ٦٣).

(٢) البقرة: ١٥٦.

(٣) (النجم: ٤٢)، وآية تقول: ﴿ أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴾ (الشورى: ٥٣)، وهناك آية أُخرى تقول: ﴿ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ ﴾ (آل عمران: ٢٨، النور: ٤٢، فاطر: ١٨).

(٤) الانشقاق: ٦.

فإذن لا بدّ من لقاء الله تعالى، فإذا أيقنت النفس بذلك فما عليها إلّا أن تعدّ العدّة ونتأهّب لهذا اللقاء، ولا يضيع العمر هباءً منثوراً، فإنّ في عدم التأهّب وإعداد العدّة خوف ورهبة[١]، وفي ذكر الموت والتهيّؤ للقاء خالق الموت والحياة اطمئنان للقلوب واطمئنان للنفوس، فتصل النفوس إلى درجة الاطمئنان العليا[٢]، وهي اليقين بالفوز وأنّى لنا ذلك ونحن بعد لم نصل إلى درجة أصحاب اليقين، ولكنّ لنا عزاء في حبّنا للنبيّ وأهل بيته الأطهار مع شيء من العمل اليسير، فنرجو الله تعالى بذلك ونفرح لحبّنا لهم عليهم السلام فنكون كما قال هذا الرجل لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، ليس لي عمل صالح إلّا الشهادتين وحبّك، فقال له الرسول: أبشر بالجنّة، فإنّ المرء مع من أحبّ، فلمّا سمع المسلمون ذلك فرحوا فرحاً لا يدانيه إلّا فرحهم بالإسلام[٣]، فالحبّ لأهل البيت عليهم السلام فيه ينال المحبّ أعلى درجات الجنّة إذا اقترن بالعمل الصالح، لأنّ الأخبار الشريفة تؤكّد هذا «كذب من زعم أنّه يحبّنا ولا يعمل بأعمالنا»، لأنّ المحبّ لمن أحبّ مطيع كما يروى هذا القول للإمام الصادق عليه السلام، ثمّ في قول أحدهم عليهم السلام: «عجبت لمن يدّعي حبّ الله

---

(١) ولذلك نجد الإمام زين العابدين عليه السلام يقول في دعائه: «أستجير يا ذا العفو والرضوان من الظلم والعدون ـ إلى أن يقول: ـ ومن انقضاء المدّة قبل التأهّب والعدّة» (مفاتيح الجنان: ٢٣).

(٢) هذه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾ (الفجر: ٢٧ ـ ٢٨).

(٣) وورد في حبّهم عن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله «أخذ بيد حسن وحسين وقال: من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة» (كشف الغمّة ١: ٨٩)، عن مسند أحمد بن حنبل ١: ٧.

كيف يعصي الله ؟»[١]، إلّا أنّ الحبّ كلّي تشكيكي وله مراتب، فلذا نجد شخصاً محبّاً إلّا أنّه يعصي الله تعالى، فحبّه هذا في أوّل مرتبة من مراتبه، ولكن كلّما ازداد حبّاً ازداد عملاً لرضا المحبوب، لرضا الله تعالى ورسوله وأهل بيته وفاطمة الزهراء عليهم السلام.

فعندما نقف امام آيات القرآن الكريم نجد آية تتكلّم عن التسخير أي عن الرحمة الإلهية، وآية أُخرى تتكلّم عن تحصيل العلم:

﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾[٢].

وآية أُخرى تتكلّم عن عبادة الله سبحانه، ففي هذه الآيات الثلاثة تتبيّن فلسفة الخلقة الكونية، ولكنّ العبادة التي ذكرت في الآية: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣]، المراد منها المعرفة لأنّ المعرفة تدلّ الإنسان على العمل وتدعوه إلى أنواع العبادات والتي على رأسها الدعاء، فلذا يذكرون أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان رجلاً دعّاءً[٤]، لأنّ الدعاء مخّ العبادة[٥].

---

(١) وحديث آخر في معناه عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما أحبّ الله من عصاه» قصار الجمل ٢: ٤٠.

(٢) الطلاق: ١٢.

(٣) الذاريات: ٥٦.

(٤) إشارة إلى الحديث الشريف عن أبي عبد الله عليه السلام: «قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً دعّاءً» أُصول الكافي ٢: ٤٥٧.

(٥) هذه إشارة إلى الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الدعاء مخّ العبادة» الوسائل ٢: ١٠٨٧.

كما ورد في الحديث الشريف، فالعبادة هي الطريق إلى الله تعالى، ولا يفتح هذا الطريق إلّا بالمعرفة والعلم لأنّ الجهل يقصم الظهر كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «قصم ظهري اثنان: جاهل متنسّك فإنّه يفرّ الناس بجهله...»[١]، فالعبادة مع العلم هي التحليق في سماء الفضائل حتّى يصل بها المرء إلى ربّه، فيكون قاب قوسين أو أدنى دنوّاً واقتراباً من العليّ الأعلى. فبالإيمان والعمل الصالح يكون السلوك إلى الله تعالى، وهناك أكثر من سبعين آية يقرن ربّ العالمين بين الإيمان والعمل الصالح، وبهذا يقول سبحانه أنّه لا يكفي المرء أحدهما، فلا بدّ من الإيمان والعمل معاً حتّى نجد هذا المعنى أيضاً جليّاً في الحديث الشريف: «العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلّا ارتحل»[٢]، أي أنّ العمل وحشي إن تركته يمشي، فبالرحمة الإلهية يتمّ هذا، فلذا نجد الأسماء الحسنى جميعها معاني للرحمة، إلّا بعض الأسماء التي تعبّر عن الغضب الإلهي كاسم المنتقم والقهّار وغيرهما، ولكن التي تعبّر عن الرحمة كثيرة كاسم الودود، الحنّان، الشفيق، اللطيف... وغيرها من الأسماء التي بها أراد الله تعالى الخير لعباده، وأراد لهم سعادة الدنيا والآخرة، وأراد لهم الكمال، والله تعالى إنّما أراد لهم الكمال لأنّه تعالى هو الكمال المطلق ومطلق الكمال[٣]، ومن كماله أن يظهر كماله، ولنا شاهد بالوجدان على ذلك، فإنّه عندما نرى شخصاً يتّصف بصوت جميل تجده فطرياً يظهر هذا الصوت الجميل،

---

(١) نهج البلاغة ـ قصار الجمل.

(٢) قصار الجمل؛ للمشكيني ٢: ٥٩.

(٣) أي أنّه تعالى هو الكمال الحقّ الذي لا نهاية له ولا حدّ ولا مقيّد بقيد، كما أنّ له كلّ الكمال، وكلّ كامل غيره ناقص.

إمّا بصوت الرحمن فيتلو به القرآن، وإمّا بصوت الشيطان فيطلقه في الغناء، وكلّ مراده هو إظهار كمال صوته، فكذلك تعالى له الكمال المطلق الذي لا تحيط به العقول، فلا يليق بكماله المطلق إلّا أن يظهر كماله، وإلّا لزم النقص وهو تعالى منزّه عنه، فمن كمال الكمال ظهور وإظهار الكمال، ولهذا جاء في الحديث مع غضّ النظر عن المناقشة في سنده ودلالته: «كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف»، فحبّه للمعرفة لكماله المطلق، وهذا يسمّى بسرّ الخالق إن صحّ التعبير، وأمّا سرّ المخلوق فهو عبارة عن الرحمة الإلهية والعلم والعبادة، فخلقه تعالى للخلق كافّة هو من باب الكمال لا للاحتياج، فيندفع الإشكال في ذلك، فخلق الخلق لأنّه فيّاض لا لحاجته للمظهر والمعرّف، وهذا ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة وهو من توحيد الصدّيقين: «ألغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يستدّل به عليك، أنت الذي دللتني عليك»[1]، فبالله أعرف الله تعالى، أي بالعلّة أعرف المعلول لا بالمعلول أعرف العلّة[2]، فظهور الخلق من الله لوصول المخلوقات إلى كمالها، فهذه المخلوقات تسبّح بحمده فهي في مقام الجلال، وتحمده فتكون في مقام الجمال، فقولنا في سورة الحمد (فاتحة الكتاب الكريم) الحمد لله: أي له الثناء كلّه وله الحمد كلّه، فهو المستحقّ لذلك لأنّه الجمال المطلق ومطلق الجمال وإنّه يحبّ الجمال، وهذا معنى قول العقيلة زينب الكبرى عليها السلام عندما قالت في جواب ابن زياد اللعين عندما أراد أن يجرح

---

(١) دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، مفاتيح الجنان: أعمال يوم عرفة.

(٢) هناك معرفتان: معرفة للعلّة من خلال المعلول ويسمّى هذا بالبرهان اللمّي، ومعرفة المعلول بالعلّة ويسمّى بالبرهان الإنّي.

شعورها ويقرح قلبها: (كيف رأيتِ صنع الله بأخيكِ الحسين) فقالت: «ما رأيت إلّا جميلاً»، فإنّ قتل الحسين وإخوته وأولاده وأصحابه عندما ينسب إلى الله تعالى فهو جميل، وعندما ينسب إلى يزيد فهو قبيح، فالخلق عاشق لربّ العالمين على حدّ تعبير صدر المتألّهين في الأسفار[1]، فالكون في حركة كمالية والله تعالى يفيض فيضه على الخلق كلّه سواء كان كافراً أو مؤمناً، فإنّه تعالى يعطي الجميع ومثله تعالى عن ذلك: (مثل الفلّاح الذي يسقي الشجر ومراده الثمر، ولكن يشرب كلّ ما في الأرض حتّى الحشائش الغير مقصودة بالذات)، فالكون بمثابة بستان الله تعالى ومراده من هذا البستان أشجار معدودة، ولكنّ الرحمة الإلهيّة تنال الجميع.

فالشجرة المحمّدية[2] والدوحة العلوية هي التي تستحقّ الفيض الإلهي ومن يسير عل نهجهم، وباقي الناس كالحشيش يطئه المارّة بأقدامهم (عليّ الدرّ والذهب المصفّى وباقي الناس كلّهم تراب)، فالذي يستظلّ بهذه الشجرة هو الذي فكّر وعرف الحقّ، وصار تفكيره في ساعة خير من عبادة سبعين عاماً، فبالتفكّر تفتح الآفاق الجديدة، وبالتأمّل تذهب الغفلة، وبالتعقّل يذكر الإنسان ربّه.

---

(١) الأسفار ٧: ١٤٨.

(٢) هذه إشارة إلى الحديث الذي صدر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وقد ذكره الشهيد نور الله التستري في الجزء الخامس، الصفحة ٢٥٦، وذكر الحديث عن كتب العامّة كما في المستدرك للحاكم النيسابوري والخطيب البغدادي فليراجع إلى إحقاق الحقّ ٥: ٢٥٦.

ونصّ الحديث «عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ: يا عليّ، الناس من شجر شتّى وأنا وأنت من شجرة واحدة...».

(المحاضرة الثانية)

بعد البسملة والحمد والصلاة :

لقد ورد في الحديث الشريف المعروف بحديث المعراج : « يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما »[1].

فالحديث عن المعاني السامية والمضامين العميقة في هذا الخبر الشريف إنّما يحتاج إلى مقدّمات حتّى يتبيّن من خلالها معنى هذا الكلام الأقدس، ويتبيّن أيضاً مدى تطابقه مع الدليل العقلي فضلاً عن الدليل النقلي.

ومثل هذا الحديث قد يثير التساؤلات الكثيرة في نفوس الذين لا يستطيعون هضم هذه المعاني.

فلذلك نصح بعض الأعلام أن لا تطرح مثل هذه العناوين، ولكنّي ذكرت له من الحجج التي تدفعني إلى التعريف بمقامات أهل البيت عليهم السلام ولا بدّ من معرفتهم بمعرفة جمالية، وفي هذا يتمّ لنا بيان ما لدينا من عقائد حقّة مبنيّة على الأدلّة العقلية والنقلية، ولا يهمّنا الردود السلبية التي تصدر من البعض فإنّها لا تشكّل

---

(١) فاطمة الزهراء عليها السلام ليلة القدر، بقلم سيّدنا الأُستاذ دامت إفاضاته.

مانعاً شرعيّاً[١]، فهي غاية ما تكون اتّهامات لا معنى لها ولا تستحقّ الردّ.

وعلى كلّ حال لا أُريد أن أشغلكم بهذا، فإنّه من المسلّم أنّ من يزداد معرفةً يزداد كمالاً وخضوعاً وأدباً، فلو دخل علينا رجل كبير السنّ فإنّه نحترمه ونوقّره من باب (وقّروا كباركم)، وإذا عرفنا أنّ هذا الرجل الكهل هو أحد مراجع التقليد فإنّه بلا شكّ يزداد احترامنا وتوقيرنا له ومحبّتنا فيه وإطاعتنا إيّاه، ومن هذا المنطلق من عرف النبيّ والأئمة الأطهار عليهم السلام بمعرفة جمالية، فإنّه يزداد مودّةً وتعظيماً وإطاعة، فيفوز بسعادة الدارين.

فاليوم نتكلّم عن سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، وهذا من وحي المناسبة[٢] ولأنّ محبّيها يعيشون أحزان ذكرى شهادتها فنقول:

ثبت في محلّه أنّ الله سبحانه حكيم وعليم وقادر وجواد وحيّ، وله الأسماء الحسنى والصفات العليا، وإنّه الكمال المطلق، فلكلّ هذا خلق خلقاً، وخلق أرضاً وسماءً وما فيهما وما بينهما عن حكمة وعلم، فلم يكن خلقه لهذا الكون الكبير عبثاً.

فإذن لا بدّ أن نعرف سرّ هذه الخلقة، ونوجز هذا القول بكلماتٍ قصيرة فنقول:

---

(١) مراد السيّد الأُستاذ أنّ هذه الردود لا تمنعنا لأنّها لم تكن موانع أو نواهي قال بها الشرع المقدّس، وإلّا لو كانت كذلك لكان حرام علينا مخالفتها.

(٢) اختلفت الروايات والأقوال في يوم شهادة الزهراء عليها السلام، فقيل: أربعون يوماً بعد رحلة الرسول الأعظم، وقيل: خمسة وسبعين يوماً، وقيل: خمسة وتعسين يوماً، وإحياءً لأمرهم عليهم السلام يقام العزاء الفاطمي لمدّة ثلاثة أيّام أو أُسبوع على الأقوال الثلاثة، وكانت محاضرات سيّدنا الأُستاذ دام ظلّه في سوريا على القول الأوّل.

إنّه تعالى خلق الكون لنا وخلقنا لأجله، فنراه سبحانه قد سخّر لنا ما في السماوات وما في الأرض لكي نصل إلى كمالنا الذي هو عبادة الله تعالى فلذلك قال في آية من آيات الكتاب العزيز:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١].

ثمّ بيّن سرّ خلقة الإنسان بقوله عزّ من قائل:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢].

أي ليعرفون.

فإذن لا بدّ لنا من عبادة المنعم لنتكامل بهذه العبادة، إلّا أنّ هذه العبادة على أقسام فمنها عبادة الأحرار ومنها عبادة التجّار ومنها عبادة العبيد[٣]، ولكن كلّها تؤدّي إلى كمال الإنسان، فالإنسان يتكامل وكلّ شيء في عالم الوجود ما سوى الله تعالى في سير تكاملي، فالنواة تتكامل حتّى تصير شجرة مثمرة والنطفة تتكامل، فكلّ ما في الطبيعة يتكامل، إلّا أنّ كماله محدود بداية ونهاية، إلّا الإنسان فإنّ له بداية ولا نهاية لكماله، لأنّ منتهاه هو الله ومقام الفناء فيه سبحانه

---

(١) الجاثية: ١٣.

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) هذه إشارة إلى الحديث الشريف عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ العباد ثلاثة: قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأُجراء، وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حبّاً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة» أُصول الكافي ٢: ٨٩، وهناك حديث مثله لأمير المؤمنين يذكر فيه كلمة (تجّار)، ولا فرق لأنّ المعنى واحد.

وهو لا نهاية له:

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾[١].

﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾[٢].

فالإنسان باعتبار جسده وأنّه من الطبيعة ومن التراب فهو محدود، ولكن باعتبار روحه وأنّه من السماء:

﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾[٣].

فهو بلا نهاية.

فالروح تتكامل، وهي من الله تعالى وإليه ترجع.

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[٤].

سؤال:

ما هو كمال الإنسان وبأيّ شيء يتكامل؟

يأتي الجواب من الإمامين الصادقين عليهما السلام: «الكمال كلّ الكمال التفقّه في الدين، والصبر على النائبة، والتقدير في المعيشة»[٥]، ولازم هذا الكمال الحركة أي أنّ كلّ شيء يتحرّك في ذاته كما يتحرّك في الخارج بحركة وضعيّة أو انتقالية فهذه الحركة الذاتية تسمّى بالحركة الجوهرية كما حقّق ذلك الفيلسوف الإسلامي صدر المتألّهين.

---

(١) طه: ١١٤.

(٢) النجم: ٤٢.

(٣) الحجر: ٢٩.

(٤) البقرة: ١٥٦.

(٥) قصار الجمل؛ للمشكيني ٢: ٥٥.

فإذن كلّ شيء يسبّح بحمده وهذه هي الحركة التكاملية للأشياء، فلازم التكامل الحركة، وثمرة الحركة هو التكامل، وعندما يقول الإمام عليه السلام : «الكمال كلّ الكمال التفقّه في الدين، والصبر على النائبة، والتقدير في المعيشة»، فهو يشير إلى ثلاث حركات : علمية وأخلاقية واقتصادية، أي حركات دينية ودنيوية لأنّ هناك ترابطاً بين الدنيا والآخرة، ففي هذا الحديث يتّضح لنا أنّ الدنيا هي متجر أولياء الله تعالى ومزرعة الآخرة، بل هناك من يجعل الدنيا هي الجنّة لأنّ نفسه تيقّنت بالفوز فهو قد وصل إلى علم اليقين وحقّ اليقين وعين اليقين[1]، ومعنى هذا أنّ الكمال والسعادة لا ينحصران في الآخرة فقط ولا بالدنيا فقط بل بهما معاً، فإن قال قائل : إنّ أحاديثاً كثيرة وردت في مذمّة الدنيا، نقول : وهناك أحاديث أُخرى وردت في مدح الدنيا، كما ورد ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام عندما سمع رجلاً يذمّ الدنيا، أجابه : «ويلك، لمَ تذمّ الدنيا، إنّ الدنيا متجر أولياء الله»[2]، أي يمكن

---

(١) هذه المراتب ذكرت في كتب الأخلاق، فكان أوّل هذه المراتب مرتبة علم اليقين وهو اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع كيقينك بوجود النار من مشاهدة الدخان، والمرتبة الثانية : عين اليقين، وهو مشاهدة المطلوب ورؤيته بعين البصيرة والباطن ومثاله التيقّن بوجود النار عند رؤيتها عياناً، وأمّا المرتبة الثالثة وهي حقّ اليقين وهو أن تحصل وحدة معنوية بين العاقل والمعقول ومثاله الحسّي اليقين بوجود النار بالدخول فيها من غير احتراق.

(٢) وتكون الدنيا متجراً لأولياء الله تعالى عندما يتّخذوها قنطرة للعبور إلى الجنّة وعندما يتّخذوها مزرعة للآخرة، بل إنّ العمل الصالح لا يكون إلّا في الدنيا لأنّها دار التكليف، وبالعمل الصالح يكون الدخول إلى الجنّة أو الخلاص من النار أو الارتزاق بلقاء الله تعالى، وهذا ما تؤكّده الآية الكريمة : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ (الصفّ : ١٠ ـ ١١)، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام : «إذا كنت في =

الوصول إلى الله تعالى من خلال الدنيا، فالغني بغناه وجوده، والفقير بصبره وعفّته، وإذا أردنا الجمع بين روايات الذمّ وروايات المدح نقول: إذا أراد الإنسان الدنيا على نحو الاستقلال فهذه دنيا مذمومة، وهي التي أبغضها الله تعالى على لسان نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله في قوله: «حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة»[١]، وجُعل بغض الدنيا من علامات محبّي أهل البيت عليهم السلام، وهذا ما صرّح به النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في قوله: «ألا ومن أحبّ أهل بيتي فله الجنّة، ألا إنّ لمحبّيهم عشرين خصلة، عشرة منها في الدنيا وعشرة في الآخرة... إلى أن يقول: وتاسعها بغض الدنيا، وعاشرها السخاء...»[٢]، وأمّا إذا أراد الدنيا طريقاً إلى الجنّة ومزرعةً للآخرة فلا بأس بذلك، فالدنيا والآخرة ضرّتان في حالة الاستقلالية[٣]، وأمّا إذا كانتا على نحو

= تجارتك وحضرت الصلاة فلا يشغلنّك عنها متجرك» والمتجر هو مكان التجارة، أي عليك أن تعمل في المتجر الحقيقي وأن تعمل بالتجارة الحقيقية الرابحة وإلّا لو كان متجر الدنيا وتجارة الدنيا هي الحقّ لما أمرنا الإمام عليه السلام بعدم الانشغال في متجر الدنيا. وهناك كلام كثير لو أردنا أن نؤلّف فيه فصلاً لتمّ لنا ذلك.

(١) العلم النافع: ١٥٨، وجاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، ومفتاح كلّ سيّئة، وسبب إحباط كلّ حسنة»، إرشاد القلوب: ٢١.

(٢) الخصال للشيخ الصدوق والمواعظ العددية باب العشرين.

(٣) ورد حديث شريف يبيّن أنّ الدنيا والآخرة ضرّتان كما في قصار الكلمات ـ نهج البلاغة. ومراد سيّدنا الأُستاذ بأنّ حالة التنافس لا تحصل ولا يكون هناك نزاع بين الضرّتين إلّا إذا فضّل صاحب الضرّتين إحداهما على الأُخرى، أي تعامل مع إحداهما بشيء من الاستقلال والميل بحيث يؤدّي إلى الإضرار بالأُخرى، ويؤيّد هذا الكلام قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «من أحبّ دنياه أضرّ بآخرته» الوسائل الباب ٦١، الحديث ٥٠ / عن قصار الجمل للمشكيني ١: ١٣٢.

المقدّمية والتبعية فلا خوف منها ولا ضرر فيها.

فهناك أيّها الإخوة من يعيش الآخرة وهو في هذه الدنيا وهذا ما حصل لأمير المؤمنين عليه السلام، فلذلك يقول: «جلوسي في المسجد أحبّ إليّ من جلوسي في الجنّة»، ولمّا سئل: لماذا؟ قال: لأنّ الجلوس في المسجد رضا ربّي، والجلوس في الجنّة رضا نفسي، ورضا ربّي أولى من رضا نفسي، فعلى هذا يكون المسجد جنّة أمير المؤمنين عليه السلام، ودخوله فيه يعني دخوله في جنّته. وهناك روضات من الجنّة في الدنيا والداخل إليها داخل إلى الجنّة، كما جاء في الخبر: إنّ قبر الإمام الرضا عليه السلام روضة من رياض الجنّة، وكذلك ما بين منبر النبيّ صلى الله عليه وآله وداره، فهذه روضات حقيقية لا مجازية، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام[1].

سؤال في محلّه:

ذكر الحديث عن الإمامين عليهما السلام يوحي بوجود ترابط بين التفقّه بالدين والصبر على النائبة والتقدير في المعيشة، فما وجه هذا الترابط؟

الجواب:

الكمال يبدأ بالحركة الاقتصادية، لأنّها العون في تحقّق الحركة العلمية

---

(١) جاء في الحديث الشريف عن الإمام الرضا عليه السلام: «قال: إنّ في خراسان بقعة سيأتي عليها زمان تكون مختلف الملائكة لا تزال تهبط فيها فوج من الملائكة وتصعد فوج... إلى أن يقول: وإنّها والله روضة من رياض الجنّة من زارني فيها كان كمن لو زار رسول الله صلى الله عليه وآله» مفاتيح الجنان: ٤٩٦، وأمّا الحديث عن أنّ ما بين منبر النبيّ صلى الله عليه وآله وقبره أو داره روضة من رياض الجنّة فهذا أشهر من أن نكتب عنه شيئاً، وهذه الروضات روضات حقيقية أي لا يكون الجالس فيها كأنّها في روضة بل هو في روضة حقيقية، وكما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله السائل: هل هذه روضة حقيقية؟ أجابه: لو كشف لك لرأيت ذلك.

والأخلاقية، أي أنّ من لا معاش له لا معاد له، وهكذا الأُمّة إذا فقدت الحالة الاقتصادية فإنّها ستفشل في حركتها العلمية والأخلاقية، فإذن لا بدّ من هذه الحركات الثلاثة لتحقّق تمام الكمال.

والتفقّه في الدين يعني العلم الإلهي الذي فيه نفع الدنيا والآخرة، ولكن لهذا الفقه ولهذه الحركة العلمية مقدّمات دينية ودنيوية، فإذا أردت التكامل لا بدّ من زيادة علمك حتّى تنال السعادة التي ستُغبط عليها من قبل الآخرين، كما ورد في الحديث الشريف: «فمن كان يومه خيرٌ من أمسه فهو مغبوط، ومن كان أمسه خيرٌ من يومه فهو ملعون»، أي مطرود من رحمة الله تعالى.

فعليك بملازمة العلماء والحضور في مجالسهم، وإلّا سينالك الخذلان كما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثمالي: «أو لعلّك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني»[1]، وهذا الخذلان يصيب الفرد البعيد عن مجالس العلماء، وكذلك يصيب المجتمع الذي استهان بالعلم والعلماء فيصاب عندها بالتخلّف والأمراض الاجتماعية.

---

(١) مفاتيح الجنان: ١٩١.

(المحاضرة الثالثة)

بعد البسملة والحمد والصلاة :

لا زلنا وإيّاكم في رحاب سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهـراء عليها السلام لنـتمّ الحديث عن كونها سرّ الوجود، بل هي سـرّ السـرّ، وإنّـها جـمال الله وعـصمته الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأُولى.

لقد مرّ علينا في الأبحاث السابقة أنّ فلسفة الحياة وسرّ الخلقة والوجـود سيّما خلقة الإنسان هو التكامل ونيل الرتبة التي وضعت لهذا الموجود الأشرف، كما ذكرنا أنّ الكمال كلّ الكمال هو التفقّه في الدين، وعبّرنا عن ذلك بـالحركة العلمية ثمّ يتلوه الكمال الآخر وهو الصبر عـلى النـائبة وعـبّرنا عـنه بـالحركة الأخلاقية، باعتبار أنّ الصبر أساس الأخلاق، وآخره الاقـتصاد فـي المـعيشة، وعبّرنا عن الأخير بالحركة الاقتصادية.

ولو أردنا تسليط الضوء على الحركة الثانية التي هـي الحـركة الأخـلاقية فلا بدّ من القول بأنّ الصبر أساس الأخلاق وبه يتمّ طيّ المراحل الأخلاقية الثلاثة التي هي التخلية والتحلية والتجلية ـ كما عند علماء الأخلاق والسير والسلوك ـ، ليصل المرء إلى تهذيب النفس وكمالها، فلا بدّ مـن تـخلية الروح والقـلب مـن

الصفات الذميمة كالرياء مثلاً وتحليتهما بالصفات الحميدة كالإخلاص في مقابل الرياء، ثمّ تجلية هذه الصفة حتّى يصل الإنسان إلى درجة المخلَصين ليكون بعيداً عن وسوسة وتزيين الشيطان الذي تعهّد بإغواء جميع البشر، إلّا العباد المخلَصين حسب تعبير الآية القرآنية الكريمة:

﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[1].

فإذن أبدى الشيطان استعداده لإغواء الجميع حتّى طبقة المخلِصين، ولكنّه عبّر عن عجزه من أن ينال الطبقة الرفيعة التي هي طبقة المخلَصين[2].

فلا بدّ من الوصول إلى تلك الرتبة الأخلاقية العالية وذلك بطوي مراحل الإخلاص التي لا تتمّ إلّا باجتياز المراحل الأخلاقية الثلاثة التي أساسها الصبر، الذي يتجلّى في النوائب والمصائب، وإنّه من أكمل مصاديق الصبر.

ثمّ لو أردنا التحرّك في الحركة الثالثة التي هي الحركة الاقتصادية والتي عبّر عنها في الحديث الشريف «والتقدير في المعيشة» لا بدّ لنا من اتخاذ الحدّ الوسط في طريقة العيش لكي نبتعد عن الإفراط والتفريط، وهذا معنى الاقتصاد فإنّه لغة من القصد بمعنى الحدّ الوسط.

فهذه هي الحركات الثلاثة التي يحتاجها الإنسان للوصول إلى كماله الذي هو هدف وجوده وسرّ خلقته.

---

(١) الحجر: ٣٩ ـ ٤٠. ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (ص: ٨٢ ـ ٨٣).

(٢) طبقة المخلِصين ـ بكسر اللام (اسم فاعل) ـ: هم الذين أخلصوا لله تعالى قولاً وفعلاً ونيّةً، وطبقة المخلَصين ـ بفتح اللام (اسم مفعول) ـ هم الذين استخلصهم الله تعالى لنفسه بعد أن تحلّوا بالإخلاص وعلم منهم ثباتهم عليه طول حياتهم.

وأرجأنا الكلام عن الحركة العلمية التي هي الحركة الأُولى في سلّم الكمال لكي يكون البحث عنها بشيء من التفصيل، فنقول:

إنّ كمال الإنسان في الرتبة الأُولى هو تحصيل العلم، ومحور هذا العلم هو التفقّه في الدين الذي يبتني على أُصول خمسة كما هو معتقد الشيعة وفروع عشرة[1]، ومن هذه الأُصول الخمسة التي يجب الاهتمام بمعرفتها أصل الإمامة، وممّا يبحث في هذا الأصل هو الاعتقاد بأنّ فاطمة الزهراء عليها السلام سرّ الوجود.

والذي نبغيه من هذا البحث الولائي هو إثبات العقيدة الصحيحة بالبرهان العقلي والدليل النقلي ثمّ العمل على ضوء هذه العقيدة الصحيحة لأنّ الحياة عقيدة وجهاد، ولا يصحّ الجهاد من أجل عقيدة فاسدة، فلا بدّ من إثبات صحّة هذه العقيدة وتثبيتها، فما ذكرناه كان من المقدّمة للحديث عن فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين عليها السلام.

فالحديث عن الخبر الشريف: «لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما»، يحتاج إلى مقدّمة، فنقول:

إنّ الوجود أمر بديهي لا يحتاج إلى تعريف، وما ذكر له من تعاريف بأنّه

---

(١) أُصول الدين خمسة حسب ما يعتقده الشيعة، وهذا القول في قبال من يعتقد أنّها ثلاثة، فلذلك يذهب البعض من العلماء إلى تسميتها بأُصول المذهب، والحقّ أنّها أُصول للمسلمين جميعاً، ولكن رفض بعض المسلمين أن تكون الإمامة من الأُصول وجعلها فرعاً من فروع الدين كما أنّه رفض تسمية العدل الإلهي أصلاً لشبهة في أذهانهم، ولهذا صارت عندهم ثلاثة، وقد ذهب إلى هذا المعنى السيّد الأُستاذ في دروس اليقين في معرفة أُصول الدين ـ المجلّد الأوّل من موسوعته الكبرى (رسالات إسلامية)، فراجع.

الثابت العين أو الذي يمكن أن يخبر عنه أو ما ينقسم إلى علّة ومعلول أو قديم وحادث وغير ذلك فهو من باب شرح الاسم[١]، فهو بديهي ولشدّة بداهته تجده في غاية الخفاء كما في منظومة السبزواري[٢].

فعندنا الموجود هو ذات، أو قل: ماهيّة ثبت لها الوجود، كالإنسان فإنّه ذات ثبت لها الوجود فيسمّى موجوداً.

فإذن هناك فرق بين الوجود وبين الموجود، ثمّ إنّ الله تعالى علّة العلل والعلّة الأُولى للكون، فهو الأوّل وهو الآخر، وهو الظاهر وهو الباطن، أزلي سرمدي: وسأُوضح هذا لأنّ فيه شيئاً من الصعوبة لوجود هذه المصطلحات الغريبة على البعض، ولكن لا بدّ من الثقافة لأنّ المجتمع الشيعي هو الأجدر بمثل هذه الثقافة، فأقول: إنّ العلل على أربعة أقسام[٣]، وقبل معرفة هذه الأقسام لا بدّ من معرفة العلّة، فالعلّة هي الشيء الذي يؤثّر في شيء آخر وهذا الشيء الآخر المتأثّر يسمّى المعلول، مثلاً (النار والحرارة)، ولا ينفكّ المعلول عن علّته إلّا

---

(١) توضيح هذا الكلام مفصّلاً في بداية الحكمة للعلّامة الطباطبائي في المرحلة الأُولى من الكتاب في الفصل الأوّل، الصفحة ١٠.

(٢) ورد في منظومة السبزواري عن مفهوم الوجود هذا البيت من الشعر:

مفهومه من أعرف الأشياءِ وكنهه في غاية الخفاءِ

الصفحة ٤ من المنظومة.

(٣) تنقسم العلّة إلى أقسام متعدّدة بلحاظ جهات مختلفة، فمن تقسيماتها أنّها تنقسم إلى علل داخلية وتسمّى (علل القوام)، وهي المادّة والصورة المقوّمتان للمعلول، وإلى علل خارجية وتسمّى (علل الوجود) هي الفاعل والغاية، وربما سمّي الفاعل (ما به الوجود) والغاية (ما لأجله الوجود).

بمعجزة فيما إذا كانت العلّة ناقصة[١] وليست تامّة كما ينفك في النار التي أشعلها النمرود لنبيّ الله إبراهيم عليه السلام، فإنّها صارت عليه برداً وسلاماً بالمعجزة، والآن نقول: إنّ العلل أربعة: علّة فاعليّة، وعلّة مادّية، وعلّة صورية، وعلّة غائية[٢]، وأُقرّب لكم هذا بالمثال: (إنّ هذا الكرسي الذي نجلس عليه يحتاج إلى أربع علل: الأُولى تسمّى العلّة الفاعلية أي التي فعلت الكرسي وصنعته وذلك هو النجّار، والعلّة الثانية هي العلّة المادّية أي المادّة التي صنع منها الكرسي، والعلّة الثالثة هي العلّة الصورية أي الصورة التي يكون عليها الكرسي لكي يمتاز عن غيره، والعلّة الرابعة هي الغائية أي التي من أجلها صار الكرسي). وهكذا الكون الرحب الوسيع الذي يقع الإنسان ضمن مجموعته، فإنّ العلّة الفاعلية له هو الله تعالى، وإنّه تعالى الخالق لهذا الخلق، وإنّ أوّل ما خلق نور النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ اشتقّ منه نور عليّ عليه السلام واشتقّ منهما نور فاطمة ثمّ الأئمة عليهم السلام فشيعتهم من الأنبياء والأوصياء والأولياء والمؤمنين، وهذا الحديث ثابت عندنا كما في كتاب (بحار الأنوار)، وهو مذكور في كتابنا (هذه هي الولاية)[٣].

---

(١) العلّة التامّة هي التي يصدر عنها المعلول من دون أن يقلّ من العلّة شيئاً كشاعريّة الشاعر وتكلّم المتكلّم، فيصدر الكلام منه من دون أن ينقص من علّيته شيئاً، بخلاف العلّة الناقصة.

(٢) العلّة الفاعليّة: هي التي تفيض وجود المعلول وتفعله، العلّة الغائية: وهي الكمال الأخير الذي يتوجّه إلى الفاعل في فعله، العلّة الصوريّة: هي الصورة للشيء وهي تشترك في تركيب الشيء مع العلّة المادّية التي هي مادّة الشيء.

(٣) المجلّد الخامس من الموسوعة الكبرى (رسالات إسلاميّة)، وهذه الموسوعة عبارة عن أكثر من مئة وخمسين كتاباً ورسالة بقلم سيّدنا الأُستاذ في مئة مجلّد، طبع منها (١٢) مجلّداً، والموسوعة تضمّ علوم وفنون إسلامية مختلفة.

والعلّة هي عبارة عن وجود المقتضي وعدم المانع وأُضيف إليهما تحقّق الشرائط ووجود المعدّ.

فالصادر الأوّل لله تعالى هو نور النبيّ صلى الله عليه وآله، وببركته خلق هذا الكون، وهذا المعنى موجود في الفلسفة المشائية والإشراقية معاً، فإنّ المشّائين يقولون بالعقول العشرة أي أنّ العقل الأوّل باعتبار وجوده وماهيّته خلق العقل الثاني والفلك الأوّل، وهكذا حتّى يصلوا إلى العقل العاشر، وهو العقل الفعّال المدبّر لهذا الكون الطبيعي، كما أنّ الإشراقيين يقولون إنّ الله تعالى صدر منه العقل الأوّل ثمّ أرباب العقول لهذا الكون[1]، إذن هم يعتقدون بالعلّة والمعلول، ولا بدّ منهما في هذا الخلق لقاعدة الأشرف[2]، فإنّ الله تعالى خلق الكائنات ببركة النبيّ وأهل بيته عليهم السلام لأنّهم نور واحد كما ورد في الحديث: «أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد بل كلّنا محمّد»[3]، فهم نور واحد في الحقيقة المحمّدية والولاية الإلهية العظمى، وأمّا اختلافهم فهو في الشؤون، فكلّهم جواد، وكلّهم

---

(١) يقول المشّائون إنّ العقول عشرة والصادر الأوّل هو العقل الأوّل ثمّ هذا العقل الأوّل أوجد الفلك الأوّل والعقل الثاني، وإنّ العقل الثاني أوجد الفلك الثاني والعقل الثالث، وهكذا حتّى يصلوا إلى العقل العاشر الذي يسمّى بالعقل الفعّال، ويقول الإشراقيون إنّ في الوجود عقولاً عرضية لا علّية ومعلولية بينها وهي تدبّر الأنواع المادية وتسمّى بـ (أرباب الأنواع)، و (المثل الأفلاطونية)، وفي هذا كلام مفصّل يؤخذ من مصادره الفلسفية.

(٢) مفاد قاعدة إمكان الأشرف: أنّ الممكن الأشرف يجب أن يكون أقدم في مراتب الوجود من الممكن الأخسّ، فلا بدّ أن يكون الممكن الذي هو أشرف منه قد وجد قبله، وهذا مرتبط بوجود العلّة التي هي أشرف من المعلول فتكون قبله من حيث الوجود.

(٣) بحار الأنوار.

كاظم للغيظ، وهكذا باقي الصفات إلّا أنّ الصفة تبرز في زمن أحدهم فيمتاز بها كما برز الجود في زمن الإمام الجواد عليه السلام، فعرف به، وكذلك كظم الغيض في زمن الإمام الكاظم عليه السلام فعرف به، وإلّا لا فرق بينهم في مقام دون آخر، فإذن هم صنايع لله تعالى، والناس صنايع لهم، كما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الحجّة عجّل الله فرجه الشريف: «نحن صنايع الله والخلق صنايعنا»، ومعنى الصنعة هنا إمّا يراد منها الأدب، فأدّبهم ربّهم، وهم بدورهم أدّبوا الناس بآداب الله تعالى، أو يراد منها الصانعية وهذا يتمّ بحسب سلسلة العلل والمعاليل، فالعلّة الفاعلية الأُولى لله تعالى، ثمّ الصادر الأوّل، ثمّ سلسلة العلل والمعاليل، وأمّا العلّة الصورية فقد ورد في الحديث الشريف: «إنّ من دخل الجنّة سيكون على صورة النبيّ محمّد»، وأمّا النساء فعلى صورة الزهراء، والزهراء تشبه أباها، وأمّا العلّة المادّية في عالم الأنوار، فالمؤمنين خلقوا من أنوارهم، وفي عالم الطينة من فاضل طينتهم[1]، وأمّا العلّة الغائية فنقول ما هي الغاية من خلق هذا الكون؟ الغاية هي أن يكون الإنسان الجامع لجميع صفات الله الجمالية والكمالية الذي هو النبي الأكرم أشرف خلق الله تعالى، فلذلك قال له الله تعالى في المعراج: «يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك»، فأنت يا أحمد صلى الله عليه وآله الغاية، وأنت سرّ الوجود، وأنت سرّ المعبود لهذا الكون، فلأجلك خُلق الكون، وأنت الجامع لصفات الله تعالى والعاكس لها، فإذا كان الله تعالى كريماً فإنّ كرمه يظهر فيك، وإذا كان ستّاراً فإنّ ستّاريته تظهر فيك، وهكذا باقي الصفات، وهذا الكلام ثابت بالعقل والعلم الحديث، وذلك عندما نرى أنّ الحركة الدائرية البسيطة لا بدّ لها من مركز (قطب)

---

(١) أُصول الكافي ٢: ٥، باب طينة المؤمن والكافر.

كالرحى، فذلك المركز وذلك القطب الذي هو أشرف المخلوقات ليس إلّا النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فلذلك صار حجّة على الخلق، وهذه الحجّية ثابتة لمن يليه في المسؤولية[1]، ولكن من هو الذي يليه ؟ فنقول : إنّ الذي يليه لا بدّ أن يكون بينه وبين النبيّ صلى الله عليه وآله من سنخية لأنّ السنخية هي الترابط والتشابه بين العلّة والمعلول، فإذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله هو العلّة الغائية لا بدّ ان يكون له معلولاً يشترك معه في الغاية، ولا بدّ أن تكون سنخية بينهما بموجب قاعدة السنخية[2]، ولكن لا بدّ من توضيح هذا بالمثال لنقرّبه إلى الأذهان، فنقول : (النار علّة للحرارة لوجود تشابه وترابط بينهما، ولولا هذا التشابه والترابط لاستحال أن تصدر الحرارة من النار كما يستحيل صدور البرودة من النار، ولكن صدرت الحرارة من النار، إذن لا بدّ من التشابه والترابط لأنّ «الطيور على أشكالها تقع» و «كلّ جنس إلى جنسه يميل»، فنرجع إلى أوّل حديثنا فنقول : إذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله هو العلّة الغائية لهذا الكون، لأنّه هو الإنسان الكامل وهو جامع الجمع لأسماء الله وصفاته، فالمعلول الذي يكون

---

(١) مراده حفظه الله تعالى في المسؤولية ليس هي الخلافة الحكومية بل مراده إيصال الناس إلى المطلوب، وهذا لا يتمّ إلّا للمعصوم، علماً أنّ الخلافة شأن من شؤون الإمامة، والإمام إمام مسؤول نائب عن رسول الله صلى الله عليه وآله سواءً كان خليفة أم لم يكن لأنّ الإمامة غير الحكومة واستلام المنصب.

(٢) قاعدة السنخية : مفادها أن يكون بين العلّة والمعلول رابطة تكوينية وذاتية غير موجودة بين تلك العلّة ومعلول آخر أو بين ذلك المعلول وعلّة أُخرى، وإذا لم تكن هذه الرابطة يلزم أن يصدر كلّ شيء من كلّ شي.

مثال ذلك : (النار علّة لوجود الحرارة للسنخية بينهما ولولا السنخية لجاز أن تصدر البرودة من النار، وهذا محال)، والسنخية علّة الانضمام.

من سنخه ومن جنسه ومن نفسه ليس هو إلّا أسد الله الغالب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لآية المباهلة في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ... ﴾[1]، فلذلك صار الحديث «لولا عليّ لما خلقتك» لأنّك يا رسول الله يلزمك معلولاً يشابهك لكي تكون أنت العلّة وليس هذا المعلول إلّا عليّ عليه السلام، فأنت يا رسول الله نور النبوّة وعليّ نور الإمامة وكلاكما من نور التوحيد، فلا بدّ لكما من معلول يجمع بين نوريكما وبين حجّتيكما، وهذا المعلول الذي يشبهكما وبمستواكما، ما هو إلّا فاطمة الزهراء عليها السلام، فلذلك قال: «ولولا فاطمة لما خلقتكما»، لأنّها بطن الإمامة وصلب النبوّة، وهي روح النبوّة والإمامة، والإسلام والعقيدة، فإذن هي سرّ الوجود أو سرّ السرّ، وهي مجمع النورين النبوي والعلوي، وهي بنت النبيّ وزوجة الوصيّ.

ومن هذا المنطلق يقال: السنخية علّة الانضمام.

---

(١) آل عمران: ٦١.

(المحاضرة الرابعة)

لا زال الحديث عن سيّدتنا ومولاتنا وشفيعة ذنوبنا وطبيبة قلوبنا فاطمة الزهراء عليها السلام، وأنّها من سرّ الوجود وهي من الحججّ الإلهية، فلا بدّ أن نعرفها بمعرفة جلالية وجمالية، ولا بدّ من زيادة المعرفة؛ لأنّ الفضل لا يكون إلّا بالمعرفة، فكلّما ازداد الإنسان معرفةً، ازداد عملاً، وازداد قرباً من الله تعالى:

﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[1].

فرفع الدرجات في يوم القيامة لأهل العلم والمعرفة، فإذن لنعرف فاطمة الزهراء عليها السلام بما يمكننا ذلك، ولكن قبل هذه المعرفة أذكر بأنّنا قد ذكرنا معنى الوجود والموجود والفرق بينهما، كما ذكرنا دليل العلّة والمعلول، وأنّ بينهما سنخية، وبيّنا ما معنى ذلك، وأمّا الآن فنقول: إنّ قانون العلّة والمعلول أقوى من القوانين الرياضية، وهو الحاكم على كلّ هذا الكون، فبه برهنّا على صحّة كلامنا عقلاً، ولكن لكي يتّضح المطلب أكثر ويكون بلغة الجمهور سأذكر وجهاً آخر للحديث الشريف حتّى لا يتبادر إلى الذهن أنّ عليّاً أفضل من النبيّ صلى الله عليه وآله وأنّ

---

(١) المجادلة: ١١.

فاطمة أفضل منهما، وسيكون بيان ذلك بالمثال الحسّي: الإنسان هو الجرم الذي انطوى فيه العالم المادّي الكبير والعالم المجرّد الأكبر، لأنّ جسده من الأرض وروحه وعقله من السماء، فهو ذو بعدين: بُعد سماوي وبعد أرضي، وقد ركّب في بدنه عقل وروح وشهوة، وفي هذا البدن المادّي دماغ الذي هو محطّ العقل، وفيه قلب الذي هو محطّ الروح، وفيه الطحال الذي له دور في تصفية الدم الذي يذهب إلى القلب، فبدن الإنسان حيّ بدماغه ولولا هذا الدماغ لما كان له قيمة تذكر، لأنّ الدماغ هو المدبّر لبدن الإنسان، ولكن لولا القلب لما كان للدماغ دوره الذي وجد من أجله، وليس هذا يعني أنّ القلب أهمّ من الدماغ، بل إنّ الدماغ أهمّ وأشرف من القلب، ولكن للقلب دور يجعل البدن يتحرّك، ذلك البدن الذي سلطانه الدماغ ومدبّره الدماغ، ولكي يبقى البدن مستمرّ الوجود، لا بدّ له من القلب، وهذا القلب الذي يضخّ الدم يحتاج إلى مصفاة تصفّي هذا الدم وليس هناك إلّا الطحال، فهو الذي يؤدّي هذا الدور، وهذا المثال للتقريب بالحسّ مع العلم أنّ المثال يقرّب من جهة ويبعد من ألف جهة، ولكن نريد أن نقول: إنّ هذه الأعضاء كلّ واحد منها له دوره الخاصّ، وقولنا: لولا العقل لما كان الجسد، ولولا القلب لما كان العقل، ولولا الطحال لما كان القلب، لا يعني أنّ القلب أفضل من العقل أو أنّ الطحال أفضل منهما، فليس المقام لبيان الأفضلية، فإنّ الأفضلية محفوظة بينها، وهكذا المعنى في الحديث الشريف: «لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما».

ثمّ إنّ الإمام هو عقل عالم الإمكان أو قلبه، كما ورد في الرواية التي ذكرت محاججة هشام بن الحكم مع ذلك الرجل في البصرة عندما قال له: ما هو أثر العين؟ قال: ننظر بها، وما هو أثر الأُذن؟ قال: نسمع بها، وما هو أثر القلب؟

قال: نميّز به الحقّ من الباطل، فقال هشام: هكذا هو الإمام[١]، فالإمام سرّ الوجود وبه ثبتت السماوات والأرض، ولولاه لساخت الكائنات والأرض بأهلها، ومعنى سرّ الوجود أي باطن الوجود، فلذلك يعبّر عن الخفي بالسرّ أي الباطن وليس الظاهر، وعندما نقول للميّت: قدّس سرّه، أي قدّس الله نفسه، والنفس أمر خفي فتكون سرّاً، كما يقال في المثل: (الولد على سرّ أبيه)، أي على خلق ونفس أبيه، وهكذا أهل البيت عليهم السلام سرّ الوجود أي باطن الوجود.

أيّها الإخوة الأعزّاء: نحن الآن في عصر الغيبة الكبرى، عصر الغربلة والبلبلة والامتحان والشبهات والتشكيك، فالتزموا الدعاء لكي تنجوا من هذه الهزّات الفكرية، ولكي تبتعدوا عن الشكّ بالله ورسوله وأهل البيت سيّما صاحب الأمر عجّل الله فرجه الشريف، فعليكم بدعاء الغريب الذي مطلعه: «اللهمّ عرّفني نفسك...» لأنّ من لم يعرف الله تعالى سوف يجهل رسول الله، ويجهل الحجّة فيقع في الضلال، فيموت ميتة الجاهلية، لأنّ من لم يعرف إمام زمانه يموت ميتة الجاهلية، فلا بدّ من معرفة الحجج عليهم السلام الذين عددهم بعدد الأسباط وبعدد الحواريين، حيث إنّ عددهم اثنا عشر خليفة وكلّهم من قريش كما ورد في الصحيحين[٢] عند الجمهور، فإمام الزمان هو الحجّة الثاني عشر، وهو الإمام المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وأبوه الإمام

---

(١) أُصول الكافي ١: ٢٢٥، فيه قصّة مفصّلة عن محاججة هشام بن الحكم الذي هو من أفضل أصحاب الإمام الصادق عليه السلام مع الرجل الذي كان متصدّراً مجلس البصرة وهو عمرو ابن عبيد.

(٢) صحيح البخاري وصحيح مسلم، فضلاً عن مصادرنا.

الحسن العسكري الحجّة الحادي عشر عليه السلام يقول: «نحن حجج الله وأُمّنا فاطمة حجّة الله علينا»، فإن فاطمة حجّة الحجج، ولذلك قال الإمام الحجّة المنتظر عجّل الله فرجه الشريف: إنّي أقتدي بأُمّي فاطمة لما لها من الفضل والعظمة التي يقرّ بها جميع الأنبياء، بل هي ليلة القدر كما ورد ذلك في حديث مسند في بحار الأنوار[1]، ومذكور كذلك في تفسير البرهان وتفسير نور الثقلين، ففاطمة الزهراء عليها السلام إنّما سمّيت بذلك لأنّ الناس فطموا عن معرفتها، فكيف لا تكون كذلك وهي أُمّ أبيها أي مقصودة أبيها فكان يشمّ نحرها ويقبّل يدها ويقول الرسول الأعظم بعظمته وعلمه: فداها أبوها ، فإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على أنّها سرّ الوجود ولا يستقيم أمر لأحد سواء كان عالماً أو شاعراً أو خطيباً أو أديباً إلّا أن يقرّ بفضلها ومحبّتها وأن يعرفها بما أمكنه معرفتها، وهي التي فطم الناس عن حقيقة معرفتها، لأنّها كفؤ لعليّ عليه السلام، ولا يعرف علي عليه السلام إلّا الله ورسوله... وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الناس فطموا عن معرفتها، وعلى معرفتها دارت القرون الأُولى.

---

(١) بحار الأنوار ٤٢: ١٠٥.

(المحاضرة الخامسة)

بعد البسملة والحمد والصلاة :

لا زال الحديث حول سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام بأنّها سرّ الوجود، وبناءً على أنّ الإمام الحجّة (عجّل الله فرجه الشريف) هو سرّ الوجود أيضاً، تكون فاطمة الزهراء عليها السلام سرّ السرّ، لأنّ الحجّة عليه السلام، هو قطب الأرض، ولولاه لساخت بأهلها وبالموجودات التي على ظهرها، ولولاه لانعدمت البركات، ولولاه لما ثبتت الأرض والسماء، وبيُمنه رزق الورى، فهو إذن سرّ الموجودات، وسرّ الله تعالى في الكائنات، وعبّرنا بسرّ الله تعالى، لأنّ الوجود الحقيقي التامّ الأتمّ هو الحقّ سبحانه، فيكون الإمام الحجّة عليه السلام سرّ الله تعالى في كائناته. ولمعرفة منزلة ومقام أُمّه الزهراء عليها السلام نستمع إلى ما يقوله الإمام الحسن العسكري عليه السلام فيقول : «نحن حجج الله وأُمّنا فاطمة حجّة الله علينا»، وبهذا نعرف أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام سرّ السرّ للموجودات، وهذا هو معنى ما ورد في الحديث الشريف : «ولولا فاطمة لما خلقتكما» كما تمّ بيان ذلك.

واليوم نتحدّث عن وظيفة الإنسان الذي يعرف فاطمة الزهراء عليها السلام بهذه المعرفة، وماذا يترتّب على هذه المعرفة من وظيفة شرعيّة وسلوك أخلاقي

وعقيدة قلبية، فلقد تمّ الاعتقاد بمقام فاطمة من خلال ما عرفناه عنها، فإذن لا بدّ من العمل على أساس هذه العقيدة الراسخة في القلب، ولكي أُبسّط البحث ويكون بلغة الجمهور، بعيداً عن الطريقة الحوزوية أقول:

إنّ الله تعالى كلّفنا بالاعتقاد والعمل معاً في أُصول الدين وفروعه، وعند الوقوف على هذه الفروع العشرة التي هي: الصلاة والصوم والزكاة والخمس والحجّ والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتولّي والتبرّي، نلاحظ أنّ كلّ فرع من هذه الفروع لو أردنا العمل به فسيكون على نحوين: عمل جوارحي أي ما يتعلّق بالجوارح التي هي اليد والرجل والعين والأُذن وغير ذلك، فاليد تعمل والرجل تسعى وهكذا، ونحو آخر هو العمل الجوانحي أي العمل الباطني مثلاً النيّة (نيّة المؤمن خيرٌ من عمله)[1]، هذه من أعمال القلب وكالحبّ لله ولرسوله ولأهل البيت وفاطمة الزهراء عليها السلام فهو أيضاً عمل جوانحي، وكذلك التولّي والتبرّي من أعمال القلب وتسمّى هذه الأعمال بالأعمال الجوانحيّة.

ومعنى التولّي لغةً: الاتباع بدون فاصلة بين الوليّ والمتولّى، فمثلاً عندما يركب شخص خلف آخر على فرس فيقال مثلاً: زيد ولي عمر، فيما إذا كان زيد خلف عمر ولم يكن بينهما فاصلة.

وأمّا معناه اصطلاحاً: هو أن يتولّى الإنسان ربّه تعالى فيكون تابعاً لربّه سبحانه وهو أقرب إليكم من حبل الوريد، أي لا فاصلة بينه وبين أولياءه، فلذلك

---

(١) الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نيّة المؤمن خيرٌ من عمله، ونيّة الكافر شرّ من عمله، وكلّ عامل يعمل على نيّته» (أُصول الكافي ٢: ٨٩).

جاءت الآيات الكريمة تبيّن هذا المعنى كما في قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾[١].

﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ ﴾[٢].

﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٣].

فهذه الآيات صريحة في بيان مدى العلاقة بين المؤمن وربّه تعالى، فالمؤمن قريب من ربّه تعالى والله سبحانه أقرب من ذلك، ثمّ يتولّى المؤمن رسول الله صلى الله عليه وآله ويتولّى وصيّه ويتولّى أولياء الله تعالى، فبهذا الولاء يحبّ الله ورسوله وأوليائه، ولازم هذا الحبّ الإطاعة، فنجد الآية الكريمة :

﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[٤].

تؤكّد هذا اللازم وتبيّن المصاديق التي وجبت طاعتها ثمّ تأتي آية أُخرى تحصر الولاء والحبّ والإطاعة بنفس المصاديق التي بيّنتها الآية السابقة، فتقول :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٥].

---

(١) الحديد : ٤.

(٢) الأنعام : ١٢٧.

(٣) ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ (البقرة : ٢٥٧).

(٤) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (النساء : ٥٩).

(٥) ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (المائدة : ٥٥)، فإنّ الآية حصرت الطاعة لله ولرسوله ولعليّ أمير المؤمنين لأنّه هو الذي أعطى الزكاة إلى ذلك الفقير في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في حالة الركوع فأشار بإصبعه إليه ـ في قصّة مفصّلة، وقد حدث هذا لكلّ الأئمة، والآية تعمّ جميع الأئمة الاثنا عشر كما هو ثابت عندنا ـ وهذا متّفق عليه في كتب التفسير عند الفريقين.

فلازم الولاية الحبّ، ولازم الحبّ الإطاعة، وهذا كلّه عمل قلبي جوانحي، ولكن هذا العمل الجوانحي يستلزم إظهاره بواسطة الجوارح، فمن كان محبّاً لأمير المؤمنين عليه السلام سيكون مطيعاً له، وهذا ما أكّده الإمام الصادق عليه السلام: «عجبت لمن يدّعي حبّ الله كيف يعصي الله»[1]، فإنّ المحبّ لمن أحبّ مطيع، وعلى هذا يكون التولّي عمل قلبي، وبما أنّ القلب هو سلطان البدن فبصلاحه تصلح الجوارح وبفساده تفسد، وهذا مشابه للملك والرعيّة، فإذا صلح الملك صلحت الرعيّة لأنّ الناس على دين ملوكها، فإذا كان القلب يتولّى الله ورسوله وأولياءه فيحبّهم فيطيعهم فيمتثل البدن للقلب، ويظهر الطاعة على قدر طاعة القلب وحبّه وانقياده.

وأمّا التبرّي الذي هو الجناح الثاني في السير والسلوك إلى الله تعالى، ولكي يصل الإنسان إلى ربّه تعالى لا بدّ له من جناحين، أوّلهما التولّي وثانيهما التبرّي. فالتولّي لله ولرسله ولكتبه ولأوليائه، والتبرّي من أعداء الله ورسوله وأوليائه ومن أعداء فاطمة الزهراء عليها السلام، فالذي يعرف فاطمة بأنّها سرّ الوجود لا بدّ له أن يتولّاها ويتبرّأ من أعدائها، وممّن ظلمها، وممّن ضربها وأسقط جنينها.

ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كذب من زعم أنّه يحبّني ويحبّ عدوّي»[2]، وهذا القول الذي صدر من الإمام المعصوم موافقاً لقوله تعالى:

﴿ مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾[3].

---

(١) ؟؟؟.

(٢) ؟؟؟.

(٣) ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ (الأحزاب: ٤).

فلذلك نعجب ممّن يدّعي حبّ عليّ عليه السلام وحبّ عدوّه معاً، ونعجب ممّن يقول إنّ الرجوع إلى أمير المؤمنين عليه السلام وإلى عدوّه هو الرجوع إلى الإسلام، هذا كلام ما أنزل الله تعالى به من سلطان وهو خلاف المنطق، كيف يكونا على طرفي نقيض والرجوع إليهما رجوع إلى الإسلام. التولّي والتبرّي عملان قلبيّان، فالأوّل حبّ باطني، والثاني بغض باطني، والأوّل هو حبّ لله ولرسوله ولأمير المؤمنين عليه السلام، والثاني بغض لعدوّ الله وعدوّ رسوله وعدوّ أمير المؤمنين عليه السلام، فلا يجتمع في قلب واحد حبّ الطيبة وحبّ الخبث، وحبّ الله تعالى وحبّ عدوّه، لأنّهما نقيضان، إن طاب قلبك بحبّ أمير المؤمنين عليه السلام فإنّه يخبث بحبّ عدوّه، وهذا القلب لا يمكن له أن يكون طيّباً وخبيثاً في آن واحد، فلهذا نجد التركيز في الشريعة الإسلامية على التولّي والتبرّي، فلا يمكن أن يدّعي أحد التولّي دون أن يبغض عدوّ من يتولّى، لأنّه لو كان يمكن ذلك لصحّ أن نتصالح مع الشيطان ونحبّه، وبما أنّ للشيطان أولياء فلنحبّ أولياءه فيجتمع في قلبنا حبّ أولياء الله وأولياء الشيطان، ولكن هذا مستحيل لأنّ الشيطان وأولياءه أعداء أولياء الله تعالى منذ اليوم الأوّل، ومنذ بدء الخليقة، فالشيطان عدوّ لله تعالى لأنّه تكبّر على آدم وعصى أمر الله تعالى، فآدم الذي عكس الصفات الإلهيّة والأسماء الحسنى ظهر له عدوّه من لحظة وجوده. فحبّ الجميع وعدم كراهية أحد من الناس هذه مقولة شيطانية، لأنّ من الناس من هم أولياء للشيطان، بل هم من شياطين الإنس، وهذه المقولة تسرّ الشيطان وتفرح حزبه، وهذه المقولة تعمل على تخريب عقائد البسطاء من الناس، وهذه المقولة من تزيين الشيطان، فتراهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً وهم لا يعلمون بأنّ هذا خلاف قول أمير المؤمنين عليه السلام الذي قاله في حقّ الأصدقاء والأعداء فقال عليه السلام:

«الأصدقاء ثلاثة : صديقي وصديق صديقي وعدوّ عدوّي، والأعداء ثلاثة : عدوّي وعدوّ صديقي وصديق عدوّي»[١]، فصديق عدوّي يعاديني لأنّه صديق العدوّ، وعدوّ صديقي يعاديني لما بيني وبين عدوّه من صداقة وهذه مسألة وجدانية فطرية حسّية، وهذا قول أمير المؤمنين عليه السلام وهو القول الحقّ لأنّ علياً هو الحقّ والحقّ مع عليّ يدور الحقّ حيثما يدور علي، وهذا لا يمكن إنكاره، فإذا كان الحقّ مع عليّ فهو قسيم الجنّة والنار، وهو سفينة النجاة، وهو الذي يقول للنار هذا عدوّي فخذيه وهذا وليّي فدعيه، فإذن الذي ينجو بولاية عليّ عليه السلام ثلاث طوائف :

أوّلهم ـ صديق عليّ عليه السلام أي الذي يصدق مع عليّ عليه السلام في كلّ شيء كسلمان المحمّدي (رضوان الله عليه) الذي قيل في حقّه : «سلمان منّا أهل البيت»، فلقد كان صديقاً لأمير المؤمنين، بل هو تالي تلو أمير المؤمنين عليه السلام وخير شاهد على ذلك هذه القصّة التي ذكرناها سابقاً[٢] وهي عندما أراد الأصحاب أن يدخلوا المسجد ويسبقون سلمان بالحضور إلى جوار عليّ عليه السلام فلم يتوفّقوا لذلك، إلّا أنّهم في يوم ما نظروا إلى الطريق فلم يروا إلّا آثار أقدام عليّ عليه السلام ففرحوا بذلك وعندما ذهبوا مسرعين وجدوا سلمان عنده فاندهشوا من ذلك وسألوه : من أين أتيت يا سلمان ؟ هل نزلت من السماء أم خرجت من الأرض ؟ فأجابهم سلمان بكلّ هدوء : إنّي أتيت من نفس الطريق الذي جاء به أمير المؤمنين عليه السلام وكنت أضع قدمي على موضع قدم أمير المؤمنين عليه السلام لأنّني أعلم أنّه لا يرفع

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) جاءت في (عصمة الحوراء زينب عليها السلام).

قدماً ولا يضعها إلّا بحكمة وعلم، فإنّه يرى أنّ خطوات أمير المؤمنين صادقة حتّى في مثل هذاالموقف، فلذلك صار من أهل البيت ومن أهل النجاة.

وأمّا الطائفة الثانية ـ هي (صديق صديقي)، أي من كان صَديقاً لسلمان ومن يحذو حذوه، النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، فعندها سيكون محبّاً لأمير المؤمنين عليه السلام ويكون شيعياً خالصاً مخلصاً، فلو نظرنا إلى الروايات التي تتحدّث عن صفات الشيعي نجد تقصيراً واضحاً لدينا، لأنّ من صفات الشيعي أنّهم خمص البطون من الجوع، عمش العيون من البكاء، صفر الوجوه من السهر، ومن صفات محبّي أهل البيت عليهم السلام حبّ العلم والعمل الصالح وبغض الدنيا والسخاء، فهي من صفات المتّقين الذين إمامهم عليّ عليه السلام، وهذه صفات الطائفة الثانية فأين نحن من هذه الصفات وهل فينا منها ؟

فإذن لا يبقى لدينا إلّا أن ننتسب إلى الطائفة الثالثة وهي طائفة (عدوّ عدوّي) هذه لنا ونستطيع أن ندّعي أنّنا أعداء لعدوّ أمير المؤمنين عليه السلام ونطالبه بذلك في يوم القيامة، لا سيّما إنّنا كثيراً ما نقول في زيارة عاشوراء «اللهمّ ألعن أوّل ظالم ظلم حقّ محمّد وآل محمّد وآخر تابع له على ذلك»، فهذه براءة معلنة من أعداء آل محمّد صلى الله عليه وآله نتقرّب بها إلى الله تعالى، فنأمل النجاة بهذه الرتبة، ولكن هناك من ينجو بالولاية إذا كان من أهلها، وينجو بالطاعة إذا كان من أهل العبادات، أمّا من كان مثلي فكيف يمكن له أن ينجو يوم القيامة ؟ ليس له إلّا التبرّي من أعداء أمير المؤمنين عليه السلام، فلا نستمع إلى الأقلام المأجورة ولا نستمع إلى الألسن المرتزقة التي تحاول أن تلمّع شخصيات صدأت، بل هي ليست بشيء منذ اليوم الأوّل للإسلام، وما هي إلّا شياطين الإنس التي عادت أمير المؤمنين وعادت الزهراء وأولادهم عليهم السلام، فكيف لهذه الأقلام الهزيلة تحاول أن تظهر عدوّ

أهل البيت بأنّه خدم الإسلام؟ فلا تنجرّوا وراء أفكار سقيمة، ونفوس جشعة، وعقول سطحية لا تتعمّق في علوم أهل البيت عليهم السلام، فعليكم بالبراءة وعليكم بالولاية، وأظهروا مظاهر هذه الولاية، وهذا الحبّ، وعظّموا الشعائر الحسينية، فإنّها من مظاهر الولاية والبراءة.

والتزموا شعار الولاية الذي هو الصلاة على محمّد وآل محمّد، فإنّ الصلاة عليهم دعاء لهم ليرع الله تعالى درجاتهم، وكما ورد في الزيارة الجامعة «وصلواتنا عليكم، طهارة لأنفسنا وكفّارة لذنوبنا»[1]، والتزموا أيضاً شعار البراءة الذي هو (لعن أعداء أهل البيت عليهم السلام) وأعداء فاطمة الزهراء عليها السلام وهذا اللعن أيضاً دعاء ولكنّه على أعداء أهل البيت عليهم السلام لأنّ معنى اللهمّ العن فلان أي أبعده عن رحمتك، لأنّه لا يستحقّ الرحمة الإلهية، ولهذا نجد في كلّ زيارة بجانب السلام والتحيّة لهم عليهم السلام لعناً لأعدائهم وأحياناً يقدّم اللعن على السلام، لأنّه بغض، والبغض تخلية، والحبّ تحلية، والتخلية تقدّم على التحلية، فعندما نتكلّم عن عظمة الزهراء وعن مظلوميّتها، لأنّ رضا فاطمة رضا الله وغضبها غضب الله، وهذا ما ورد في صحيح البخاري عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «من أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أرضاني فقد أرضى الله، ومن أغضب فاطمة فقد أغضبني، ومن أغضبني فقد أغضب الله»[2]، وتقرأ في نفس الصحيح: «إنّ فاطمة ماتت وهي واجدة على فلان وفلان»، يعني ماتت سلام الله عليها وهي غاضبة عليهما، فإذن حلّ عليهما غضب الله تعالى، ومن حلّ عليه غضب الله تعالى فهو ملعون

---

(١) مفاتيح الجنان: زيارة الجامعة الكبرى.

(٢) صحيح البخاري، الجزء الرابع، باب مناقب فاطمة عليها السلام.

بصريح القرآن، ويلعنه الله ويلعنه اللاعنون، لأنّه آذى الله ورسوله وأمير المؤمنين عليه السلام[1]، فهذا هو الحقّ، وعليك بمعرفة الحقّ لكي تعرف أهله، فاعرف الحقّ تعرف أهله، ولا يُعرف الحقّ بالرجال، بل يُعرف الرجال بالحقّ، فلا تبهر بفلان وفلان، اعرف الحقّ وانظر إلى الحقّ وانظر إلى ما قال لا إلى مَن قال.

ثمّ التبرّي موجود عند كلّ المسلمين، إلّا أنّهم اختلفوا في المصاديق، لأنّ الأمر اشتبه عليهم، ولو عرفوا الحقّ لاتّبعوه، إلّا من كان في قلبه مرض فزادهم الله مرضاً.

---

(١) ﴿ ... وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (التوبة : ٦١)، فالذي يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله في نفسه أو في من كنفسه وأعني بذلك علياً عليه السلام أو الذي يؤذيه في روحه وأعني بذلك فاطمة لأنّها روحه التي بين جنبيه كما ورد في الحديث أو في أهل بيته، فإنّه ظالم ومتجاسر ومعتدي فيستحقّ اللعن بصريح القرآن الذي يقول : ﴿ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (هود : ١٨)، ثمّ صرّحت الآية القرآنية الكريمة بلعن من آذى الله ورسوله فقالت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ (الأحزاب : ٥٧).

(المحاضرة السادسة)

بعد البسملة والحمد والصلاة :

ورد في الحديث الشريف : «أُغدُ عالماً أو متعلّماً»[1].

وورد أيضاً في الحديث الشريف : «الناس ثلاث، إمّا عالم ربّاني، أو متعلّم على سبيل النجاة، أو همج رعاع»[2].

فكلّ إنسان لا يخلو من أحد هذه الصفات الثلاثة : إمّا أن يكون عالماً ربانياً ينتسب إلى الله تعالى ويتجلّى فيه ربّه سبحانه، وإمّا أن يكون متعلّماً يطلب النجاة، لأنّ العلم الذي يترجم إلى عمل هو وسيلة النجاة، وإمّا أن يكون بعيداً عن العلم والعلماء فهو همج رعاع، ينعق مع كلّ ناعق ويميل مع كلّ ريح، ويتحوّل في بعض الأحيان إلى مصداق من مصاديق الأنعام، بل يتسافل حتّى يكون أضلّ سبيلاً.

---

(١) الحديث «أُغدُ عالماً أو متعلّماً أو أحبّ أهل العلم، ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم» أُصول الكافي ١ : ٨٣.

(٢) وهناك حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام : «الناس ثلاثة : عالم ومتعلّم وغثاء» أُصول الكافي ١ : ٨٣.

فإذا تبيّن هذا لنا وعينا قول المعصوم عليه السلام بدقّة، وأنّه لا بدّ من استغلال العمر والتزوّد بالعلم والعمل الصالح، لأنّ العمر يمرّ كما يمرّ سحاب الربيع، لأنّ من صفات سحاب الربيع تراه في السماء كثيفاً، وسرعان ما يزول، وهكذا العمر فهو سرعان ما يمرّ، فلا تكن مصداقاً لهذا البيت من الشعر:

يا من بدنياه اشتغل ... قد غرّه طول الأمل

الموت يأتي بغتةً ... والقبر صندوق العمل

فطوبى لمن اغتنم فرصة العمل واستغلّها في طاعة الله تعالى.

وأوّل هذه الطاعات هو طلب العلم الإلهي، وخير شاهد على ذلك هذه القصّة التي ملؤها العبر والموعظة:

يُنقل أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان جالساً وإلى جنبه شابّ جالس أيضاً، فنزل أحد الملائكة المقرّبين عليهم السلام وأخذ ينظر إلى هذا الشابّ الجالس بنظرة عميقة، فلمّا رأى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله هذا سأل الملك عن سبب نظرته هذه، فأجابه بأنّ هذا الشابّ لم يبقَ لديه إلّا ثلاثة أيام من حياته. فبعد أن عرج الملك إلى السماء، توجّه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الشابّ وأخبره بذلك، فقال الشابّ: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، بِمَ تنصحني أن أفعل في هذه الأيام الثلاثة، وما هو العمل الذي يقرّبني إلى الله تعالى؟ أجابه رسول الله صلى الله عليه وآله: اطلب العلم، فإنّه أفضل عمل يقرّبك إلى الله تعالى. وهذا القول النبوي الشريف يشير إلى هذه الآية القرآنية الكريمة:

﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[1].

فإذن لا بدّ من طلب العلم واطلبه من المهد إلى اللحد، أي في كلّ مرحلة من

---

(١) المجادلة: ١١.

عمرك، لا بدّ أن تكون متعلّماً، ولا بدّ أن تفتح خزائن العلم، ومفتاح خزائن العلم هو السؤال، فأكثر من السؤال في أُمور دينك حتّى يقال لك مجنون، وخذ العلم من أفواه الرجال كما تأخذه من بطون الكتب، فليس كلّ العلم قد كتب بل منه ما في صدور الرجال، أي علوم إلهامية ألهم الله تعالى العالِم بها، لأنّ العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء، فلهذا يقول الإمام الرضا عليه السلام: «إسألوا يرحمكم الله، فإنّه يؤجر أربعة: السائل والمسؤول والسامع والمحبّ لذلك»، ففي السؤال عبادة وفي الجواب عبادة وفي الاستماع إليهما عبادة والذي يحبّ ذلك أيضاً في عبادة، لأنّه يفرح بذكر الله تعالى وذكر أوليائه.

فعليكم بالسؤال، ولكن عليكم الالتزام بآداب السؤال، لأنّ للسؤال أدب خاصّ به، وخير شاهد على ذلك هذه القصّة، ينقل أنّ أمير المؤمنين عليه السلام عندما قال: سلوني قبل أن تفقدوني، وإنّي أعرف منكم بطرق السماء منكم بطرق الأرض، فقام إليه رجل من المنافقين يسأل الإمام عليه السلام: كم طاقة من الشعر في لحيتي؟ وأراد أن يخجل أمير المؤمنين عليه السلام، قال: ويلك إنّي أعرف ذلك ولكن سل تفهّماً ولا تسل تعنّتاً.

فإذن لا بدّ أن يكون السؤال للتعلّم والتفهّم لا للامتحان ولا لإحراج المسؤول، ولا يكن ترفاً وتسلية، بل لا بدّ أن يراد منه القربة إلى الله تعالى، ثمّ طلب العلم النافع والعمل به.

ثمّ أجاب الإمام عليه السلام: اعلم أيّها السائل إنّ تحت كلّ طاقة من شعرات لحيتك شيطاناً، وإنّه في بيتك سخل يقتل ولدي الحسين عليه السلام[1]، ومراده (عمر

---

(١) راجع كتاب (الإرشاد) للشيخ المفيد رحمه الله.

ابن سعد).

فاسألوا يرحمكم الله، فإنّما يؤجر على ذلك: السائل والمجيب، والسامع والمحبّ لهم[١].

والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) بعد كلّ محاضرة كان المجال مفتوحاً للسؤال والجواب، وقد جمعنا الأسئلة والأجوبة، وسوف تطبع بعنوان (في رحاب أنت تسأل) إن شاء الله تعالى، ثمّ وقفنا على بعض مكتوبات سيّدنا الأجلّ العلوي وقد كتبها من قبل حول أُمّه الزهراء البتول عليها السلام، فآثرنا طبعها تعميماً للفائدة وتكميلاً للمحاضرات، ومن الله التوفيق والسداد.

كما قد طبع للسيّد الأُستاذ من قبل رسالتان بعنوان (فاطمة الزهراء عليها السلام ليلة القدر) و (الدرّة البهيّة في الأسرار الفاطميّة) وهذه الرسالة (فاطمة الزهراء عليها السلام سرّ الوجود) تكون الثالثة، نسأل الله أن تردف بأمثالها العشرات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الخصائص الفاطميّة

اعلم أنّ قانون الزوجيّة كقانون العلّية، بنصّ القرآن الكريم هو الحاكم على العالم التكويني:

﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾[1].

ومن مصاديق الأزواج العقل الكلّ والنفس الكلّ وكذا العلم والعمل، والعلم مقوّم روح الإنسان والعمل يشخّص بدن الإنسان، والعقل العملي يتبع العقل النظري، فالعلم إمام العمل.

ومن مصاديق الأزواج: السماء والأرض، والوجود والماهيّة، وكلّ مذكّر ومؤنّث من الحيوان والروح الذي يتكوّن من نطفة الرجل والبدن المتكوّن من نطفة المرأة.

وهذا القانون حاكم في كلّ شيء حتّى أعصاب المخّ فإنّه يتكوّن من أعصاب زوجيّة.

والنكاح اللقاح التكويني هو الحاكم في قانون الزوجيّة، ويتولّد منه العوالم

---

(١) الذاريات: ٤٩.

المعنويّة والروحيّة والنفسية والمثالية والحسّية، فالنكاح الأوّل كان في الأسماء الإلهيّة ثمّ في عالم الأرواح والعقول المفارقة ثمّ عالم الأجساد الطبيعية والعنصرية، ثمّ ما يتولّد منه المولّدات الثلاثة ـ المعادن والنباتات والحيوانات ـ والنكاح الأخير يختصّ بالإنسان الكامل والكون الجامع، فالروح بمنزلة الزوج والنفس بمنزلة الزوجة.

والخلق يكون على أساس التثليث، فالولد من نطفة من الأبوين.

والإنسان الكامل سواء الرجل أو المرأة هو ثمرة شجرة الوجود، فهو غاية الحركتين الوجودية والإيجادية، فالمرأة مصنع الصنع الإلهي، فهي كالشجرة الطيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكلها كلّ حين.

والإنسان الكامل لو كان رجلاً فهو مظهر العقل الكلّ، وإن كان امرأة فهو مظهر وصورة النفس الكلّية.

فعليّ عليه السلام مظهر العقل الكلّي على أتمّ الوجوه الممكنة، فهو أُمّ الكتاب، وفاطمة الزهراء مظهر النفس الكلّية على أتمّ الوجوه الممكنة.

إنّ فاطمة الزهراء عليها السلام وديعة المصطفى، الحوراء الإنسيّة، مطلع الأنوار العلوية، وضياء المشكاة الولويّة، أُمّ أبيها، وأُمّ الأئمة النجباء، صندوق العلم، ووعاء المعرفة.

لا ريب ولا شكّ أنّ فاطمة أحرزت مقام العصمة الإلهية الكبرى، وكما ذهب الأعاظم من علمائنا الأعلام كالشيخ المفيد والسيّد المرتضى إلى عصمتها، كما تدلّ الآيات الكريمة كآية التطهير والروايات الشريفة على ذلك، ومن أنكر ذلك فإنّه كالأعمى الذي ينكر نور الشمس.

والعصمة قوّة نوريّة ملكوتية في المعصوم تعصمه عن جميع ما يشين

الإنسان الكامل من الذنوب والمعاصي والسهو والنسيان والغفلة وما شابه ذلك، ومن كان معصوماً من أوّله إلى آخره لا يصدر منه الشين.

فاطمة الزهراء معصومة بعصمة الله سبحانه كما عصم أولادها الأئمة الأطهار، فإنّ عصمتهم كعصمة القرآن، فهما الثقلان اللذان لن يفترقا في كلّ شيء من البداية وحتّى النهاية.

والأذان إعلام وإعلان لما يحمل الإنسان من العقيدة، فالشيعي إنّما يعلن عن عقائده الصحيحة في أذانه وإقامته للصلاة، فيعلن للعالم كلّ يوم أنّه يؤمن بالله ووحدانيّه كما يؤمن برسول الله ونبوّته ويؤمن بولاية عليّ وإمامته، كما يشهد بعصمة الزهراء وطهارتها، أي في أذانه وإقامته يخبر عن معتقده في الأربعة عشر معصوم عليهم السلام.

وفاطمة الزهراء بقيّة النبوّة وعقيلة الرسالة، زوج وليّ الله الأعظم وكلمة الله الأتمّ، حازت مقام العصمة، فلا مانع بل من الراجح أن يشهد بعصمتها في الأذان والإقامة كما يشهد بنبوّة والدها وبولاية زوجها، فنقول في الأذان والإقامة بعد الشهادة الثالثة: (أشهد أنّ فاطمة الزهراء عصمة الله)[1]. أو يلحقها بالشهادة الثالثة، أي (أشهد أنّ عليّاً وأولاده المعصومين حجج الله، وأنّ فاطمة الزهراء عصمة الله)، فيقولها لا بقصد الجزئيّة كما أفتى المشهور من الفقهاء بذلك في الشهادة الثالثة.

وممّا يدلّ على عصمتها أنّ الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، كما ورد

---

(١) كما ذهب إلى هذا شيخنا الأُستاذ آية الله الشيخ حسن زاده الآملي في (فص حكمة عصمتية في كلمة فاطمية)، فراجع.

متواتراً في كتب الفريقين السنّة والشيعة.

ولا تجد معصوماً تزوّج بمعصومة إلّا أمير المؤمنين عليه السلام، ولولا عليّ لما كان لفاطمة كفؤ آدم ومن دونه، فإنّ المعصومة لا يتزوّجها إلّا المعصوم، فمن خصائص أمير المؤمنين التي لا يشاركه فيها أحد حتّى النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله هو زواجه من المعصومة فاطمة الزهراء عليها السلام، وهو الزواج المبارك وزواج النور من النور كما ورد في الأخبار، فلا يستولي على المعصومة إلّا المعصوم؛ لأنّ الرجال قوّامون على النساء، فالمعصومة لا يتزوّجها إلّا المعصوم، بخلاف المعصوم فإنّه يتزوّج غير المعصومة، فتدبّر.

وفاطمة سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، في الدنيا والآخرة، كما يشهد بذلك آية التطهير وحديث الكساء وأصحابه الخمسة: المصطفى والمرتضى وابناهما وفاطمة.

وإنّما قدّم في آية المباهلة النساء والأبناء على الأنفس ربما للإشارة إلى أنّ الأنفس فداهما.

وفاطمة تربية النبيّ والوصيّ، خامس آل العباء وأصحاب الكساء، والخمسة من الأعداد المقدّسة.

وفاطمة حقيقتها حقيقة ليلة القدر، فمن عرفها حقّ المعرفة فقد أدرك ليلة القدر، وسمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن كنه معرفتها.

والله خلق عالم الملك على وزان عالم الملكوت، والملكوت على وزان الجبروت، حتّى يستدلّ بالملك على الملكوت وبالملكوت على الجبروت وهو عالم العقول.

وقد عبّر عن القوس النزولي بالليل والليالي، كما عبّر عن القوس الصعودي

باليوم والأيام، فعصمة الله فاطمة عبّر عنها بليلة الله، فهي يوم الله كذلك، والإنسان الكامل هو القرآن الناطق، فنزل أحد عشر قرآناً ناطقاً في ليلة القدر، أي في فاطمة الزهراء، فهي الكوثر وإنّا أعطيناك الكوثر وليلة القدر خير من ألف شهر أي ألف مؤمن، فإنّ فاطمة أُمّ الأئمة النجباء وأُمّ المؤمنين والملائكة من المؤمنين الذين حملوا علوم آل محمّد عليهم السلام، وروح القدس فاطمة يتنزّلون في ليلة القدر بإذن ربّهم من كلّ أمر، سلام هي حتّى مطلع فجر قائم آل محمّد عليهم السلام.

وأيام الله كما ورد في خبر العسكري هم الأئمة فلا تعادوا أيام الله فتعاديكم.

والمعرفة على نحوين: مفهوميّة استدلالية ومعنويّة ذوقيّة، والثانية يحصل عليها العارف بالشهود والكشف لا بالبرهان والكسب، والعيان ليس كالبيان.

وليلة القدر قلب الإنسان الكامل الذي هو عرش الرحمان وأوسع القلوب، فروح الأمين في ليلة مباركة ينزل بالقرآن، فانشرح صدره، فليلة القدر الصدر النبويّ الوسيع.

ومثل هذا الصدر الشريف يحمل القرآن العظيم دفعة واحدة في ليلة مباركة، وفرق بين الإنزال فهو دفعي والتنزيل فهو تدريجي، فنزل القرآن دفعة واحدة في ليلة القدر ثمّ طيلة ٢٣ سنة نزل تدريجاً.

(ولقد كانت مفروضة الطاعة على جميع خلق الله من الجنّ والإنس والطير والوحوش والأنبياء والملائكة)[1].

والقلب يطلق على الشكل الصنوبري اللحمي الموجود في الجانب الأيسر

---

(١) دلائل الإمامة: ٢٨.

من القفص الصدري، كما يطلق على اللطيفة الربانية المتعلّقة بالقلب الجسماني، فكذلك هذا المعنى يطلق في ليلة القدر.

وليلة القدر الذي يحمل القرآن دفعة واحدة في معارفه وحقائقه هي فاطمة الزهراء عليها السلام، وما من حرف في القرآن إلّا وله سبعين ألف معنى، وفاطمة تعرف تلك المعاني، فمن عرفها حقّ معرفتها أدرك ليلة القدر، فهي درّة التوحيد ووديعة المصطفى ليلة القدر ويوم الله والكون الجامع والقلب اللامع الذي يتجلّى فيه الغيب.

ثمّ النبوّة والوحي على نحوين تشريعية مختصّة بالرجال وقد ختمت بمحمّد فحلاله حلال إلى يوم القيامة، ومقامية تكوينية ـ تسمّى بالنبوّة العامّة ـ فتعمّ الرجال والنساء، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ﴾[1]، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: أرى نور الوحي وأشمّ رائحته، كما قال الرسول: تسمع ما أسمع وترى ما أرى، إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، وأنت وزيري، وإنّك على خير.

فمثل هذه النبوّة مستمرّة إلى يوم القيامة ينالها أصحاب النفوس القدسية فيتمثّل لها الصور الملكية والملكوتية كما وقع لمريم العذراء بحملها عيسى كلمة الله. وفاطمة كانت ممّن تحدّثها الملائكة، فهي المحدّثة ـ بالكسر والفتح ـ.

فهناك من عنده علم من لدن حكيم كالخضر عليه السلام، ومثل موسى من أنبياء أُولي العزم يريد أن يستصحبه كي يتعلّم رشداً، إلّا أنّه لا يستطيع صبراً.

وفاطمة اسم من اسماء الله الحسنى، واشتقّ اسمها من الفاطر، فلا يقاس بها

---

(١) القصص: ٧.

أحد بعد أبيها خاتم النبيّين وبعلها سيّد الوصيّين.

والعلم نور يتّحد مع العالم والمعلوم، فيدخل جنّة الذات والأسماء، والحكمة جنّة، فمن يدخل الحكمة فقد دخل الجنّة، والإنسان الحكيم الكامل جنّة، وهو القرآن الناطق، وكلّ يعمل على شاكلته فاقرأ وارقأ.

ن والقلم، فما يكتب في العصمة الكبرى فاطمة الزهراء إلّا رشحات من بحر معرفتها، وقد فطم الخلق عن كنه معرفتها، فمن يعرفها ويعرف أسرارها ؟

قال رسول الله : إنّ الله جعل علياً وزوجته وأبناءه حجج الله على خلقه، وهم أبواب العلم في أُمّتي، من اهتدى بهم هدي إلى صراطٍ مستقيم[١].

وفي قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ ﴾[٢]، أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله : ﴿ مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ قال : عليّ وفاطمة ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ ﴾ قال النبيّ ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ ﴾ قال : الحسن والحسين[٣].

وأذاها أذى رسول الله، ومن يؤذي الرسول فقد آذى الله، ومن يؤذيهم فعليه لعنة الله في الدنيا وعذاباً مهيناً في الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً ﴾[٤].

---

(١) شواهد التنزيل؛ للحافظ الإسكافي الحنفي ١ : ٥٨.

(٢) الرحمن : ١٩ ـ ٢٢.

(٣) الدرّ المنثور؛ للسيوطي ٧ : ٦٩٧.

(٤) الأحزاب : ٥٧.

وما أُوذي نبيّ بمثل ما أُوذيت، أيّ أذى أكبر ممّا ورد على فاطمة الزهراء من المصائب من قبل الظالمين ؟ وثبتت العصمة لها من خلال الأحاديث الواردة في فضائلها ومقاماتها.

من أهمّ الخصائص الفاطميّة :

وإليكم جملة من الخصائص، قد استخرجتها من الروايات الشريفة، وهي تدلّ على الأُمور الغيبية في تكوينها وفي حياتها الملكيّة والملكوتيّة، فإنّها :

١ ـ أوّل بنت تكلّمت في بطن أُمّها.

٢ ـ أوّل مولودة أُنثى سجدت لله عند ولادتها.

٣ ـ أُمّ أبيها.

٤ ـ شرافتها العنصريّة، فهي الحوراء الإنسيّة.

٥ ـ اشتقاق اسمها من اسم الله الفاطر سبحانه وتعالى.

٦ ـ رشدها الخاصّ.

٧ ـ إنّها من أصحاب الكساء عليهم السلام.

٨ ـ الإمام المهدي المنتظر عليه السلام من ولدها.

٩ ـ ذرّيتها لا يدخلون النار ولا يموتون كفّاراً، والنظر إليهم عبادة.

١٠ ـ لم يكن لها كفو من الرجال آدم ومن دونه إلّا أسد الله الغالب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

١١ ـ هي ليلة القدر.

١٢ ـ فطم الخلق عن معرفتها.

١٣ ـ على معرفتها دارت القرون الأُولى.

١٤ ـ كتب اسمها على العرش.

١٥ ـ تحضر الوفاة لكلّ مؤمن ومؤمنة.

١٦ ـ لها ولادة خاصّة.

١٧ ـ ينفع حبّها في مئة موطن.

١٨ ـ نجاة شيعتها بيدها المباركة، وتجلّي الشفاعة الفاطميّة يوم القيامة.

١٩ ـ زيارتها وحجّيتها على الأئمة الأطهار عليهم السلام.

٢٠ ـ في خلقتها النوريّة تساوي النبيّ صلى الله عليه وآله.

٢١ ـ إنّها مجمع النورين النبوي والعلوي.

٢٢ ـ إنّها مفروضة الطاعة المطلقة على كلّ الخلائق.

٢٣ ـ هي العصمة الكبرى والطهارة العظمى.

٢٤ ـ اسمها المبارك (فاطمة) يوجب الغنى.

٢٥ ـ هي النسلة الميمونة والمباركة.

٢٦ ـ زواجها كان في السماء قبل الأرض.

٢٧ ـ حديث اللوح.

٢٨ ـ تسبيحها وآثاره.

٢٩ ـ يفتخر الله بعبادتها على الملائكة.

٣٠ ـ إقرار الأنبياء والأوصياء بفضلها ومحبّتها.

٣١ ـ يُشمّ منها رائحة الجنّة.

٣٢ ـ الوحيدة التي قبّل النبيّ يدها.

٣٣ ـ هدية الله لنبيّه صلى الله عليه وآله.

٣٤ ـ خير نساء العالمين من الأوّلين والآخرين في الدنيا والآخرة.

٣٥ ـ تبكي الملائكة لبكائها.

٣٦ ـ وجوب الصلاة عليها كالنبيّ وآله الأطهار عليهم السلام.

٣٧ ـ قرّة عين الرسول صلى الله عليه وآله.

٣٨ ـ ثمرة فؤاد النبيّ صلى الله عليه وآله.

٣٩ ـ مهرها وصداقها.

٤٠ ـ أُمّ الأئمة الأطهار عليهم السلام.

٤١ ـ مصحف فاطمة عليها السلام.

٤٢ ـ بحر النبوّة.

٤٣ ـ كوثر القرآن.

٤٤ ـ شوق النبيّ للقائها وإنّه يبدأ بها بعد السفر كما يختم بها حين السفر.

٤٥ ـ أوّل من تدخل الجنّة.

٤٦ ـ ظلامتها.

وخصائص أُخرى سأذكرها إن شاء الله تعالى في موضع آخر مع رواياتها الشريفة، والحمد لله ربّ العالمين.

من خصائصها عليها السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«لو كان الحسن شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم، فإنّ فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً»[1].

لو قرأنا زيارة الجامعة الكبيرة الواردة بسند صحيح عن الإمام الهادي عليه السلام والتي تعدّ من أفضل وأعظم الزيارات، لوجدناها تذكر وتبيّن شؤون الإمامة بصورة عامّة، ومعرفة الإمام بمعرفة مشتركة لكلّ الأئمة الأطهار عليهم السلام، فكلّ واحد منهم ينطبق عليه أنّه عيبة علمه وخازن وحيه.

إلّا أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام لا تزار بهذه الزيارة، فلا يقال في شأنها: موضع سرّ الله، خزّان علم الله، عيبة علم الله... فهذا كلّه من شؤون حجّة الله على الخلق، وفاطمة الزهراء هي حجّة الله على الحجج، كما ورد عن الإمام العسكري عليه السلام: «نحن حجج الله على الخلق، وفاطمة الزهراء حجّة الله علينا».

ثمّ فاطمة الزهراء هي ليلة القدر، فهي مجهولة القدر كليلة القدر في شهر

---

(١) فرائد السمطين ٢ : ٦٨.

رمضان، فلا يمكن تعريفها وأنّ الخلق فطموا عن معرفتها. ولا زيارة خاصّة لها، ربما لأنّ أهل المدينة بعيدون عن ولايتها ويجهلون قبرها فكيف تزار، أو يقال: لا يمكن للزهراء أن تعرّف في قوالب الألفاظ، فإنّ الشخص تارةً يعرف بأنّه عالم ورع، وأُخرى يقال: فلان لا يمكن وصفه ومعرفته، فالزهراء عليها السلام إمام على ما جاء في زيارة الجامعة الكبيرة.

كما أنّه ورد في توقيعات صاحب الأمر عليه السلام أنّ أُسوته ومقتداه أُمّه فاطمة الزهراء عليها السلام، فالجامعة زيارة الإمام، ولكن أُسوة الأئمة وحجّة الله عليهم هي فاطمة الزهراء، فلا يمكن وصفها وبيان قدرها.

ومن خصائصها: كما أنّ لها مبانٍ خاصّة في الفقه والعقائد والمعارف السامية، إلّا أنّه من خصائصها أنّ حبّها ينفع في مئة موطن، وحبّ الأئمة الأطهار عليهم السلام ينفع في سبع مواطن للنجاة من أهوال يوم القيامة.

ومنها: أنّها في خلقتها النورية تساوي النبيّ، فهي كما قال النبيّ: روحه التي بين جنبيه، وربما الجنبين إشارة إلى جنب العلم وجنب العمل، فهي واجدة روح النبيّ بعلمه وعمله وكلّ كمالاته إلّا النبوّة فهي الأحمد الثاني، فهي علم الرسول وتقواه وروحه.

ويحتمل أن تكون إشارة الجنبين إلى النبوّة المطلقة والولاية، فقد ورد في الخبر النبوي الشريف: «ظاهري النبوّة وباطني الولاية» التكوينية والتشريعية على كلّ العوالم، كما ورد: «ظاهري النبوّة وباطني غيب لا يدرك»، وأنفسنا في آية المباهلة تجلّيها وظهورها ومصداقها هو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فالزهراء يعني رسول الله وأمير المؤمنين، فهي مظهر النبوّة والولاية، وهي مجمع النورين: النور المحمّدي والنور العلوي، وكما ورد في تمثيل نور الله في سورة النور

وآيتها: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[1] بأنّه كالمشكاة، وورد في تفسيره وتأويله أنّ المشكاة فاطمة الزهراء وفي هذه المشكاة نور رسول الله وأمير المؤمنين ثمّ بعد ذلك الأئمة الأطهار عليهم السلام يهدي الله لنوره من يشاء.

فالنبوّة والإمامة في وجودها، وهذا من معاني (والسرّ المستودع فيها) فهي تحمل أسرار النبوّة والولاية، تحمل أسرار الكون وما فيه، تحمل أسرار الأئمة وعلومهم، تحمل أسرار الخلقة وفلسفة الحياة.

ولا فرق بين الأحد والأحمد إلّا ميم الممكنات الغارقة فيها، والأُمّ تحمل جنينها وولدها، وفاطمة الزهراء عليها السلام أُمّ أبيها، فهي تحمل النبيّ في أسرار نبوّته وودائعها، كما تحمل كلّ الممكنات في جواهرها وأعراضها، فخلاصة النبوّة تحملها فاطمة فهي أُمّ أبيها.

ومن خصائصها: أنّها تساوي النبيّ والوليّ في قالبها الطيني والصوري في عرش الله، كما في الروايات فيما يلتفت آدم إلى العرش ويرى الأشباح الخمسة النورانية في العرش.

ومن خصائصها: أنّ خلقتها العنصري ليس كخلقة آدم عليه السلام، فإنّه خلق من طين وبواسطة الملائكة، ولكنّ خلق فاطمة إنّما كان بيد الله، بيد القدرة ومن شجرة الجنّة ومن عنصر ملكوتي في صورة إنسان، فهي حوراء إنسية كما ورد في الأخبار، وإنّ النبيّ كان يقبّلها ويشمّها ويقول: أشمّ رائحة الجنّة من فاطمة، ففاطمة الزهراء خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً.

ومن خصائصها: أنّ الله خلق السماوات والأرض من نورها الأنور،

---

(١) النور: ٣٥.

وازدهرت الدنيا بنورها بعدما اظلمّت كما في خبر ابن مسعود، وهذا معنى اشتقاق فاطمة من الفاطر بمعنى الخالق الذي فطر السماوات والأرض، ففطر الخلائق بفاطمة الزهراء عليها السلام ونورها الأزهر.

ولمثل هذه الخصائص الإلهيّة كان النبيّ يقول: فداها أبوها، وأنّها أُمّ أبيها، وكان يقوم أمامها إجلالاً لها وتكريماً ويجلسها مجلسه، ويقبّل يديها وصدرها قائلاً: أشمّ رائحة الجنّة من صدرها، ذلك الصدر الذي كان مخزن العلوم ومصداق السرّ المستودع فيها. وقد كسر الظالمون ضلعها وعصروها بين الباب والجدار وأسقطوا ما في أحشائها محسناً عليه السلام:

ولست أدري خبر المسمارِ سل صدرها خزانة الأسرارِ

ليلة القدر فاطمة الزهراء عليها السلام

في تفسير نور الثقلين والبرهان وكتاب بحار الأنوار[1] عن تفسير فرات الكوفي مسنداً عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير سورة القدر، قال: إنّ فاطمة هي ليلة القدر، من عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها، ما تكاملت النبوّة لنبيّ حتّى أقرّ بفضلها ومحبّتها وهي الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأُولى.

وعن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ ﴾[2]، الليلة فاطمة الزهراء والقدر الله، فمن عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها.

عن زرارة عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عمّا يفرق في ليلة القدر، هل هو ما يقدّر الله فيها؟ قال: لا توصف قدرة الله إلّا أنّها قال: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[3]، فكيف يكون حكيماً إلّا ما فرق، ولا توصف قدرة الله سبحانه

---

(١) بحار الأنوار ٤٢: ١٠٥.

(٢) القدر: ١.

(٣) الدخان: ٤.

لأنّه يحدث ما يشاء، وأمّا قوله: ﴿ لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾[١]، يعني فاطمة عليها السلام، وقوله: ﴿ تَنَزَّلُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾[٢] والملائكة في هذا الموضع المؤمنون الذين يملكون علم آل محمّد عليهم السلام، «والروح روح القدس وهو في فاطمة عليها السلام» ﴿ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلامٌ ﴾[٣] يقول من كلّ أمر مسلّمة ﴿ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ ﴾[٤] يعني حتّى يقوم القائم عليه السلام[٥].

قال العلّامة المجلسي في بيان الخبر: وأمّا تأويله عليه السلام ليلة القدر بفاطمة عليها السلام فهذا بطن من بطون الآية، وتشبيهها بالليلة إمّا لسترها وعفافها، أو لما يغشاها من ظلمات الظلم والجور، وتأويل الفجر بقيام القائم بالثاني أنسب، فإنّه عند ذلك يسفر الحقّ، وتنجلي عنهم ظلمات الجور والظلم، وعن أبصار الناس أغشية الشبه فيهم، ويحتمل أن يكون طلوع الفجر إشارة إلى طلوع الفجر من جهة المغرب الذي هو من علامات ظهوره، والمراد بالمؤمنين هم الأئمة عليهم السلام وبين أنّهم إنّما سمّوا ملائكة لأنّهم يملكون علم آل محمّد عليهم السلام ويحفظوها ونزولهم فيها كناية عن حصولهم منها موافقاً لما ورد في تأويل آية سورة الدخان أنّ الكتاب المبين أمير المؤمنين عليه السلام والليلة المباركة فاطمة عليها السلام ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[٦] أي حكيم بعد حكيم وإمام بعد إمام.

---

(١) القدر: ٣.

(٢) القدر: ٤.

(٣) القدر: ٤ ـ ٥.

(٤) القدر: ٥.

(٥) البحار ٢٥: ٩٧.

(٦) الدخان: ٤.

وقوله: ﴿ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلامٌ هِيَ ﴾[١] على هذا التأويل هي مبتدأ، وسلام خبره، أي ذات سلامة، ومن كلّ أمر متعلّق بسلام، أي لا يضرّها وأولادها ظلم الظالمين، ولا ينقص من درجاتهم المعنوية شيئاً، أو العصمة محفوظة فيهم فهم معصومون من الذنوب والخطأ والزلل إلى أن تظهر دولتهم ويتبيّن لجميع الناس فضلهم[٢].

هذا وقد ذكرت في رسالة (فاطمة الزهراء عليها السلام ليلة القدر) أربعة عشر وجه شبهٍ بين فاطمة الزهراء سيّدة النساء عليها السلام وبين ليلة القدر، وإجمالها كما يلي:

١ ـ ليلة القدر وعاء زماني للقرآن الكريم وفاطمة الزهراء وعاء مكاني.

٢ ـ ليلة القدر يفرق فيها كلّ أمر حكيم، كذلك الزهراء عليها السلام فهي الفاروق بين الحقّ والباطل.

٣ ـ ليلة القدر معراج الأنبياء لكسب العلوم والفيوضات الإلهيّة، كذلك فاطمة الزهراء فهي مرقاة النبوّة ومعرفتها معراج الأنبياء.

٤ ـ ليلة القدر هي خير من ألف شهر، كذلك تسبيح فاطمة الزهراء تجعل كلّ صلاة بألف صلاة وبمحبّتها تضاعف الأعمال كليلة القدر.

٥ ـ ليلة القدر ليلة مباركة، ومن أسماء فاطمة الزهراء (المباركة) عليها السلام.

٦ ـ علوّ شأن ليلة القدر ومقامها الشامخ بين الليالي، كذلك الزهراء، وأنّه لولاها لما خلق الله محمّد وعليّ عليهما السلام كما ورد في الخبر الشريف.

٧ ـ العبادات في ليلة القدر تضاعف كرامةً لها، كذلك حبّ الزهراء عليها السلام

---

(١) القدر: ٤ ـ ٥.

(٢) المصدر: ٩٩.

يوجب تضاعف الأعمال، وإذا كانت ليلة القدر منشأ الفيوضات الإلهيّة، فكذلك الزهراء والتوسّل بها.

٨ ـ القرآن هو النور ونزل في ليلة القدر ليلة النور، وفاطمة هي النور فهي ليلة القدر كما في تفسير آية النور: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[1].

٩ ـ ليلة القدر ليلة السعادة، وفاطمة سرّ السعادة.

١٠ ـ تقدّست ليلة القدر وما قبلها من الأيام والليالي وما بعدها كرامةً لها وتعظيماً لمقامها، كذلك الزهراء يحترم ذرّيتها ويقدّسون عند الأُمّة كرامةً لها وحبّاً بها ولغير ذلك.

١١ ـ ليلة القدر ليلة الخلاص من النار والعتق من جهنّم، كذلك فاطمة تفطم شيعتها من النار وتلتقطهم من المحشر كما تلتقط الدجاجة حبّات القمح.

١٢ ـ ليلة القدر سرّ من أسرار الله، وكذلك الزهراء عليها السلام فهي من سرّ الأسرار.

١٣ ـ ليلة القدر سيّدة الليالي، وفاطمة الزهراء عليها السلام سيّدة النساء.

١٤ ـ لقد جهل قدر ليلة القدر، وكذلك فاطمة الزهراء بنت الرسول عليها السلام فقد جهل الناس ولا زالوا قدرها، كما أنّها مجهولة القبر إلى ظهور ولدها القائم من آل محمّد عليهم السلام.

---

(١) النور: ٣٥.

فاطمة الزهراء عليها السلام في معراج النبيّ

إنّ من الحقائق الثابتة في حياة النبيّ وسيرته هو معراجه الشريف من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى المبارك، ومن ثمّ عرج إلى ربّه قاب قوسين أو أدنى، وقد وردت قصّة المعراج في سورة الإسراء كما وردت في سورة النجم، ويقال: إنّ الغرض في سورة النجم هو تذكير الناس بالأُصول الثلاثة: وحدانية الله في ربوبيّته أي المبدأ، ثمّ المعاد، ثمّ النبوّة بينهما. فتبدأ السورة بالنبوّة فتصدّق الوحي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وتذكر بعض أوصافه المباركة في قصّة المعراج، ثمّ تتعرّض لوحدانية الله وتنفي الأوثان والشركاء، ثمّ تصف انتهاء الخلق والتدبير إليه تعالى من الإحياء والإماتة وغيرهما، وتختم الكلام بالإشارة إلى المعاد والأمر بالسجدة والعبادة، التي هي الطريق لسعادة الدارين، ومن فلسفة الحياة والخلقة.

ثمّ المقصود من الوحي في الآيات الأُولى كما في الروايات هو وحي المشافهة الذي أوحاه الله إلى نبيّه ليلة المعراج، وأصل القصّة في سورة الإسراء، إلّا أنّه في سورة النجم يشار إلى بعض معالمها، فيقسم ويحلف سبحانه بالنجم إذا هوى ـ بمطلق الجرم السماوي عند سقوطه للغروب أو القرآن لنزوله نجوماً، أو الثريا أو الشعرى أو الشهاب الذي يرمى به شياطين الجنّ ـ.

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ﴾[١] النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله عن الطريق الموصل إلى الله ولا أخطأ في الغاية، فأصاب الواقع في رشده ﴿ وَمَا غَوَى ﴾.

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى ﴾[٢] هوى النفس ورأيها في مطلق نطقه أو ما ينطق به من القرآن الكريم.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[٣] من الله سبحانه بالمشافهة أو بواسطة جبرئيل عليه السلام.

﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى ﴾[٤] علّم النبيّ القرآن جبرئيل أو الله الذي هو شديد القوى.

﴿ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴾[٥] ذو شدّة أو حصافة العقل والرأي أو نوع من المرور من جبرئيل فاستوى على صورته الأصلية واستولى بقوّته على ما جعله له من الأمر، أو ذو مرّة أي النبيّ ذو شدّة في جنب الله فاستوى واستقام واستقرّ.

﴿ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ﴾[٦] بالأُفق والناحية العليا من السماء، فهو جبرئيل أو النبيّ بالأُفق الأعلى حال استوائه.

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾[٧] أي قرب بل واقترب أكثر فأكثر، فقرب جبرئيل من

---

(١) النجم : ٢.

(٢) النجم : ٣.

(٣) النجم : ٤.

(٤) النجم : ٥.

(٥) النجم : ٦.

(٦) النجم : ٧.

(٧) النجم : ٨.

النبيّ ليعرج به إلى السماوات، أو قرب النبيّ من الله سبحانه وزاد في القرب كما هو الظاهر.

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾[١] قاب أي مقدار قوسين أو ذراعين كناية عن شدّة القرب، فكان البعد قدر قوسين أو ذراعين بل وأقرب من ذلك.

﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾[٢] فأوحى جبرئيل إلى عبد الله ما أوحى أو أوحى الله بواسطة جبرئيل إلى عبده محمّد صلى الله عليه وآله ما أوحى، كما هو الظاهر.

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾[٣] فما كذب فؤاد النبيّ فيما رأى وأراه الله، فشهد النبيّ بفؤاده ما أراده الله وكان صدقاً وحقّاً، فالرؤية هنا لله سبحانه رؤية قلبيّة ولغيره إدراكية قلبية أو حسّية، والفؤاد القلب أو النفس أو الوجود، فما كذب أو كذّب وجود النبيّ ونفسه وفؤاده ما رأى من آيات الله الكبرى، وما قال فؤاده ـ ما رآه ببصره ـ لم أعرفك وكذّبه، ففؤاده صدّق بصره فيما رأى، فما كان يقوله النبيّ ويخبر به الناس كان بما يشاهده عياناً لا عن فكر وتعقّل، فلا مجال لمجادلة المشركين ومماراتهم إيّاه فيما يشاهده عياناً.

﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾[٤] وهذا توبيخ للمشركين في مجادلتهم النبيّ، فإنّ المجادلة تتمّ في الآراء النظرية والاعتقادات الفكرية لا بما يشاهد بالعيان، فلا تصرّوا على مجادلته.

---

(١) النجم: ٩.

(٢) النجم: ١٠.

(٣) النجم: ١١.

(٤) النجم: ١٢.

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾[١] النزلة بمعنى النزول الواحد والمرّة، فرأى جبرئيل النبيّ في نزلةٍ أُخرى أو رأى النبيّ جبرئيل في نزلة أُخرى، فبعد القوس الصعودي في معراجه رأى ما رأى كما سنذكر ثمّ رجع ونزل مرّة أُخرى فرأى جبرئيل بصورته الأصلية عند سدرة المنتهى، أو المعنى أنّ النبيّ رأى الله برؤية قلبية أثناء معراجه عند سدرة المنتهى كما رآه في النزلة الأُولى.

﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾[٢] السدرة شجرة معروفة وهو اسم مكان ولعلّه منتهى السماوات فإنّ الجنّة المأوى عندها والجنّة في السماء، وفي الروايات أنّها شجرة فوق السماء السابعة إليها تنتهي أعمال بني آدم، عندها جنّة المأوى التي يأوي إليها المؤمنون وهي من جنان الآخرة، بعد جنّة اللقاء والأسماء التي هي جنّة الله سبحانه. إذ يغشى السدرة أي يحيط بالسدرة ما يحيط بها.

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾[٣] فلم يمل عن الاستقامة ولم يتجاوز الحدّ في العمل فما زاغ بصر النبيّ أنّه يرى على غير ما هو عليه، وما طغى في إدراكه ما لا حقيقة له، والمراد بالإبصار رؤيته بقلبه لا بحاسّة بصره، فما رآه النبيّ في النزلة الأُولى الذي ما كذّب الفؤاد ما رأى وفي النزلة الأُخرى عند سدرة المنتهى رأى من آيات الله الكبرى التي تدلّ على الله سبحانه.

﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾[٤] فشاهد الله برؤية قلبية من خلال

---

(١) النجم : ١٣.

(٢) النجم : ١٤ ـ ١٦.

(٣) النجم : ١٧.

(٤) النجم : ١٨.

بعض آياته الكبرى[١].

أجل، النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله رأى ما رأى في ليلة معراجه ـ وما أكثر الروايات في هذا الباب بأنّه رأى الجنان والنيران وصلّى خلفه جميع الأنبياء ـ وجاز سرادقات الجمال والجلال والكبرياء فرأى وما كذّب الفؤاد ما رأى، ثمّ ثمرة هذا الفؤاد النبويّ المبارك هو فاطمة الزهراء عليها السلام. فهي سيّدة النساء عليها السلام؛ وهي سرّ الوجود وعصارته، فإنّ النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله شجرة الوجود كما قال: «أنا وعليّ من شجرةٍ واحدة، وباقي الناس من شجرٍ شتّى».

وقال صلى الله عليه وآله: «فاطمة ثمرة فؤادي وقرّة عيني ومهجة قلبي».

ومن خصائص الثمرة أنّها:

١ ـ عصارة الشجرة وخلاصتها.

٢ ـ قيمة الشجرة بثمرتها.

٣ ـ جمال الشجرة بالثمرة.

٤ ـ تعرف الشجرة بثمرتها كما يقال: هذه شجرة التفّاح.

٥ ـ غاية وجود الشجرة هي الثمرة.

٦ ـ لذّة الشجرة بالثمرة.

٧ ـ حلاوة الشجرة بثمرتها.

٨ ـ مقصود الفلّاح من الأشجار أثمارها.

وخصائص كثيرة أُخرى.

وإنّ فاطمة الزهراء لهي ثمرة فؤاد النبيّ صلى الله عليه وآله، فيعلم ويعرف عظمة النبيّ

---

(١) تفسير الميزان: سورة النجم.

بثمرته، ولولاها ـ وهي حجّة الحجج ـ ولولا الحجّة، لما عرف النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، فيعرّف النبيّ للملائكة في حديث الكساء بالثمرة «هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها»، فهي غاية الرسول ومقصوده، فهي أُمّ أبيها، وهي لذّته وحلاوته وعصارته وخلاصته وجماله، كما هي جمال الله ومقصوده جلّ جلاله.

وقد رأى النبيّ في معراجه في القوسين الصعودي والنزولي ما رأى من آيات الله الكبرى، بل رأى الله سبحانه بقلبه، وما كذب الفؤاد ما رأى. ورؤية العلّة يستلزم رؤية كلّ المعلول، فرؤية الله لازمها رؤية الكون والإحاطة العلمية بما فيه، فالنبيّ أحاط بكلّ الممكنات وبعالم الإمكان، وفاطمة ثمرة فؤاده رأت الله سبحانه وأحاطت بما سواه، فإنّها ثمرة فؤاد النبيّ الذي رأى الله بقلبه، ورأى الآيات الكبرى في كلّ العوالم من الجبروت والملكوت والمثال والسماوات والأرض، كلّ ذلك رآه عند سدرة المنتهى في نزلة أُخرى فرأى العرش وما دونه، وتجاوز حجب النور والظلمات حتّى وصل إلى الحجاب الأكبر وهو مقام الإمامة.

فكان النبيّ هو الموج الأوّل في بحر الله سبحانه، كما كان اللمعة الأُولى من نوره الأتمّ، ثمّ اشتقّ من نور النبيّ صلى الله عليه وآله نور عليّ عليه السلام، ومن نورهما نور فاطمة، ثمّ الأئمة الأطهار عليهم السلام، ثمّ شيعتهم من الأنبياء والأوصياء والمؤمنين، فكانوا أمواجاً، موجاً بعد موج، ولا يتحقّق هذا القرب إلّا بالعبودية، فإنّها جوهرة كنهها الربوبية. فأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ عترته الأطهار عباد الله المكرمون.

العصمة الفاطميّة

أشهد أنّ فاطمة عصمة الله

إنّ الله سبحانه وتعالى هو الحكيم العليم المختار، وقد اختار من خلقه صفوةً ليحملوا رسالاته السماوية، ويبلّغونها ويهدون الناس سواء السبيل وإلى الصراط المستقيم، فإنّه كتب على نفسه الرحمة، فهو اللطيف الخبير، ومن لطفه اختار الأنبياء والرسل للهداية وليقوموا الناس بالقسط، ثمّ اختار الأوصياء خلفاء، ثمّ وفّق العلماء ورثة الأنبياء.

وقد اشترط على الأنبياء الزهد في هذه الدنيا، فإنّ اختيار الله بالاختبار والامتحان والاصطفاء عن حكمة، من دون الوصول إلى حدّ الإلجاء، وإنّ لله الحجّة البالغة، فلا بدّ من اختبار لمن يقع عليه الاختيار ولغيره حتّى لا تكون فتنة، ويكون الدين كلّه لله.

فاختبر الأنبياء والأوصياء في عوالم تسبق هذا العالم الناسوتي، فشرط الله سبحانه عليهم الزهد، وعلم منهم الوفاء فقبلهم وقرّبهم وقدّم لهم الذكر العلي والثناء الجلي، كما جاء ذلك في دعاء الندبة[1].

---

(١) راجع آخر مفاتيح الجنان دعاء الندبة الذي يستحبّ قراءته في كلّ عيد وفي يوم الجمعة.

وإنّما اشترط عليهم الزهد، لأنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، والنبيّ والوصيّ لا بدّ أن يكون معصوماً بقاعدة اللطف وغيره من الأدلّة العقلية والنقلية.

فلا بدّ أن يزهد في دنياه، ويُعصم من الذنوب ومن كلّ ما يشينه مطلقاً، حتّى تطمئنّ النفس إليه، ويؤخذ بقوله وفعله وتقريره مطلقاً، فيكون الأُسوة والقدوة على الإطلاق.

وهذا الزهد من شؤون القيادة بصورة عامة المتمثّلة بالنبوّة والإمامة، ومن يحذو حذوهم ويسلك مسالكهم ومناهجهم من العلماء الصالحين.

فيشترط على العالم الرباني الزهد في هذه الدنيا أيضاً، حتّى يؤخذ بقوله ويتّبع أمره، وإذا رأيتم العالم زاهداً فادنوا منه فإنّه يلقى عليه الحكمة وإنّها تتفجّر من ينابيع قلبه، وإنّ الله يرفده ويضيّفه على موائد علمه وحكمته، وإذا رأيتم العالم مقبلاً على دنياه، يخلط الحرام بالحلال، فاتّهموه في دينه، فإنّه لا يؤخذ منه العلم، فلينظر الإنسان إلى علمه ممّن يأخذه، فإنّه من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن تكلّم عن الله فقد عبد الله وإلّا فلا، فمن ينطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان، وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم.

فمن أوّليات شؤون الإمامة والقيادة الروحية على الصعيدين الفردي والاجتماعي إنّما هو الزهد في درجات هذه الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها.

فعصمة الأنبياء الذاتية المطلقة تبتنى على العلم اللدني أوّلاً ـ كما هو ثابت في محلّه ـ وعلى الزهد ثانياً.

وأمّا عصمة فاطمة الزهراء عليها السلام :

فقد اختار الله من خلقه واختصّها لذاته واصطفاها لنفسه ليتجلّى فيها أسماؤه وصفاته، وتكون مظهراً لجماله، فإنّه لو كان الحُسن شخصاً لكان فاطمة

بل هي أعظم، فقدّم لها الذكر العليّ والثناء الجليّ، بعد أن اختبرها وامتحنها أيضاً. إلّا أنّها امتحنها بالصبر، والصبر كما ذكرنا تكراراً هو أُمّ الأخلاق وأساسه، فإنّها بمراحلها الثلاثة ـ التخلية والتحلية والتجلية ـ مدعومة بالصبر، كما أنّه أساس الكمال.

وإنّما وقفنا على امتحانها بالصبر باعتبار ما ورد في زيارتها في يوم الأحد من كلّ أُسبوع، كما في مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمّي قدس سره: «السلام عليكِ يا ممتحنة قد امتحنكِ الله قبل أن يخلقكِ بالصبر فوجدكِ لما امتحنكِ صابرة».

فتجلّت العصمة الإلهية في جمال فاطمة الزهراء إذ جمعت بين نوري النبوّة والإمامة، فعصمتها من العصمة بالمعنى الأخصّ، المختصّة بالأربعة عشر معصوم عليهم السلام.

وممّا يدلّ على عصمتها:

١ ـ آية التطهير في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[1]، فالله الطاهر طهّر بإرادة تكوينية أهل البيت عليهم السلام ومنهم فاطمة عليها السلام وعصمهم بعصمة ذاتية ومطلقة واجبة عقلاً ونقلاً.

٢ ـ إنّها عدل القرآن الكريم لحديث الثقلين المتّفق عليه عند الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ ولمّا كان القرآن معصوماً فكذلك عدله أهل البيت عترة الرسول المصطفى عليهم السلام.

٣ ـ إنّها كفؤ عليّ ولولاه لما كان لها كفؤ آدم وما دونه، ولا يتزوّج المعصومة إلّا المعصوم، فإنّ الرجال قوّامون على النساء، فلفاطمة ما لعليّ عليها السلام إلّا الإمامة.

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

فكلّ ما ثبت لعليّ عليه السلام بالمطابقة ثبت للزهراء عليها السلام بالالتزام، وكلّ شيء ثبت لفاطمة بالمطابقة ثبت بالدلالة الالتزاميّة لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

٤ ـ إنّها حوريّة بصورة إنسية، والملائكة معصومون فكذلك فاطمة الحوريّة.

٥ ـ وحدة الإرادة الإلهيّة والفاطميّة، فإنّ الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها، وإنّه لم يغضب ليونس صاحب الحوت، بل يغضب لغضبها، فوحدة الإرادة دليل على العصمة.

٦ ـ إنّها سيّدة النساء في الدنيا والآخرة، وكيف تكون سيّدة الأوّلين والآخرين وهي غير معصومة.

٧ ـ آية المباهلة، وقدّم النساء على الأنفس، ربما إشارة إلى أنّ النفوس فداها، «فداكِ أبوكِ» «فداها أبوها».

٨ ـ إنّها العالم العلوي والعالم السفلي في قوسي الصعودي والنزولي.

٩ ـ إنّها صدر النبيّ صلى الله عليه وآله وإنّ صدره يحمل القرآن دفعة واحدة وفي ليلة القدر، في ليلة القدر وهي فاطمة الزهراء عليها السلام.

١٠ ـ لا يعرف قدرها إلّا من قدّرها، ولا يعرف أسرارها إلّا من خلقها، ومن أذن له الرحمن.

١١ ـ إنّها مفروض الطاعة على الخلق مطلقاً، وكيف تكون مفروض الطاعة على الإطلاق وهي غير معصومة.

١٢ ـ هي حجّة الحجج وأُسوتهم ـ كما ورد في الأخبار الشريفة ـ.

١٣ ـ مجمع النورين بحديث الأفلاك، فتحمل أسرار النبوّة والإمامة، وإنّها أُمّ أبيها.

١٤ ـ حبل الله الممدود، فلا بدّ أن يكون معصوماً، وإلّا كيف يتمسّك على الإطلاق بما لم يكن معصوماً، «قال رسول الله ﷺ: فاطمة بهجة قلبي وحبله الممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم به نجا، ومن تخلّف عنه هوى»[1].

١٥ ـ امتحانها بالصبر وهو أساس الكمال والأخلاق الذي منها الزهد.

١٦ ـ علمها اللدنّي.

١٧ ـ الإجماع القطعي الدالّ على عصمتها، كما عند المشايخ الصدوق والمفيد والطوسي وغيرهم.

١٨ ـ الآيات والروايات الكثيرة الدالّة على فضلها وعظمتها، وتعلّقها بعالم الغيب.

١٩ ـ سيرتها وحياتها يفوح منها عطر العصمة الإلهيّة.

ووجوه أُخرى يقف عليها المحقّق والمتتبّع، ويعلم بيقين وقطع أنّه لا ريب ولا شكّ أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام عصمة الله الكبرى.

---

(١) فرائد السمطين ٢ : ٦٦.

الشرافة العنصريّة

الحوراء الإنسيّة

قال رسول الله ﷺ: «لو كان الحسن شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم، فإنّ فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً»[1].

فقوله: «لو كان الحسن شخصاً لكان فاطمة» يعني أنّها جمال الله وحسنه.

ثمّ خلق الله سبحانه آدم أبا البشر من ماء وتراب بيد ملائكته، فهو في خلقته العنصريّة من العناصر الأربعة المادّية، ولكن خلق فاطمة الزهراء عليها السلام في خلقتها العنصرية إنّما كان من شجرة طوبى في الجنّة التي غرسها الله بيده يد القدرة المطلقة، فهي من عنصر ملكوتي في صورة إنسان ناسوتي، فهي الحوراء الإنسيّة.

عن العيون وأمالي الشيخ بسندهما، قال النبيّ ﷺ: لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنّة، فناولني من رطبها، فأكلت فتحوّل ذلك نطفة في صلبي، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة حوراء إنسيّة، فكلّما اشتقت إلى رائحة الجنّة شممت رائحة ابنتي فاطمة[2].

---

(١) فرائد السمطين ٢: ٦٨.

(٢) البحار ٨: ١١٩.

كان رسول الله ﷺ يكثر تقبيل فاطمة عليها وعلى أبيها وبعلها وأولادها ألف ألف تحيّة وسلام، فأنكرت عائشة ذلك فقال رسول الله ﷺ : يا عائشة، إنّي لمّا أُسري بي إلى السماء دخلت الجنّة فأدناني جبرئيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها فأكلته فحوّل الله ذلك ماءً في ظهري، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، فما قبّلتها قطّ إلّا وجدت رائحة شجرة طوبى منها[١].

عن أبي جعفر عليه السلام قال : شجرة طوبى شجرة يخرج من جنّة عدن غرسها ربّها بيده[٢].

عن حارثة بن قُدامة قال : حدّثني سلمان قال : حدّثني عمّار وقال : أُخبرك عجباً ؟ قلت : حدّثني يا عمّار ؟ قال : نعم شهدت عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد ولج على فاطمة عليها السلام فلمّا أبصرت به نادت : أُدن لأُحدّثك بما كان وبما هو كائن وبما يكن إلى يوم القيامة حين تقوم الساعة. قال عمّار : فرأيت أمير المؤمنين عليه السلام يرجع القهقرى، فرجعت برجوعه إذ دخل على النبيّ ﷺ فقال له : أُدن يا أبا الحسن، فدنا فلمّا اطمأنّ به المجلس قال له : تحدّثني أم أُحدّثك ؟ قال : الحديث منك يا رسول الله، فقال : كأنّي بك قد دخلت على فاطمة وقالت لك كيت وكيت فرجعت، فقال عليّ عليه السلام : نور فاطمة من نورنا ؟ فقال عليه السلام : أوَ لا تعلم ؟ فسجد عليّ شكراً لله تعالى. قال عمّار : فخرج أمير المؤمنين عليه السلام وخرجت بخروجه، فولج على فاطمة عليها السلام وولجت معه، فقالت : كأنّك رجعت إلى أبي ﷺ فأخبرته بما قلته لك ؟ قال : كان كذلك يا فاطمة، فقالت : اعلم يا أبا الحسن إنّ الله

---

(١) المصدر : ١٢٠.

(٢) المصدر : ١٤٣، عن العيّاشي.

تعالى خلق نوري، وكان يسبّح الله جلّ جلاله، ثمّ أودعه شجرة من شجر الجنّة، فأضاءت، فلمّا دخل أبي الجنّة أوحى الله تعالى إليه إلهاماً أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة وأدرها في لهواتك، ففعل، فأودعني الله سبحانه صلب أبي صلى الله عليه وآله ثمّ أودعني خديجة بنت خويلد، فوضعتني، وأنا من ذلك النور، أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، يا أبا الحسن، المؤمن ينظر بنور الله تعالى[١].

عن زيد بن موسى بسنده عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ فاطمة خُلقت حورية في صورة إنسيّة، وإنّ بنات الأنبياء لا يحضن[٢].

ففاطمة الزهراء حوراء إنسيّة، اشتقّ اسمها من اسم الله ومسمّاها من شجرة غرسها الله بيده، فما أحلى اسمها ومعناها وجمالها وكمالها وجلالها.

«سبحان من فطم بفاطمة من أحبّها من النار»[٣].

---

(١) بهجة قلب المصطفى: ٢٨٧، عن عوالم المعارف ١١: ٦ ـ ٧.

(٢) دلائل الإمامة: ٥٢.

(٣) مصباح المتهجّد: للشيخ الطوسي، في أعمال شهر رمضان: ٥٧٥.

نبذة من الأحاديث الشريفة في فضائلها عليها السلام

١ ـ سئل أبو عبد الله عليه السلام عن فاطمة : لِمَ سمّيت زهراء ؟ فقال :

« لأنّها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض ».

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

« فاطمة بضعة منّي من سرّها فقد سرّني ومن ساءها فقد سائني ، فاطمة أعزّ الناس عليّ ».

٣ ـ ومن ألقابها عليها السلام : أُمّ أبيها .

فقيل : الأُمّ بمعنى الأصل والأصالة ، فالزهراء عليها السلام بأولادها الطاهرين الأئمة المعصومين عليهم السلام ومواقفهم وفدائهم وتضحياتهم أعطوا الأصالة لرسالة أبيها صلى الله عليه وآله ، فالإسلام محمّدي الحدوث وحسيني البقاء وكلّهم نور واحد ، فأصبحوا بمنزلة الأصل في ديموميّة الرسالة المحمّديّة ، كما قالها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله :

« حسين منّي وأنا من حسين ».

وفاطمة الزهراء سيّدة النساء عليها السلام أُمّ أبيها .

٤ ـ عن زيد بن موسى بسنده عن عليّ عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«إنّ فاطمة خلقت حوريّة في صورة إنسيّة، وإنّ بنات الأنبياء لا يحضن»[١].

٥ ـ عن الله تبارك وتعالى :

«يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما»[٢].

٦ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله :

«لو كان الحُسنُ شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم، إنّ فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً»[٣].

٧ ـ عن الحسين عن رسول الله عليهما السلام قال :

«فاطمة بهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمة من ولدها أُمناء ربّي وحبله الممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم به نجا، ومن تخلّف عنه هوى»[٤].

٨ ـ عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام :

«إنّما سمّيت فاطمة بنت محمّد (الطاهرة) لطهارتها من كلّ دنس وطهارتها

---

(١) دلائل الإمامة : ٥٢.

(٢) كشف اللآلئ لصالح بن عبد الوهاب بن العرندس : فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى : ٩، في جنّة العاصمة للسيّد ميرجاني : ١٤٨، وملتقى البحرين للعلّامة المرندي : ١٤.

(٣) فرائد السمطين ٢ : ٦٨.

(٤) فرائد السمطين ٢ : ٦٦.

من كلّ رفث، وما رأت قطّ يوماً حمرةً ولا نفاساً»[١].

٩ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام :

«حرّم الله النساء على عليّ ما دامت فاطمة حيّة؛ لأنّها طاهرة لا تحيض»[٢].

١٠ ـ عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام :

«لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمّد أو أحمد أو عليّ أو الحسن أو الحسين أو فاطمة من النساء عليهم السلام»[٣].

١١ ـ عن الرضا عليه السلام، قال النبيّ صلى الله عليه وآله :

«لمّا عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل عليه السلام، فأدخلني الجنّة، فناولني من رطبها، فأكلته، فتحوّل ذلك نطفة في صلبي، فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة عليها السلام، ففاطمة حوراء إنسيّة، فكلّما اشتقت إلى رائحة الجنّة شممت رائحة ابنتي فاطمة»[٤].

١٢ ـ عن أبي الحسن الثالث عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«إنّما سمّيت ابنتي فاطمة لأنّ الله عزّ وجلّ فطمها وفطم من أحبّها من النار»[٥].

---

(١) البحار ٤٣ : ١٩.

(٢) المناقب؛ لابن شهرآشوب ٣ : ٣٣.

(٣) سفينة البحار ١ : ٦٦٣.

(٤) عوالم العلوم والمعارف ٦ : ١٠.

(٥) العوالم ٦ : ٣٠.

١٣ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث طويل :

«على ساق العرش مكتوب : لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله ، وعليّ وفاطمة والحسن والحسين خير خلق الله»[١].

١٤ ـ في تفسير نور الثقلين والبرهان وكتاب بحار الأنوار[٢]، عن تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي مسنداً عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير سورة القدر قال :

«إنّ فاطمة هي ليلة القدر، من عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها، ما تكاملت النبوّة لنبيّ حتّى أقرّ بفضلها ومحبّتها وهي الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأُولى».

١٥ ـ وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال :

«﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ ﴾[٣] الليلة فاطمة الزهراء، والقدر الله، فمن عرف فاطمة حقّ معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها»[٤].

ولنعم ما قيل :

مشكاة نور الله جلّ جلاله زيتونة عمّ الورى بركاتها

---

(١) بحر المعارف : ٤٢٨.

(٢) بحار الأنوار ٤٢ : ١٠٥.

(٣) القدر : ١.

(٤) بحار الأنوار ٤٣ : ١٣.

هي قطب دائرة الوجود ونقطة ... لمّا تنزّلت أكثرت كثراتها
هي أحمد الثاني وأحمد عصرِها ... هي عنصر التوحيد في عرصاتها

❊ ❊ ❊

فاطمةٌ خير نساء البشرِ ... ومن لها وجه كوجهِ القمرِ
فضّلكِ الله على كلّ الورى ... بفضل من خصّ بآي الزُمَرِ
زوّجكِ الله فتىً فاضلاً ... أعني عليّاً خيرُ من في الحضرِ

❊ ❊ ❊

شرّف الله جمادى الآخرة ... فغدت وهي جمادى الفاخرة
وتباهت أشهرُ الحول بها ... حيث جاءت بالبتول الطاهرة
وانظروا العشرين منها لتروا ... فرحة الهادي عليه ظاهرة
واجعلوه بالتأسّي عيدكم ... فمن الإسلام ذكرى عطرة

اسمها في العرش :

١٦ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال :

«لمّا خلق الله تعالى آدم أبو البشر ونفخ فيه من روحه، التفت آدم يمنة العرش، فإذا في النور خمسة أشباح سجّداً وركّعاً، قال آدم : يا ربّ، هل خلقت أحداً من طين قبلي ؟

قال : لا يا آدم.

قال : فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتي ؟

قال : هؤلاء الخمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي، لولاهم ما خلقت الجنّة ولا النار ولا العرش

ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجنّ، فأنا المحمود وهذا محمّد، وأنا العالي وهذا عليّ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين، آليت بعزّتي أنّه لا يأتيني أحد بمثقال ذرّة من خردل من بغض أحدهم إلّا أدخلته ناري ولا أُبالي. يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي بهم أُنجيهم وبهم أُهلكهم، فإذا كان لك إليَّ حاجة فبهؤلاء توسّل.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: نحن سفينة النجاة من تعلّق بها نجا، ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت»[1].

١٧ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال:

«إنّ الله خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام حين لا سماء مبنيّة ولا أرض مدحيّة، ولا ظلمة ولا نور، ولا شمس ولا قمر، ولا جنّة ولا نار، فقال العباس: فكيف كان بدء خلقكم يا رسول الله؟ فقال: يا عمّ، لمّا أراد الله أن يخلقنا تكلّم بكلمة خلق منها نوراً، ثمّ تكلّم بكلمة أُخرى فخلق منها روحاً، ثمّ مزج النور بالروح فخلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين فكنّا نسبّحه حين لا تسبيح ونقدّسه حين لا تقديس.

فلمّا أراد الله تعالى أن ينشئ خلقه فتق نوري فخلق منه العرش، فالعرش من نوري ونوري من نور الله، ونوري أفضل من العرش، ثمّ فتق نور أخي علي فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور عليّ ونور عليّ من نور الله وعليّ أفضل من الملائكة، ثمّ فتق نور ابنتي فخلق منه السماوات والأرض، فالسماوات والأرض

---

(١) فرائد السمطين ١ : ٣٦.

من نور ابنتي فاطمة، ونور ابنتي فاطمة من نور الله وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض، ثمّ فتق نور ولدي الحسن فخلق منه الشمس والقمر، فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن ونور الحسن من نور الله والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثمّ فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنّة والحور العين فالجنّة والحور العين من نور ولدي الحسين ونور ولدي الحسين من نور الله وولدي الحسين أفضل من الجنّة والحور العين»[١].

١٨ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين يوم القيامة في قبّة تحت العرش»[٢].

١٩ ـ عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل:

«ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجنّ والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة»[٣].

٢٠ ـ عن مجاهد: خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وهو آخذ بيد فاطمة فقال:

«من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمّد، وهي بضعة منّي، وهي قلبي، وهي روحي التي بين جنبيّ، من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله»[٤].

---

(١) بحارالأنوار ١٥: ١٠.

(٢) كفاية الطالب: ٣١١.

(٣) دلائل الإمامة: ٢٢٨.

(٤) نور الأبصار؛ للشبلنجي: ٥٢.

حبّها الإكسير الأعظم :

٢١ ـ في حديث طويل عن الله عزّ وجلّ :

« يا فاطمة، وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني، لقد آليت على نفسي من قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفي عام أن لا أُعذّب محبّيكِ ومحبّي عترتك بالنار »[١].

٢٢ ـ في حديث طويل قال أبو جعفر عليه السلام :

« والله يا جابر، إنّها ذلك اليوم (يوم القيامة) لتلتقط شيعتها ومحبّيها كما يلتقط الطير الحبّ الجيّد من الحبّ الرديء، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنّة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا فيقول الله عزّ وجلّ : يا أحبّائي، ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي ؟ فيقولون : يا ربّ، أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم، فيقول الله : يا أحبّائي ارجعوا وانظروا من أحبّكم لحبّ فاطمة، انظروا من أطعمكم لحبّ فاطمة، انظروا من كساكم لحبّ فاطمة، انظروا من سقاكم شربة لحبّ فاطمة، انظروا من ردّ عنكم غيبةً في حبّ فاطمة، خذوا بيده وأدخلوه الجنّة، قال أبو جعفر عليه السلام : والله لا يبقى في الناس إلّا شاكّ أو كافر أو منافق[٢].

٢٣ ـ عن ابن عباس :

« والله ما كان لفاطمة كفؤ غير عليّ عليه السلام »[٣].

---

(١) سفينة البحار ٢ : ٣٧٥.

(٢) بحار الأنوار ٤٣ : ٦٥.

(٣) البحار ٤٣ : ١٠١.

٢٤ ـ وعنه عليه السلام :

«واللهِ لقد أخذتُ في أمرها وغسّلتها في قميصها ولم أكشفه عنها، فوالله كانت ميمونة طاهرة مطهّرة.

ثمّ حنّطتها من فضلة حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله، وكفّنتها وأدرجتها في أكفانها، فلمّا هممت أن أعقد الرداء ناديت: يا أُمّ كلثوم، يا زينب، يا سكينة، يا فضّة، يا حسن، يا حسين، هلمّوا تزوّدوا من أُمّكم فهذا الفراق، واللقاء في الجنّة.

فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام وهما يناديان: وا حسرتاه، لا تنطفئ أبداً من فقد جدّنا محمّد المصطفى وأُمّنا فاطمة الزهراء، يا أُمّ الحسن يا أُمّ الحسين إذا لقيت جدّنا محمّداً المصطفى فاقرئيه منّا السلام وقولي له: إنّا قد بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا».

فقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«إنّي أُشهد الله أنّها قد حنّت وأنّت ومدّت يديها وضمّتهما إلى صدرها مليّاً، وإذا بهاتف من السماء ينادي: يا أبا الحسن، ارفعهما عنها فقد أبكيا والله ملائكة السماوات، فقد اشتاق الحبيب إلى المحبوب».

قال: «فرفعتهما عن صدرها وجعلت أعقد الرداء وأنا أنشد بهذه الأبيات:

فراقكِ أعظم الأشياء عندي ... وفقدكِ فاطم أدهى الثكول

سأبكي حسرة وأنوح شجواً ... على خِلٍّ مضى أسنى سبيل

ألا يا عين جودي واسعديني ... فحزني دائم أبكي خليلي»[1]

---

(١) البحار ٤٣: ١٧٩.

نجاة محبّيها من النار بيدها المباركة :

٢٥ ـ في الصحيح عن محمّد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : لفاطمة وقفةٌ على باب جهنّم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كلّ رجل : مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ بين عينيه محبّاً (محبّنا) فتقول : إلهي وسيّدي سمّيتني فاطمة وفطمت بي من تولّاني وتولّى ذرّيتي من النار، ووعدُك الحقّ وأنت لا تخلف الميعاد، فيقول الله عزّ وجلّ : صدقتِ يا فاطمة، إنّي سمّيتكِ فاطمة، وفطمتُ بكِ من أحبّكِ وتولّاكِ وأحبّ ذرّيتكِ وتولّاهم من النار، ووعدي الحقّ وأنا لا أُخلف الميعاد، وإنّما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه، فأُشفّعكِ ليتبيّن لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفكِ منّي ومكانتك عندي، فمن قرأت بين عينيه مؤمناً، فجذبت بيده وأدخلته الجنّة.

٢٦ ـ عن أبي الحسن الثالث (الإمام الهادي عليه السلام) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّما سمّيت ابنتي فاطمة لأنّ الله عزّ وجلّ فطمها وفطم من أحبّها من النار[1].

---

(١) العوالم ٦ : ٣٠.

حديث «لولاك»

من الأحاديث المشهور، بل كاد أن يكون متواتراً، من طرق الشيعة، بل وعند السنّة، أنّه ورد في الحديث القدسي في ليلة المعراج: قال الله تعالى: «يا أحمد، لولاك لما خلقت الأفلاك».

وعن ابن عساكر عن سلمان: قال رسول الله: هبط جبرئيل عليّ فقال: إنّ ربّك يقول إن كنت اتّخذت إبراهيم خليلاً فقد اتّخذتك حبيباً، وما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأُعرّفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا[1].

في الدلائل والحاكم والطبراني والعسقلاني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن عمر بن الخطّاب عن رسول الله قال: لمّا اقترف آدم الخطيئة قال: ربّ أسألك بحقّ محمّد لما غفرت لي، فقال تعالى: يا آدم، وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟ قال: لأنّك يا ربّ لمّا خلقتني بيدك، ونفخت فيّ من روحك فرفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، فعلمت

---

(١) الزاهب اللدنيّة ١: ١٢، تهذيب تأريخ دمشق ١: ٣٢٣.

أنّك لم تضف إلى اسمك إلّا أحبّ الخلق لديك، فقال تعالى: صدقت يا آدم إنّه لأحبّ الخلق إليّ، فقال تعالى: وإذا سألتني بحقّه فقد غفرت لك، ولولا محمّداً لما خلقتك[1]. وزاد الطبراني: وهو آخر الأنبياء.

وفي المواهب من طرق العامّة روي أنّه لمّا أُخرج آدم من الجنّة رأى مكتوباً على ساق العرش وعلى كلّ موضع من الجنّة اسم محمّد صلى الله عليه وآله مقروناً باسم الله تعالى، فقال: يا ربّ، هذا محمّد من هو؟ فقال الله: هذا ولدك الذي لولاه لما خلقتك، فقال: يا ربّ، بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد، فنودي يا آدم: لو تشفّعت إلينا بمحمّد في أهل السماوات والأرض لشفّعناك[2].

وفي خبر آخر قرن اسم عليّ مع محمّد، وفي آخر: محمّد رسول الله أيّدته بعليّ.

وفي الدلائل بأسانيده عن عمر بن الخطّاب في ذيل قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾[3]، قال آدم: أسألك بحقّ محمّد وآله إلّا غفرت لي، فتاب الله عليه وقال: ولولا هو ما خلقتك.

وفي الخصائص العلويّة عن ابن عباس في حديث: ولمّا نفخ في آدم من روحه تداخله العجب فقال: يا ربّ خلقت خلقاً هو أحبّ إليك منّي؟ فقال تعالى: نعم ولولاهم ما خلقتك، فقال: يا ربّ أرنيهم، فرفعت الملائكة الحجب فرأى آدم بخمسة أشباح قدّام العرش فقال: يا ربّ من هؤلاء؟ قال تعالى: هذا نبيّي وهذا

---

(١) كنز العمّال ٦: ١١٤، دلائل الإمامة ٥: ٤٨٩، المستدرك ٢: ٦١٥، المواهب ١: ٤٣.

(٢) المواهب ١: ١٢.

(٣) البقرة: ٣٧.

عليّ أمير المؤمنين ابن عمّ النبيّ ﷺ، وهذه فاطمة بنت نبيّي، وهذان الحسن والحسين أبناء عليّ وولد نبيّي، ثمّ قال: يا آدم هم ولدك، ففرح بذلك، فلمّا اقترف الخطيئة قال آدم: أسألك بمحمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين لمّا غفرت لي، فغفر الله له فلمّا هبط إلى الأرض، فنقش على خاتمه: محمّد رسول الله، عليّ أمير المؤمنين، ويكنّى آدم بأبي محمّد[1] وأبي البشر، وكنية حوّاء أُمّ الزهراء.

ومن طرق الإمامية ما رواه الصدوق في الإكمال بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله: فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال عليه السلام: يا عليّ إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا عليّ وللأئمة من بعدك، فإنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا، يا علي، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، يا عليّ، لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حوّاء ولا الجنّة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، وكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى التوحيد ومعرفة ربّنا عزّ وجلّ وتسبيحه وتقديسه وتهليله، لأنّ أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتمجيده، ثمّ خلق الملائكة، فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أُمورنا، فسبّحنا لتعلم الملائكة إنّا خلق مخلوقون وأنّه منزّه عن صفاتنا، فسبّحت الملائكة لتسبيحنا ونزّهته عن صفاتنا، فلمّا شاهدوا عظم شأننا، هلّلنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلّا الله

---

(١) تفسير البرهان ١: ٨٩، عن الخصائص العلويّة، تأويل الآيات ١: ٢٧، والبحار ٢٦: ٣٢٥.

وأنّا عبيد ولسنا بآلهة، يجب أن نعبد معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلّا الله، فلمّا شاهدوا كبر محلّنا كبّرنا الله لتعلم الملائكة أنّ الله أكبر من أن ينال، وأنّه عظيم المحلّ، فلمّا شاهدوا ما جعله الله لنا من العزّة والقوّة، قلنا: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم لتعلم الملائكة أن لا حول ولا قوّة إلّا بالله، فقالت الملائكة: لا حول ولا قوّة إلّا بالله، فلمّا شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله، لتعلم الملائكة ما يحقّ لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نِعمه، فقالت الملائكة: الحمد لله، فبنا اهتدوا إلى معرفة الله تعالى وتسبيحه وتهليله وتحميده، ثمّ إنّ الله تعالى خلق آدم عليه السلام وأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عزّ وجلّ عبوديّة، ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون[1].

(١) مكيال المكارم ١: ٣٣.

المحتويات

المقدّمة ٣
المحاضرة الأُولى ٥
المحاضرة الثانية ١٥
المحاضرة الثالثة ٢٣
المحاضرة الرابعة ٣٢
المحاضرة الخامسة ٣٦
المحاضرة السادسة ٤٥
الخصائص الفاطميّة ٤٩
من أهمّ الخصائص الفاطميّة ٥٦
من خصائصها عليها السلام ٥٩
ليلة القدر فاطمة الزهراء عليها السلام ٦٣
فاطمة الزهراء عليها السلام في معراج النبيّ ٦٧
العصمة الفاطميّة ٧٣
الشرافة العنصريّة (هي الحوراء الإنسيّة) ٧٨

٩٦ ..... **فاطمة الزهراء عليها السلام سرّ الوجود**
نبذة من الأحاديث الشريفة في فضائلها عليها السلام ٨١
اسمها في العرش ٨٥
حبّها الإكسير الأعظم ٨٨
نجاة محبّيها من النار بيدها المباركة ٩٠
حديث «لولاك» ٩١
المحتويات ٩٤

عصمة الحوراء زينب عليها السلام

محاضرات إسلامية لسماحة

السيد عادل العلوي

حررها وعلق عليها

فضيلة الشيخ علي الفلاوي

رسالات إسلامية

الرحلة الشامية :

القسم الأول

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
كربلاء المقدسة

الرحلة الشامية :

١ ـ عصمة الحوراء زينب عليها السلام — محاضرات (الشيخ الفتلاوي)

ـ فاطمة الزهراء عليها السلام سرّ الوجود — محاضرات (الشيخ الفتلاوي)

ـ فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام شفيعة الدارين — محاضرات (الشيخ الفتلاوي)

ـ في رحاب أنت تسأل — محاضرات (الشيخ الفتلاوي)

ـ أيام في الثابتيّة — محاضرات (الشيخ عبد الله الأسعد)

ـ بهجة المؤمنين في زيارة الطيّبات والطيّبين — تأليف (السيّد العلوي)

ـ دروس أخلاقية في حوزة الزهراء عليها السلام النسائيّة محاضرات (السيّد نزيه الصوص)

ـ لمحات (قراءة موجزة عن الشعر والشعراء) — تأليف (السيّد العلوي)

موسوعة
رسالات إسلامية

رسالة
عصمة الحوراء زينب عليها السلام
محاضرات ـ السيّد عادل العلوي
المحرّر ـ الشيخ علي الفتلاوي

نشر ـ مكتب سماحة آية الله العظمى الشيخ ميرزا جواد التبريزي
سوريا ـ دمشق ـ السيّدة زينب
المؤسسة الإسلامية العامّة للتبليغ والإرشاد
الطبعة الأُولى ـ ١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م
الكمية ـ ١٠٠٠ نسخة

شابك ٦ ـ ٤٠ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤
ISBN 964 - 5915 - 40 - 6
اى. اى. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٤٠٥
EAN 9789645915405
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)
964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي مَنّ علينا بآلائه، وحبانا بنعمه، ووفّقنا لخدمة خلقه، حمداً يليق بشأنه، ونثني عليه شاكرين ونمجّده مادحين، وأنّى يبلغ المادح مدحه والحامد ثناءه، والصلاة على الشجرة الزيتونة المباركة وعلى فرعها ولقاحها وثمرها وورقها ـ أعني بذلك محمّداً وآله الطاهرين ـ وسلّم تسليماً كثيراً.

لقد جاء في الحديث الشريف عن النبيّ ﷺ: «زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه».

وتطبيقاً لهذا الحديث ولكي يكون المرء مصداقاً للمعلّم والمتعلّم، سارع مكتب آية الله العظمى المرجع الديني الكبير الشيخ ميرزا جواد التبريزي (دام ظلّه العالي) من خلال الإخوة القائمين عليه سماحة الشيخ عبّاس الهزّاع وسماحة الشيخ محمّد أبي سعود (حفظهما الله تعالى) إلى اغتنام حضور علم من أعلام الحوزة العلمية، وفرع من فروع الدوحة المحمّدية، وعنوان من عناوين الولاية العلوية، سماحة العلّامة الحجّة سيّدنا الفقيه الأُستاذ الأجلّ السيّد عادل العلوي (حفظه الله تعالى)، والتمسوا منه أن يفيض على إخوته في بلاد الشام ـ وفي رحلته

الشاميّة[١] ـ ممّا رزقه الله تعالى من العلم والمعرفة.

وكما هو ديدن هذا العالم العامل، لم يتأخّر في إجابة هذه الدعوة، فاتّفقت الكلمة أن يكون الكلام عن مقام صاحبة المكان الشريف فخر المخدّرات وسليلة الطهر والنقاء، السيّدة زينب الكبرى، وكانت الأيام المباركة أيام ولادتها الميمونة، فراح خَدَمة الدين والمذهب الإخوة القائمين على مكتب آية الله العظمى التبريزي (دام ظلّه العالي) بنشر الخبر وتهيئة المكان اللائق بهذه الأبحاث وتقديم كلّ ما يخدم المحاضر والحاضرين، وليس هذا بعجيب، حيث إنّه ديدن المخلصين الذين لا همّ لهم إلّا نشر علوم أهل البيت عليهم السلام من إحقاق الحقّ ودحض الباطل ومحاربة أهل البدع والضلالات.

ولكي يكتمل العمل وتعمّ الفائدة جميع من له رغبة بتوطيد العلاقة بالسيّدة العظيمة زينب وبأهلها الأطهار سارع المكتب أيضاً بنشر هذا العلم وإخراجه إلى أيدي القرّاء المحبّبين لعلوم أهل البيت عليهم السلام، والذين يطلبون الحقّ والحقيقة، فصاروا بذلك مصداقاً آخراً لحديث آخر عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «ما تصدّق الناس بصدقة مثل علمٍ ينشر»، ولكي ينشر هذا العلم ويصل إلى أيدي محبّيه، أحببت أن تحرّر هذه المحاضرات، فاستأذنت سيّدنا الأُستاذ بكتابة هذا العلم النافع وإخراجه بصورة ميسّرة ولغة سهلة ينتفع منها عامّة المؤمنين، فاستجاب لي

---

(١) طالت الرحلة شهرين متتابعين، وألقى الأُستاذ أكثر من خمسة وخمسين محاضرة إسلامية في أماكن مختلفة من مكاتب المراجع والحسينيات والمساجد. وقد تصدّى لضبط المحاضرات وتحريرها جماعة ممّن حضر عند السيّد الأُستاذ دروساً في حوزة قم العلمية المباركة.

شاكراً لطفه إذ جعلني بذلك من العاملين لخدمة أهل البيت وشيعتهم، فبادرت إلى كتابة هذه المحاضرات لكي تكون أثراً جميلاً من آثار أهل العلم والمعرفة، وهذا ما حثّ عليه الحديث الشريف عن النبيّ ﷺ: «قيّدوا العلم، قيل: وما تقييده؟ قال: كتابته»، فتمّت كتابة هذه المحاضرات ووضعت عليها تعليقاً يبيّن مراد المحاضر بنحو يسهل على كلّ قارئ فهمه، متجنّباً الإسهاب والتعقيد، علماً أنّ هذه المحاضرات أُلقيت في سنة ١٤٢١ هـ أوّل ربيع الثاني، فنسأل الله تعالى أن يثيبنا على عملنا هذا، إنّه جوادٌ كريم.

الشيخ علي الفتلاوي

سوريا ـ دمشق ـ السيّدة زينب عليها السلام

(المحاضرة الأُولى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمّد المصطفى وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم من الآن إلى قيام يوم الدين.

أمّا بعد:

فإنّ الحديث ليحلو عن مقام الحوراء زينب عليها السلام، سيّما ونحن في رحابها الواسع وفي أيام ولادتها المباركة، وإنّما اخترت هذا الموضع لما للمكان من أثر، حيث إنّي حللتُ ضيفاً عليها، فوحياً من مكانها تاقت النفس للحديث عنها، ولما لزيارتها من إشعاع روحي ينعكس على كلّ من دخل إليها مستعدّاً بقلبه وعقله لتلقّي هذا الإشعاع، وكلامي عنها مبيّناً عظمتها، لأنّها سلام الله عليها باب أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وأمير المؤمنين عليه السلام باب رسول الله صلى الله عليه وآله كما ورد في الحديث الشريف عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»[1]، كما أنّه عليه السلام

---

(١) الوسائل ١٧ : ٢٤٢، تأريخ بغداد ١١ : ٢٠٤ جاء الحديث فيه عن ابن عباس، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها فمن أراد الحكمة فليأتِ من الباب»، =

باب الله الذي منه يؤتى، كذلك الرسول الأكرم ﷺ باب الله تعالى كما ورد في الزيارة الشريفة: «أنتم باب الله الذي منه يؤتى»[١]، فتكون زينب الكبرى عليها السلام باب الله تعالى لو حذفنا الوسائط[٢]، فإذن من له حاجة عند أمير المؤمنين عليه السلام لا بدّ أن يدخل إليه من الباب المقصود، ألا وهو زينب عليها السلام، وهذا المعنى ـ كون زينب باب أمير المؤمنين عليه السلام ـ حدّثني به سيّدنا الأُستاذ آية الله العظمى النجفي المرعشي دام ظله، كما هو عند أهل السير والسلوك إلى الله تعالى. فنحن إذن على باب من أبواب الله تعالى وفي رحاب السيّدة الحوراء زينب الكبرى عليها السلام، وسنتطرّق إلى الحديث عن عظمة هذه السيّدة الكبرى لنبيّن مضمون العبارة الرائعة التي قرأتها على سيّارة بعض المؤمنين التي تقول: (السيّدة زينب روضة العلم

= وفي مستدرك الصحيحين ٣: ١٢٦ عن ابن عباس «قال رسول الله ﷺ: أنا مدينة العلم وعليّ بابها». وكما تعلم أنّه لا يجوز الدخول من غير الباب المخصّص فسيأخذك إلى غير النبيّ ﷺ وغيره باطل محض. ومراد سيّدنا الأُستاذ بقوله: «وعليّ باب رسول الله» أي الوسيلة إلى النبيّ ﷺ هو أمير المؤمنين عليه السلام ومن وصل إلى النبيّ ﷺ فقد دخل في الرحمة الإلهيّة لأنّه ﷺ رحمة الله للعالمين، ودخل في الأمن الإلهي لأنّه أمان للبشرية، واستضاء بنوره لأنّه سراج منير.

(١) ورد هذا المقطع الشريف في الزيارة، ومراده أنّ النبيّ ﷺ هو باب إلى الله تعالى وهو الوسيلة إلى الله تعالى لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ ﴾ (النساء: ٦٤)، فحيث كان النبيّ ﷺ باباً من أبواب الله تعالى ووسيلةً إليه، فلا بدّ من الولوج إلى الرحمة الإلهية من الباب الذي فتحه لنا واتّخاذ الوسيلة التي لها قابليّة أن توصلنا لله تعالى ولأنّه ﷺ أفضل الخلق طرّاً فهو الباب الأوسع والوسيلة الأسرع.

(٢) أي لو حذفنا الواسطة بينها عليها السلام.

والنور)، وحيث إنّها سلام الله عليها كذلك فلنستمدّ سويّة من علمها ومن نورها ممّا يجعلنا نعيش في هذه الروضة ونهتدي بنورها إن شاء الله تعالى.

لقد كتب لنا التأريخ عن العشّاق، وأجمل ما كتب عن قيس العامري العاشق، مجنون ليلى، فإنّه كان يمرّ على جدران ديار ليلى بعد أن فارقته، وكان يقبّل هذه الجدران بلهفة المشتاق وعطش العاشق، فلامه الناس على ذلك ووصفوا هذا الفعل بالجنون، فردّ عليهم بقوله الرائع الذي صاغه ببيت من الشعر، فقال:

وما حبّ الديار شغفن قلبي ولكن حبّ من سكن الديارا

فالحبّ يعلّم الإنسان ماذا يفعل مع الحبيب في حضرته، وكيف يتعامل مع ديار الحبيب وآثاره، هكذا نحن عندما ندخل على حبيبة الله وحبيبة أمير المؤمنين عليه السلام وحبيبة الإمام الحسين عليه السلام، حبيبة أهل البيت عليهم السلام، فنقبّل الأبواب والضريح ونقول لمن يعترض على ذلك كما قال قيس العامري[1]،

---

(١) نعم نقول كما قال قيس العامري، ولكن لا نستدلّ بقول قيس بل هو شاهد من التأريخ، وحيث كان ردّه منطقياً فاستشهدنا به، وإلّا لنا دليلنا المتين كما في جامع أحاديث الشيعة للسيّد البروجردي (٢٠: ١٧٢) حديث طويل إلى أن قال: فزرنا الله شكراً لما عرفنا وقبّلنا الأرض بين يديه وسألناه عمّا أردنا فأُجبنا، فحملنا إليه الأموال الخبر: ومعناه عندما التقوا بالإمام الحجّة عليه السلام فعلوا ذلك ولم يردعهم عنه، فجاز أن نقبل ما يمتّ لهم بصلة تعظيماً وحبّاً، كما أنّه ورد في السنّة المتّفق عليها عند الفريقين تقبيل الحجر الأسود في الحجّ، وينقل أنّ أحد علمائنا الكبار عند تشرّفه بزيارة بيت الله الحرام وعند لقائه بالملك في السعوديه جعل مصحفاً في جلد خروف وأهداه إلى الملك، ولمّا عرف الملك ذلك قبّل القرآن، ولكن فوق الجلد، فقال العالم: لِمَ قبّلت الجلد أيّها الملك؟ قال: إنّما قبّلت القرآن الذي في باطن الجلد وهذا هو قصدي، فقال العالم: وهكذا الشيعة يقبّلون الضريح =

فإذا وقف الإنسان على جمال حبيبه، فإنّه يعشقه لأنّ الإنسان يعشق الجمال، وإذا عشق الحبيب لجماله، سيقبّل جداره وكلّ آثاره لو لم يتمكّن من تقبيله، فلا يُشكل علينا أنّ هذا الفعل شرك[١] والذين توهّموا الشرك في هذه الأفعال إنّما ينشأ توهّمهم هذا من عدم معرفة مقام أهل البيت عليهم السلام معرفة جمالية، ولو أنّهم عرفوا مقامهم سلام الله عليهم لفعلوا كما فعل قيس العامري إلّا أنّ معرفتهم الأئمة المسلمين حقّاً معرفة جلالية مع أنّ لهم رتبة أُخرى لا يعرفهم فيها إلّا الله سبحانه، وهذه المعرفة هي الرتبة العليا في المعرفة وتسمّى المعرفة الكمالية[٢]،

= وقصدهم من في الضريح وليس الحديد أو الخشب، وإنّما كتبت هذه القصّة كشاهد في المقام للاستدلال بها. ونقول في التفسير إنّ النبيّ يعقوب عليه السلام لمّا ألقوا عليه قميص يوسف عليه السلام وارتدّ بصيراً بإذن الله تعالى، فكان للقميص أثراً وضعيّاً بإذن الله تعالى.

(١) إنّ الشرك له معنى عند أهل التفسير والعقائد ألا وهو عبادة غير الله مع الله سبحانه، ونحن عندما نفعل هذا التعظيم لأئمة أهل البيت عليهم السلام ولذرّياتهم الكريمة فليس المقصود منه العبادة، ولا يقول أحد من الشيعة ـ عامّتهم أو علماءهم ـ إنّنا نرى في صاحب الضريح له أو يفعل فعل الإله بالاستدلال، ومن في قلبه شكّ في كلامي فليرجع إلى كتبهم ومن في قلبه مرض ندعو الله تعالى أن يزيل مرضه.

(٢) قسّم الأُستاذ المعرفة الإلهية إلى ثلاثة أقسام:

أوّلها ـ المعرفة الجلالية، والتي معناها سلب النقص عن المعرّف وبيان الحدود، فقولنا الله تعالى ليس بجسم، ليس متّحداً مع غيره، ليس في جهة وغيرها من الصفات التي يجلّ الله تعالى عنها وتسمّى الصفات الجلالية، وعند بيان أنّه تعالى واجب الوجود وليس ممكن الوجود فنكون قد بيّنّا الفرق بينه وبين مخلوقاته، هذه هي المعرفة الجلالية.

ثانيها ـ المعرفة الجمالية، وهي أن نعرف الله تعالى بصفات الجمال وأنّه يتّصف =

وبناءً على هذا فإذا أردنا معرفة السيّدة الجليلة الجميلة الكاملة زينب الكبرى عليها السلام لا بدّ لنا أن نعرفها بهذه الرتب الثلاثة من المعرفة التي ستكسبنا أدباً وخضوعاً وحبّاً وعشقاً زينبيّاً، لأنّها باب الله تعالى الذي منه يؤتى، ووسيلته التي إليه ترجى، فحديثي سيكون عن عظمة هذه السيّدة التي لو رأينا جمالها لوصلنا إلى

= بالعلم والقدرة والحياة وبصفات أفعالية كالرازق والخالف وغيرها.

ثالثها ـ المعرفة الكمالية، وهي المعرفة التامّة أي معرفة الكنه والحقيقة، وهذه ممتنعة على المخلوق ولا يعرف الله بهذه المعرفة إلّا الله تعالى لأنّه هو الذي يعلم ذاته ولأنّه لا محدود فلا يحيط به شيء وهو يحيط بكلّ شيء، وقد وردت روايات كثيرة تؤكّد هذا.

وأمّا معرفة النبيّ وأمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام لله تعالى فهي معرفه جمالية إلّا أنّها أعلى مراتب المعرفة الجمالية لأنّ المعرفة الجمالية لها مراتب متفاوتة. وأمّا المعرفة الكمالية فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله: «ما عرفناك حقّ معرفتك». وهكذا أهل البيت عليهم السلام هناك من يعرفهم معرفة جلالية أي بسلب النقوص عنهم في الرتبة البشرية وأنّهم يجلّون عن غيرهم من أهل المعصية والفجور والزلل والخطل والوهم والانحراف والاشتباه والالتباس، كما ورد ذلك في الزيارة الجامعة التي سوف تأتي إن شاء الله كما أنّهم يعرفون بالمعرفة الجمالية أي نعرفهم كما يعرفهم سلمان المحمّدي بأنّهم أهل الفضل ولهم أعلى الرتب في كلّ كمال فضلاً عن تنزّههم عن كلّ نقص، ولهم معرفة أُخرى هي المعرفة الكمالية أي الإحاطة بكنههم وحقيقتهم، وهذه لا يرتقي إليها مخلوق إلّا هم، فهم يعرفون حقيقة أنفسهم فقط والله من ورائهم محيط فلذلك قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «يا عليّ ما عرفني إلّا الله وأنت، وما عرفك إلّا الله وأنا». وهذه الرتب تجري على سيّدتنا زينب لأنّها من أهل البيت عليهم السلام إلّا أنّهم حجج الله تعالى وخلفائه ولهم من الصفات والحقيقة التي لا يدانيهم فيها حتّى مثل زينب عليها السلام. ولكن لا بدّ أن نعرفها بالمعارف الثلاثة حتّى نطّلع على مقامها الشامخ.

مقام الفناء[١] في وصفها وتمام الانبهار بجمالها، فالعبارة التي قرأتها على تلك السيّارة (السيّدة زينب روضة العلم والنور) سواء قصد كاتبها ما فهمت أو لم يقصد فإنّ زينب الكبرى هكذا حقّاً، ولكن لا بدّ من معرفة عمق هذه العبارة وكيف تكون روضة العلم والنور؟ ولماذا لا نحسّ هذا النور سيّما ونحن بجوارها وحول ضريحها؟ لماذا لا يُذهب نورها ظلمتنا؟ لماذا لا يرفع علمها جهلنا؟ لماذا لا يطيّب عطرها أرواحنا؟ لماذا لا تعلو حقيقتها على أوهامنا؟

نحن نعلم أنّ الذي يقف أمام نورٍ حسّي سيتكوّن خلفه ظلّ وظلمة، ويتصاغر هذا الظلّ وتندحر هذه الظلمة كلّما اقتربنا من النور، فما يعيشه الإنسان من الجهل الذي خلق من الظلمة، وجُعل له جنوداً وهي الصفات الذميمة وكلّها ظلمانية، كما خُلق العقل من النور وجعل الله له جنوداً نورانية كما في حديث العقل في كتاب الكافي.

فالظلمات التي يعيشها الإنسان هي السبب في هذا البعد عن الحقّ والحقيقة.

فيا تُرى عندما ندخل حرم السيّدة عليها السلام ولا نشعر النورانية وبالعلم الإلهي، هل المناظر الشيطانية التي ألفناها كلّ يوم في الشوارع والأسواق والأزقّة والسيارات العامّة، هي الحاجب أم الأدران المعنوية أم كلاهما؟ والحقّ أقول إنّ

---

(١) المقامات التي يصل إليها المؤمن في السير والسلوك الذي تعلّق قلبه بالمعشوق سواء كان هذا المعشوق هو الله تعالى، أو من يحبّه الله تعالى، فهي متعدّدة ومنها مقام الفناء أي أنّ العاشق يكون مرآة المعشوق.

المناظر الشيطانية لها دورها الذي لا يستهان به[١]، ولكن الظلمة القلبية الناشئة من الذنوب لها دورها الأكبر[٢]، ويكفي شاهداً على ذلك قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[٣]، فلكثرة هذه المشاهد الشيطانية يموت فينا هذا الإيمان الضعيف، فنعتاد على رؤيتها وتستأنسها النفوس وهذا ما أحسسته[٤]، فإذن لا بدّ من علاج

---

(١) إنّ المشاهد أو المناظر سواء كانت رحمانية أو شيطانية لها أثرها على القلب والروح ولذلك جاء الحديث الشريف بمعاشرة (من يذكّركم الله رؤيته) أي انظروا إلى من يذكّركم بالله تعالى وعاشروه لكي يكون رفيق صلاح لقلوبكم، وإنّ النظرة الثانية للمرأة الأجنبية سهم من سهام الشيطان.

(٢) نعم ذكر أهل الحديث عن إمامنا الصادق عليه السلام: «إن أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء»، وكلّما ازداد الذنب اتّسعت النكتة حتّى تستولي على القلب جميعه فيكون قلباً محجوباً ومنكوساً بسواده عن الحقّ. وهناك للذنوب آثار أُخرى كثيرة وعليكم بمراجعة كتب الحديث لتعرفوا مضارّ الذنوب. كما لسيّدنا الأُستاذ كتاب (التوبة والتائبون على ضوء القرآن والعترة) وهو مطبوع ضمن المجلّد الرابع من موسوعته الكبرى (رسالات إسلامية) فراجع.

(٣) مستدرك الوسائل، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب الثالث، الخبر السابع، عن كتاب قصار الجمل.

(٤) إنّ ظاهر سيّدنا الأُستاذ دام عزّه يدلّ على أنّه حاوٍ على رتبة عالية من الإيمان، فلو قال إنّ رتبة أضعف الإيمان ماتت لتكرّر المشاهد الشيطانية فليس مراده أنّه بقي بلا إيمان وإنّما مراده أنّ النهي عن المنكر في القلب يستوجب رتبة ضئيلة من الإيمان وهي المعبّر عنها في الحديث بـ«أضعف الإيمان»، فلو تركنا النهي بقلوبنا لكثرة المشاهد الشيطانية نكون قد قتلنا هذه الرتبة الضئيلة وهذا ما أحسّه السيّد حفظه الله تعالى.

لما نحن فيه ولا أرى علاجاً ناجعاً لهذه اللوثة إلّا معرفة زينب العقيلة كما هو اللائق بها، لأنّ القلب لو تنجّس بشيء من هذه القاذورات فإنّه يطهر بدخوله إلى حضرة هذه اللبوة الطاهرة ويخرج منها طاهراً مرّة أُخرى، وكما أنّ الماء يطهّر البدن فزينب تطهّر القلب والروح ولا قياس[١]، فبعطرها نتعطّر وبطهرها نتطهّر، وجاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله[٢]: إنّ من وقف قرب بائع العطر يصيبه شيء من ذلك العطر، وهكذا الذي يدخل إلى العطر المعنوي وينغمس فيه فسيكون مصدراً للعطر أينما حلّ، فلنعرف زينباً، ولنزر زينباً، لتجب لنا الجنّة، فإنّ من زارها عارفاً بحقّها وجبت له الجنّة[٣]، وإن لم نعدم الثواب في زيارة بلا معرفة، إلّا أنّ السعادة الأُخرويّة واللذّة العنويّة، لا تتمّ إلّا بزيارة محاطة بمعرفة كمالية أو جمالية، فبهكذا زيارة تتغيّر جواهر القلوب، وترتفع الحجب الظلمانية، وتفتح الأقفال.

ربما يتبادر إلى الذهن أنّ هذه الكلمات إنشاء محض وهذا التبادر ناشئ من

---

(١) أي لا قياس بين المطهّر المادّي وآثاره وبين المطهّر المعنوي وآثاره لما للمطهّر المعنوي من أهمية كبيرة في حياة البشر.

(٢) جاء في الحديث عن رفيق السوء وعشرته وعن رفيق الصلاح وعشرته: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ مثل جليس السوء كمثل نافخ الكير فإن لم يصبك من رائحة كيره أصابك من سواده، وقيل الجليس الصالح كبائع الطيب فإن لم يصبك من طيبه أصابك من رائحته».

(٣) ورد في حقّ السيّدة فاطمة المعصومة أُخت الإمام الرضا عليه السلام: «عن سعد الأشعري القمّي، عن الضرا عليه السلام، قال: قال: يا سعد عندكم لنا قبر؟ قلت: جعلت فداك قبر فاطمة عليها السلام بنت موسى بن جعفر عليه السلام، قال: بلى، من زارها عارفاً بحقّها فله الجنّة»، فما بالك بزينب، فإنّه من الأولى أن يكون لزائرها الجنّة إذا كان عارفاً لأنّها كفاطمة المعصومة إذا لم تكن أعلى وأرفع، وهذا من تنقيح المناط عند الأُستاذ دام ظلّه.

التسرّع في الحكم، فنحن نقول: المعرفة من العرفان في مقابل العلم[١] وربما يكونان مترادفين، إلّا أنّا نرى أنّ هناك فرق بين العلم والمعرفة، فالعلم يهتمّ بالكلّيات والمعرفة تهتمّ بالجزئيّات، فيطلق على الله تعالى عالم ولا يطلق عليه عارف[٢] فالمعرفة كلّي تشكيكي لها مراتب[٣] طولية وعرضية[٤] وبالمعرفة توزن الأشياء، ولهذا قال مولى الموحّدين عليه السلام: «تكلّموا تعرفوا، فإنّ الإنسان مخبوء تحت طيّ لسانه»[٥]، وجاء أيضاً: «تكلّموا يرحمكم الله، فبالكلام يعرف

---

(١) هنا الكلام يدور عن العلم والمعرفة، ولو أردنا أن نتجاوز هذا الهامش لكان بالإمكان كتابة فصل خاصّ بذلك، ولكن نبيّن ذلك بحسب ما يسمح به المقام، فنقول: إنّ الفرق بين العلم بالمعنى الأعمّ والعرفان المأخوذ من المعرفة، فإنّ المعرفة عبارة عن إدراك الجزئيات والعلم عبارة عن إدراك الكلّيات، وقيل: إنّ المعرفه تصوّر والعلم تصديق، ولمثل هذا يقال: كلّ عالم عارف، وليس كلّ عارف عالم.

(٢) لا يطلق على الله تعالى عارف لأنّ المعرفه أخصّ من العلم وهي علم بالشيء مفصّلاً عمّا سواه أي علم بالجزئيات، والعلم هو إحاطة بالكلّيات والجزئيات والله تعالى محيط بالكليات والجزئيات، فلذلك نطلق عليه عالم ولا نطلق عليه عارف تعالى عن ذلك.

(٣) مراده من الكلّي التشكيكي: أي أنّ مفهوم المعرفة مفهوم كلّي ينطبق على مصاديقه وهذه المعرفة ذات مراتب متعدّدة وهذا مراده من كلمة تشكيكي، والكلّي التشكيكي ما يتفاوت في التقدّم والتأخّر والضعف أو الأولوية ويقابله الكلّي المتواطي كالإنسان.

(٤) طولية وعرضية: أي مراتب المعرفة إحداها في طول الأُخرى أي تليها ومتوقّفة عليها فتسمّى مراتب طولية، وأُخرى معرفة في قبال معرفة موازية لها فتسمّى عرضيّة.

(٥) نهج البلاغة / قصار الكلمات، ومعناها أنّ قيمة الإنسان تحدّد من كلامه، ويستدلّ عليه أنّه صادق أو كاذب، عالم أو جاهل من خلال كلامه، لأنّ الكلام صفة المتكلّم، والظاهر عنوان الباطن.

قدركم»، فالمعرفة إذن هي أُسّ الكمال لكلّ قابل لها[١] وهي على ثلاثة أنحاء كما ذكرنا جلالية، وجمالية وكمالية وأُقرّب هذا بالمثال (فإنّك لو رأيت جبلاً عن بعد فإنّك ستعرفه بحدوده وإنّه لم يكن شجراً أو حيواناً أو شيئاً آخر إنّما هو جبل، وهذه معرفة جلالية، ولكن لو اقتربت منه ورأيت جماله وصلابته وشموخه فهذه معرفة جمالية، وعندما تصعد عليه وترى كنهه وواقعه فهذه معرفة كمالية)، وهكذا معرفتنا للأئمة الأطهار عليهم السلام.

ورد في الزيارة الجامعة: «ما من وضيع ولا شريف ولا عالم ولا جاهل إلّا عرف جلالة قدركم»[٢]، أي حتّى عدوّهم يشهد بفضلهم لأنّه يعرفهم معرفة جلالية، وهناك من يعرف أمير المؤمنين عليه السلام والسيّدة زينب عليها السلام بمعرفة جمالية فلذلك استحقّ سلمان الإخلاص،سلمان التقوى، أن يكون من أهل البيت عليهم السلام فقالوا في حقّه: «سلمان منّا أهل البيت»[٣]، فتراه ملازماً لأمير المؤمنين عليه السلام فكلّما دخل الأصحاب المسجد وجدوا سلمان بجوار مولاه يشرب من معينه الصافي ونميره العذب، فاتّفقوا على أن يسبقوا سلمان إلى أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) أُسّ الكمال القابل لها: أي أنّ المعرفة هي الأساس الأوّل والأهمّ في كمال كلّ من له قابلية لحمل هذه المعرفة وهذا القيد، لأنّ المعرفة مختصّة بمن له إدراك دون سواه.

(٢) مفاتيح الجنان؛ للمحدّث القمّي: ٦١٠.

(٣) «سلمان منّا أهل البيت» هذا حديث مشهور عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأيضاً ورد في الدرجات الرفيعة عن أبي جعفر عليه السلام وفي البحار عنه أيضاً عليه السلام ومراد الأئمة عليهم السلام وسيّدهم أنّ سلمان منهم أي على نهجهم وفكرهم وسلوكهم ويطابقهم القدم بالقدم والنعل بالنعل، بل ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه خلق من طينتنا وروحه مقرونة بروحنا... وهناك كلام طويل فليراجع عنه في الكتب المؤلّفة فيه.

فبكّروا بالمجيء وفعلاً لم يجدوا في الطريق إلّا آثار أقدام الإمام عليه السلام ففرحوا بذلك، ولكن ما أن وصلوا المسجد، وإذا بسلمان جالس عند أمير المؤمنين عليه السلام، فتفاجأوا فقالوا: يا سلمان، من أين أتيت؟ أنزلت من السماء أم خرجت من الأرض؟ فقال سلمان: إنّما جئت من حيث جئتم. فقالوا: فأين آثار أقدامك؟ فقال: إنّي لمّا رأيت أقدام أمير المؤمنين عليه السلام فوضعت أقدامي عليها، لأنّي أعلم أنّه لا يضع قدماً ولا يرفعها إلّا بحكمة وعلم، هكذا يعرف سلمان مولاه وهكذا يقتفي أثره، فمعرفة سلمان معرفة جمالية ولكن لأمير المؤمنين عليه السلام معرفة أُخرى وهي المعرفة الكمالية وهذه منحصرة بالله تعالى ورسوله حيث أكّد ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله: «يا عليّ، ما عرفك إلّا الله وأنا...»[1] لأنّه لا يعرف حقيقة الولي والحجّة وباطن أمير المؤمنين عليه السلام إلّا من كان محيطاً بذلك تمام الإحاطة، وإن شاء الله في المحاضرات الآتية سنعرف زينباً بشي من المعرفة الجمالية من خلال أحاديثهم الشريفة، وهذا ما نفهمه من قول الإمام زين العابدين: «أنتِ عالمة غير معلّمة» فبكلامه هذا أراد أن يعرفنا جمالها وعظمتها، فمثل هذا الكلام من الإمام المعصوم عليه السلام إشارة إلى جمال زينب عليها السلام، وهذا أبوها أمير المؤمنين عليه السلام عندما يدخل عليها وهي تفسّر القرآن الكريم للنساء وفي آية (كهيعص) فأشار

---

(١) هذا حديث نبوي مشهور: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين عليه السلام: يا عليّ، ما عرف الله إلّا أنا وأنت، وما عرفني إلّا الله وأنت، وما عرفك إلّا الله وأنا». وهنا يشار إلى أنّ معرفة النبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين لله تعالى معرفة تفوق معرفة جميع الخلق ومختصّة بهما مع الأئمة الأطهار وفاطمة الزهراء عليهن السلام وأنّهم لا يعرفهم حقّ المعرفة إلّا الله تعالى أي بالمعرفة الكمالية.

أمير المؤمنين عليه السلام إلى سرّ هذه الحروف المقطّعة فقال: «ك يعني كربلاء وما سيجري فيها على زينب»[١]، وورد في روايات العرش أنّه كتب على العرش: «زينة العرش الإلهي عليّ بن أبي طالب»[٢]، وكتب في اللوح المحفوظ: «زينة اللوح المحفوظ زينب»، وهذا الحديث إشارة صريحة إلى جمال زينب، فإذن من خلال معرفتنا لجمالها عليها السلام نزداد حبّاً لها، ومن خلال ازدياد الحبّ نزداد أدباً وشوقاً، ومن خلال الأدب والحبّ نزداد علماً ونوراً في روضتها ودوحة علمها وعنوان بطولتها وصبرها.

العلم كثير ومنه ما هو نافع، ومنه ما هو ضارّ، وفيه ما لا نفع فيه إذا عُلم، ولا ضرر فيه إذا جُهل، وهذا ما يوضحه الحديث المروي عن «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دخل المسجد فوجد الناس قد تجمهروا على رجل فقال: ما هذا؟ قالوا: علّامة يا رسول الله، فقال: وما العلّامة؟ قالوا: إنّه أعرف بأنساب العرب وأشعارها، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: هذا علم لا يضرّ من جهله ولا ينفع من علمه، إنّما العلم ثلاث: آية محكمة، وفريضة عادلة، وسنّة قائمة، ما خلاهن فضل»[٣]، فمن ذراية هذا

---

(١) (كهيعص) هذه الحروف المقطّعة في سورة مريم آية (١)، لها من التأويل في قضية كربلاء، وإنّ كلّ حرف يدلّ على شيء وحدث في كربلاء مذكور في محلّه. فالكاف تدلّ على كربلاء، والهاء هلاك يزيد، والصاد تدلّ على صبر الحسين، والعين عطشه، وغير ذلك.

(٢) لمعرفة هذه الكتابة على العرش يراجع كتاب السيّد العلوي (هذه هي الولاية) المجلّد الخامس من الموسوعة (رسالات إسلامية)، وكذلك (الإمام الحسين في العرش الإلهي) و (زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ) في المجلّد السادس من الموسوعة.

(٣) قوله: «ما خلاهن فضل» أي أنّ العلوم البشرية لها أهمية كبرى لكنّها تأتي في الدرجة الثانية من حيث الأهمية والحاجة البشرية لها بعد العلوم الإلهية بحيث يصل التكليف =

الحديث كما عند الفيض الكاشاني في كتاب الحقائق يقول : هذه الكلمات الثلاثة إشارة إلى علوم ثلاثة تنفع في الدنيا والآخرة وفي عالم القبر، فالمراد بـ« آية محكمة » يعني علم الكلام لأنّ علم الكلام الذي هو علم العقائد، علم المبدأ والمعاد وما بينهما لا يثبت إلّا بالآية المحكمة ألا وهي البرهان العقلي الذي لا يجوز فيه التقليد[١].

وهذه القصّة شاهدة على ذلك قصّة الفلّاح الذي دخل عليه رجل وسأله بأيّ شيء تستدلّ على وجود الله تعالى، انزعج الفلّاح من هذا السؤال ثمّ رفع المسحاة وضرب الرجل على رأسه وقال : بهذا أستدلّ[٢]، ورواية النبيّ صلى الله عليه وآله الذي مرّ على عجوز بيدها مغزلها وسألها عن وجود الله تعالى فقالت : أستدلّ عليه بهذا المغزل، أي برهان الحركة[٣] فيقال إنّه قال صلى الله عليه وآله : عليكم بدين العجائز فإنّه دين

= فيها حدّ الوجوب الكفائي وأحياناً يتعدّاه إلى الوجوب العيني حسب حاجة الأُمة الإسلامية وأهمية هذه الحاجة فيراجع كتب الفقه الاستدلالي في ذلك.

(١) أي أنّ أُصول الدين التي هي العقائد لا يجوز فيها التقليد، بل لا بدّ من الاستدلال والقناعة الخاصّة بذلك، إلّا أنّه يقال في حقّ من ليس له القدرة على الاستدلال أنّه يكتفي منه بحسبه ولكن عن قناعة تامّة.

(٢) أي استدلّ الرجل على أنّ لكلّ حادث محدث، وهذا الضرب الذي سقط على رأس السائل هو بسبب الفلّاح فكيف لا يكون لهذا الكون الحادث من محدث ؟

(٣) البراهين كثيرة والطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق كما قال أمير المؤمنين عليه السلام، إلّا أنّ هناك برهاناً اسمه برهان الحركة ومفاده أنّ لكلّ متحرّك محرّك يحرّكه، وهكذا مغزل العجوز إن حرّكته تحرّك، وإن تركته سكن واستقرّ، فكيف بهذا الكون المتحرّك المتغيّر يتحرّك بدون محرّك هذا محال ؟

الفطرة[١]، لأنّ كلّ مولود يولد عل الفطرة[٢]، فهذا كلّه إشارة إلى أنّ الدليل العقلي هو الموصل إلى الله تعالى وهو المراد بـ« آية محكمة » وأمّا قوله « فريضة عادلة » فهو إشارة إلى علم الفقه حيث إنّه عبارة عن الفرائض الواجبة والمحرّمات، فالفقه هو الفريضة العادلة التي تعبّر عن العدل الإلهي فبها يصل الإنسان إلى سعادة الدنيا والآخرة، فالفريضة العادلة هي التقوى وسيكون كلامي عن التقوى العامّة وتقوى الخاصّ وتقوى خاصّ الخاصّ[٣].

وأمّا السنّة القائمة فهي إشارة إلى علم الأخلاق الذي هو ملكة راسخة، وقوله ﷺ : وما خلاهنّ فضل، فمراده إمّا زيادة أو فضيلة وعلى كلا الأمرين يكون العلم البشري ضرورياً حسب حاجة الأُمّة إليه ولعلّه يصير واجباً عينياً بعد أن كان واجباً كفائيّاً، وهذا العلم الإلهي ينفع في القبر أيضاً، لأنّ السؤال الثاني الذي يوجّه إلى صاحب القبر عن الصلاة والصيام وفروع الدين بعد السؤال عن أُصول الدين، فعلى هذا لا بدّ لنا أن نتعلّم من زينب ونزداد منها علماً، فإذا لم نزداد أو لا نتعلّم ونحن بحضرتها المقدّسة، فهذا القصور فينا لا فيها، لأنّ القصور في

---

(١) أي أنّ هذه العجوز أجابت بحسب فطرتها التي فطرها الله عليها وبدون التشبّث بالدراسة والتعلّم فإنّ الله تعالى فطر الناس على معرفته كما ورد في الحديث.

(٢) ورد حديث مستفيض عن النبيّ ﷺ : « لكلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يأتي أبواه فيهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه ».

(٣) أي أنّ التقوى تُقيّم بحسب صاحبها فهناك تقوى العوام من الناس الذين يعملون الواجبات ويتركون المحرّمات وهناك رتبة أعلى وهي تقوى الخاصّ أي أنّ هناك أُناس لهم تقوى أوسع وأدقّ من الطبقة السابقة، وهناك طبقة أعلى منها، وندع ذلك للسيّد حفظه الله تعالى في بيان المراد منها.

القابل لا في الفاعل، لأنّ فاعلية الحوراء تامّة[١]، كالشمس تضيء لذي عينين، ولا ينتفع منها الأرمد. وكلّما دخل الإنسان إلى حضرة زينب يزداد علماً وينفتح له باب من ذلك العلم، وإنّ هذا العلم لا ينضب لأنّه علم الله تعالى بل هو الله تعالى[٢]، والله تعالى لا نهاية له، لأنّه الأوّل والآخر والباطن والظاهر[٣]، فيكفيك أن تجلس أمام وجودها وشعاعها وتفكّر في مسألة، فإنّه سينفتح لك علم جديد لم تعلمه من قبل، وهذا هو الإلهام الإلهي، لأنّ العلم ليس بكثرة التعلّم إنّما العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء[٤]، وهذا ما أكّده روح الله عيسى بن مريم عليه السلام بقوله: «ليس

---

(١) الفاعلية والقابلية: هذان مصطلحان فلسفيان فيراد من الفاعلية أنّ الفاعل له القدرة التامّة على الفعل ولا يمنعه شيء، والقابلية يراد منها أنّ الطرف المتلقّي للفيض من قبل الفاعل له القدرة والمؤهّلات لتلقّي هذا الفيض وهناك شرح فلسفي في محلّه، وإنّما اكتفينا بما يناسب الجميع.

(٢) مراد السيّد الأُستاذ من «أنّ العلم هو الله تعالى» أي أنّ العلم صفة ذاتية من صفات الله تعالى، وبما أنّ صفاته عين ذاته، فصار تعالى علم كلّه في عين هو قدرة وفي عين هو حيّ، وهكذا فيصحّ أن تقول العلم هو الله تعالى بعيداً عن الاتحاد، وإنّما المراد العينية.

(٣) إنّ الله تعالى هو الأوّل أي لم يسبق بشيء أو بالعدم أو بالزمن، والآخر أي لم يلحق بالغير أو العدم، والظاهر أي المعروف والمتجلّي لخلقه في آثاره وعلاماته، والباطن أي لا يحاط بكنهه وبحقيقته، وهناك كلام أوسع من هذا.

(٤) ورد في الحديث الشريف في بحار الأنوار (١: ٢٢٥): «العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء» أي فكرامةً لزينب عليها السلام يلهمك الله تعالى حلّ هذه المسألة التي فكّرت بها، ولهذا النور مراتب حسب مراتب الإيمان. وهناك كلام أعمق في كيفية هذه النورانية وما هي الشروط التي يجب أن يتحلّى بها القابل الذي فاض عليه هذا النور، طوينا عنه كشحاً لأنّه لا يناسب المقام الذي نحن فيه وهو معروف عند أهله.

العلم في السماء حتّى ينزل إليكم، ولا في الأرض فيخرج لكم، إنّما العلم في قلوبكم فتخلّقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم»، وهذا مرادف لقوله ﷺ: «من أخلص لله أربعين يوماً تتفجّر ينابيع الحكمة من قلبه»[1]، ولكن هذا لا يعني ترك الدراسة التي هي مقدّمة للعلم الإلهي، فيا أيّها الذين آمنوا لا يستحوذ الشيطان على قلوبكم كما استحوذ على غيركم لأنّ حكومة الرحمن هي الحاكمة وليس حكومة الشيطان[2]، وهذا يتمّ بمعرفة جمال السيّدة زينب لا في أنّها بنت عليّ وفاطمة وأُخت الحسين وأُمّ المصائب، فهذه حدودها ويعرفها القصيّ والداني والمسلم والكافر، وإنّها من المعرفة الجلالية، بل لا بدّ من المعرفة الجمالية، فهذا القول يوضح لنا ما هي ثمرة المعرفة الجمالية فيقول: «من طلبني عرفني، ومن عرفني عشقني، ومن عشقني قتلته، ومن قتلته فأنا ديته».

فنور زينب نور معنوي كالنور الحسّي، ظاهر بنفسه ومظهر لغيره، والنور الأوّل هو الله تعالى، حيث إنّه نور السماوات والأرض، فروضة النور يعني روضة إلهية، والنبيّ ﷺ نور حيث إنّه سراج منير، فتكون روضتها عليها السلام روضة نبويّة وقرآنية وولوية، لأنّ القرآن نور والولي نور «فكلامكم نور وأمركم رشد»، فتكون روضتها روضة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، فالدخول في هذه الروضة

---

(١) أُصول الكافي، الجزء الثاني في باب الأخلاق.

(٢) ليس للشيطان حكومة على أحد بل ليس له إلّا الوسوسة والتزيين والتسويل فهو لا يسلب الاختيار عن أحد، ولكن تضعف النفوس فتقع في شراكه ليس إلّا، والله تعالى برحمته العامّة التي عمّ بها جميع مخلوقاته حتّى الشيطان فتكون حكومته هي الحاكمة وعلى هذا يستطيع الإنسان أن يجعل الشيطان طريقاً إلى الجنّة وذلك بمخالفته له.

يورث العلم والتلذّذ المعنوي والروحي، ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا»، وطالب الدنيا ينكب عليها مع أنّها جيفة «لأنّ الدنيا جيفة، وطلّابها كلاب»[1]، فلو ناداها صاحبها: هل امتلأتِ؟ تقول: هل من مزيد، أي آتني من حلال أو حرام، فطالب الدنيا نار، وطالب العلم نور، وذاك جهل، وهذا علم، وذاك شيطان وهذا رحمن.

فهيّا بنا لنزور الحوراء زينب الكبرى بقلوبنا وعقولنا وأجسامنا، فندخل روضتها المقدّسة وحرمها المبارك، لنستلهم من روحها الزكيّة ونفسها القدسيّة، العلم الإلهيّ والنور الربّاني.

وآخر دعوانا أنّ الحمد لله ربّ العالمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) هذا الحديث ورد في أُصول الكافي، الجزء الثاني في باب الأخلاق، ومراده أنّ الدنيا لا تكون جيفة بذواتها لأنّ هذه الذوات هي آثار الله تعالى وآثار الله تعالى محبوبة له، فلا يقع الذمّ عليها بل المراد هو أنّ التعلّق بهذه الآثار الذي يمنع الإنسان من التكامل هو المذموم فيكون من حيث النفع لا نفع فيها لأنّها جيفة أي ميتة نتنة الرائحة فلا يقبل على هذا إلّا الكلاب، فعلى الإنسان أن لا ينزل إلى هذه المرتبة الحيوانية ويتكالب على الدنيا.

(المحاضرة الثانية)

بعد البسملة والحمد والصلاة :

نحن الآن بجوار السيّدة زينب الكبرى عليها السلام ، وكلّنا حبّ لمقامها الشامخ ، فيحلو لنا الذكر ، لأنّ من أحبّ شيئاً أحبّ ذكره ، ومن لوازم الحبّ أن يذكر المحبوب[1] ، وكلّما ازداد الإنسان حبّاً ازداد ذكراً لمحبوبه ، وهذا أمر فطري وجداني ، والوجدانيات من البديهيات[2] ، فإذن هذا أمر بديهي . فإتماماً لما بدأنا

---

(١) إنّ حبّ المؤمن لربّه أو لمن يحبّه الله تعالى يقوده إلى الذكر ، ولذلك جاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله في بحار الأنوار (٧٧ : ٨٤) قوله : « إنّ أحبّكم إلى الله ، أكثركم ذكراً له ... » وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام : « شيعتنا الرحماء بينهم ، الذين إذا خلوا ذكروا الله ، إنّا إذا ذكرنا ذكر الله ، وإذا ذكر عدوّنا ذكر الشيطان » في الوسائل ، الجزء ٢٣ ، الحديث ٣ ، ففي ذكرهم يتحقّق ذكر بارئهم كما ورد عند الفريقين أنّ ذكر عليّ عليه السلام عبادة .

(٢) تنقسم القضية اليقينية إلى بديهية ونظرية كسببية تنتهي لا محالة إلى البديهيات ، فالبديهيات إذن هي أُصول اليقينيات ، وهي على ستّة أنواع : أوّليات ، مشاهدات ، تجريبيات ، متواترات ، حدسيات ، فطريات ، وهي المراد في متن الكتاب ، وتفصيل ذلك في علم المنطق .

نقول :

إنّ تقسيم المعرفة إلى جلالية وجمالية وكمالية، فإنّما يكون هذا التقسيم أوّلاً في الصفات الإلهية كما بيّنّا سابقاً، وهذا التقسيم موجود أيضاً في جميع الشرائع السماوية، فمثلاً لو أردنا أن نعرف الأحكام الشرعيّة فنعرفها تارةً بجلالها كما لو أردنا أن نعرف الصلاة، فمنهم من سيعرّفها لنا بحدودها كصلاة الصبح مثلاً ركعتان والظهر أربعة، وهناك من يعرّف لنا الصلاة بجمالها أي بأسرارها[١]، وهناك من يقف على حقيقة الصلاة وهذه معرفة كمالية للصلاة[٢]، وهناك تقسيم مشهور لأعلامنا ولا بأس بذكره باعتبار أنّ المحفل محفل علمائي أيضاً لحضور أهل العلم حفظهم الله تعالى.

فنقول : إنّ المعرفة تارةً تكون حسّية أي من خلال الحواسّ الظاهرية،

---

(١) للصلاة أسرار ذكرت في الكتب المعدّة لذلك، فهناك سرّ لكلّ فعل ولكلّ قول من أقوالها، ففي قولك «الله أكبر» في تكبيرة الإحرام مثلاً هو أن تستصغر ما بين العلى والثرى وتجعل كلّ شيء دون كبريائه فهذا ما ورد عن إمامنا الصادق عليه السلام، وفي القيام يعني المثول بين يدي الله تعالى لأداء حقّ العبودية واستجلاب خيرات الربوبية، فمعرفة أركان الصلاة وأجزائها بهكذا معرفة تسمّى هذه المعرفة معرفة جمالية.

(٢) عند الوقوف على حقيقة الصلاة فإنّك ستراها معراجاً للمؤمن يعرج بها إلى ربّه، وتراها أيضاً أنّها صلة بين العبد وربّه فتكون هذه الصلاة في نظرك كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «إنّ الصلاة تمكّن، وتواضع، وتبأّس، وتندّم، وتقنّع، فتمد يديك وتقول : اللهمّ فمن لم يفعل فهي خداج»، بحيث لو كبّرت الله تعالى وكان عملك وقولك مخالفاً ومضاداً للتكبير فسيسمّى هذا التكبير تحقيراً وليس تكبيراً، فهكذا معرفة هي المعرفة الكمالية، ومن رام الزيادة فليرجع إلى كتب أسرار الصلاة، كالآداب المعنوية للصلاة للسيّد الإمام قدس سره وأسرار الصلاة للشهيد الثاني وأسرار الصلاة لميرزا ملك التبريزي.

وأُخرى تكون علميّة، وثالثة تكون فلسفية، حيث إنّ هناك فرق بين المعرفة العلمية والفلسفية، ورابعة تكون شهوديّة، وخامسة تكون دينية، وسنوضح هذه المعارف كالآتي:

أوّلاً ـ المعرفة الحسّية: هي المعرفة التي تكون من خلال الحواسّ الظاهرية الخمسة، وهي الباصرة والسامعة والذائقة واللامسة والشامّة كما أنّ للإنسان قوى باطنة خمسة، ترسم على شكل زاوية منفرجة في صفحة الذهن، والتي هي عبارة عن الحسّ المشترك الذي يسمّى بالقوّة البنطاسية حيث إنّ مدركات الإنسان تنطبع في الحسّ المشترك من خلال الحواسّ الخمسة، ثمّ تنتقل بعد ذلك إلى خزانة الخيال ثمّ إلى القوّة الحافظة وهناك قوّة ثالثة تكون بين هاتين القوّتين هي القوّة المتصرّفة كما أنّ هناك أيضاً قوّة أُخرى تسمّى بالقوّة العاقلة، فهذه هي القوى الباطنية الخمسة وأمّا المعرفة بالحواسّ الظاهرية الخمسة تسمّى بالمعرفة الحسّية.

ثانياً ـ المعرفة العلمية: هي المعرفة التي يكون العلم أداة فيها[1]. وتكون المعرفة جزئية لا كلّية بالنسبة إلى المعرفة الفلسفية.

ثالثاً ـ المعرفة الفلسفية: هي المعرفة التي تهتمّ بالكلّيات ويكون الباحث فيها مهتمّاً بما هو كلّي كما لو كان بحثه في الكون فيبحث في العلّة والمعلول والحادث والقديم وما شابه[2].

---

(١) عندما يجعل المحاضر السيّد الأُستاذ المعرفة العلمية في قبال غيرها من المعارف ويقول: إذا كان العلم أداتها فمراده بالعلم بالمعنى الأخصّ الذي يبحث حول الجزئيات في قبال الفلسفة التي تبحث حول الكلّيات، وأمّا العلم بالمعنى الأعمّ فإنّه شامل للفلسفة وغيرها.

(٢) المعرفة الفلسفية: بما أنّها تهتمّ بالكلّيات فيكون بحثها في الموجود بما هو موجود، =

رابعاً ـ المعرفة الشهودية : هي عبارة عن الكشف والشهود وهذه المعرفة تختصّ بالعرفاء[١].

خامساً ـ المعرفة الدينية : هي المعرفة التي تبتني على الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، أي أنّها تبتني على كتاب الله تعالى وسنّة النبيّ صلى الله عليه وآله والوليّ الوصيّ المتمثّلة بقول المعصوم وفعله وتقريره[٢] [٣].

= وهذا البحث يهتمّ بمعرفة الموجود هل هو علّة أو معلول، قديم أو حادث، فلذلك يكون الفيلسوف مهتمّاً بالمعرفة الكلّية للأشياء أي أنّه ينظر إلى الكلّيات لا إلى الجزئيات، والكلام في الفلسفة طويل وكثير فلتأخذ من مظانّها.

(١) المعرفة العرفانية : يعني هي المعرفة التي بها تكشف الحقائق الكونية وما وراء الطبيعة من خلال صفاء القلب بعد تذهيبه وتزكيته فتنعكس حقائق الكون عليه، فيصل العارف إلى مقام الكشف والشهود، ونقول عندما تصفو النفس وننقطع إلى التفكير في الأُمور العلوية وتتخلّى عن ارتباطها واشتغالها بالأُمور الدينية إلّا ما تحتاجه من الضرورة ونصب همّها واهتمامها في التعرّف على ما وراء الطبيعة فإنّها ستحصل لها حالات نفسية وتتوارد عليها خواطر قلبية تستشعر من خلالها الارتفاع عن عالمها المادّي الضيّق وتتّصل بعالم المثال أو عالم الأرواح والعقول ومن خلال هذا الاتّصال يبدأ الإنسان بدرك الحقائق شيئاً فشيئاً وحسب ما تتوفّر له من عوامل موضوعية وذاتية لها مدخلية في تحصيل هذه المعرفة، وهذا ما يعبّر عنه بالكشف والشهود، أو الإشراق أو التجلّي على اختلاف التسميات.

(٢) فعل المعصوم أي الفعل الذي يفعله المعصوم إمام المسلمين فهو حجّة لنا بالتمسّك به كسنّة نفهم منه درجة الإباحة وكونه مشرعاً، وأمّا قوله هو عندما يقول لنا افعل كذا ولا تفعل كذا، وأمّا تقريره معناه أنّه يرى الفعل ولا يردع فاعله عنه بشرط أن يكون عدم الردع والسكوت خالي من التقيّة فهذا إقرار منه عليه السلام للفاعل بصحّة فعله.

(٣) شرط العرفان هو صفاء القلب وتهذيبه وصقله لكي يكون قابلاً لتلقّي الحقائق =

وقفة على المعرفة الفلسفية والعرفانية :

نقف على هاتين المعرفتين لكي نبيّن الحقيقة لمن يعتبر بعض المظاهر الخاطئة أنّها مظاهر عرفانية وهو يخطأ بتطبيق الكلّي على الجزئي أي على المصداق، فنقول : إنّ الفلاسفة يبحثون عن الوجود أو الموجود بما هو موجود حسب الطاقة البشرية وذلك من خلال الاستدلال العقلي، وأمّا العرفاء فيبحثون عن الوجود من خلال صيقلة القلب فيقول العرفاء : بقلوبنا نصل إلى الله تعالى، ويقول الفلاسفة : نصل إلى الله تعالى بعقولنا، وهذا لا يتمّ إلّا بشرطه وشروطه، فلا كلّ من يدّعي العرفان هو صادق في مدّعاه بل هو لا يريد إلّا التصوّف ومن التصوّف ما فيه الانحراف الفكري أو السلوكي، فتدبّر.

في حين إنّ العرفان الذي نحن بصدده هو الذي ينهل من نبع أهل البيت عليهم السلام[1]، ذلك النبع الصافي فبالصقل للقلب ينكشف للعارف الوجود وتنكشف

= وتنعكس فيه بواطن الأُمور كالمرآة كلّما كانت صافية كلّما كان الانعكاس فيها واضحاً وكلّما كانت ملوّثة كلّما كان الانعكاس ضئيلاً وقد يكون منعدماً، ولا نعني بتصفية القلب عدم التعلّق بالأُمور الدنيوية فحسب بلى لا بدّ من العمل العبادي المتمثّل بأداء الواجبات وترك المحرّمات والتضرّع إلى علّام الغيوب والاتصال به دوماً ويقال عن بعض الأعلام إنّ بعض المؤمنين سألوا العارف المتألّه الشيخ جواد آملي عن العرفان العملي فقال : « مفاتيح الجنان والرسالة العملية »، أي تطبيق ما في الرسالة العملية وما في مفاتيح الجنان، بالإضافة إلى محاربة الهوى ومجاهدة النفس وتزكية القلب وتخليته وتحليته بما يوصل إلى الكمال.

(١) منهج أهل البيت عليهم السلام يدعو إلى التقوى فيوافق مذاقهم القرآن الكريم الذي هو العدل الأكبر فورد في القرآن الكريم ﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً ﴾ (الأنفال : ٢٩)، وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ ﴾ (البقرة : ٢٨٢)، وهذا هو منهج أهل البيت عليهم السلام =

الحقائق ويكون عند ذلك دليلهم هو الكشف والشهود والإشراقات الإلهيّة، وهذه القصّة التأريخية توضح ما قلناه: (ففي غابر الزمان يُنقل أنّ الاسكندر ذي القرنين جمع الفلاسفة والعرفاء وبنى لكلّ واحدٍ جداراً ليرسموا عليه ما عندهم من البحوث والعلوم وجعل بينهما ستاراً، ثمّ قال: سأرجع إليكم بعد سنة لأعرف ما أنتم عليه، وفعلاً لمّا مضى الوقت الذي قرّروه جاء الاسكندر إليهم ودخل على الفلاسفة فوجدهم رسموا على الجدار من كلّ شيء فرداً، فمن الطيور طيراً، ومن الأشجار شجرة، وهكذا، فقالوا: هذا هو الموجود ونحن نبحث في هذا، ولمّا رفع الستار الذي بينهم وبين العرفاء وجد العرفاء قد صقلوا الجدار حتّى جعلوه كالمرآة فانعكست فيه نفس صورة الفلاسفة التي رسموها بالإضافة إلى صورة الاسكندر، فقالوا للاسكندر: نحن نبحث عن ما يبحث عنه الفلاسفة بما في ذلك أنت وحاشيتك من خلال صقل القلب).

وبهذه المعارف التي بيّنّاها لكم تُعرف الأشياء، فلا بدّ للإنسان الذي يريد الترقّي في سلّم الكمال من المعرفة، فإنّ الفضل بالمعرفة (أفضلكم أفضلكم معرفةً) وهي التي تقود إلى العبادة الحقّة الخالصة، ونوم العالم أفضل من قيام

= لأنّه لن يفترق عن القرآن كما في حديث الثقلين المعروف، وعندما سئل الإمام عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ (الزمر: ٢٢)، قال عليه السلام: نور يقذفه الله في قلبه فيشرح صدره، قيل: هل لذلك علامة؟ قال عليه السلام: «علامته التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت»، وهكذا يلتقي الإمام مع القرآن في... منهج واحد لأنّه لا انفصال بينهما، بل هما واحد فلن يفترقا في كلّ شيء منذ البداية وحتّى النهاية.

الجاهل[١]، ويبيّن لنا ميزان الأعمال والقرآن الناطق أمير المؤمنين عليه السلام مدى الترابط الوثيق بين العلم والعبادة فيقول: «قسم ظهري اثنان: جاهل متنسّك، وعالم متهتّك»[٢]، فالجاهل يغرّ الناس بعبادته والعالم يغرّ الناس بعلمه، فقيمة الإنسان بالمعرفة وهذا عند الله تعالى والراسخون في العلم لا عند الناس، لأنّ الناس أعداء ما جهلوا[٣]، فكم نرى من عالم مهجور كما نرى قرآناً مهجوراً ومسجداً مهجوراً، وهؤلاء ممّن يشتكون إلى الله تعالى يوم القيامة[٤]، فالناس يجهلون قدر العالم الربّاني ويهجرون هذا العالم حتّى كأنّه غريب بينهم، مع أنّه يدعى في السماء عظيماً كما في الحديث الشريف: «من علم لله وعمل لله وعلّم لله دُعي في ملكوت السماوات عظيماً»[٥]، فهذه العظمة التي نالها هذا العالم، إنّما هي

---

(١) ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام عندما رأى رجلاً من الخوارج قائماً يصلّي قال: «نوم على يقين خيرٌ من قيام في شكّ»، وهذا معناه أنّ الذي على يقين هو العالم والذي على شكّ هو الجاهل، فصار نوم العالم أفضل من قيام الجاهل، وورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «يا عليّ، نوم العالم أفضل من عبادة العابد»، أي العابد الجاهل. قصار الجمل ـ المشكيني ٢: ٦٣.

(٢) نهج البلاغة، قصار الجمل.

(٣) ورد في نهج البلاغة قصار الجمل: «الناس أعداء ما جهلوا»، ومراده عليه السلام بحسب ما نفهم من قوله أنّ الإنسان لا يعرف قيمة وثمن ما يجهل فيقع منه تجاهلاً وإهمالاً لهذا المجهول وقد يقع منه محاربة له وذلك بسبب جهله بمقامه أو بقيمته فيكون عدوّاً له.

(٤) ورد في الحديث الشريف: «عن الصادق عليه السلام: ثلاثة يشكون إلى الله: مسجد خراب لا يصلّي فيه أهله، وعالم بين جهّال، ومصحف معلّق قد وقع عليه غبار لا يقرأ فيه»، كتاب قصار الجمل ـ المشكيني (٢: ٦٣)، ثمّ جاء في بحار الأنوار (٧٧: ١٤٠) عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «ارحموا عزيزاً ذلّ، وغنيّاً افتقر، وعالماً ضاع في زمان جهّال».

(٥) رسالات إسلامية (موسوعة السيّد الأُستاذ) المجلّد الثالث.

لإخلاصه، لأنّه تعلّم وعمل لله تعالى لا للرياء والجدل والاستطالة على الناس، فهو عظيم عند ربّه وإن كان مستضعفاً عند أهل الأرض، فبناءً على هذا لا بدّ لنا من إنصاف أهل العلم والعمل الخالص، ولا بدّ من تعظيمهم وعلى رأسهم سادتهم وأئمّتهم معدن العلم ومهبط الوحي عليهم السلام، ومن يسير على نهجهم سيّما أولادهم الذين عكسوا ذواتهم كزينب الكبرى، فلنعرف زينب بصفاتها الجمالية وذلك من خلال ما ورد في حقّها وشأنها.

سؤال غبي:

هناك من يسأل هذا السؤال النابع من جهل السائل والذي ينمّ عن سطحيّة عقله ووهن رأيه، فيقول: (لماذا هذا الإصرار على معرفة أهل البيت سيّما في عصرنا الحاضر عصر العلم والتطوّر التكنولوجي؟! حيث إنّ العالم أصبح قرية واحدة في عصر الكومبيوتر وأنتم لا زلتم تبحثون عن أمير المؤمنين هو النقطة التي تحت الباء، أين نحن وأين العالم ولِمَ هذا الصراع على هذه الأُمور التي لسنا بحاجة إليها).

الجواب: يأتي الجواب من الإمام زين العابدين عليه السلام، ولكن قبل أن نسمع جواب الإمام، أُريد أن أقول إنّ من العدل الإلهي إذا تقدّم الإنسان في العلوم البشرية كما تقولون، لا بدّ أن يتقدّم ويتعمّق في العلوم الإلهية[1]، كما أنّ الإنسان

---

(١) التعمّق في العلوم الإلهية أهمّ من التعمّق في العلوم البشرية، لأنّ الإنسان ذو بعدين، البعد المادّي والبعد الروحي، فالعلوم البشرية هي التي تهتمّ بالبعد المادّي للإنسان وهو البدن، وأمّا العلوم الإلهيّة تهتمّ بالبعد الروحي والإنسان كما هو واضح بروحه وعقله لا ببدنه، =

الحاضر يبحث في المعاش، فلنا أن نبحث في المعاد، وكما أنّ العالم الغربي يبحث في العلوم البشرية ويتعمّق، لا بدّ لنا أن نبحث في العلوم الإلهية السماوية، وهذا من صميم حضارتنا الإسلامية، فنقول إنّ العلوم البشرية يتعلّمها المسلم والكافر ولكنّ العلوم الإلهية لا يتعلّمها ولا يتقدّم فيها إلّا العالم الإلهي الربّاني، لأنّه علم شريف يحتاج إلى محلّ طاهر، فعلى هذا لو كان القلب طاهراً، لَعَلم وفَهم ما في القرآن الكريم وبواطنه وما فيه من المعارف، ولكن عندما يكون القلب نجساً أو شهوانياً أو حيوانياً أنّى له ذلك، فتراه يرى الحقّ باطلاً، والعلم بالعدل الثاني للقرآن وهم العترة الطاهرة ضياعاً، ومعرفتهم ترفاً فكرياً، وهذا عين الظلم للقرآن ولعدله الثاني وللعلماء بهما.

والآن نأتي إلى جواب الإمام زين العابدين عليه السلام الذي أصبح بعد كلامنا هذا شاهد صدقٍ على قولنا، فإنّه يقول عليه السلام: «إنّ الله علم أنّه سيكون في آخر الزمان

= فلو كانت المقاييس على الأبدان لسبقنا كثير من الحيوانات في ذلك كالفيل والجمل وكلّ من هو أكبر منّا جسماً، ولكنّ المقاييس على العقول والأرواح، فلذلك صار كلّ شيء مسخّر لنا ﴿ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ (لقمان: ٢٠)، وعلى هذا لا ينبغي للإنسان أن يدع الرتبة الكريمة ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (الإسراء: ٧٠)، وينزل إلى رتبة البهيمة ﴿ أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ ﴾ (الأعراف: ٧٩)، ثمّ قد يتسافل فينزل إلى أخسّ من الأنعام لقوله: ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ (الفرقان: ٤٤)، والفرق الآخر بين العلوم البشرية والإلهية الذي هو السبب في دفعنا إلى التعمّق بالعلوم الإلهية هو موضوع العلوم، فتلك لا تتجاوز المادّة وهذه موضوعها خالق المادّة وهو الله تعالى، فصارت أشرف وأعلى تبعاً لموضوعها؛ لأنّ العلوم تشرّف بموضوعاتها، وأمّا الارتباط بين المعرفة والعمل فسيأتي في المحاضرات القادمة.

أقوام يتعمّقون فأنزل سورة التوحيد وآيات من سورة الحديد»[١] حيث المعرفة الحقّة وحيث المعرفة الإلهية ولكن لا يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم، ولا يقف على هذه الحقائق إلّا من كان طاهراً معنوياً لأنّ القرآن لا يمسّه إلّا المطهّرون، وأمّا غير المطهّر لو أراد أن يمسّ أي يعلم القرآن في بواطنه وأسراره، فإنّه لا يستطيع، بل لا ينال إلّا اللعن من القرآن وهذا ما أكّده الحديث الشريف «كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه».

فالمعرفة التي يريدها لنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام هي التي تقودنا إلى كمالنا الحقيقي، وإلى سعادتنا الدنيوية والأُخروية، فلا بدّ من التعمّق لكي تقف على الحقائق ولا بدّ من التعمّق لكي نكون فقهاء لأنّ الحديث الشريف يقول: «لا يكون الفقيه فقيهاً حتّى يعرف معاريض كلامنا، فإنّ لكلّ منها سبعون وجه، ولكلّ وجه لنا مخرج»، فبمعرفة هذه الوجوه تكون الفقاهة. وأذكر لكم شاهداً على ذلك هو أُستاذنا الشيخ حسن زادة آملي[٢] أنّه ذكر واحداً وتسعين معنى لقوله عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه». كما ذكرت للحديث النبوي الشريف «المؤمن مرآة المؤمن»[٣] تسعة وتسعين معنىً، فبهذا يتّضح أنّ حديثاً ندريه خير من ألف حديث نرويه[٤]، فنحن شيعة أهل البيت عليهم السلام لا بدّ لنا من

---

(١) من كتاب (عليّ بن أبي طالب نقطة باء البسملة) للسيّد الأُستاذ.

(٢) هو من كبار العلماء ومن أساتذة الحوزة العلمية في قم المقدّسة ومن أهل السير والسلوك وتتلمذ على يديه في هذا الفنّ الكثير من الفضلاء.

(٣) هو لسماحة سيّدنا الأُستاذ السيّد الحجّة عادل العلوي دامت بركاته.

(٤) هذا إشارة إلى حديث ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «عليكم بالدرايات، لا بالروايات»، =

التعمّق بمعرفة أهل البيت عليهم السلام وندع الدنيا لأهلها، فنقول إذا جاؤوا لنا بجديد في علومهم البشرية علينا أن نأتي بجديد وعميق في العلم الإلهي والنبوي والولوي، فإنّ زيادة المعرفة والعلم تعطي الإنسان الأدب والخضوع والخشوع والمودّة والإطاعة، ومن ثمّ ينال الإنسان القرب من الله ويفوز بسعادة الدارين. إذن لا بدّ أن نتكلّم عن زينب الكبرى ولا بدّ أن نتعمّق في شخصية زينب وأن نعرفها معرفة جمالية، لأنّ الأئمة عليهم السلام هم الذين حثّونا على ذلك وقالوا: «نزّلونا عن الربوبية، وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا، وكلّ ما تقولوا فينا إنّما هو معشار عشر»[1]، نعم إنّنا لا نبلغ كنههم كيف نصفهم ونحن في وصف الجنّة التي هي مكان لهم ولشيعتهم في حيرة؟ هذا ما أكّده الحديث الشريف: «إنّ في الجنّة ما لا عينٌ رأت ولا أُذن صمعت ولا خطر على قلب بشر»[2]، فكيف نعرف سادات الجنّة[3] لا نعرفهم إلّا من خلال أقوالهم، فهو عليه السلام الذي قال عن نفسه: «أنا النقطة التي تحت الباء»، فبالنقطة تبدأ الحروف والأعداد، والخطّ المستقيم الذي هو أقصر خطّ ما بين

= قصار الجمل ـ المشكيني (١: ١٣٨). وعنه عليه السلام في حديث آخر: «اعقلوا الخبر إذا سمعتموه، عقل رعاية لا عقل رواية...» نفس المصدر.

(١) بحار الأنوار ٢٦: ٦، كما للأُستاذ رسالة بعنوان (جلوة من ولاية أهل البيت) يذكر فيها وجوه هذا الحديث الشريف في موسوعته (رسالات إسلامية ـ الجزء الخامس).

(٢) رسالات إسلامية؛ للسيّد الأُستاذ، الجزء الخامس، جلوة من ولاية أهل البيت: ١٣.

(٣) هذه العبارة مراده فيها الحديث الشريف في فضل الحسنين عليهما السلام حينما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّهما «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خيرٌ منهما» سنن ابن ماجة في باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وجاء في سنن الترمذي ٢: ٣٠٦، وجاء في مسند أحمد بن حنبل، وغيرها...

نقطتين يبدأ بنقطة وينتهي بها، وهكذا عليّ عليه السلام هو البداية والنهاية[١]، فكلّ ما تقول فيه أو في ابنته زينب الكبرى هو معشار العشر من فضله وفضلها، فهي صاحبة الفضل علينا كما أنّ الأرض تثبت بوجود الحجّة وبيمنه يُرزق الورى، فلذلك نقول: «اللهمّ عرّفني نفسك، فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك، اللهمّ عرّفني رسولك فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللهمّ عرّفني حجّتك فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني، اللهمّ لا تمتني ميتة الجاهلية»[٢]، فلنلتجئ إلى الله تعالى ليعرّفنا نفسه ورسوله وحجّته في زمن كثرت فيه الشبهات والإشكالات والضلالات وعدم الالتفاف حول الحقائق، اللهمّ لا تمتني ميتة الجاهلية[٣]، وهذه زينب الكبرى لنقف على أعتابها ونستلهم من روحها العلم والمعرفة فهي التي تعرّفنا الله تعالى.

والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) كما للأُستاذ كتاب مفصّل عن هذا الحديث «عليّ نقطة باء البسملة» وهو مطبوع.

(٢) هذا الدعاء يسمّى بدعاء الغيبة الوارد في مفاتيح الجنان للمحدّث القمّي.

(٣) هذا إشارة إلى الحديث المتّفق عليه: «من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتةً جاهلية».

(المحاضرة الثالثة)

بعد البسملة والحمد والصلاة :

لا زلنا وإيّاكم في رحاب عصمة الحوراء زينب عليها السلام ، لا زلنا في روضة العلم والنور، وذكرنا في ما سبق شيئاً من المعرفة وأهمّيتها في حياة الإنسان، وقلنا بأنّها كلّي تشكيكي أي أنّ لها مراتب طولية وعرضية، وتختلف من حيث الشدّة والضعف.

وهذه المراتب التي تمّ ذكرها هي اُمّهات المراتب إذا صحّ التعبير، فأوّلها المرتبة الجلالية، ثمّ المعرفة الجمالية، وآخرها المعرفة الكمالية.

فعندما نريد تعريف أيّ شيء لا بدّ أن نعرفه بالمعرفة الجلالية أي بذكر صفاته السلبية وذكر حدوده، وإذا أردنا أن نعرفه بالمعرفة الجمالية فنعرفه بذكر صفاته الجمالية، وإذا أردنا أن نقف على كنهه وذاته فهذا يتمّ بالمعرفة الكمالية.

وفي دعاء سحر شهر رمضان المبارك إشارة إلى هذه المعارف الثلاثة في قوله عليه السلام : «اللهمّ إنّي أسألك من جلالك بأجلّه وكلّ جلالك جليل، اللهمّ إنّي أسألك بجلالك كلّه، اللهمّ إنّي أسألك من جمالك بأجمله وكلّ جمالك جميل اللهمّ إنّي أسألك بجمالك كلّه، اللهمّ إنّي أسألك من كمالك بأكمله وكلّ كمالك كامل اللهمّ

إنّي أسألك بكمالك كلّه»[١]، وذكرنا أيضاً أنّه كما تتقدّم البشرية في العلوم الحديثة والعصرية، فمن العدل الإلهي أن يتقدّم العلماء الإلهيون في العلوم الإلهية أيضاً، فإذا لمسنا تأخّراً في العلوم الإلهية فليس هذا التأخّر من جهة الفاعل وإنّما هو من جهة القابل، أي أنّ القصور في المتلقّي وإلّا فالعلماء الإلهيون على درجة عالية من الفاعلية للفيض[٢] على من يريد معرفة العلوم الإلهيّة، وذكرنا أيضاً أنّ للإنسان علوم معاشية، فلا بدّ له من علوم معادية أيضاً، وقلنا إنّ العلوم المعادية تنحصر بحسب ما جاء في الحديث الشريف في علوم ثلاثة[٣]، تبعاً لحاجة الإنسان إليها، فالعلم الأوّل الذي هو علم العقائد والذي يسمّى عند أهل الفنّ بعلم الكلام[٤]، هو الذي يعتني بكمال العقل وتربيته والترقّي فيه إلى الدرجات العلى، والعلم الثاني هو علم الأخلاق وهذا يهتمّ ببناء الروح الإنسانية وتهذيبها وصيقلة القلب وتزكيته، والعلم الثالث هو علم الفقه فوظيفته تربية البعد المادّي والروحي معاً

---

(١) مفاتيح الجنان: أعمال شهر رمضان، دعاء السحر.

(٢) إنّ العلماء لهم القدرة على العطاء والإفاضة على من يريد تحصيل هذه العلوم بشرط استعداده لتلقّيها.

(٣) إشارة إلى الحديث الذي تقدّم «إنّما العلم ثلاثة: آية محكمة، وفريضة عادلة، وسنّة قائمة، وما خلاهن فضل ...».

(٤) عُرّف علم العقائد بعلم الكلام لدواعي متعدّدة منها أنّ العلماء عندما بحثوا في أنّ كلام الله تعالى هل هو مخلوق أو قديم وهل إنّ كلامه كلام نفسي أو إيجاد الكلام في الأشياء وصار في هذه الأبحاث خلاف كبير أدّى إلى محاربة بعضهم البعض فسمّي البحث في العقائد بعلم الكلام للغلبة في ذلك، وهناك وجوه ستّة أُخرى ذكرها سيّدنا الأُستاذ في (دروس اليقين في معرفة أُصول الدين) المجلّد الأوّل من موسوعته الكبرى (رسالات إسلامية) فراجع.

للإنسان أي يهتمّ بتربية البدن وفيه نصيب للروح والعقل أيضاً.

وعلم العقائد كما تعلمون هو علم أُصول الدين أي يعتني بمعرفة المبدأ والمعاد[١] وما بينهما من النبوّة والإمامة ومن صفات الله تعالى كالعدل الإلهي، أي يكون البحث فيه عن الله تعالى وعن فعله وعن إرسال الرسل للناس وإنزال الكتب ونصب الإمام من قبل الله تعالى، وعلم الأخلاق: يبحث عن الأخلاق الحميدة والحثّ عليها وذكر آثارها الدنيوية والأُخروية، وذكر الأخلاق الذميمة والنهي عنها والترفّع عن التلبّس بها وذكر آثارها أيضاً، وعلم الفقه: يبحث عن فروع الدين كالصلاة والصوم والحجّ وغيرها وبيان فلسفة هذه التكاليف ومعرفة آثارها كالاقتصادية المتمثّلة بدفع الزكاة وأداء الخمس وكالاجتماعية المتولّدة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك، وكذلك يبحث عن المعاملات بالمعنى الأعمّ والأخصّ.

فهذه العلوم التي فصّلنا الحديث فيها هي العلوم التي تنفع الإنسان فيما لو علمها، وتضرّه فيما لو جهلها. ربما يسأل السائل لماذا هذا التعمّق في هذه العلوم؟ فنجيب عن هذا التساؤل، بأنّنا قد ذكرنا قول الإمام السجّاد عليه السلام وذكرنا أنّ من العدل الإلهي أن تتساوى على أقلّ التقادير كفّتي العلم البشري والعلم الإلهي، فإذا استطاع الإنسان من خلال علومه البشرية تسخير الفضاء والصعود إلى الكواكب الأُخرى، فلا بدّ له أيضاً من تسخير الروح الإنسانية والصعود فيها إلى أعلى

---

(١) المبدأ والمعاد هما مصطلحان في علم الكلام ويراد بالأوّل إثبات وجود وتوحيد الله تعالى وما يتعلّق ببحث التوحيد ويراد بالثاني ما يتعلّق بيوم الحساب ويوم المعاد الذي ترجع فيه الناس للحساب.

درجات الكمال والرفعة، فإذن لا بدّ من التعمّق في أُصول الدين وفي الأخلاق وفي الفقه، ولا بدّ من التعمّق في معرفة القرآن الكريم وكلمات أهل البيت عليهم السلام، فبهذه المعرفة وبهذا العمق يزداد الإنسان عملاً، فإنّه جاء في الحديث الشريف: «المعرفة تدلّ الإنسان على العمل والعمل على المعرفة»[1]. فعلى هذا القول يتّضح لنا أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين معرفة الإنسان وعمله.

وإذا عرفنا السيّدة زينب عليها السلام بمعرفة جمالية بعدما كنّا نعرفها بمعرفة جلالية، تلك المعرفة التي يعرفها بها الوضيع والشريف والجاهل والعالم، وتجد الجميع عندما يدخل إلى حرمها يعظّمها ويحترمها، ولو كان إنساناً غير متأدّب بالآداب الدينية، فنراه يقبّل الضريح والباب حبّاً وتعظيماً ولسان حاله يقول:

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حبّ من سكن الديارا

نراه يعرف عظمة زينب وأهل زينب عليهم السلام، ولكن هذه الزيارة السطحيّة غير كافية في أن تمنع هذا الإنسان من المعصية، لأنّها بُنيت على معرفة جلالية، ولذلك تجد ذلك الرجل المسيحي[2] عندما يكتب عن أمير المؤمنين عليه السلام ويعرف أنّ عليّاً رجل عظيم شديد العدل ولشدّة عدله قتل في المحراب، لكنّه لا يترك مسيحيّته، ولم يتمسّك بنهج علي عليه السلام مع أنّه يعترف بعظمة علي وسموّ علي وجلال علي عليه السلام، إلّا أنّه يبقى على مسيحيّته، فمعرفة هذا الرجل هي معرفة

---

(١) عن حسين الصيقل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا يقبل الله عملاً إلّا بمعرفة، ولا معرفة إلّا بعمل، فمن عرف دلّته المعرفة على العمل ...»، الكافي ١: ٩٤.

(٢) الكاتب العربي المسيحي المعروف جورج جرداق في كتابه (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية).

جلالية، ثمّ تراه يقول في حقّ نهج البلاغة إنّه كلام دون الخالق وفوق كلام المخلوق، ولكن مع ذلك لا تجده يوالي أمير المؤمنين عليه السلام في عقيدته، ولا يتّبعه في سلوكه وأفعاله، فهذا دليل على أنّ معرفته لم تصل إلى رتبة المعرفة الجمالية التي لها الأثر الكبير في علاقة العارف بأهل البيت عليهم السلام، وهكذا معرفة البعض لزينب عليها السلام فإنّه يعرفها أنّها شقيقة الإمام الحسين عليه السلام وهي البطلة التي تحدّت الطغاة في عصرها وعلّمت الأجيال كيف يعيش الإنسان حرّاً، وهي التي كان لها الدور الأكبر والأوسع في نشر ثورة الحسين عليه السلام لكنّه مع ذلك لا يتورّع عن النظر إلى المرأة الأجنبية وهو في حرم زينب عليها السلام، وهذا ينطبق على كلّ عارف بزينب معرفة جلالية إذا لم يكن هناك ورع ومانع للمعصية، ومن جهة أُخرى لو خلّيناه ومعرفته الجلالية فإنّها غير كافية عن منعه من ارتكاب المعصية.

إنّ المذياع ومكبّرات الصوت في الصحن والحرم الشريف يكرّر مراراً بقوله: على الشباب أن لا يكونوا في قسم النساء من الصحن الشريف، لهو دليل على أنّ الداخل إلى الحرم الشريف لا يراه حرماً ولا يراه شريفاً، وإلّا كيف يجرؤ على المعصية، إنّه لشيء عجيب، مسلم غيور يحتاج إلى منعه عن سوء الأدب في الحرم الشريف، إلى تنبيه، بل إلى وجود رجال شرطة وأمن، من هذا الذي يحتاج إلى ذلك؟ المسلم الغيور لا يحتاج إلى ذلك، والشيعي الحقيقي لا يحتاج إلى ذلك، مع أنّ الكلّ يحترم زينب عليها السلام لكنّ المعرفة متفاوتة، فمنهم يعرفها بمعرفة جلالية فقط، فلذلك لا يتورّع عن المعصية، ولو كان عارفاً بحقّها معرفه جمالية لصدرت منه أعلى درجات التقديس لصاحبة المكان، وتراه يدخل إلى حضرتها خاشعاً متأدّباً بآداب المكان، وتتجلّى فيه الآية الكريمة:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ

اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾[1].

فهذا الغضّ البصري فيه دلالة على أنّ الداخل عارف بجمال زينب عليها السلام وعلوّ قدرها، لكن هل يستطيع الإنسان أن يعرف ذات زينب وحقيقتها؟ نقول قد يرتقي الإنسان إلى معرفة زينب عليها السلام إلى أعلى درجات المعرفه الجمالية ولكنّه ربما لا يمكن له أن يقف على الذات الزينبية إلّا من كان محيطاً بها كالمعصومين عليهم السلام.

فإذا عرف الإنسان أنّ المعرفة تدلّه على العمل، وأنّ هناك ارتباط وثيق بين المعرفة والعمل، تجده حينها يغتنم كلّ الفرص لينهل من المعارف الإلهيّة لما يؤهّله أن يكون الأفضل في يوم القيامة، لأنّ الفضل على درجة المعرفة، وهذا ما أشار إليه إمامنا الصادق عليه السلام بقوله: «ليس الفضل بالصلاة والصوم والحجّ وإنّما الفضل بالمعرفة»[2] فربما يحجّ المرء ولا يعرف الحقّ وربما يحجّ ولا يعرف إمام زمانه، فمثل هذا الحجّ لا ينفع، لأنّ الله سبحانه ابتلى الإنسان ليرى من هو أحسنهم عملاً لا من هو أكثرهم عملاً، فالتعرّف إلى كيف العمل لا إلى كمّ العمل، حتّى أنّه ورد في كتاب الكافي أنّه يستحبّ قلّة العمل[3]، لأنّ كثرة العمل ربما تؤدّي إلى العجب أو

---

(١) النور: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) إشارة إلى الحديث الشريف في ميزان الحكمة ـ كلمة عرف.

(٣) إشارة إلى الحديث الشريف عن حنان بن سدير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله عزّ وجلّ إذا أحبّ عبداً فعمل قليلاً جزاه بالقليل الكثير... أُصول الكافي ٢: ٩٢، وعنه عليه السلام عن عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: «إنّي لأُحبّ أن أُداوم على العمل وإن قلّ»، وهناك أحاديث كثيرة في هذا الباب ـ أُصول الكافي ٢: ٨٨.

إلى الرياء والسمعة، ولهذا أيضاً يعتمد علماء الأخلاق على حسن العمل ولكن لكي يكون العمل حسناً لا بدّ من شروط، وأهمّ هذه الشروط حسن العقيدة، أي أنّ أوّل الشروط: الإيمان حيث أنّ العمل بلا إيمان لا ثواب فيه ولا قيمة له[١]، فإذن الكفر يحبط العمل مهما كان هذا العمل كثيراً وكبيراً[٢]، وخير شاهد على ذلك ما حصل للشيطان ذلك العابد الذي تعجّبت من عبادته الملائكة إلّا أنّه في لحظة غرور وعجب أنهى كلّ شيء، واضطرّ لمطالبة الله تعالى بأجره الدنيوي، فأعطاه الله تعالى أجره حيث أنظره إلى يوم معلوم[٣]، وهكذا كلّ من يعمل عملاً جبّاراً لا ثواب له في الآخرة طالما هو كافر، وترى ذلك واضحاً في هذا العالم الذي خدم البشرية خدمةً لا يستهان بها وأقصد بذلك (أديسون) مكتشف الكهرباء، إنّما أجره حصل عليه في الدنيا، فكلّما بقيت الكهرباء ونفعت بقيت ذكرى أديسون قائمة إلى حين، وأمّا في يوم القيامة فإنّه يحبط العمل بالكفر، لأنّ حسن العمل مشروط بالإيمان.

---

(١) في هذا إشارة إلى الآيات الكريمة في سورة العصر حيث تقول السورة: ﴿ وَالعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (العصر: ١ ـ ٣)، ولم تكتفِ الصورة بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، كما أنّها لم تكتفِ فقط بالإيمان بل أردف ذلك بالعمل الصالح ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ بل ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾.

(٢) إشارة إلى الحديث الشريف عن أبي أُميّة يوسف بن ثابت، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا يضرّ مع الإيمان عمل، ولا ينفع مع الكفر عمل ...» الكافي ٢: ٤٥٣.

(٣) إشارة إلى الآية الكريمة التي تبيّن المحاورة بين الله سبحانه والشيطان الذي طلب من ربّه أجره فقال كما في الآية الشريفة: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤ ـ ١٥).

الشرط الثاني ـ العلم والمعرفة : فإنّ العالم خيرٌ من العابد الجاهل[١] حتّى لو عبد الله تعالى ليل نهار فإنّ عمله لا يرتقي إلى مستوى عمل العالم، فلذلك قال أمير المؤمنين روحي فداه : «قصم ظهري اثنان : جاهل متنسّك، وعالم متهتّك»، فترى الذي قصم ظهر أمير المؤمنين عليه السلام ذلك العابد الجاهل لأنّ حسن العمل بالمعرفة، وحسن العقيدة بالمعرفة، والفضل بالمعرفة.

الشرط الثالث ـ التقوى : لأنّ الله تعالى لا يتقبّل من الفاسق :

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[٢].

وإن كان العمل مسقطاً للتكليف، ولكن قبول العمل غير سقوط وجوبه، فصلاته قد أسقطت التكليف لكن لا تكون مقبولة[٣]، ولا ناهية عن الفحشاء والمنكر، ولا معراجاً إلى السماء، ولا تكون هذه الصلاة الفارغة عن المضمون قرباناً، لأنّ الصلاة قربان كلّ تقيّ ومعراج كلّ مؤمن، ففي هذه الصلاة الفارغة لا يحسّ بالمعراجيّة إلى الله سبحانه.

---

(١) إشارة إلى أحاديث كثيرة في هذا المعنى، ومنها قوله صلى الله عليه وآله : «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر»، قصار الجمل للمشكيني ٢ : ٦٢، ولا يكون للعالم فضل على العابد إلّا إذا كان العابد ليس بعالم.

(٢) المائدة : ٢٧.

(٣) إشارة إلى الأحاديث التي تبيّن أنّ الصلاة إذا كانت فارغة المضمون ليس لها قيمة تذكر كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام : «إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»، قال الصلاة حجزة الله وذلك أنّها تحجز المصلّي عن المعاصي ما دام في صلاته. وكما في قوله عليه السلام : «أوّل ما يحاسب به العبد الصلاة، فإن قبلت قبل سائر عمله وإذا ردّت ردّ عليه سائر عمله» ـ قصار الجمل ١ : ٣٨٧ ـ ٣٨٨.

إذا عرج بالنبيّ ﷺ في ليلة إلى السماء، فإنّ المؤمن يعرج في كلّ صلاة إلى الله تعالى، وهذا ما يؤكّده الحديث الشريف: «الصلاة معراج المؤمن»، فالنبيّ ﷺ عرج به إلى السماء ورأى ما رأى عند سدرة المنتهى، وما كذب الفؤاد ما رأى.

فلماذا لا نرى في صلاتنا شيئاً، إذا كانت الصلاة معراج المؤمن؟

فالجواب واضح جدّاً وهو أنّ الحجب التي بيننا وبين الملكوت هي الحائل دون الرؤية. ونجد أنّ نبيّ الله إبراهيم عليه السلام حينما طلب من ربّه رؤية الملكوت، تفضّل عليه ربّه وأراه ملكوت السماوات والأرض[1] أي اراه ظاهر وباطن كلّ شيء، لأنّ لكلّ شيء ظاهر وباطن حتّى الجنّة والنار لهما ظاهر وباطن، مع أنّ من الأشياء ظاهره الرحمة وباطنه الغضب، وربما العكس ظاهره الغضب وباطنه الرحمة.

فظاهر هذه الأشياء التي أمامنا تسمّى بالمُلك وباطنها يسمّى بالملكوت، ولهذا نرى الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه يقول: «اللهمّ أرنا حقائق الأشياء»[2]، يعني اللهمّ أرنا ملكوت الأشياء وأرنا هذه الحالة التي تَعمّ جميع الكون وهي تسبيح هذا الكون لبارئه، إلّا أنّنا لا نفقه تسبيحهم بسبب الذنوب التي صارت حجاباً بيننا وبين هذا التسبيح، فكلّ شيء يسبّح ويهلّل لله سبحانه وتعالى، وذلك في سيره التكاملي في حركته الجوهرية، وكلّ شيء يمشي لكي يصل إلى معشوقه الأوّل وهو الله تعالى، وهذا التسبيح هو مقام الجلال، والحمد لله هو مقام

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ ﴾ (الأنعام: ٧٥).

(٢) إشارة إلى الدعاء الوارد في الصحيفة السجّادية للإمام زين العابدين عليه السلام.

الجمال، والشواهد والقصص في هذا الباب كثيرة، فإنّ أحد أولياء الله تعالى يسمع حفيف الشجر ويسمع من خلاله التهليل والتسبيح، وذلك من ضرب الورق بعضه ببعض، فيمكن للإنسان أن يصل إلى هذه المرحلة، فلا تعجب من ذلك، فقد اتّفق الفريقان ـ السنّة والشيعة ـ على أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قال في الحديث القدسي عن الله تعالى: «العبد يتقرّب إليَّ بالنوافل حتّى أُحبّه فإذا أحببته أكون سمعه الذي به يسمع، وبصره الذي به يبصر، ويده التي بها يبطش»، فيكون سمعه سمع الله، وبصره بصر الله، ويده يد الله، ويد الله فوق أيديهم، ينقل أنّ شابّاً اشتكى عند عمر ابن الخطّاب على أبي الحسن عليّ بن أبي طالب أسد الله الغالب عليه السلام بأنّه ضربه في السوق فاحمرّ وجهه، فقال عمر: يا أبا الحسن، لِمَ ضربته؟ قال: لأنّه نظر إلى امرأة أجنبية ورأيت ذلك منه، فضربته كي يمتنع عن هذا، فقال عمر بن الخطّاب: عين الله رأت ويد الله ضربت. هذه معرفة عمريّة، فكيف بالمعرفة العلويّة، فأكثر أولياء الله وصلوا إلى هذا المقام، وكلّ أحد له أن يصل إلى هذه المرحلة سيّما الشباب، فإنّه يكفيهم التحرّك بقدمين: القدم الأُولى أن يضعها على النفس[1]، والقدم الثانية في الجنّة، فإنّ في مخالفة الهوى ومخالفة النفس الجنّة، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ

---

(١) مراد السيّد الأُستاذ أن يسحق المؤمن العاقل هوى النفس ويضع جميع شهواتها تحت قدمه لكي ينتصر على هواه ويخالفه، فإنّ في مخالفته دخول الجنّة، وكما في الآية الشريفة: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى ﴾ (النازعات: ٤٠ ـ ٤١).

المَأوَى ﴾[١].

والجنّة يمكن رؤيتها لأنّها من الملكوت، وكلّما وصل الإنسان إلى الرتبة التي تؤهّله لرؤية الملكوت فإنّه يراها، وخير شاهد على ذلك الرجل الذي جاء إلى أُستاذنا قدس سره وهو رجل قروي يقول: عندما قمت إلى صلاة الليل نظرت إلى السماء وإذا بي أرى عرش الله تعالى، وقطعاً إنّه رأى العرش المسمّى وليس العرش الإسمي[٢]، وهذا يتمّ بشروطه، التي هي حسن العمل، والعلم والمعرفة، والتقوى، لأنّ الله سبحانه إنّما يتقبّل من المتّقين.

الشرط الرابع ـ الولاية: جاء في الحديث الصحيح في مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي: «لو عبد الإنسان ربّه بين الركن والمقام في الليل والنهار حتّى يكون كالشنّ البالي قائماً ليله صائماً نهاره ولم يوالي عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإنّه لا يقبل منه»[٣]، فحسن العمل ولاية أهل البيت عليهم السلام، فهذا هو الذي جعل العدوّ يشهد لعليّ عليه السلام بقوله[٤]:

قسماً بمكّة والحطيم وزمزم ... والراقصات وسعيهنّ إلى منى
ببغض الوصيّ علامة مكتوبة ... كتبت على جبهات أولاد الزنى
من لم يوالي في البريّة حيدراً ... سيّان عند الله صلّى أم زنى

---

(١) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

(٢) تفصيله في كتاب (الإمام الحسين عليه السلام في عرش الله) للسيّد المحاضر، وهو مطبوع.

(٣) مناقب عليّ بن أبي طالب؛ لابن المغازلي، وللسيّد الأُستاذ بحث مفصّل عن الولاية في كتابه القيّم (هذه هي الولاية) المجلّد الخامس من موسوعة (رسالات إسلامية) فراجع.

(٤) قال ذلك أحد العباسيين، وهو الناصر العباسي.

فحسن العمل يعتمد على المعرفة والتقوى والإيمان والولاية، إذن من عرف أهل البيت عليهم السلام حقّ المعرفة فإنّه لا يرتكب ذنباً، وكذلك من عرف الله تعالى وأنّه يرى عمله كما أنّ رسوله والمؤمنون الذين هم أهل البيت عليهم السلام يرون الأعمال[1]، وقد يراه أيضاً الأمثل فالأمثل أي من كان قريباً من الأئمة كزينب الكبرى وإن كانت هذه الرؤية جزئية وليست كلّية، فإنّه لا يقدم على أيّ ذنب حياءً وخجلاً ممّن يرى، فإذا عرفنا أنّ الإمام الحجّة عليه السلام تُعرض عليه الأعمال في كلّ خميس واثنين[2]، وتيقّنّا ذلك وآمنّا به، فعندها لا يمكن أن يصدر منّا ذنباً.

وهكذا فإنّ من يدخل إلى حرم السيّدة زينب الكبرى عليها السلام وهو يعلم أنّها تراه، فإنّه لا يعصي الله سبحانه خجلاً منها واحتراماً لها، فتكون زينب عليها السلام سبباً في منعه عن المعصية، لأنّ الدخول في رحابها يجعل الداخل في عالم آخر، ولكن لو دخل إليها ومع كلّ ذلك عصى ربّه وأساء الأدب في الحرم الزينبي، فهذا مثله مثل أُولئك الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: ما لنا يا رسول الله عندما نجلس إليك وتحدّثنا عن الدنيا نزهد فيها ونتوجّه إلى الله، ولكن إذا خرجنا منك ولقينا

---

(١) إشارة إلى الآية الشريفة: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة: ١٠٥).

(٢) إشارة إلى الحديث الشريف عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «تعرض أعمال الناس كلّ جهة مرّتين، يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكلّ عبد مؤمن إلّا من كانت بينه وبين أخيه شحناء، فقال اتركوا هذين حتّى يصطلحا»، قصار الجمل: ٧٢. وهناك أحاديث كثيرة تشير إلى عرض العمل في يومي الخميس والاثنين.

الأهل والأولاد نسينا كلّ ذلك فأدركنا يا رسول الله لعلّنا صرنا من المنافقين، فأجابهم النبيّ ﷺ: «لولا هيام الشياطين على قلوبكم لرأيتم ما أرى، ولسمعتم ما أسمع».

ومن الشواهد على هذا وصيّة سيّدنا الأُستاذ المرعشي النجفي رحمة الله عليه إلى ولده السيّد محمود، يقول: «ولدي محمود، إنّي من خلال الأوراد والأذكار وصلت إلى مقام أسمع ما لا يسمعه غيري، وأرى ما لا يراه غيري»[1]، وكثير معي عاصروا هذا السيّد الجليل فليس الكلام عن هذا من المثاليات، بل هو قدوة حاضرة، فإذن لا بدّ من المعرفة والعمق فيها لنزداد عملاً حسناً، ونحصل على سلوك أخلاقي رفيع، ولكي نزداد خضوعاً وخشوعاً وتقرّباً إلى الله تعالى، لا بدّ من معرفة أهل البيت عليهم السلام والتعمّق في معرفتهم ومعرفة مقامهم الشامخ، لأنّهم الوسيلة إلى الله تعالى، ولكن إنّما تتمّ المعرفة من خلالهم، بل حتّى لو أردنا معرفة القرآن الكريم فلا بدّ أن يكون من طريقهم وهذا ما يؤيّده حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين في أنّ النبيّ ﷺ قال: «إنّي مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض»[2]، فهما لن يفترقا في كلّ شيء فمتى ما كان القرآن الكريم كان ترجمانه معه، لأنّ القرآن الكريم هو القرآن الصامت التدويني، وأهل البيت عليهم السلام

---

(١) كما جاء في كتاب السيّد الأُستاذ العلوي (قبسات من حياة سيّدنا الأُستاذ).

(٢) هذا الحديث جاء في كتب الفريقين، أخرجه الترمذي ٥ : ٣٢٨، الحديث ٣٨٧٤، وفي ينابيع المودّة : ٣٣، كنز العمّال : ١٥٣، وغيرها من الكتب السنّية المعتبرة، وهو عندنا من باب أولى.

هم القرآن الناطق العلمي[١]، وإنّي أرى أنّ القرآن كان قبل خلق الإنسان، ويدلّ على ذلك ما جاء في سورة الرحمن في قوله تعالى:

﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ القُرْآنَ * خَلَقَ الإنسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ ﴾[٢].

فالإنسان يكون بين علمين علم القرآن وعلم البيان، بل إنّ الإنسان خلق بين علم القرآن وعلم بيان القرآن، ولكن لا بدّ للقرآن من مبيّن ألا وهم أهل البيت عليهم السلام ومن حذا حذوهم من العلماء الصالحين، وبما أنّنا عرفنا أنّ أهل البيت لن يفترقوا عن القرآن، فيلزم أن يكونوا مع القرآن في أوّل وجوده، وبهذا يكونوا قد سبقوا الخلق بوجودهم.

فإذا اردنا أن نعرف القرآن فلا بدّ أن يكون من خلالهم عليهم السلام ونعرفهم من خلال القرآن، ولا نقول كما قال غيرنا حسبنا كتاب الله، ولا نقول كما قالوا: حسبنا أهل البيت عليهم السلام[٣]، بل نقول القرآن مع أهل البيت لن يفترقا، ولهذا الترابط الوثيق نجد أهل البيت عليهم السلام يحتّون شيعتهم على عرض أقوالهم وأحاديثهم على القرآن الكريم، فما وافق القرآن نأخذ به، وما خالفه نضرب به عرض الجدار،

---

(١) لأنّ للقرآن مراتب ووجودات متعدّدة ومن مراتبه القرآن العيني الذي يترتّب عليه الأثر وهم أهل البيت عليهم السلام.

(٢) الرحمن: ١ ـ ٤.

(٣) أوّل من قال ذلك هو عمر بن الخطّاب في مرض النبيّ صلى الله عليه وآله عندما طلب منهم صلى الله عليه وآله دواة وكتف ليكتب لهم كتاب وحصل نزاع بين القوم بين من يؤيّد إحضار الدواة والكتف وبين من لا يؤيّد ذلك، فحسمها عمر بقوله هذا: «حسبنا كتاب الله»، أي لا حاجة بنا إلى غيره، ولا نقول إنّ أهل البيت عليهم السلام يغنونا عن كتاب الله تعالى لأنّهما لن يفترقا فلا بدّ من التمسّك بهما لا بأحدهما دون الآخر.

وأنّه من زخرف القول، وباطل لم يصدر عنهم، لأنّهم لا يخالفون القرآن[١]، وهذا معنى قول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عندما رفع القرآن على الرماح في صفّين: «أنا القرآن الناطق»، وهذا قرآن صامت مع ما له من الإكرام والعزّة، فإذا عرفنا هذا الكلام سيبدو بنا الشوق للقاء إمامنا الحجّة عليه السلام هذا الأمل الوحيد للشيعي الخالص المخلص، بل أُمنية كلّ مؤمن أن يرى مولاه وإمام زمانه عليه السلام ولكن إذا منعتك الموانع[٢] من رؤيته فها هو شريكه بين يديك وهو كتاب الله العزيز عدل صاحب الزمان، فلنشتاق إليه ونقوم له إجلالاً كما نقوم عند ذكر صاحب الزمان، فإذا كان مدلول قيامك لإمامك الحجّة (عجّل الله فرجه الشريف) هو أنّك منتظر خروجه، فإنّ هذا القرآن لا بدّ من احترامه والقيام له، فإنّه كتاب عزيز كريم، ولذا نجد السيّد الطباطبائي صاحب تفسير الميزان كان لا يبيت في مكان فيه قرآن، ولا يمدّ رجله في مكان فيه قرآن أبداً في طوال حياته تعظيماً للقرآن الكريم. فإذا أردنا أن نحترم القرآن لا بدّ من تأدية حقّه، وهو أن نتلوا منه في كلّ يوم على أقلّ

---

(١) ورد عنهم أحاديث كثيرة تحثّ شيعتهم على عرض ما ورد عنهم على كتاب الله تعالى لكي يمتاز ما كان عنهم عن ما وضع من قبل الواضعين لأنّ حديثهم لا يختلف عن ما في القرآن الكريم ومن هذه الأحاديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نور، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه» (بحار الأنوار ٢: ٢٢٧)، وهناك أحاديث ورد فيها كلمة «فاضربوا به عرض الجدار» «فهو زخرف لم نقله»، والكلّ يؤدّي نفس المعنى.

(٢) هذه الموانع هي الذنوب والمعاصي التي أشار إليها الإمام الحجّة (عج) في وصاياه لشيعته فقال في هذه الفقرة: «ولو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا».

التقادير خمسين آية كما ورد في الروايات الشريفة[١]، فنأنس بالقرآن وبأهله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وقد نزل الوحي في بيوتهم، ألا وهم محمّد وآل محمّد عليهم السلام، ومن آل محمّد زينب الكبرى روحي فداها، ولا يزال الحديث عن مقام من مقاماتها الشامخة، ألا وهي عصمتها، وهذا ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كلّ يوم خمسين آية» أُصول الكافي ٢: ٥٨٢.

(المحاضرة الرابعة)

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيّد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

لا زلنا وإيّاكم في رحاب السيّدة زينب الكبرى في رحاب روضة العلم والنور.

ولقد كان الحديث عن أحد مقاماتها الا وهو عصمتها، فهل إنّ زينب الكبرى معصومة ؟

وهل هناك فرق بين عصمتها وعصمة أُمّها الصدّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام ؟

هذا ما سنتحدّث عنه اليوم إن شاء الله تعالى.

قبل الوصول في حديثنا إلى عصمة السيّدة زينب عليها السلام لا بدّ لنا أن نتحدّث عن عصمة أُمّها الصدّيقة الطاهرة إجمالاً.

فنقول :

إنّ فاطمة الزهراء عليها السلام تتجلّى فيها العصمة الإلهيّة الكبرى، لأنّ الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العليا، فعند خلقه للإنسان أشار إلى فلسفة خلقته،

وبيّن أنّ المراد من خلق الإنسان هو تكامل هذا الإنسان[١]، وإنّ هذا التكامل لا يتمّ إلّا بالرحمة والعلم والعبادة فيصير الإنسان خليفة الله تعالى في الأرض ويكون مظهراً لأسمائه وصفاته وقال تعالى:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[٢].

وهذه الخلافة هي خلافة الأسماء والصفات[٣].

فالخلافة تارةً تكون مادّية وأُخرى أخلاقية، وخلافة الإنسان لله تعالى هي من القسم الثاني ونسمّيها بخلافة الأسماء والصفات لأنّ الله تعالى ذات محيطة بكلّ شيء ولا يحاط به، فمعرفة ذاته محال، بل تقود إلى الحيرة والضلال كما ورد في الحديث الشريف[٤]، إلّا أنّ لنا أن نعرفه من خلال أسمائه وصفاته، وأمرنا الشارع بذلك فلنا أن نتفكّر بصفاته الذاتية والفعلية وكونه عالماً وقادراً وحيّاً، وأنّ

---

(١) إشارة إلى الآية القرآنية الكريمة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦)، ومن تفاسير كلمة (ليعبدون) أي ليعرفون، فإنّ المعرفة هي أساس العبادة لأنّ «أوّل الدين معرفته» وبالمعرفة يتكامل الإنسان.

(٢) البقرة: ٣٠، ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾، وفي الآية ٣٦ من سورة ص ما يدلّ على الخلافة الإلهية.

(٣) مراده من خلافة الأسماء والصفات هو التخلّق بأخلاق الله تعالى كما ورد في الحديث الداعي إلى التخلّق بأخلاق الله تعالى وعكس صفاته وأسمائه فيكون الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يحمل كلّ صفات الله تعالى فاستحقّ أن يكون خليفته في ذلك.

(٤) إشارة إلى الحديث الشريف: «عن أبي جعفر عليه السلام: تكلّموا في خلق الله ولا تتكلّموا في الله، فإنّ الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلّا تحيّراً» الكافي، الجزء الأوّل، باب التوحيد.

هذه الصفات تتجلّى في خلقه فترى الخلق كلّه يسبّح بحمده[١]، فمثلاً نرى صفة الحياة تتجلّى في خلقه، ولكن هذه الحياة لها مراتب متعدّدة، كالرتبة الجمادية والنباتية والحيوانية والإنسانية والملائكية والرتبة العليا هي الرتبة الإلهية، وهكذا قدرته وكلّ أسمائه وصفاته تتجلّى وتظهر في هذا الكون الذي هو مرآة عاكسة لصفات الله تعالى، والذي يجمع هذه الصفات ويعكسها كلّها وتتجلّى فيه هو الإنسان الكامل فيسمّى بجامع الجمع[٢]، لأنّ هناك من المخلوقات ما يتجلّى فيه صفة واحدة من صفات الله تعالى وبعضها أكثر من ذلك وكلّ بحسبه، فالإنسان الكامل هو المخلوق الوحيد الذي تتجلّى فيه ألف وواحد من الصفات، وتسعة وتسعون منها تسمّى بالأسماء الحسنى لورودهافي القرآن الكريم، وهذه الأسماء لها الأثر التامّ عند الدعاء بها، ولكن لا بدّ لنا أن نعرف من هو الإنسان الكامل؟ فيكون الجواب هو من كانت له الرتبة العليا والسيادة المطلقة على الخلق ألا وهو النبيّ الأكرم محمّد بن عبد الله ﷺ أي أنّ هذه الأسماء والصفات تتجلّى كاملةً في الحقيقة المحمّدية، وهذه الحقيقة تتجلّى في الأنبياء والأئمة عليهم السلام ثمّ العلماء ثمّ الأمثل فالأمثل. فلهذا صار الإنسان خليفة الله تعالى في الأرض الذي يحمل

---

(١) إشارة إلى الآيات القرآنية الكثيرة التي تصرّح بأنّ كلّ ما في الوجود يسبّح لله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء: ٤٤)، وهذا ما ورد في سورة الحشر أيضاً ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ (الحشر: ١)، وهذه الآية تكرّرت في سورة الصفّ ـ سورة الحديد ـ وسورة الجمعة بزيادة.

(٢) سمّي بجامع الجمع لأنّه جامع لجميع الصفات الإلهية والأسماء الحسنى.

أسماء وصفات الله تعالى.

ومن أسماء وصفات الله تعالى اسم الطاهر والمعصوم أي المنزّه عن كلّ نقص وقبيح، مع أنّه قادر على فعل القبيح، إلّا أنّه لا يفعل القبيح وهذا ما يعتقده الشيعة في قبال اعتقاد الأشاعرة والمعتزلة[1]؛ لأنّه بفعله للقبيح يكون محتاجاً أو جاهلاً أو ناقصاً، ولكنّه تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

فالله تعالى هو الطاهر مطلقاً والمعصوم مطلقاً بالقياس إلى غيره أي الممكن الذي تحدّه بداية ونهاية، والذي تكون العصمة فيه أمراً نسبياً، بينما تكون في الله تعالى مطلقة، لأنّه أزلي أبدي سرمدي وهو الخالق للزمن وما وراء الزمن.

وبناءً على ما سبق فإنّ العصمة والطهارة تتجلّى في الأنبياء وفي الأئمة عليهم السلام، لأنّ مسؤولية الجميع واحدة ووظيفتهم واحدة، فالنبيّ مسؤول عن هداية البشر والإمام مسؤول عن حفظ هذه الهداية وإدامتها، فتتجلّى العصمة الإلهية في الأنبياء، وتتجلّى العصمة الإلهية والنبوية في الأئمة، فعلى هذا لا بدّ للخليفة الذي

---

(١) هناك ثلاثة أقوال في المسألة:

الأشاعرة: قالوا بأنّه تعالى فاعل لكلّ فعل حتّى القبيح ولا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون، فتعالى الله عن ذلك.

المعتزلة: فراراً من هذا القول قالوا: القبيح فعل صادر من الإنسان وليس لله تعالى أيّ دخل فيه فعزلوا الله تعالى عن سلطانه، فلزم من ذلك النقص والنقص قبيح.

الإمامية: يقولون إنّ الله تعالى على كلّ شيء قدير حتّى على فعل القبيح، لكنّه لا يفعل القبيح لعدم وجود الداعي، لأنّه ليس بجاهل أو محتاج أو عابث أو مجبور على فعل القبيح، فإذا انتفى الداعي لفعل القبيح امتنع وقوعه.

(وهناك تفصيل في المسألة مذكور في محلّه).

يلي الرسول في مهمّته الإلهية وحفظ الرسالة، أن يكون معصوماً، لأنّه الحافظ للشريعة التي جاء بها النبيّ، ثمّ إنّ القرآن الذي هو كتاب الهداية معصوم من كلّ خطأ، فلا بدّ لحافظه ومفسّره ومبيّنه أن يكون معصوماً، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة التي أمرتنا أن نعتصم بحبل الله تعالى وقالت:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ﴾[1].

فلو لم يكن الحبل معصوماً لما طلبت الآية الاعتصام به، ونحن نعلم أنّ القرآن الناطق هو الإمام فلا بدّ له أن يكون معصوماً.

وإلى ذلك أيضاً أشارت الآيات القرآنية في قصّة الطوفان وسفينة نوح عليه السلام وبيّنت أنّ السفينة هي المكان الوحيد للنجاة وكلّ ما سواها لا يعصم من الغرق حتّى الجبل بشموخه وصلابته، فإنّه لا يستطيع أن يحمي ابن النبي نوح عليه السلام الذي التجأ إليه[2]، ففي هذا دلالة واضحة على عصمة السفينة ومن يركبها ينجو ومن يتخلّف عنها يغرق ويهوى، ولوجود مناسبة وتشابه بين سفينة نوح عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام نرى النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله يمثّل أهل بيته بسفينة نوح ويأمر الأُمّة في مواطن عديدة بالتمسّك بهم حيث أشرت إلى ما يقارب أربعين وجهاً بين آية السفينة وحديث السفينة[3] وهو قول الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله في حقّهم: «مثل

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) إشارة إلى الآية القرآنية الكريمة: ﴿ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا المَوْجُ فَكَانَ مِنَ المُغْرَقِينَ ﴾ (هود: ٤٣).

(٣) جاء بيان ذلك في (الإمام الحسين عليه السلام في عرش الله) فراجع.

أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وهوى»[١]، فالعصمة الإلهية إذن تتجلّى في النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ثمّ تتجلّى في الوصيّ من بعده عليه السلام، وهذه العصمة عصمة ذاتيّة كلّية، فكما تتجلّى في النبيّ صلى الله عليه وآله تتجلّى أيضاً في خلفاء النبيّ صلى الله عليه وآله الاثني عشر عليهم السلام الذين كلّهم من قريش كما ورد في الصحيحين[٢]، ولهذه العصمة النبويّة والولويّة جامع ألا وهي فاطمة الزهراء عليها السلام، فهي جامعة للنور النبوي والنور العلوي، فلذا يعبّر عنها بالصدّيقة الكبرى ويعبّر عنها بعصمة الله تعالى، لأنّها جمعت بين العصمتين، ثمّ إنّ هذه العصمة منحها الله تعالى لعباده ناشئة عن اختبار وامتحان فامتحن الله تعالى الأنبياء بأن شرط عليهم العلم والزهد في هذه الدنيا الدنيّة، فشرطوا له ذلك، وعلم منهم الوفاء فقبلهم وقرّبهم إليه، وهذا ما أشار إليه الإمام في الدعاء، حيث يقول: «بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم وقرّبتهم وقدّمت لهم الذكر العليّ والثناء الجليّ»[٣].

إذن عصمهم الله تعالى بعد اختباره لهم في العوالم السابقة ـ كعالم الجبروت والملكوت والأرواح والمثال ـ على هذا العالم الناسوتي وهكذا بالنسبة لفاطمة

---

(١) السواعق: ١٣٥، مستدرك الحاكم، الجزء ٣، الطبراني ـ المراجعات: ١٧.

(٢) روى البخاري عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كنّا اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: كلّهم من قريش (صحيح البخاري ٩: ٨١)، وفي صحيح مسلم: «لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة أو يكون اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش» (صحيح مسلم ٦: ٤).

(٣) مفاتيح الجنان، دعاء الندبة: ٦٠٦.

الزهراء عليها السلام اختبرها الله تعالى بالصبر كما ورد في زيارتها يوم الأحد: «السلام عليكِ يا ممتحنة، امتحنكِ الذي خلقك قبل أن يخلقكِ، وكنت لما امتحنكِ به صابرة»[1]، فإذن اختبرها الله تعالى بالصبر الذي هو أساس الأخلاق ولم يختبرها بالزهد، لأنّ الزهد فرع من فروع الأخلاق. فلو سأل سائل: لِمَ اختبر الله تعالى أنبيائه بالزهد؟ فالجواب: إنّ الزهد في هذا الدنيا يؤهّل النبيّ لممارسة وظيفته التي بعث من أجلها، ألا وهي هداية الناس، فلا يكون غير الزاهد في الدنيا له القدرة على دعوة الناس للآخرة، فزهد الأنبياء يؤهّلهم للخوض في المجتمعات وعدم التلوّث بالمحيط الكافر، والبيئة المتلوّثة بالشرك والمعاصي.

نكتة أخلاقية:

إنّ العلماء ورثة الأنبياء كما ورد في الأخبار الشريفة، وللنبيّ أكثر من عشرين مقاماً ومن هذه المقامات مقام الهداية والحكومة والزهد، ولهذا فإنّ كلّ نبيّ زاهد حتّى النبيّ سليمان عليه السلام الذي ملك الدنيا بأسرها، لأنّ الزهد جمع في كلمتين كما في القرآن الكريم:

﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾[2].

فإذا قلنا إنّ العالِم يرث النبيّ، فلا بدّ أن يكون زاهداً بالإضافة إلى علمه، وهذه اللابدّية أخلاقية وليست شرعيّة، لأنّ الزاهد يحكم قلوب الناس، فلهذا حكم الأنبياء على قلوب المؤمنين به، وهكذا العالم الرباني فإنّه يحكم على قلوب

---

(١) مفاتيح الجنان: ٩٦، زيارة فاطمة الزهراء يوم الأحد.

(٢) الحديد: ٢٣.

المؤمنين إذا كان زاهداً ورعاً تقيّاً، فإذا كان الزهد شرطاً للنبوّة في عالم الذرّ فهو شرط للعلماء في هذا العالم الناسوتي.

فإذن تبتني عصمة الأنبياء الذاتية الكلّية الواجبة على العلم والزهد، وأمّا النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله وأهل بيته ابتنت عصمتهم على العلم والصبر.

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[1].

الفرق بين العصمتين:

أقول: إنّ هناك فرق بين عصمة الأنبياء السابقين لنبيّنا عليهم السلام وبين عصمة خاتم الأنبياء وأهل بيته الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين، ولكن هذا الفرق من حيث المبادئ والنتيجة، أي أنّ عصمة الأنبياء يصدر معها ترك الأولى[2]، ولكن عصمة النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته لا يصدر معها ترك الأولى، كما يلاحظ ذلك في قصّة آدم وداود عليهما السلام[3]، إلّا أنّ ترك الأولى لا يضرّ بالعصمة.

---

(١) السجدة: ٢٤.

(٢) مراده من ترك الأولى هو أنّ الأولى للإنسان أن يفعل كذا لأنّه في مصلحته ولائق بحاله ولكنّه لو لم يفعل فيسمّى تارك للأولى، وترك ما هو أولى من غيره ليس بمعصية لأنّه مخالفة لأمر إرشادي وليس لأمر مولوي أي أمر واجب.

(٣) في قصّة آدم عليه السلام عندما أكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عنها فكان الأولى أي الأحسن أن لا يأكل منها ولكنّه خالف الأمر الإرشادي وأكل وهذا ما ذكرته الآيات القرآنية، وقصّة داود عليه السلام الذي كان الأولى به أن يستمع إلى أصحاب الدعوى على حدّ سواء ولا يسمع أحدهما ويترك الآخر ولكنّه استمع إلى أحدهما دون الآخر، وهذا مذكور في الآيات القرآنية.

ثمّ إنّ العصمة التي تبتني على الصبر تجعل صاحبها على درجة من اليقين بحيث لو كشف له الغطاء لما ازداد يقيناً بينما نرى أنّ إبراهيم الخليل عليه السلام طلب من ربّه أن يرى ما يطمئنّ به القلب، وهذا لأنّ عصمته بنيت على العلم والزهد، في حين أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام لم يطلب ذلك من ربّه لأنّ صبره أساس الأخلاق، واليقين جزء من الأخلاق، إنّ الزهد والتقوى جنديّان من جنود العقل وحبّ الدنيا من جنود الجهل كما هو مبيّن في محلّه[1].

فلا بدّ للعاقل من الاتصاف بالزهد والتقوى وباقي الصفات التي أعدّها الله من جنود العقل، والصبر أساس لكلّ هذه الجنود، كما عند علماء الأخلاق والعرفان أنّ مراحل التهذيب عبارة عن التخلية والتحلية والتجلية، وكلّها تبتنى على الصبر.

فبالصبر لم يصدر من عليّ عليه السلام ترك الأولى، فلا يقال لمثله عليه السلام: كان الأولى له أن يفعل كذا في سياسته أو اقتصاده، وأعماله وسلوكه، وهكذا كان أولاده المعصومين عليهم السلام بالعصمة الذاتية المبتنية على العلم التامّ اللدنّي وعلى الصبر.

فإذا عرفنا أنّ العصمة التي عند النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام عصمة ذاتية، أي ذاتاً عصمهم الله من كلّ شين ونقص وذنب وخطأ ونسيان وحتّى ترك الأولى في النبيّ محمّد وآله الطاهرين عليهم السلام، وذلك باختبار وامتحان منه سبحانه في العوالم السابقة، فأعطاهم الله العصمة، فإذا عرفنا هذا، فإنّ التي عند زينب وأمثال زينب

---

(١) ذكر أهل البيت عليهم السلام أنّ للعقل جنوداً وللجهل جنوداً، وهذا مفصّل في أُصول الكافي باب العقل والجهل، فراجع.

الذين تربّوا في أحضان النبوّة والإمامة[١] عصمة أفعالية أي لم يرتكبوا الذنب في أفعالهم من حين ولادتهم وحتّى حين وفاتهم، فعصمتهم هذه تسمّى بالعصمة الأفعالية أو الكسبية وأنّها الجزئية وليست عصمة ذاتية فلاتجب عليهم عقلاً، لأنّ العصمة الذاتية مختصّة بالأنبياء والأئمة وفاطمة عليهم السلام.

ثمّ لا بأس من أجل توضيح العصمة الذاتية والعصمة الأفعالية والفرق بينهما أذكر هذا المثال الطبّي، ولا يخفى أنّ المثال كما يقال (يقرّب من جهة ويبعّد من ألف جهة) وأنّه لا مناقشة في الأمثال، فالمقصود وهو تقريب المعقول بأمر محسوس.

ففي الطبّ العصري يلقّح الأطفال منذ الصغر بتلقيح عدم الشلل، فمن يُلقّح ـ من قبل الأبوين مثلاً ـ في صغره فإنّه يعصم من الشلل، حتّى ولو وقع في محيط غير صحّي، فكأنّه يعصم من اليوم الأوّل على عدم التلوّث بالشلل، ومن لم يلقّح فإنّه يمكن أن لا يتلوّث أيضاً إلّا أنّه هو بأفعاله ووقايته يبتعد عن البيئة الملوّثة فينجو من الشلل أيضاً، إلّا أنّه بأفعاله، لا بتلقيح الطبيب والوالدين.

فالعصمة الذاتية تلقيح إلهي للأنبياء والأئمة الأطهار بعد اختبارهم في العوالم السابقة، ونجاحهم في الامتحانات الإلهيّة، كنجاحهم في الدنيا، كما ابتلي إبراهيم الخليل بكلمات فأتمّهن.

وأمّا العصمة الأفعالية فتلقيح في الأفعال بأن يتّقي الذنوب وأن لا يتلوّث بها حفظاً لبقاء سلامته. وكلاهما بالاختيار والاختبار، فلا يقال: لو كانت العصمة

---

(١) من أمثال زينب الكبرى الذين تربّوا في أحضان النبوّة أو الإمامة كأبي الفضل العباس وعليّ الأكبر وفاطمة بنت موسى بن جعفر سلام الله عليهم وغيرهم.

ذاتية، فلا فضل لمن اتّصف بها. ثمّ العصمة الذاتية كلّية تعمّ العصمة عن الذنوب والخطأ والنسيان وما يشين الإنسان، بخلاف الأفعالية فإنّها العصمة عن الذنوب والمعاصي، وأمّا القضايا الاجتماعية أو الاقتصادية فربما يخطأ فإنّه غير معصوم.

ثمّ العصمة الذاتية للأنبياء واجبة عقلاً ونقلاً، أي لا بدّ منها. ويدلّ على ذلك الأدلّة العقليّة، كعدم الاعتماد على قول من لم يكن معصوماً، والأدلّة النقليّة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كآيتي التطهير والولاية وحديث الثقلين والسفينة، وأمّا العصمة الأفعالية فلم تكن ضرورية، وبهذا ربما يصدر من غير المعصوم ما يتنافى مع العصمة الذاتية.

والعصمة الذاتية المطلقة إنّما تكون بنصّ من الله سبحانه كما يقول الإمام السجّاد عليه السلام: «الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلق لتعرف، ولذلك لا يكون إلّا منصوصاً»[1].

وكون النبيّ والعترة الطاهرة يمتازون بالعصمة الذاتية باعتبار علمهم اللدني الخاصّ من غير كسب متعارف، كما في قوله تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[2].

فاليقين عند الإمام المعصوم عليه السلام يختلف عن العلوم المتعارفة التي عند الناس، فيؤيّد النبيّ والإمام عليهما السلام بروح القدس.

في حديث جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن علم العالم؟ فقال لي: يا جابر، إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان

---

(١) معاني الأخبار: ١٣٢.

(٢) السجدة: ٢٤.

وروح الحياة وروح القوّة وروح الشهوة. فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى. ثمّ قال: يا جابر، إنّ هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان، إلّا روح القدس فإنّها لا تلهو ولا تلعب[١].

وفي صحيح زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلا الإيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾[٢]، فقال أبو جعفر عليه السلام: منذ أنزل الله ذلك الروح على نبيّه صلى الله عليه وآله ما صعد إلى السماء وإنّه لفينا[٣].

وفي صحيح أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾[٤]، قال: خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة وهو من الملكوت[٥].

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ أيّدنا بروح منه مقدّسة مطهّرة، ليست بملك لم تكن مع أحد ممّن مضى إلّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي مع الأئمة منّا، تسدّدهم وتوفّقهم، وهو عمود من نور بيننا وبين الله عزّ وجلّ[٦].

---

(١) الكافي ١ : ٢٧٢.

(٢) الشورى : ٥٢.

(٣) بصائر الدرجات : ٤٥٧.

(٤) الإسراء : ٨٥.

(٥) الكافي ١ : ٢٧٣.

(٦) بحار الأنوار ٢٥ : ٤٨.

فقوله عليه السلام : «لم تكن مع أحد ممّن مضى إلّا مع رسول الله وهي مع الأئمة منّا» يدلّ على أنّ علمهم وفضلهم وعصمتهم يختلف عمّا سبق وعمّا لحق، فإنّه يختصّ بهم، وإنّهم أفضل الخلق، ولمثل هذه العصمة الأخصّ نقول بأنّهم عليهم السلام لا يصدر منهم ترك الأولى، بخلاف بقيّة الأنبياء والأوصياء، فإنّه لهم عصمة الخاصّ، وعند زينب عليها السلام عصمة العامّ، وما عند غيرها عصمة الأعمّ.

ومعنى العصمة في الأنبياء والأوصياء : لطف إلهي خاصّ باعتبار القوّة النورية الملكوتية الراسخة، فتعصم الإنسان في حياته.

فالنبيّ والإمام عليهما السلام لهما العلم الخاصّ وبطريق خاصّ يمنح صاحبه ملكة العصمة الخاصّة والمطلقة بإذن الله تعالى. فيكون الأُسوة والقدوة المطلقة ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[1]، ثمّ الأمثل فالأمثل بمقدار ما عندهم من العلم والعصمة، ولمثل هذا نقول : إنّ زينب الكبرى عليها السلام هي من الأُسوة والقدوة أيضاً.

ثمّ بهذه العصمة الكلّية تجب الطاعة المطلقة، كما تجب المودّة والمحبّة.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : «إنّما الطاعة لله عزّ وجلّ ولرسوله ولولاة الأمر، وإنّما أُمر بطاعة أُولي الأمر لأنّهم معصومون مطهّرون لا يأمرون بمعصيته»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام : «الأنبياء وأوصيائهم لا ذنوب لهم لأنّهم

---

(١) الأحزاب : ٢١.

(٢) بحار الأنوار ٢٥ : ٢٠٠.

معصومون مطهّرون»[١].

وزبدة المخاض: يبدو لي من خلال المطالعة والمراجعة إلى مباحث العصمة في الكتاب والسنّة وعبائر الفلاسفة وعلماء الكلام، إنّما العصمة من الكلّي التشكيكي فلها مراتب طوليّة وعرضيّة، فبدايتها العدالة التي يشترط في كلّ مسلم وإمام جماعة: من إتيان الواجبات وترك المحرّمات وأن لا يأتي بما ينافي المروّة كما عند البعض، ونهايتها عصمة الله الكبرى التي بلا نهاية، ثمّ بينهما مراتب، فبعد عدالة إمام الجماعة كما في مذهب أهل البيت عليهم السلام، يشترط العدالة في مرجع التقليد، وعندي عدالته أعلى رتبة من عدالة إمام الجماعة، كما ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد ـ المجلّد الأوّل) ثمّ يأتي دور عصمة أمثال زينب الكبرى عليها السلام وهي التي نسمّيها بالعصمة الأفعالية العالية، ثمّ عصمة الأنبياء والأوصياء وهي العصمة الذاتية الكلّية المطلقة الواجبة، ثمّ عصمة الأربعة عشر معصوم محمّد والأئمة الاثني عشر وفاطمة الزهراء عليهم السلام، والكلّ يشترك بالطهارة وبعدم ارتكاب الذنوب والمعاصي، إلّا أنّه كلّ واحد يمتاز عن الآخر بخصائص ومميّزات، كعصمة الأربعة عشر معصوم عليهم السلام ليس فيها ترك الأولى، بخلاف عصمة الأنبياء فإنّه لا يضرّها ترك الأولى، وتفصيل الكلام يطلب من محلّه.

سؤال:

لو سئل من أين لنا أن نعلم بعصمة زينب عليها السلام ونحكم بأنّها معصومة بالعصمة الأفعالية؟

---

(١) المصدر ٢٥: ١٩٩.

الجواب :

نعرف ذلك من خلال سيرتها وما ورد في حقّها كما في غيرها، وأذكر لكم شاهداً على ذلك، ما ورد في حقّ فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام أنّها كانت في سنّ أربع أو خمس سنين عندما جاء بعض الشيعة إلى دار الإمام عليه السلام ليسألوا عن بعض المسائل إلّا أنّهم لم يجدوا الإمام عليه السلام، فبعد طرق الباب خرجت لهم زوجة الإمام عليه السلام وأخبرتهم بعدم وجود الإمام عليه السلام، فقالوا لها : إنّنا جئنا من مكان بعيد ولا بدّ لنا من أجوبة هذه المسائل، فكيف بنا ومن نسأل ؟ فقالت لهم زوجة الإمام عليه السلام : هنا في البيت فاطمة بنت الإمام عليه السلام، قالوا : إذن نسأل فاطمة، ولمّا دخلوا عليها وسألوها أجابتهم بكلّ الأجوبة وبتمامها، فأخذوا أجوبتهم وذهبوا، ولمّا جاء الإمام حدّثته زوجته بكلّ ما جرى وقالت : إنّ فاطمة أجابت بكذا وكذا، فقال عند ذلك : إنّ فاطمة حكمت بحكم الله سبحانه وتعالى، وهكذا زينب عليها السلام كان عمرها سنتين كما ورد في الرواية وهي جالسة في حجر أبيها أمير المؤمنين عليه السلام فقال لها أبوها : بنيّة قولي واحد، فقالت : واحَد، ثمّ قال لها : قولي اثنين، قالت : لا أقول يا أبتاه، قال : بنيّتي لِمَ لا تقولين اثنين ؟ قالت : لساني جرى على الواحد ولا يجري على الاثنين. فمن تلك القصّة الأُولى وهذه القصّة الثانية نفهم أنّ السيّدتين الجليلتين عالمتان غير معلّمتين، كما أنّهما تربّيتا تربية نبوية علوية، ومثل هذه التربية لا تنتج إلّا عصمة أفعالية، ثمّ عندما نطّلع على حالة زينب عليها السلام وهي تصلّي صلاة الليل في ليلة الحادي عشر من المحرّم في تلك الليلة التي تهدّ الجبال بمصيبتها نلمس من ذلك مدى علم زينب وعصمة زينب عليها السلام، وهذا ليس بعجيب فإنّ مثل هذه العصمة ثبتت لمن هو أقلّ من مقام زينب عليها السلام التي قال في حقّها الإمام زين العابدين عليه السلام : «عمّة، أنتِ بحمد الله

عالِمة غير معلَّمة، وفهِمة غير مفهَّمة» أي أنّ معلّمكِ هو ربّ العالمين فأنتِ لست بحاجة إلى معلّم آخر، فإنّه تعالى أدّبكِ فأحسن تأديبك، فهي عالمة لأنّها في أعلى مراحل التقوى وكانت مصداقاً واضحاً للآية الكريمة:

﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ ﴾[1].

وهي صابرة لم يسبقها في ذلك إلّا أُمّها فاطمة عليها السلام فلكلّ هذا هي معصومة بالعصمة الأفعالية.

وكما قلت لكم إنّ هذه العصمة ثابتة لغيرها ممّن هو أدنى منها مرتبةً كسيّدنا الأُستاذ النجفي المرعشي قدس سره، فإنّه قال لي يوماً وقد أقسم بفاطمة الزهراء عليها السلام أنّه ما فعل شيئاً هوته نفسه قط، أي كان (مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه) منذ اليوم الأوّل، فلهذا (على العوام أن يقلّدوه) كما ورد في الحديث الشريف، وكذلك السيّد الخوانساري قدس سره الذي قضى صلاته طيلة حياته ثلاث مرّات، مع أنّه من مراجع الدين وما كان ذلك إلّا لشدّة احتياطه، فمثل هذه الأفعال تدلّ على عصمتهما الأفعالية.

وهذا ما أكّده الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «عجبت لمن يحبّ الله كيف يعصيه»، فالمحبّ لله تعالى لا يعصي الله تعالى ولا يفعل ما يؤثّر على هذه العلاقة مع ربّه ومولاه ومحبوبه. كما أنّه ورد في الحديث الشريف: «ثمرة العلم العصمة»، فكلّما ازداد الإنسان علماً نافعاً وعملاً صالحاً ازداد عصمة وورعاً عن المعاصي والذنوب والآثام والقبائح، وهناك شواهد كثيرة أذكر منها ذلك الرجل المتواضع الذي لا يقرأ ولا يكتب أخي الحاجّ محمّد علي مشهدي فإنّه كان له

---

(١) البقرة: ٢٨٢.

شرف اللقاء بالإمام الحجّة عليه السلام تكراراً ولمّا سألته عن مؤهّلاته لذلك قال : إنّه ما كذب يوماً، ولا اتّهم أحداً، ولا استغاب شخصاً، بل بمقدار ما عرف من دينه لم يرتكب ذنباً منذ بلوغه، فالمعرفة والحبّ يستوجبان العمل والقرب، حتّى يصل المرء إلى العصمة في أفعاله، والتي نسمّيها بالعصمة الأفعالية، ولا بأس أن أذكر شاهداً آخر لتأثير حبّ الله في الحياة وفي أداء الواجبات، أذكر أنّي كنت راكباً في القطار مع بعض الشباب وكانوا من الجيش فلمّا وقف القطار ونزلنا لأداء الصلاة كان أحدهم لا يؤدّي الصلاة وبمجرّد أن سألته : هل تحبّ الله تعالى ؟ قال : نعم، قلت له : اذهب وتكلّم مع من تحبّ، فقام فعلاً وذهب للصلاة، وغير ذلك من الشواهد ويكفينا ما نراه من طاعة العاشق لمعشوقه في العشق المجازي، مع أنّ الحبّ بينهما شهواني، فكيف إذا كان الحبّ الإلهي ؟

فلذا من عرف فإنّه لا يعصيه، ومن عرف زينب فإنّه يتأدّب في حضرتها بخشوع، فبالحبّ تكون الطاعة، وحبّ مجنون ليلى كان مجازياً، ومن طريف ما يحكى أنّه كتب على أرض الصحراء اسم ليلى، فلمّا سئل عن سبب ذلك ؟ أجابهم : أُسلّي قلبي بذكرى ليلى، وهكذا يفعل الحبّ المجازي بأهله، فكيف بالعشق الحقيقي وهو عشق الله سبحانه، ومن أنس به استوحش من الناس، ولهج لسانه بذكره :

﴿ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ ﴾[1].

فإذن إذا علمنا وزهدنا وصبرنا أطعنا حقّاً، وزادنا الله عصمةً، ومثل زينب الحوراء عليها السلام التي وصلت إلى مقام الفناء في الله كما يشهد لها قولها في جواب

---

(١) الرعد : ٢٨.

ابن زياد اللعين: كيف رأيتِ صنع الله؟ فقالت عليها السلام: «ما رأيت إلّا جميلاً». ولا يقول هذا إلّا العارف الفاني في إرادة الله وحبّه، فترى شهادة إخوتها الكرام من الله صنعاً جميلاً، وإن كان من بني أُميّة ويزيد الطاغية ظلماً وعدواناً، فمثلها كيف لا تكون معصومة؟

كيف لا تكون معصومة وقد صبرت حتّى عجز الصبر من صبرها، وهل يمكن لغيرها أن ترفع جسد أخيها الإمام الحسين في عصر يوم عاشوراء وهو مقطّع بالسيوف والرماح والسهام وتقول: اللهمّ تقبّل هذا القربان من آل محمّد؟

كيف لا تكون معصومة وإمام زمانها زين العابدين عليه السلام يقول في حقّها: أنتِ بحمد الله عالمة غير معلّمة؟ فلا ريب ولا شكّ في أنّها معصومة، إلّا أنّ عصمتها عصمة أفعالية تختلف عن عصمة أُمّها فاطمة الزهراء عليها السلام، تختلف عن عصمة الأنبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام.

اللهمّ نسألك بعصمة الأنبياء والأولياء وبعصمة زينب الحوراء اغفر لنا فيما مضى من حياتنا واعصمنا فيما بقي من عمرنا، آمين ربّ العالمين.

فصل في الأسئلة[1]

سؤال: إنّ حديث «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» صدر من سقراط قبل ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، فما هو رأي سماحتكم؟

الجواب:

إنّ هذا الحديث ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ولا ضير أن يكون من قبل، لأنّ منبع العلم واحد وهو الله سبحانه وتعالى، فربما هذا الحديث وصل ممّن سبق سقراط من الأنبياء عليهم السلام باعتبار أنّ معرفة النفس هي بداية الفلسفة، فلذا يبحث الفيلسوف عن مثل هذه الروايات الواردة عن الأنبياء عليهم السلام وكلّ العلوم الصحيحة واردة عنهم عليهم السلام فلا مانع أن يكون سقراط أخذه عن الأنبياء عليهم السلام وهو يوافق ما موجود عند أهل البيت عليهم السلام، فإنّهم أعرف بعلوم الأوّلين والآخرين.

---

(١) لقد كان المجال مفتوحاً للسؤال والجواب بعد كلّ محاضرة، وقد أجاب سيّدنا الأُستاذ دام ظلّه في رحلته الشاميّة هذه عن أكثر من خمسمائة سؤال، آثرنا أن نحرّر ما سجّله لنا الكاسيت وشريط الفيديو، ونقدّمه للقراء الكرام لما فيه من الفوائد والفرائد.

١ ـ سؤال : هل إنّ سقراط من الأنبياء عليهم السلام ؟

الجواب :

لم يثبت ذلك، ولكن هناك من يذهب إلى هذا القول، وأُريد أن أقول شيئاً عن الفلسفة، فأقول : إنّ هناك نزاع بين الفقهاء وبين المحدّثين، فمنهم من ينكر الفلسفة نهائياً سيّما الفلسفة اليونانية، ومنهم من يثبت ذلك، وورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام مذمّة الفلسفة كما أنّ هناك أيضاً عدم إنكار لها، كما ذكر في كتاب حديقة الشيعة المنسوب إلى المقدّس الأردبيلي عن الإمام العسكري عليه السلام كما في ذاكرتي يقول : إنّه سيأتي في آخر الزمان أقوام... إلى أن يقول : فإنّ علمائهم يميلون إلى الفلسفة والتصوّف، وهنا الحديث في مقام الذمّ لهما، كما أنّه ورد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام تكلّم عن النفس وتقسيمها إلى رجل يهودي الذي تحدّث أمام أمير المؤمنين بكلمات فلسفية فلمّا سمع مقولة الإمام عليه السلام تعجّب من ذلك، وقال للإمام عليه السلام : سيّدي، كأنّما جمعت كلّ الفلسفة في كلامك هذا، فمن هذا نستشفّ عدم الردع عن الفلسفة بل جواز التحدّث بها، إلّا أنّني أرى إن كانت الفلسفة طريقاً إلى الله تعالى وأداة وسلاح في الردّ على الفلسفة الغربية ودحراً لأعداء الإسلام فلا بأس بذلك وربما لا بدّ منه، ولكن ليست الفلسفة هي الطريق الوحيد إلى الله تعالى.

٢ ـ سؤال : ما معنى الرحمن، وما معنى الرحيم ؟

الجواب : الرحمن من أسماء الله سبحانه وتعالى، وبمعنى ما فيه تكامل الشيء وكلّ ما فيه تكامل الشيء فهو من رحمانية الله، كما أنّ من مصاديق رحمانيّته تعالى الهداية العامّة، والرزق فإنّه عامّ يشمل الكافر والمؤمن وكلّ ما يشمل الخلق فهو الرحمة الرحمانية، وهناك الرحمة الخاصّة التي هي قريبة من

المحسنين ومختصّة بالمؤمنين في الدنيا والآخرة، وهذا معنى الرحيم.

٣ ـ سؤال: هل هناك علاقة بين التشيّع والتصوّف، ويرون أنّ مصادر أعلام الصوفية هم أهل البيت عليهم السلام سيّما أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء، كما أنّ المتصوّفة يؤمنون بالولاية، ولكن لا يؤمنون بالبراءة، فما هو رأي سماحتكم؟

الجواب:

التصوّف علم من العلوم ومسلك من المسالك التي هي في قبال الفلسفة، فالتصوّف يعبّر عنه بالعرفان، والعرفاء هم المتصوّفة، وهم يقولون: إنّ للنبيّ صلى الله عليه وآله ثلاث حالات وهي: أقواله وأفعاله وحالاته، فأقواله عبارة عن الشريعة، وأفعاله عبارة عن الطريقة، وحالاته عبارة عن الحقيقة، فالشريعة نأخذها من الفقهاء، والطريقة نأخذها من الأقطاب؛ لأنّ كلّ صوفي عنده قطب، وهذه الأقطاب تتّصل بقطب الأقطاب ألا وهو أمير المؤمنين عليه السلام، فالسلسلة تنحدر منه عليه السلام إلى الإمام الحسن إلى أن تصل إلى الإمام الرضا عليه السلام ثمّ إلى معروف الكرخي وهكذا إلى يومنا هذا.

فهم يأخذون أفعالهم وحالاتهم من أقطابهم، فمثلاً عندما يريد أن يأخذ ذِكراً لمدّة أربعين يوماً يأخذه من قطبه، كما أنّ لديهم شكل هرمي في درجاتهم، أوّلهم القطب ثمّ المريد ثمّ الفقير، وهكذا. وهذه المعاني موجودة عند المتصوّفة، كما أنّ الصوفية تنقسم إلى أكثر من مئتي فرقة، كالصوفية الشاذلية في الجزائر والقادرية في العراق وغيرها من فرق التصوّف السنّي، وأمّا صوفية الشيعة كالصوفية الذهبية الموجودة في شيراز وغيرها في المدن الإيرانية الأُخرى، وسمّوا بالصوفية لأنّ أقطابهم يلبسون الصوف أو أنّها مأخوذة من صوفيا بمعنى الحكمة التي عند الفلاسفة أي ما يشابه الحكمة أو في قبال قول الفلاسفة، وأمّا

مرام الصوفيّة فإن كان التصوّف بمعنى تهذيب النفس وتربيتها فهذا حقّ، وإن كان غير ذلك فقد وردت أحاديث كثيرة في مذمّتهم، راجع كلمة (صوف) من سفينة البحار للمحقّق القمّي قدس سره، أمّا بالنسبة إلى البراءة والولاية فهذا أمر مهمّ جدّاً لا بدّ من التكلّم فيه، فنقول: إنّ أمير المؤمنين روحي فداه يقول: «عجبت لمن يدّعي حبّي كيف يحبّ عدوّي»، فهذا أمر مستحيل لأنّه ما جعل الله تعالى في جوفٍ من قلبين يحبّني ويحبّ عدوّي الذي ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الشقشقية، ولا بدّ أن نقول إنّ لكلّ ولاء من براءة سابقة عليه، الفلّاح الذي يريد زرع الأرض لا بدّ له من رفع الموانع لكي تعطي الأرض زرعاً جيّداً، فكذلك بالنسبة للقلب لا بدّ أن يخرج منه محبّة أعداء الله تعالى وأعداء رسوله وأوليائه لتحلّ مكانها محبّة الله تعالى ورسوله وأوليائه، وبكلمة أُخرى إنّ لنا شعوراً وشعاراً، فالشعور الولائي شعاره (الصلاة على محمّد وآل محمّد)، والشعور البرائتي شعاره اللعن لأعداء الله تعالى ولأعداء رسوله وأهل البيت عليهم السلام، فكما يتقرّب الإنسان بالصلاة يتقرّب باللعن، فإنّما لا يمكن التحليق في عالم المعرفة والقربة إلى الله إلّا بجناحين وهما الصلاة واللعن.

٤ـ سؤال: ما هو رأي أهل البيت عليهم السلام في المقولة التي تقول إنّ البحث عن الله تعالى بحسب الطاقة البشرية؟

الجواب:

هذه المقولة لم تكن في مذهب أهل البيت عليهم السلام وإنّما هي مقولة فلسفية وليس قولهم البحث عن الله تعالى، بل البحث عن الموجود لأنّ الموجود هوموضوع الفلسفة كما ورد ذلك في بداية ونهاية الحكمة للسيّد الطباطبائي عند تعرّضه إلى تعريف الفلسفة. فيقول: موضوع الفلسفة هو الموجود بما هو موجود

حسب الطاقة البشرية. وهذه العبارة (حسب الطاقة البشرية) مذكورة في الأسفار لصدر المتألّهين عليه الرحمة ولغيره، فليس لهذا القول علاقة بأهل البيت عليهم السلام.

٥ ـ سؤال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: علماء أُمّتي كأنبياء بني إسرائيل، فما المقصود بأنبياء بني إسرائيل، هل هم الأنبياء المرسلون أم ماذا؟

الجواب:

الأنبياء على طبقات كما في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق، فمنهم من كان نبيّ نفسه فقط، ومنهم لأُسرته، ومنهم لعشيرته، ومنهم نبيّ عالمي أي ذو رسالة عالمية، وهذه الرتبة الأخيرة مختصّة بأنبياء أُولي العزم الخمسة الذين كانت رسالتهم عالمية في عصرهم كما في رسالة موسى وعيسى عليهما السلام، أي أنّ على جميع من في الكرة الأرضية أن يؤمنوا بصاحب الرسالة العالمية، فمثلاً رسالة عيسى عليه السلام رسالة عالمية، فعندما جاء بها عيسى عليه السلام كان على جميع الناس أن يؤمنوا بها إلى أن جاءت رسالة سيّد الرسل محمّد صلى الله عليه وآله وهي الرسالة الإسلامية فنسخت الديانة المسيحية: فـ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾[1] و﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾[2].

وعليه لا بدّ ـ عقلاً ونقلاً ـ أن يدخل جميع الخلق في الديانة الإسلامية حيث إنّها خاتمة الأديان، فصارت من حيث الزمن إلى يوم القيامة وهذا ما يؤيّده الحديث الشريف: «حلال محمّد صلى الله عليه وآله حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمّد صلى الله عليه وآله حرام إلى يوم القيامة».

---

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) آل عمران: ٨٥.

٦ ـ سؤال : قال الله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾[١]، ويـنطلق البعض من هذه الآية على قيمومية الرجال على النساء مطلقاً، فلذلك إذا كـانت المرأة معصومة كالزهراء عليها السلام فلا بدّ أن يكون زوجها معصوماً وكفواً لها حتّى تتمّ القيمومة، وعلى هذا إذا كانت السيّدة زينب عليها السلام لا تعرف بمعرفة كمالية فلماذا زوّجها أمير المؤمنين من عبد الله بن جعفر ؟

الجواب :

إنّ ما جاء في الآية الشريفة من باب المناسبة بين الموضوع والحكم كما في الفقه، حيث يقول الفقهاء لا بدّ من مناسبة بين الموضوع والحكم كما عند الفلاسفة فإنّهم يقولون : لا بدّ من سنخية بين العلّة والمعلول، فالآية حكمت بأنّ الرجـال قوّامون على النساء، فالموضوع هو الرجال والنسـاء والحكـم هـو القـيمومية، ومفهوم القيمومية له مصاديق متعدّدة، منها الوصاية كوصاية وقـيمومية الوصـي على الطفل، أو قيمومية الإمام على الأُمّة أو قيمومية المعلم على التلميذ، فكـلّ موضوع له حكم يناسبه. وفي مقامنا تكون القيمومية في دائرة الزوجـية وليس على نحو عامّ أيّ ليس أنّ كلّ رجل قائم على كلّ امرأة، بل المراد أنّ كـلّ زوج قائم على زوجته فالقيمومية بسبب الزوجية، وقيمومية الرجل في نطاق الأُسرة وإنّما شرّع ذلك لأنّ الله تعالى خلق الإنسان وهو عارف بمكنوناته وذاته.

وأنا تعرّضت لهذا البحث الاجتماعي في شهر رمضان فـي قـم المـقدّسة بالتفصيل[٢]، فقلت :

---

(١) النساء : ٣٤.

(٢) لقد ذكر الأُستاذ تفصيل ذلك في كتاب (تربية الأُسرة على ضوء القرآن والعترة)، فراجع.

إنّ الرجل والمرأة كلاهما ناقصان، وكلّ واحد منهما له كمال يمتاز به عن الآخر، وحيث إنّ الله تعالى خلق الكون كلّه بزواج تكويني، والبيّنة الشرعية تكون بشاهدين عدلين، فكانت البيّنة التكوينية كذلك، فخلق الله من كلّ شيء زوجين لتكون بيّنة على وحدانيّته، فهذه الخلقة فيها دلالة وبيّنة على أنّ الله تعالى واحد أحد، وهذه البيّنه بيّنة تكوّنية على مدّعى الله تعالى بأنّه واحد أحد، فالرجل والمرأة من الزوجية التكوّنية وهما يتّصفان بالنقص كما أسلفنا فأراد الله تعالى لهما أن يتكاملا ببعضهما في ميادين كثيرة، ومن هذه الميادين ميدان العقل والعاطفة، فإنّ العقل في الرجال أقوى ممّا عند النساء، والعاطفة أكثر ممّا عند الرجال على نحو الغالبية والجوهرية والأصالة، ولهذا جعل الرجل قائماً على المرأة عند الزوجية وليس معنى كلامنا هذا أنّ المرأة ناقصة العقل أي مجنونة أو قاصرة، وإنّما مرادنا أنّ الجانب العاطفي عندها أكثر من التعقّل ولذلك في الأُمور التي يحتاج المجتمع بها إلى التعقّل تسند الوظيفة إلى الرجل كما في (القضاء والمرجعية) فقولنا هذا لا دلالة فيه على الانتقاص من المرأة بل فيه بيان خلقة المرأة وبيان ما يناسبها من وظيفة، وإلّا لو كان كلامنا نافياً لعقل المرأة فكيف يعتبرها الإسلام مكلّفة بالتكاليف الشرعية عند بلوغها تسع سنين، فتكون مكلّفة قبل الرجل ولوجود هذا الفارق في التعقّل صار الرجل قائماً على المرأة عندما يرتبطون برابطة الزوجية وتكوين الأُسرة، وكذلك المرأة لها من العاطفة ما ليس للرجل فلذلك تقوم بما لا يستطيع الرجل القيام به، إذن تكوين الأُسرة يحتاج إلى تعقّل وعاطفة وهذا لا يعني أنّ المرأة تنقص عن الرجل مطلقاً بل ربما تكون المرأة يضرب بها المثال للمؤمنين وهم رجال كما في قصّة آسيا امرأة فرعون حيث ضرب الله بها مثلاً للمؤمنين.

وأمّا بالنسبة لزينب عليها السلام فإنّها معصومة ولكن عبد الله بن جعفر لم يكن أكفأ منه لزينب حيث بينهم نسب وحسب وهو ابن عمّها وهذا يكفي في نظر العرف آنذاك مع ما لعبد الله بن جعفر من العلم والتربية حيث إنّه تربّى في أحضان النبوّة والإمامة فلهذا لا تنافي بين كون عبد الله بن جعفر قائم على زينب بموجب الآية وبين عصمة زينب وعلوّ مقامها.

٧ـ سؤال: هل عصمة العلماء كعصمة زينب عليها السلام، وهل أنّ للعصمة الأفعالية مراتب؟

الجواب:

ليس عصمة العلماء كعصمة زينب عليها السلام، لأنّ العصمة الأفعالية التي لزينب ـ سلام الله عليها ـ في أعلى مراتبها، حيث إنّ لهذه العصمة مراتب متعدّدة. ولكن من حيث الإمكان العقلي يمكن لغير زينب الوصول إلى رتبتها، أمّا من حيث الإمكان الوقوعي لم يقع هذا، لاختلاف ظروف زينب الكبرى واختلاف مربّي زينب ومعلّميها فهي تالي المعصوم عليه السلام، كما ورد في الزيارة.

٨ـ سؤال: هل يلهم العالم أحياناً؟

الجواب:

نعم، وهذا ما تؤكّده الآية الكريمة:

﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ ﴾[1].

فالعالم يمكن أن يعطيه الله تعالى من العلم الإلهامي إذا وصل إلى رتبة تؤهّله لذلك، فالعالم يرزق من هذا العلم وكذلك الأولياء والأنبياء، ولكن كلّ

---

(١) البقرة: ٢٨٢.

بحسبه لأنّ لهذا العلم مراتب.

ولهذا يستحبّ قبل المطالعة أن يدعو الإنسان لكي يهبه الله علماً من عنده، وهذا ما يتّضح من الدعاء الذي يقول: «اللهمّ ارزقني فهم النبيّين وحفظ المرسلين وإلهام الملائكة المقرّبين، ولا يؤوده حفظهما وهو العليّ العظيم، برحمتك يا أرحم الراحمين».

وكثيراً ما يلهم العالم علماً لم يكن يعلمه من قبل، سيّما عند المخاصمة بين الحقّ والباطل، وهذا من المجرّبات.

٩ ـ سؤال: ما هو الترابط بين عصمة فاطمة الزهراء وبين عصمة زينب الكبرى؟

الجواب: الترابط اتّضح ممّا ذكرنا هو أنّ عصمة الزهراء عليها السلام عصمة ذاتية كلّية واجبة، وعصمة زينب الكبرى سلام الله عليها عصمة أفعالية جزئية ومكتسبة.

١٠ ـ سؤال: لو أذنب شخص ذنباً في أوّل حياته وتاب بعد ذلك ولم يقترف ذنباً إلى أن مات، هل يعتبر هذا معصوماً أو لا؟

الجواب:

هذه عصمة أفعالية وهي ميسّرة لكلّ واحد منّا، إلّا أنّها تختلف من حيث رتبتها ومن حيث السعة والضيق، وهذه أدنى من غيرها حيث يمكن أن يكون من هو معصوم عن الذنوب الكبيرة وهناك من هو معصوم عن الكبائر والصغائر، إلّا أنّ ذلك في آخر عمره وهناك من هو معصوم من أوّل بلوغه، وهناك معصوم من أوّل حياته حتّى مماته، وهكذا قصّة السيّدين المرتضى والرضي شاهد على ذلك.

١١ ـ سؤال : هل يجوز السجود على النقشة الموجودة في التربة الشريفة ؟ وهل يجوز السجود على تربتين إحداهما فوق الأُخرى ؟

الجواب :

نعم، يجوز السجود على تربتين إذا لم يكن ارتفاعهما أكثر من أربعة أصابع، وهي مختلف ـ عند الفقهاء ـ في كونها مضمومة أو مفتوحة، أمّا بالنسبة للسجود على النقشة فينقل عن السيّد البروجردي قدس سره أنّه لا يصحّ ذلك، فإنّه يشكل من حيث النقش أي بالعنوان الثانوي، وتبادر إلى ذهني ربما يرد الإشكال من حيث العنوان الأوّلي وهو أنّ النقشة قد لا تفي بالسجود الصحيح الذي هو بمقدار الإبهام أو يزيد أي بمقدار الدرهم البغلي، وأيضاً تبادر الجواب في ذهني أنّه يمكن دفع هذا الإشكال وهو لو وضع الساجد جبهته فربما تملأ التجعيدات التي في جبهته تلك الفراغات التي في النقشة، فالأحوط الأولى أن لا يسجد على النقشة.

١٢ ـ سؤال : لقد عرّفتم العلم بأنّه صورة الشيء في الذهن، أليس هذا مخالفاً لتعريف أهل البيت عليهم السلام حيث عرّفوه بأنّه نور ؟

الجواب :

للعلم تعاريف عديدة منها التعريف المنطقي والتعريف الفلسفي، وله تعريف في علم الكلام، وتعريف آخر في الأحاديث الشريفة، وتعريف العلم بأنّه انطباع صورة الشيء في الذهن هو تعريف منطقي، ويستفاد منه في كلّ العلوم، لأنّ المنطق أداة العلوم، فلهذا يمكن تعريفه هكذا، أمّا العلم الإلهي الذي هو نور فهو بمعنى الانكشاف كما أنّ العلم بالتعريف المنطقي أيضاً انكشاف لأنّ الجهل ظلام والعلم نور وعندما يعلم الإنسان علماً أي تنوّر قلبه، فانكشفت له المجاهيل فلا مخالفة بينهما.

١٣ ـ سؤال : إذا استمرّت رسالة الله تعالى إلى يوم القيامة فما معنى ختم النبوّة ؟

الجواب :

النبوّة والرسالة بدايتها من آدم عليه السلام ونهايتها إلى محمّد الخاتم صلى الله عليه وآله ، وحيث إنّ رسالة الخاتم صلى الله عليه وآله تسمّى بالإسلام الذي هو بالمعنى الخاصّ المقابل للإسلام بالمعنى العامّ والذي يعني الانقياد، جاءت الآية تقول :

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾[1].

فأمرنا الله تعالى باعتناق هذا الإسلام الخاصّ الذي كمل بولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، لقوله تعالى :

﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾[2].

فيبقى هذا الدين بعد أن أكمله الله تعالى وصار صالحاً للتديّن به في كلّ الأزمان والأعصار إلى يوم القيامة، فلكمال الرسالة السماوية السمحاء التي جاء بها الأنبياء قد ختمت النبوّة، وتبقى الرسالة الإسلامية إلى يوم القيامة، والحمد لله الذي جعلنا من المسلمين والمتمسّكين بولاية أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين، ورزقنا الله في الدنيا زيارتهم وفي الآخرة شفاعتهم وحشرنا في زمرتهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) آل عمران : ٨٥.

(٢) المائدة : ٣.

الفهرست

المقدّمة ٣
المحاضرة الأُولى ٦
المحاضرة الثانية ٢٣
وقفة على المعرفة الفلسفية والعرفانية ٢٧
سؤال غبي ٣٠
المحاضرة الثالثة ٣٥
المحاضرة الرابعة ٥١
نكتة أخلاقية ٥٧
الفرق بين العصمتين ٥٨
فصل في الأسئلة ٦٩
الفهرست ٨٠

المأمول في تكريم
ذرية الرسول

السيد عادل العلوي

رسالات إسلامية

علوی، عادل، ۱۹۵۵ ــ
المأمول في تكريم ذرّية الرسول صلّى الله عليه وآله / تأليف السيّد عادل العلوي. ــ قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ۱٤۲۰ ق. = ۱۳۷۹.
۱۲۸ ص. ــ (موسوعة رسالات إسلامية)
ISBN 964 - 5915 - 31 - 7 - ISBN 964 - 5915 - 18 - X (دوره)
فهرستنويسی بر اساس اطلاعات فيپا.
عربی.
کتابنامه: ص. ۱۲۷؛ همچنين به صورت زيرنويس.
۱. خاندان نبوّت ــ فضائل. ۲. خاندان نبوّت ــ مدايح و مناقب. الف. عنوان. ب. عنوان: کتاب المأمول في تكريم ذرّية الرسول صلّى الله عليه وآله.
۲ م ۸۱۳ع / ۳٦ BP ۲۹۷ / ۹۵
کتابخانهٔ ملی ايران ۵۱٦٤ ــ ۷۹ م

موسوعة

رسالات إسلامية

كتاب

المأمول في تكريم ذرية الرسول ﷺ

تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ۳٦۳٤
الطبعة الأولى ـ ۱٤۲۳ هجري قمري
صفّ الحروف ـ حكمت، قم
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ۷ ـ ۳۱ ـ ۵۹۱۵ ـ ۹٦٤ ISBN 964 - 5915 - 31 - 7
ای. ای. ان. ۹۷۸۹٦٤۵۹۱۵۳۱۳ EAN 9789645915313
شابك X ـ ۱۸ ـ ۵۹۱۵ ـ ۹٦٤ (دوره ۱۰۰ جلد) 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

الاهداء :

ما أروع ما قيل :

مـــــطهّرون نـــقيّات ثـــيابهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علويّاً حين تـنسبه فما له من قديم الدهـر مـفتخر

فـــالله لمـــا بـدا خـلقاً فأتـقنه صفّاكمُ واصطفاكم أيّها البـشر

(أبو نؤاس)

إلى سادة العلويين الفاطميين أئمة الحقّ والدين، محمّد وآله المعصومين الطاهرين.

إلى كلّ علويّ النسب فاطميّ الحسب في كلّ مصر وعصر، يؤمن بولاية وإمامة ومذهب أجداده الطاهرين الأئمة المعصومين عليهم السلام.

إلى أجدادي الكرام من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله العظام.

أُقدّم هذه الوجيزة (المأمول في تكريم ذرية الرسول صلى الله عليه وآله) برجاء الدعاء والشفاعة والقبول.

العبد

عادل العلوي

الحوزة العلمية ـ قم المقدسة ـ إيران

وميض أحمدي

إذا ولد المولود من نسل أحمد لقد زيد من أصل المكارم واحدُ

جاء في الطرائف والمناقب: من تفسير السدّي قال: لمّا كرهت سارة مكان هاجر أوحى الله تعالى إلى إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: انطلق بإسماعيل وأُمّه حتّى تنزله بيت التهامي ـ يعني مكّة ـ فإنّي ناشر ذرّيته وجاعلهم ثقلاً على من كفر بي، وجاعل منهم نبيّاً عظيماً، ومظهره على الأديان، وجاعل من ذرّيته اثنى عشر عظيماً، وجاعل ذرّيته عدد نجوم السماء[1].

﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾[2].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يكون المؤمن مؤمناً حقّاً حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه، وعترتي أحبّ إليه من عترته، وذرّيتي أحبّ إليه من ذرّيته.

وإطلاق الخبر الشريف يدلّ على تقديم ذرّية رسول الله إلى يوم القيامة على ذرّيتنا في كلّ شيء من الخيرات والحسنات، وإذا دار الأمر بين ذرّية الرسول وذرّيتنا فهم مقدّمون.

---

(١) البحار ٣٦: ٢١٤، عن الطرائف: ٤٣، وروى العلّامة الحلّي مثله في كشف الحقّ ١: ١٠٨.

(٢) إبراهيم: ٣٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة[1]

الحمد لله سيّد السادات وعالم الخفيّات والصلاة والسلام على أشرف الكائنات وسيّد الممكنات محمّد وآله القادة الأئمة السادة، واللعن الدائم على منكري فضائلهم وغاصبي حقوقهم ومن آذاهم من بدء الخلق إلى قيام يوم الدين.

لا يخفى أنّ من الفضائل الأخلاقية والمستحبّات المؤكّدة وفي بعض الموارد من الواجب الشرعي والأخلاقي في حياة كلّ مسلم ومسلمة هو إكرام ذرّية نبيّهم الخاتم الرسول الأعظم محمّد المصطفى ﷺ، فإنّ ألف عين لأجيل عين تكرم، وقد جعل الله أجر الرسالة المحمّدية الغرّاء منحصرة في مودّة ذوي القربى وعترة المصطفى، كما في قوله تعالى:

﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[2].

وإنّما نودّ ونحبّ ونحترم ونكرم الذرّية الطيّبة والنسل المبارك أبناء رسول الله ﷺ صالحهم لله تعالى، وطالحهم لرسوله ﷺ، فمن أجل عين النبيّ المختار ﷺ ينبغي

---

(١) تشتمل هذه الرسالة على مقدّمة وفصول أربعة وخاتمة.

(٢) الشورى: ٢٣.

لنا أن نكرم ذرّيته، لا نريد منهم جزاءً ولا شكوراً، بل ربما الإحسان منّا يجازى بالإساءة، مع هذا نتقرّب إلى الله ورسوله بالصبر على أذاهم، بل نردّ إساءتهم بالجميل والمودّة والعطف والشفقة والاحترام والتقديس. وفي مثل هذا الخلق الرفيع نردعهم عن الأذى والمنكرات والفواحش لو كانت، كما حدث لكثير من السادة، والتأريخ يشهد بذلك.

ومن المسلّمات الواضحات أنّ أبناء الملوك يحترمهم الناس والرعيّة باعتبار آبائهم، وهذا ما يشهد به الوجدان ويقرّ عليه العقلاء.

والنبيّ الأعظم محمّد ﷺ هو سيّد الكائنات وأشرف المخلوقات، ملك ملوك الدنيا والآخرة، فعلى كلّ واحد أن يكرم أولاده وذرّيته إلى يوم القيامة، وولده إنّما هم من ذرّية أمير المؤمنين علي عليه السلام وفاطمة الزهراء سيّدة النساء عليها السلام كما ورد في الأخبار الشريفة.

وقد ورد في الخبر الشريف: «من وقّر عالماً فقد وقّر ربّه»، وكذلك توقير السادة أبناء رسول الله ﷺ إنّما هو توقير واحترام رسول الله ﷺ.

ففي الحديث النبوي الشريف: من أحسن وأعان ذرّيتي فقد أحسن إليّ وأعانني ومكافأته عليّ.

ويكفي المؤمنون الصالحون في تكريم سلالة النبيّ الطاهرة وذرّيته المكرّمة قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾[1].

---

(١) الطور: ٢١.

أخرج الحاكم في تفسير سورة الطور[١]، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: إنّ الله يرفع ذرّية المؤمن معه في درجته في الجنّة وإن كانت دونه في العمل.

وإذا كان هذا ثابتاً لكلّ مؤمن كرامة له من الله سبحانه، فثبوته لنبيّه ﷺ ثابت بالأولوية.

وقوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا أَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلحَ مِنْ آبَائِهِمْ وأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيم ﴾[٢].

وقوله عزّ سلطانه:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾[٣].

وقد سأل الله ربّه أن لا يعذّب ذرّية فاطمة الزهراء عليها السلام.

وفي قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ المُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[٤].

---

(١) المستدرك ٢: ٤٦٧.

(٢) الرعد: ٢٣.

(٣) الضحى: ٥.

(٤) فاطر: ٣٢ ـ ٣٥.

قال النبيّ ﷺ: أمّا السابق فيدخل الجنّة بغير حساب، وأمّا المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً، وأمّا الظالم فيحبس في المقام، ثمّ يدخل الجنّة. فهم الذين يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفور شكور[1].

أجل عند الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ نزلت هذه الآيات الكريمة في ذرّية الرسول الأعظم ﷺ ولم يكن المقصود الأُمّة بأجمعها حتماً، وإلّا للزم دخولهم الجنّة جميعاً، كما ورد هذا المعنى عن مولانا الإمام الرضا عليه السلام.

وقيل في تفسيرها أيضاً: السابق هو الإمام المعصوم عليه السلام، والمقتصد هو العارم للإمام والظالم من الذرّية الذي لا يعرف الإمام، فإنّه يحبس في المقام حتّى يطهر، أو يتوفّق للتوبة في آخر حياته وفي آخر أنفاسه، ولا يموت إلّا مؤمناً بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام، فإنّ ذلك من بركات أُمّهم العصمة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، كما ورد في قصّة لقاء العلّامة المحقّق السيّد محسن العاملي صاحب أعيان الشيعة مع صاحب الزمان عجّل الله فرجه الشريف عندما تشرّف بلقاءه في مكّة المكرّمة وسمعه يقول: من بركات أُمّنا فاطمة الزهراء أنّه لا يموت أولادها كفّاراً.

وهذا المعنى قد ورد في الروايات الشريفة أيضاً، فإنّ عاقبة ذراري رسول الله من فاطمة البتول على خير وإيمان، فلا يموت أحد منهم كافراً أو مخالفاً أو غير إمامي اثنى عشري.

ففي ذيل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾[2].

---

(١) شواهد التنزيل ٢: ١٠٥، وغاية المرام: ٣٥٢، ومعاني الأخبار: ١٠٤، وتفسير الصافي ذيل الآية، وكذلك تفسير البرهان وأُصول الكافي ١: ٢١٤.

(٢) النساء: ١٥٩.

في تفسير العياشي والبرهان ونور الثقلين والصافي والبحار: عن الإمام الصادق عليه السلام في تأويل الآية الشريفة قال: هذه نزلت فينا خاصّة، إنّه ليس رجل من ولد فاطمة يموت ولا يخرج من الدنيا حتّى يقرّ للإمام بإمامته كما أقرّ ولد يعقوب ليوسف في قوله تعالى:

﴿ تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا ﴾[1].

هذا كلّه لمن كان صحيح النسب من ولد فاطمة البتول عليها السلام.

وربما يؤول أمرهم إلى جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأُمّهم فاطمة الزهراء وأبيهم علي عليه السلام في يوم القيامة، كما آل أمر عقيل والعباس إلى رسول الله لمّا كانا أسيرين بيد المسلمين، فتدبّر.

وهناك روايات كثيرة من طرق العامّة والخاصّة تدلّ على فضل السادة ذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ لهم مكانة عالية في نفوس المسلمين، كما سيتّضح ذلك من خلال إيراد نبذة منها.

وقد نصّ القرآن الكريم على وجوب مودّتهم ومحبّتهم واحترامهم مكافأةً لجدّهم المصطفى حبيب الله ورسوله محمّد المختار صلى الله عليه وآله على ما قدّمه للبشريّة جمعاء من الخدمات العظيمة، فقد أنجاهم من حضيض الجهل والشقاء، وساقهم إلى دوحة الكمال والسعادة.

فقال سبحانه:

﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[2].

---

(١) يوسف: ٩١.

(٢) الشورى: ٢٣.

وسورة (الكوثر) إنّما نزلت لتسلّي النبيّ ﷺ عندما آذاه عاص بن وائل بقوله للنبيّ ﷺ إنّه أبتر (أي مقطوع النسل).

وفي تفسير (الكوثر) معاني عديدة إلّا أنّ المعنى المتّفق عليه عند الجمهور هو أنّ الكوثر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرْ ﴾ هو آل النبيّ وأهل بيته وعترته والذرّية من نسل فاطمة الزهراء عليها السلام وسلالة أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى يوم القيامة بلا زوال، والقرائن بل كلمة الأبتر وشأن النزول في السورة تدلّ على هذا الوجه دون الوجوه الأُخرى.

يقول الرازي في تفسيره: الكوثر أولاده ﷺ لأنّ هذه السورة إنّما نزلت ردّاً على من عابه بعدم الأولاد، فالمعنى أنّه يعطيه نسلاً يبقون على مرّ الزمان، فانظر كم قتل من أهل هذا البيت، ثمّ العالم يمتلي منهم، ولم يبق من بني أُميّة مع كثرتهم في الدنيا أحد يعبأ به، ثمّ انظر كم كان في أهل هذا البيت من أكابر العلماء الزهّاد كالباقر والصادق والكاظم والرضا والنفس الزكيّة وأمثالهم[1].

أقول: ومن معاجز نبيّنا وطبيب نفوسنا رسول الله ﷺ بقاء ذرّيته إلى يوم القيامة، بل ما من بقعة في أرض الله وعلى مرّ العصور إلّا وتجد فيه من نسل الرسول ﷺ، وربما ذلك مقدّمة يوم الظهور، فإنّ الأرض يرثها عباد الله الصالحون، وتكون حكومة العالم بيد السادة الكرام، وعلى رأسهم إمامنا المنتظر الحجّة الثاني عشر صاحب العصر والزمان عجّل الله فرجه الشريف، وجعلنا من خلّص شيعته وأعوانه والمستشهدين بين يديه، آمين آمين لا أرض بواحدة حتّى يضاف إليه ألف آميناً، رحم الله عبداً قال: آمين.

---

(١) التفسير الكبير: الجزء ٣٢، سورة الكوثر.

وإذا كان بقاء النسل معجزة من معاجز النبيّ، فعلينا أن نكرّمهم ونقدّسهم، كما نحترم ونُقدّس القرآن الكريم معجزة النبيّ الخالدة.

علينا أن لا نؤذي رسول الله ﷺ في ذريّته، فمن آذاهم فإنّه يحرم من شفاعة نبيّه ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: إذا قمت المقام المحمود تشفّعت في أصحاب الكبائر من أُمّتي فيشفعني الله فيهم، والله لا تشفّعت فيمن آذى ذرّيتي[١].

وهذا صريح في أن أذيّة أولاد الرسول وذرّيته الكرام إلى يوم القيام يعدّ من الكبائر والذنوب العظام، وربما من أكبر الكبائر، لما فيه من أذى رسول الله، ومن آذاه فقد آذى الله، ومن آذى الله ورسوله فعليه لعائن الله بصريح قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً ﴾[٢].

ثمّ النبيّ ﷺ نبيّ الرحمة وإنّه رحمة للعالمين، وقد ادّخر شفاعته يوم القيامة لأصحاب الكبائر من الذنوب والآثام كشرب الخمر والزنا واللواط وما شابه ذلك ممّا توعّد الله عليه في كتابه الكريم وعلى لسان نبيّه الأعظم ﷺ نار جهنّم، فالنبيّ يشفع لأصحاب الكبائر، إلّا من آذى ذرّيته، وبأيّ شكل ونحو من الأذى، وذلك للإطلاق سواء كانت الأذيّة بالفعل أو القول أو حتّى الهُمزة واللمزة، وسواء كان في ماله أو بدنه أو عرضه، ولا أدري ما جواب أُولئك الذين كسروا ضلع بنت رسول الله فاطمة الزهراء عليها السلام وأحرقوا دارها وأسقطوا جنينها؟ أين يكون

---

(١) أمالي الصدوق: ١٧٦.

(٢) الأحزاب: ٥٧.

مصيرهم ؟ ومصير أتباعهم والراضين بفعلهم ؟

فلا بدّ من تحمّل أذى السادة ذرّية النبيّ ﷺ على حساب الله ورسوله، فإنّ ألف عين لأجل عين تكرم، ومن الوجدانيات أنّ ابن الجيران لو تعدّى على ولدك وآذاه، وولد آخر فعل به كما فعل ابن الجيران، فإنّ ردّ الفعل معهما لا يكون على وتيرة واحدة، بل تختلف لا محالة، فإنّ المرء يغضّ الطرف على أذيّة ابن الجيران، مراعاة لحقّ الجوار والعلاقة الخاصّة. وكذلك من ينتسب إلى رسول الله ﷺ، فإنّه لأجل عين الرسول يتحمّل أذاه، بل ويكرم السيّد الشريف ابن رسول الله ﷺ عسى أن يرتدع من فعله[1].

وأنتم يا ذرّية الرسول وأبناءه الكرام، عليكم أن تعرفوا قيمة أنفسكم ومقدارها، فطوبى لمن عرف قدر نفسه، فإنّه وإن كان إحسانكم عند الله بثوابين، إلّا أنّ جزاء سيّئاتكم بضعفين أيضاً، كما أنّ نساء النبيّ كذلك، فلستن كأحد من النساء كما في قوله تعالى :

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ﴾[2].

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا

---

(١) ورد في رواية عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال الله تعالى : (خلقت النار لمن عصاني ولو كان سيّداً قرشيّاً).

ذهب سيّدنا الأُستاذ آية الله العظمى السيّد النجفي دام ظله أنّها من الروايات الموضوعة، كما أنّها تتنافى مع الوجدانيّات كما مثّلنا بابن الجيران، فتدبّر.

(٢) الأحزاب : ٣٢.

أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً ﴾[١].

إنّ عليّ بن الحسين عليهما السلام كان يقول: لمحسننا كفلان من الأجر، ولمسيئنا ضعفان من العذاب.

وجاء في اعتقادات الشيخ الصدوق عليه الرحمة: واعتقادنا في المسيء منهم أنّ له ضعف العذاب، وفي المحسن منهم أنّ له ضعف الثواب[٢].

فعليكم أن تثمّنوا أنفسكم وتعرفوا مقامكم عند الله وعند الناس، فلا تضيّعوا أنسابكم الشريفة بسوء الأدب كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام[٣]:

(فسد حسب من ليس له أدب).

(عليك بالأدب، فإنّه زين الحسب).

(حسن الأدب يستر قبح النسب).

فكيف بمن كان عالي النسب، فماذا يصنع معه حسن الأدب؟

ولا تبطلوا أحسابكم المنيفة بالمنّ والأذى، وارتكاب المعاصي والآثام وسوء الأخلاق ـ والعياذ بالله ـ بل علينا أن نكون زين لأجدادنا الطاهرين، نكون زينة جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله، لا ننفّر الناس بأفعالنا وأقوالنا من دينه الحنيف، علينا أن نستحي من الله ورسوله، نخجل من الأئمة الأطهار عليهم السلام، ولا نلوّعهم بسوء الآداب، فكيف بالذنوب والمعاصي والعياذ بالله، فإنّ النظر إلى أولاد رسول الله عبادة ـ كما في الأخبار الشريفة ـ لأنّهم يذكّرون الناس برسول الله، ويرجعونهم

---

(١) الأحزاب: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) فضائل السادات: ٤٨١.

(٣) طالب العلم والسيرة الأخلاقية (رسالات إسلامية ٣: ٢٧)، للمؤلف.

إلى الله وإلى دينه القيّم الإسلام الحنيف، فالنظر إليهم يعبّد الطريق إلى الله، ولكن ما لم يقترفوا ذنباً، ولم يتلوّثوا بالمعاصي، ولم يخرجوا عن منهاج رسول الله، فالله ورسوله وأئمة الهدى أهل البيت عليهم السلام أكرمونا بهذه الكرامات والإكرامات، فلا نضيّعها بالسيّئات والمنكرات والمكروهات وسوء الآداب وسوء المعاشرة والمحضر، بل علينا أن نكون من أفضل الذرّيات. كما قال الرسول الأعظم محمّد ﷺ: أنا سيّد الأنبياء والمرسلين، وأفضل من الملائكة المقرّبين، وأوصيائي سادة أوصياء النبيّين، وذرّيتي أفضل ذرّيات النبيّين والمرسلين[1].

فعلى كلّ واحد أن يوصل رحم رسول الله ويحفظ نسبه سواء السادة والذراري أو عامّة الناس، إلّا أنّ حفظ الناس للنسب النبويّ الشريف هو تكريم ذرّيته بكلّ معاني التكريم والتعزيز على الصعيدين المادّي والمعنوي، وعلى الذرّية أنفسهم حفظ النسب النبوي أيضاً بالتقوى والعلم النافع والعمل الصالح والأخلاق الحسنة، حتّى يكونوا زيناً لأجدادهم الطيّبين، ويبقى خلق النبيّ العظيم سارياً وجارياً في نسله المبارك جيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة، فمن أولى بأبناء رسول الله ﷺ أن يذكروا الناس بالله ورسوله وبالأئمة الهداة عليهم السلام ؟

في أُصول الكافي بسنده عن عمر بن يزيد قال: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ أَنْ يُوصَلَ ﴾، فقال عليه السلام: نزلت في رحم آل محمّد ﷺ[2].

وعن الإمام الرضا عليه السلام، قال: إنّ رحم آل محمّد [الأئمة] لمعلّقة بالعرش

---

(١) أمالي الصدوق: ١٧٩.

(٢) الكافي ٢: ١٥٦.

تقول : اللهمّ صل من وصلني واقطع من قطعني، ثمّ هي جارية في أرحام المؤمنين، ثمّ تلا قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾[١].

ثمّ ما يظهر من الروايات الشريفة أنّه تارةً الكلام مع الناس، وما يجب عليهم وينفعهم ودنياهم وآخرتهم من حسن التوفيق ودخول الجنّة، فإنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام يحثّون الناس على إكرام ذرّية رسول الله لعلمهم بالعواقب ومصائر الأُمور، وما يضرّ الناس وينفعهم في الدنيا والآخرة. وتارةً الكلام مع أبناء رسول الله أنفسهم، فإنّ الحديث معهم يختلف، وإنّ الأئمة يحذّروهم بأن لا يغترّوا بأنسابهم وأحسابهم، بل عليهم أن يلتزموا بالطاعة والتقرّب إلى الله، وربما أكثر من غيرهم لتقرّبهم التكويني في النسب مع رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام، فهم أولى من غيرهم بالطاعة لله سبحانه.

في عيون أخبار الرضا، بسنده عن إبراهيم بن محمّد الثقفي، قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : من أحبّ عاصياً فهو عاص، ومن أحبّ مطيعاً فهو مطيع، ومن أعان ظالماً فهو ظالم، ومن خذل ظالماً فهو عادل، إنّه ليس بين الله وبين أحد قرابة، ولا ينال أحد ولاية الله إلّا بالطاعة، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لبني عبد المطّلب : ايتوني بأعمالكم لا بأحسابكم وأنسابكم، قال الله تبارك وتعالى :

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾[٢][٣].

---

(١) النساء : ٢. أُصول الكافي ٢ : ١٥٦.

(٢) المؤمنون : ١٠١ ـ ١٠٣.

(٣) عيون أخبار الرضا ٢ : ٢٥.

فللناس تكليف وهو تكريم الذرّية، كما للذرّية تكليف وهو الطاعة، بل وحفظ النسب فإنّه من الطاعة أيضاً. والسيّد العاصي إنّما نحبّه في ذاته ونبغضه في عمله، جمعاً بين الأخبار، كما في الحديث الشريف: (إنّ الله يبغض المؤمن البخيل ويحبّ الكافر السخي)، فتكريم السيّد المذنب لجدّه لا لنفسه، فتدبّر.

ثمّ لا يخفى أنّ السيادة عند الفقهاء الأعلام من هاشم.

فهؤلاء يشتركون في أصل الاحترام والتكريم وتحريم الصدقة عليهم، إلّا أنّ بني فاطمة عليها السلام يمتازون بتكريم خاصّ وفضائل خاصّة، كما يعلم ذلك من خلال الروايات الواردة في المقام كطلب النبيّ الأكرم ﷺ تحريم ذرّيتها على النار، فأبناء عليّ وفاطمة عليهما السلام أشرف الأشراف وسادة السادة، فأبوهم أمير المؤمنين وإمام المتّقين وسيّد الموحّدين أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأُمّهم سيّدة نساء العالمين الحوراء الإنسيّة الراضية المرضيّة العصمة الكبرى والآية العظمى فاطمة الزهراء عليها السلام، وجدّهم الرسول الأعظم والنبيّ الأكرم أشرف خلق الله سيّد الأنبياء والمرسلين وخاتم النبيّين محمّد ﷺ وجدّتهم أشرف نساء زمانها سيّدة العرب ناصرة الرسول وأُمّ البتول سيّدتنا خديجة الكبرى عليها السلام.

ثمّ ممّا يستدلّ من الآيات القرآنية على فضل السادة فإنّه يستدلّ بآية الخمس في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ السَّبِيلِ ﴾[1].

وما كان لله وللرسول ولذوي القربى فهو للإمام المعصوم عليه السلام، والذي يسمّى بسهم الإمام عليه السلام، والثلاثة الباقية: اليتامى والمساكين وابن السبيل من السادة لهم

---

(١) الأنفال: ٤١.

النصف الآخر، والذي يسمّى في الكتب الفقهيّة والرسائل العملية في عصر الغيبة بسهم السادة. وقد ورد في الروايات الشريفة أنّه يحرم عليهم الصدقة لأنّها من أوساخ الناس بخلاف الخمس فهو من أطهر وأطيب الأموال، بل وبه يوجب تطهير المال، فهو كالماء المطلق الكرّ طاهر بنفسه ومطهّر لغيره. فهو كرامة للسادة الأجلّاء الفقراء شرعاً، بمعنى من لم يملك قوت سنته فيجوز له أن يأخذ بمقدار ما يغنيه ويكفيه لسنته.

وفي الصحاح الستّة عن رسول الله ﷺ، قال: إنّ هذه الصدقات إنّما هي أوساخ الناس، وإنّها لا تحلّ لمحمّد وآل محمّد[1].

وأمّا أنّ الخمس كرامة فذلك لحكمة لطيفة كما سنذكر تفصيلها، إلّا أنّ إجمالها أنّ الذي ينسب إلى الله لا محالة يكون شريفاً وكريماً كبيت الله الحرام وأيّام الله ومساجد الله، والخمس نسب إلى الله سبحانه كما في آية الخمس: ﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾[2]، فكان من أطهر الأموال، فاختصّ بالله ورسوله وذوي القربى، وهو سهم الإمام عليه السلام، والنصف الآخر أي سهم السادة اختصّ ببني هاشم كرامةً لهم، فإنّ الزكاة من أوساخ الناس وقد حرّم عليهم، وبتحريم الزكاة وتحليل الخمس نقف على أرجحيّة تكريم ذرية الرسول الأكرم ﷺ.

فهنيئاً لكم يا أبناء رسول الله وطوبى لكم، اعرفوا منازلكم ومقامكم الشامخ، ولا تضيّعوا نسبكم الشريف بالمعاصي والآثام وسوء الآداب والأخلاق والمعاشرة السيّئة، بل كونوا في الأخلاق مع الناس كجدّكم الأعظم محمّد ﷺ حتّى يكون النظر

---

(١) صحيح مسلم ٢: ٧٥٣، مدارك الأحكام ٥: ٢٥١.

(٢) الأنفال: ٤١.

إليكم عبادة، وتذكّرون الله برؤيتكم، كما كان النظر إلى الكعبة عبادة وإلى العالِم عبادة وإلى وجه عليّ عليه السلام عبادة... وإلّا فكما لكم ضعفان من الأجر، لكم ضعفان من العقاب ليتمّ العدل الإلهي.

وفي العيون بسنده عن الرضا عليه السلام، عن أبيه عليهما السلام، قال: إنّ إسماعيل قال للصادق عليه السلام: يا أبتاه ما تقول في المذنب منّا ومن غيرنا؟ فقال عليه السلام: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ﴾[1].

معاني الأخبار بسنده عن الحسن بن موسى الوشّاء البغدادي، قال: كنت بخراسان مع عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في مجلسه، وزيد بن موسى حاضر، قد أقبل على جماعة في المجلس يفتخر عليهم ويقول: نحن ونحن، وأبو الحسن عليه السلام مقبل على قوم يحدّثهم، فسمع مقالة زيد فالتفت إليه فقال: يا زيد، أغرّك قول بقّالي الكوفة إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذرّيتها على النار؟ والله ما ذلك إلّا للحسن والحسين وولد بطنها خاصّة، فأمّا أن يكون موسى بن جعفر عليه السلام يطيع الله ويصوم نهاره ويقوم ليله وتعصيه أنت، ثمّ تجيئان يوم القيامة سواء لأنت أعزّ على الله عزّ وجلّ منه.

إنّ عليّ بن الحسين عليهما السلام كان يقول ـ أي على نحو الاستمرار ـ: لمحسننا كفلان من الأجر، ولمسيئنا ضعفان من العذاب.

وقال الحسن الوشّاء: ثمّ التفت إليّ فقال: يا حسن، كيف تقرأون هذه الآية ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾[2]، فقلت: من الناس من

---

(١) العيون ٢: ٢٣٤، والآية في سورة النساء: ١٢٣.

(٢) هود: ٤٦.

يقرأ (إنّه عملٌ غيرُ صالح)، ومنهم من يقرأ (إنّه عمِل غيرَ صالح)، فمن قرأ (إنّه عمل غيرُ صالح) فقد نفاه عن أبيه. فقال عليه السلام: كلّا، لقد كان ابنه، ولكن لمّا عصى عزّ وجلّ نفاه الله عن أبيه، كذا من كان منّا لم يطع الله فليس منّا، وأنت إذا أطعت الله فأنت منّا أهل البيت.

وأهل البيت هنا بالمعنى الأعمّ الذي يدخل مثل سلمان المحمّدي فيه، فلا تغفل.

وفي هذا المضمون روايات عديدة، منها: العيون بسنده عن الحسن بن الجهم، قال: كنت عند الرضا عليه السلام وعنده زيد بن موسى أخوه، وهو يقول: يا زيد، اتقّ الله فإنّا بلغنا ما بلغنا بالتقوى، فمن لم يتّقِ الله ولم يراقبه فليس منّا، ولسنا منه، يا زيد إيّاك أن تهين من به تصول من شيعتنا، فيذهب نورك، يا زيد إنّ شيعتنا إنّما أبغضهم الناس وعادوهم، واستحلّوا دماءهم وأموالهم لمحبّتهم لنا، واعتقادهم لولايتنا، فإن أنت أسأت إليهم ظلمت نفسك وأبطلت حقّك.

قال الحسن بن الجهم: ثمّ التفت عليه السلام إليّ فقال: يا ابن الجهم، من خالف دين الله فابرأ منه كائناً من كان من أيّ قبيلةٍ كان، ومن عادى الله فلا توالِه كائناً من كان، من أيّ قبيلة كان، فقلت: يا ابن رسول الله، ومن الذي يعادي الله؟ قال: من يعصيه[1]...

قال رجل للرضا عليه السلام: والله ما على وجه الأرض أشرف منك آباء، فقال: التقوى شرّفهم وطاعة الله أحظتهم. فقال له آخر: أنت والله خير الناس، فقال له: لا تحلف يا هذا، خير منّي من كان أتقى لله عزّ وجلّ وأطوع له، والله ما نسخت هذه

---

(١) عيون الأخبار ٢: ٢٣٥، البحار ٩٣: ٢٢٤.

الآية ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[١].

لا يخفى أنّ مثل هذه الروايات تحذّر أبناء رسول الله من المعاصي وتخوّفهم من الآثام، وتردعهم من الذنوب ولا تعني جواز إهانتهم من قبل الناس وعدم تكريمهم، فلا تنافي بين الروايات كما هو واضح، فلا تغفل.

الصدوق بسنده عن الحذّاء، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لمّا فتح رسول الله ﷺ مكّة قام على الصفا، فقال: يا بني هاشم، يا بني عبد المطّلب! إنّي رسول الله إليكم وإنّي شفيق عليكم، لا تقولوا: إنّ محمّداً منّا، فوالله ما أوليائي منكم ولا من غيركم إلّا المتّقون، فلا أعرفكم تأتوني يوم القيامة تحملون الدنيا على رقابكم ويأتي الناس ويحملون الآخرة، إلّا وإنّي قد أعذرت فيما بيني وبينكم، وفيما بين الله عزّ وجلّ وبينكم، وإنّ لي عملي ولكم عملكم[٢].

ولمثل هذا فليعمل العاملون وليتنافس المتنافسون:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[٣].

وهنا فصول:

---

(١) المصدر نفسه، والآية في سورة الحجرات: ١٣.

(٢) البحار ٩٣: ٢٣٣، عن صفات الشيعة: ١٦٥.

(٣) الحجرات: ١٣.

الفصل الأوّل

الذرّية لغةً واصطلاحاً

الذرّية وتوابعها لغةً :

لا يخفى على ذوي النهى أنّه يطلق على من ينتسب إلى رسول الله محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله من سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ذرّية الرسول صلى الله عليه وآله .

كما يطلق عليهم : أهل البيت ، آل البيت ، عترة النبيّ ، أولاد الرسول ، أبناء ، نسل .

فلا بدّ لنا أن نعرف المعاني اللغوية لهذه الكلمات أوّلاً ، ثمّ المعنى الجديد والمصطلح المنقول إليه .

١ ـ الأهل :

أصله أهل أهلاً به : أنس ، الجمع : أهلون وأهال وآهال وأهّلات وأهَلات : العشيرة وذوو القربى ، و (أهل الرجل) زوجته ، (أهل الأمر) ولاته ، أهل المذهب : من يدين به . أهل الوبر : سكّان الخيام ، أهل المدر أو الحضر : سكّان الأبنية . أهلاً وسهلاً كلمة ترحيب على تقدير : صادفت أهلاً لا غرباء ووطئت سهلاً لا وعراً .

وفي مفردات الراغب :

أهل : أهل الرجل من يجمعه وإيّاهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وبلد، فأهل الرجل في الأصل من يجمعه وإيّاهم مسكن واحد، ثمّ تجوّز به فقيل أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإيّاهم نسب، وتُعورف في أُسرة النبيّ عليه الصلاة والسلام مطلقاً، إذ قيل أهل البيت لقوله عزّ وجلّ :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾[1].

وعُبّر بأهل الرجل عن امرأته، وأهل الإسلام الذين يجمعهم، ولمّا كانت الشريعة حكمت برفع حكم النسب في كثير من الأحكام بين المسلم والكافر، قال تعالى :

﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾.

وقال تعالى :

﴿ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾.

٢ ـ الآل :

أصله من آل يؤول بمعنى رجع، والمآل المرجع، وآل الرجل : أهله، ولا يستعمل إلّا في ما فيه شرف، فلا يقال : (آل الإسكاف). وآل الرسول ﷺ الأبناء والنسب الذي يرجع إليه.

وفي مفردات الراغب[2] : آل : الآل مقلوب عن الأهل، ويصغّر على أُهيل

---

(١) الأحزاب : ٣٣.

(٢) مفردات الراغب الإصفهاني : ٣٠.

إلّا أنّه خصّ بالإضافة إلى أعلام الناطقين دون النكرات ودون الأزمنة والأمكنة، يقال: آل فلان، ولا يقال: آل رجل، ولا آل زمان كذا أو موضع كذا، أو لا يقال: آل الخيّاط، بل يضاف إلى الأشرف والأفضل، يقال: آل الله[1]، وآل السلطان، والأهل يضاف إلى الكلّ فيقال: أهل الله وأهل الخيّاط، كما يقال أهل زمان كذا وبلد كذا. وقيل: هو في الأصل اسم الشخص ويصغّر تأويلاً، ويستعمل فيمن يختصّ بالإنسان اختصاصاً ذاتياً إمّا بقرابة قريبة أو بموالاة، قال عزّ وجلّ:

﴿ وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ ﴾.

وقال:

﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ ﴾.

قيل: وآل النبيّ عليه الصلاة والسلام أقاربه، وقيل: المختصّون به من حيث العلم... والآل أيضاً الحال التي يؤول إليها أمره.

وفي مجمع البحرين:

عن بعض أهل المعرفة في تحقيق الآل: إنّ آل النبيّ ﷺ كلّ من يؤول إليه وهم قسمان: الأوّل هو من يؤول إليه مآلاً صورياً جسمانياً كأولاده ومن يحذو حذوهم من أقاربه الصوريين الذين يحرم عليهم الصدقة في الشريعة المحمّدية، والثاني: من يؤول إليه مآلاً معنوياً روحانياً، وهم أولاده الروحانيون من العلماء الراسخين والأولياء الكاملين والحكماء المتألّهين المقتبسين من مشكاة أنواره ـ إلى أن قال: ـ ولا شكّ أنّ النسبة الثانية آكد من الأُولى، وإذا اجتمعت النسبتان كان نوراً على نور كما في الأئمة المشهورين من العترة الطاهرة. ثمّ قال: وكما حرّم على أولاده

---

(١) وفي هذا يقول عبد المطّلب: نحن آل الله فيما قد خلا، لم يزل ذاك على عهد إبراهيم.

الصوريين الصدقة الصوريّة كذلك حرّم على أولاده المعنويين الصدقة المعنوية أعني تقليد الغير في العلوم والمعارف.

وفي مشكل إعراب القرآن:

إنّ آل محمّد معناه أهل محمّد لأنّ أصل آل أهل ثمّ أُبدل من الهاء همزة فصار إلا ثمّ أُبدلت الهمزة ألفاً لانفتاح ما قبلها وسكونها، فإذا صغّر آل ردّ إلى أصله فقيل أُهيل، وربما يقال الآل أخصّ والأهل أعمّ في مقام الاستعمال.

وجاء في تعليقة الميرزا مهدي المدرّس الآشتياني على شرح منظومة السبزواري (الصفحة ١٤) في شرح قوله: (وآله):

قد فُسّر في الخبر المروي عن الصادق عليه السلام آل النبيّ ﷺ ذرّيته وأهل بيته بالأئمة عليهم السلام، وقال بعض أهل التحقيق: آل النبيّ من يؤول إليه وهم قسمان: الأوّل من يؤول إليه أوّلاً جسمانياً صورياً كأولاده ومن يحذو حذوهم، وهم أقاربه الذين تحرم عليهم الصدقة في الشريعة، والثاني من يؤول إليه مآلاً روحانياً معنوياً من العلماء الراسخين والأولياء الكاملين والحكماء المتألّهين المقتبسين من مشكاته، وتحرم عليهم الصدقة المعنوية أيضاً، وهي تقليد الغير في العلوم والمعارف وأصله أهل، قلبت الهاء همزة بدليل تصغيره بأُهيل. انتهى.

وعلماء اللغة ذكروا أنّ آل الرجل هو أهل بيته، وفي النبيّ ﷺ يجب تخصيصه بالأئمة والعصمة الكبرى فاطمة الزهراء عليها وعليهم السلام لوجهين:

الأوّل من جهة أنّ أولهم إليه ﷺ بكونهم مخلوقين من طينته المقدّسة، التي هي من أعلى عليّين، عالم الأمر وحضرة الجبروت، بحكم كونهم أوّل الصوادر الوجودية، ولا شكّ أنّ نساء النبيّ وأقوامه لا حظّ لهم من ذاك الأمر بالاتفاق.

والثاني: أنّ بيت الله تعالى بيتان: صوري وهو الكعبة، ومعنوي وهو قلب

المؤمن بوجه وحضرة الأحدية الذاتية وبرزخ البرازخ، ومرجع الأوّل أعني قلب المؤمن أيضاً إلى ذاك من جهة أنّ كونه بيتاً له تعالى، من جهة مظهريّته لهذا البيت، كما هو ظاهر غير محتاج إلى البيان. والبيت الحقيقي للنبيّ ﷺ بحكم (أبيت عند ربّي يطعمني ويسقيني) هو أيضاً هذا البيت، من جهة مظهريّته للاسم الأعظم الإلهي، ولمقام قاب قوسين أو أدنى، كما أشار إليه بقوله: (كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين) وهذا أيضاً مستلزم لما ذكر، ولعلمهم بما كان وما يكون وما هو كائن، ولمظهريّتهم الفعليّة لجميع صفاته تعالى وأسمائه، وأين أقوامه ﷺ ونساءه من هذه المنزلة الرفيعة والمكانة العظمى؟

فهذا الدليل يظهر للعارف الخبير اختصاص آية التطهير بهم عليهم الصلاة والسلام أيضاً، فافهم وتدبّر، انتهى[1].

٣ ـ العِترة:

العتر ـ بكسر العين ـ بمعنى الرجوع ومنه المثل (عادت إلى عِترها لميس) أي رجعت إلى أصلها، يضرب لمن رجع إلى خلق كان قد تركه، العِترة: ولد الرجل وذرّيته أو عشيرته ممّن مضى (القطعة من المسك الخالص) (الريقة العذبة).

٤ ـ الأولاد:

من ولد يلد ولاداً وإلاداً وولادة، وولدت الأُنثى: وضعت حملها فهي والد ووالدة وولدت الأرض النبات: أخرجته... والوَلَد والوُلد والوِلْد والوَلْد: كلّ ما

---

(١) تعليقة الآشتياني: ١٥.

ولده شيء، ويطلق على الذكر والأُنثى والمثنّى والجمع، وهو مذكّر، وقد جمعوا فقالوا: أولاد ووِلدَة وإلدة ووَلُد، وتقول العرب: (لا أدري أيّ ولد الرجل هو) أي الناس هو. والولد بمعنى المولود والمتكوّن من النطفه التي هي أصل قوّة البدن ولبّ اللباب ومنبع الدم والروح الحيوانية، فالولد هو الجزء الأصلي من الحيوان، فله حكم الكلّ حكم البدن والروح كما اتّفق عليه العلماء والعقلاء، فيلزم اتّحاد الكلّ والجزء في الأحكام بين النبيّ وذرّيته إلّا ما خرج بالدليل كالنبوّة والإمامة والعصمة والطهارة الذاتيّين وما شابه ذلك من مختصّات النبوّة والإمامة. فهذه السلسلة في المرتبة الذاتية متّحدة مع رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة.

فرحم النبيّ موصولة في الدنيا والآخرة كما ورد في الأخبار الشريفة.

٥ ـ الأبناء:

جمع ابن، وأصله من بني بمعنى البناء عكس الهدم، وابتنى الرجل صار له بنون وأبناء، والمؤنّث ابنة. وتصغيره (بنيّ) والولد الحلال يبتنى على أبيه فسمّي ابناً.

وفي المفردات: وابن أصله بنو لقولهم الجمع أبناء وفي التصغير بُني، قال تعالى:

﴿ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ﴾[1].

﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾[2].

---

(١) يوسف: ٤.

(٢) الصافّات: ١٠٢.

﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ ﴾[١].

يا بنيّ لا تعبد الشيطان.

وسمّي بذلك لكونه بناءً للأب، فإنّ الأب هو الذي بناه وجعله الله بناءً في إيجاده ويقال لكلّ ما يحصل من جهة شيء أو من تربيته أو بتفقّده أو كثرة خدمته له أو قيامه بأمره هو ابنه نحو فلان ابن حرب، وابن السبيل للمسافر، وابن الليل، وابن العلم، وفلان ابن بطنه وابن فرجه إذا كان همّه مصروفاً إليهما، وابن يومه إذا لم يفكّر في غده، قال تعالى:

﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ٱبْنُ اللهِ ﴾[٢].

وجمع ابن: أبناء وبنون... ويقال في مؤنّث ابن: ابنة وبنت، والجمع: بنات[٣].

وفي المفردات: الولد المولود يقال للواحد والجمع والصغير والكبير، قال الله تعالى:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ ﴾.

﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ﴾.

ويقال للمتبنّى: ولد، قال:

﴿ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ﴾.

وقال:

﴿ وَوَالِدٌ وَمَا وَلَدَ ﴾.

---

(١) لقمان: ١٣.

(٢) التوبة: ٣٠.

(٣) مفردات الراغب: ٦٢.

قال أبو الحسن : الولد الابن والابنة والوُلد هم الأهل والوِلد[١]...

ثمّ يطلق الأولاد على أولاد الأولاد وهكذا، كما في قوله تعالى :

﴿ يا بَنِي آدَمَ ﴾.

٦ ـ النسل :

نسل نسلاً الصوف أو الريش : نفشه وأسقطه، ونسل الرجل : كثر ولده... وبنو فلان أكثر أولادهم. الولد والذرّية.

وفي المفردات[٢] : نسل : النسل الانفصال عن الشيء، يقال : نسل الوبر عن البعير، والقميص عن الإنسان... والنسل الولد لكونه ناسلاً عن أبيه، قال :

﴿ وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾.

وتناسلوا : توالدوا.

٧ ـ الذُرّية :

من ذرأ بمعنى الخلق وبمعنى الكثرة، ذرأ الشيء كثّره.

أو من ذرا وذري بمعنى الطيران والتفريق، ذروت الريح التراب : أطارته وفرّقته. وذريت الحنطة نقّاها في الريح.

أو من ذرر بمعنى الصغار من الأولاد.

وفي المفردات : ذرو : ذروة السنام وذراه أعلاه... والذرّية أصلها الصغار من

---

(١) مفردات الراغب : ٥٣٢.

(٢) مفردات الراغب : ٤٩١.

الأولاد وإن كان يقع على الصغار والكبار معاً في التعارف ويستعمل للواحد والجمع وأصله الجمع، قال تعالى:

﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾[١].

وقال:

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾[٢].

وقال:

﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾[٣].

وقال:

﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾[٤].

وفي الذرّية ثلاثة أقوال: قيل: هو من ذرأ الله الخلق فترك همزه نحو رويـة وبرية، وقيل: أصله ذروية، وقيل: هو فُعلِيّة من الذرّ نحو قمرية.

وقال أبو القاسم البلخي: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ﴾ مـن قـولهم: ذريت الحنطة ولم يعتبر أنّ الأوّل مهموز.

وذرّية يطلق على الأبناء والأولاد إلى يوم القيامة كما يشهد على ذلك اللغة والعرف والشرع المقدّس في نصوصه الدينيّة، من القرآن الكريم والروايات الشريفة، وإنكار ذلك من المكابرة والعناد.

---

(١) آل عمران: ٣٤.

(٢) الإسراء: ٣.

(٣) يس: ٤١.

(٤) البقرة: ١٢٤.

الذرّية وتوابعها اصطلاحاً :

وأمّا هذه الكلمات (السبعة) اصطلاحاً، فإنّها تطلق على معانٍ أربعة كما يستفاد ذلك من خلال الروايات الشريفة الواردة عن الرسول الأعظم ﷺ والصادرة عن أهل البيت الأطهار عليهم السلام. وموارد الاستعمال إنّما هو باعتبار ضيق الدائرة وسعتها من جهة المصاديق خصوصاً وعموماً، فتارةً تطلق على المعنى الأخصّ، وأُخرى على الخاصّ، وثالثة على العامّ، ورابعةً على الأعمّ[1].

مثلاً: استعمل كلمة (أهل البيت) في أحاديث النبيّ ﷺ تارةً في خصوص أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام، كما في آية التطهير وحديث الكساء المتواتر عند الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ وهذا هو المعنى الأخصّ.

أجمعت الأُمّة وأهل القبلة أنّ آية التطهير: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[2]، نزلت في خصوص آل العباء الأربعة عليهم السلام.

وعند جماعة منهم صاحب الصواعق المحرقة أنّ هذه الآية نزلت مرّتان وتكرّرت كسورة الحمد للتأكيد على علوّ شأن وطهر أصحابها. مرّة يوم المباهلة (مباهلة النبيّ ﷺ مع نصارى نجران) ففي مسلم والترمذي والمشكاة وجامع

---

(١) هذا التقسيم لم أجده في تأليف أو تصنيف، إنّما تبادر إلى ذهني عندما رجعت إلى الروايات ووجدت اختلافها في الاستعمال، فقسّمتها إلى أربعة طوائف واصطلحت لها هذه العناوين: الأخصّ والخاصّ والعامّ والأعمّ.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

الأُصول وغيرهم أنّه كما نزلت آية ﴿ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾[١]، دعى النبيّ ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام فقال: اللهمّ هؤلاء أهلي.

عن عائشة قالت: خرج النبيّ ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله فيه، ثمّ جاء الحسين عليه السلام فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها ثمّ جاء علي فأدخله. ثمّ قال: إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً[٢].

والمرّة الأُخرى في بيت أُمّ سلمة زوجة النبيّ ﷺ، ففي الترمذي والمشكاة وغيرهما عن أُمّ سلمة: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ دعى النبيّ ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء، وعليّ خلف ظهره فجلّله بكساء، ثمّ قال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، قالت أُمّ سلمة: وأنا معهم يا نبيّ الله؟ فقال: أنت على مكانك وأنت على خير[٣].

وفي مسلم والترمذي في ذيل الآية: كان النبيّ ﷺ يقول لعليّ عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين: أنا حرب لمن حاربتم وسلمٌ لمن سالمتم.

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) صحيح الترمذي ٤: ٤٠٩، مستدرك الصحيحين ٣: ١٤٧، سنن البيهقي ٢: ١٤٩، الدرّ المنثور ٥: ١٩٨، تفسير ابن جرير الطبري ٣٣: ٧، مسند أحمد ١: ٣٣٠، خصائص النسائي: ١٤، وغيره.

(٣) صحيح الترمذي ٣: ٣٠٩، تفسير الطبري ٤: ٦، أُسد الغابة ٣: ١٣، ذخائر العقبى: ٣١، تذكرة الخواصّ: ٢٠٠.

وفي الترمذي عن أنس: كان النبيّ يمرّ بباب فاطمة ستّة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت، إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً[١].

وفي الدرّ المنثور عن ابن عباس: شهدنا رسول الله ﷺ تسعة أشهر يأتي كلّ يوم باب علي عند وقت كلّ صلاة، فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت، إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً، الصلاة يرحمكم الله[٢].

وفي صحيح مسلم: سأله الصحابة زيد بن أرقم من أهل بيته نساءه؟

قال: لا، وأيم الله، إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثمّ يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة عليهم بعده[٣].

هذا، ولا يخفى أنّ العصمة الذاتيّة الكلّية والطهارة الذاتيّة التكوينية والتشريعية إنّما مختصّة بهؤلاء الأربعة أصحاب الكساء ومعهم رسول الله ﷺ وذلك بنصّ آية التطهير، وكذلك الأئمة التسعة المعصومين من ولد الإمام الحسين عليهم السلام، وذلك بالنصوص الخاصّة الواردة في هذا المقام، وأمّا غيرهم فيشتركون معهم في حرمة الصدقة عليهم وما شابه ذلك.

---

(١) أُسد الغابة ٧: ٣٣٣، تحفة الأحوذي ٩: ٦٧.

(٢) الدرّ المنثور ٥: ١٩٩، كنز العمّال ١٦: ٣٥٧، الجامع الصحيح ٥: ٣٥٣، مستدرك الحاكم ٣: ٥٣١.

(٣) صحيح مسلم ٧: ١٢٢، تيسير الوصول ٢: ١٦١.

ثمّ النبيّ الأكرم محمّد ﷺ إنّما كان يكرّر آية التطهير على بيت أمير المؤمنين علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام لمدّة ستّة أشهر أو تسعة أو سنة على اختلاف الروايات، وعند صلاة الفجر أو الصلوات الخمسة، كلّ هذا التأكيد ليبيّن لأصحابه وللقوم منزلة أهل البيت عليهم السلام وعظمتهم، وأنّه مختصّ بهؤلاء دون غيرهم، حتّى نساءه وبقيّة أولاده.

ثمّ يأتي أهل البيت عليهم السلام بالمعنى الخاصّ والمقصود منه خصوص الأئمة المعصومين عليهم السلام كما في حديث السفينة المتواتر عند الفريقين (مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجى، ومن تخلّف عنها غرق وهوى)[1].

والمعنى العامّ من أهل البيت هم ذراري رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة.

قال رسول الله ﷺ في حديث: من آوى أحداً من أهل بيتي أو أبرّهم أو كساهم من عري، أو أشبع جائعهم فليقم حتّى أُكافيه، فيقوم أُناس قد فعلوا ذلك، فيأتي النداء من عند الله: يا محمّد، يا حبيبي، قد جعلت مكافأتهم إليك، فأسكنهم من الجنّة حيث شئت، فيسكنهم في الوسيلة، بحيث لا يحجبون عن محمّد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام[2].

والمعنى الرابع لأهل البيت هو المعنى الأعمّ، فإنّه يطلق على من يحمل صفة أهل البيت وعلومهم وسلوكهم وأخلاقهم كما ورد في حقّ سلمان المحمّدي هذا الشرف العظيم في قول النبيّ الأعظم ﷺ: (سلمان منّا أهل البيت).

---

(١) لقد ذكرت تفصيل المصادر من الفريقين في كتاب (أهل البيت سفينة النجاة)، مطبوع، فراجع.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢٠٢.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه كان من العلماء فصار منّا أهل البيت، وهذا يعني أنّ كلّ من يحمل علومهم ومعارفهم فهو منهم وإن بعدت لحمته وشحمته، كما في الأخبار الكثيرة الدالّة على ذلك.

ولا يخفى أنّ استعمال (أهل البيت) في المعاني الثلاثة الأُولى إنّما هو استعمال حقيقي، والأهليّة تكوينيّة، وأمّا المعنى الرابع فهو من الاستعمال المجازي، والأهليّة تشريفيّة، وربما تزيد على التكوينية في بعض الموارد، فلا يخفى لطفه.

هذا وباقي الكلمات تجري فيها المعاني الأربعة كذلك، يقف عليها الفقيه المتضلّع بالأخبار الشريفة، الواقف على المعاني من خلال القرائن ولسان الروايات وشمّ الدراية، وحديث تدريه خير من ألف حديث ترويه.

ولأزيدك علماً ـ أيّها القارئ الكريم ـ أضرب لك مثالاً آخر، وعليك التتبّع في الكلمات الأُخرى، فالولد للنبيّ تارةً يقصد منه خصوص الحسن والحسين عليهما السلام كما قال رسول الله ﷺ: (هذان ولداي سيّدا شباب أهل الجنّة)، وأُخرى يقصد منه الأئمة المعصومون عليهم السلام أبناء وأولاد رسول الله، وثالثة يقصد كلّ من ينتسب إلى رسول الله من خلال فاطمة عليها السلام، ورابعة يقصد منه الأُمّة لقول رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: (يا عليّ، أنا وأنت أبوا هذه الأُمّة)، فالأُمّة تكون أولاد النبيّ ﷺ باعتبار المعنى الأعمّ.

وكذلك الكلام في الآل والذرّية والنسل ـ كما يعلم من خلال الروايات المذكورة في هذه الرسالة وغيرها وعليك التطبيق والتدبّر ـ.

في كتاب ثواب الأعمال للشيخ الصدوق عليه الرحمة بسنده عن عمّار قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال رجل: اللهمّ صلّ على محمّد وأهل بيت محمّد، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هذا، لقد ضيّقت علينا، أما علمت أنّ أهل البيت خمسة

أصحاب الكساء ؟ فقال الرجل : كيف أقول ؟ قال : قل : اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، فنكون نحن وشيعتنا قد دخلنا فيه[١].

وجاء في (دائرة المعارف الشيعية العامة) : آل محمّد ﷺ هم الذين يؤول أمرهم إليهم، فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شكّ أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين عليهم السلام كان التعلّق بينهم وبين النبيّ ﷺ أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب عليهم السلام أن يكونوا هم الآل كما أشار إليه صاحب الكشّاف. قال عبد الباقي العمري :

صنو طاها المصطفى وابنته ... مع سبطيه الكنوز المقفلة
نقط رصّعت الباء مع النو ... ن والباء التي في البسملة
سور القرآن فيها سورت ... سيّما تسويرها للحمد له

روى الصدوق[٢] عن أبي بصير قال : قلت للصادق عليه السلام : من آل محمّد ؟ قال عليه السلام : ذرّيته، فقلت : من أهل بيته ؟ قال عليه السلام : الأئمة الأوصياء. قلت : مَن عترته ؟ قال : أصحاب العباء. فقلت : من أُمّته ؟ قال : المؤمنون الذين صدقوا بما جاء من عند الله تعالى المتمسّكون بالثقلين الذين أُمروا بالتمسّك بهما كتاب الله وعترته أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهما الخليفتان على الأُمّة بعد رسول الله.

قال الفخر الرازي[٣] في ذيل الآية الشريفة : ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً

---

(١) البحار ٩١ : ٥٩، عن ثواب الأعمال : ١٤٣.

(٢) أمالي الصدوق : ٢٠٠، المجلس ٤٢.

(٣) تفسير الرازي ٧ : ٤٠٦.

إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ : اختلف الناس في الآل فقيل هم الأقارب، وقيل هم أُمّته، فإن حملناه على القرابة فهم الآل، وإن حملناه على الأُمّة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً الآل، فثبت أنّه على جميع التقديرات هم الآل، وأمّا غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل فمختلف فيه، وروى صاحب الكشّاف أنّه لمّا أُنزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال ﷺ: عليّ وفاطمة وابناهما.

فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النبيّ ﷺ، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم، ويدلّ عليه وجوه:

الأوّل: قوله تعالى: ﴿ إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾. ووجه الاستدلال به ما سبق.

الثاني: أنّ النبيّ ﷺ كان يحبّ فاطمة، وقال ﷺ: فاطمة عليها السلام بضعة منّي، يؤذيني ما يؤذيها، وثبت بالنقل المتواتر عن محمّد ﷺ أنّه كان يحبّ عليّاً والحسن والحسين عليهم السلام.

وإذا ثبت ذلك وجب على كلّ الأُمّة مثله، لقوله تعالى:

﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

ولقوله:

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾[1].

ولقوله:

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾[2].

---

(١) النور: ٦٣.

(٢) آل عمران: ٣١.

ولقوله:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[١].

الثالث: إنّ الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهّد في الصلاة، وهو قوله: (اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وارحم محمّداً وآل محمّد)، وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل، فكلّ ذلك يدلّ على أنّ حبّ آل محمّد واجب.

قال الشافعي:

إن كان رفضاً حبّ آل محمّدٍ فليشهد الثقلان أنّي رافضي[٢]

وقال المؤلّف عليه الرحمة: ولا يخفى على أحد شرف آل محمّد في الملّة الإسلامية كما يعلمه العارفون ينبوع الوحي نبيّ الإسلام وآله عليه وعليهم السلام فلهم وفيهم وعنهم وإليهم كلّ مجد عربي وكلّ شرف ديني، لآل محمّد شرف النبوّة وشرف الفتوّة وشرف الإمامة وشرف الزعامة، شرف الهداية، شرف الولاية، شرف العرفان وسبق الإيمان، شرف الخلافة والقضاء والوحي والدعاء، شرف السخاء والسعادة، شرف الإباء والشهادة، شرف الملك والسلطان، شرف البيان والتبيان ـ إلى أن يقول: ـ هم شرفاء أُمّ القرى وأسخيائه، فلو جزّأوا الشرف على مئة جزء، لكان تسعة وتعسون جزءاً منه مختصّاً بآل محمّد، والجزء الباقي مشتركاً بينهم وبين العالمين، ولا توجد عائلة بشريّة مرّت عليها القرون وهي محافظة لنسبها العائلي كآل محمّد على كثرتهم وتبعثرهم في الآفاق، ولا توجد عائلة قدّمت ضحايا

---

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) دائرة المعارف الشيعية العامّة، للشيخ محمّد حسين الأعلمي ١: ٣٧١.

نفوسها العزيزة في سبيل تعزيز شرفها وإحياء مجدها كآل محمّد، ولا توجد عائلة تكون فيها نوابغ الرجال والنساء ولا توجد عائلة منتشرة الآثار والمآثر في التعاليم والعلوم والأعمال والأخلاق كآل محمّد، كما أشار إلى ذلك هبة الدين الشهرستاني بقوله:

لو كان يقعد فوق الشمس من شرفٍ ... قومٌ بأوّلهم أو مجدّهم قعدوا

محسّدون على ما كان من نِعَمٍ ... لا ينزع الله منهم ما به حسدوا

وقال: ولا نجد عائلة جمعت بين شرفي الروحانية والسلطنة أكثر من ألف سنة إلّا آل محمّد، ولا نجد عائلة جمعت بين الامتيازات الطبيعية الدينية والدنيوية في الظاهر والباطن إلّا آل محمّد[1].

ثمّ قال في الصفحة ٣٨٢: واللازم علينا أوّلاً تصحيح أنسابهم وتواصل أرحامهم وجمع شملهم بعد التفرّق وتعزيز شرفهم العظيم وإحياء مجدهم القديم وتطهيرهم من كلّ دنس، لما تقدّم ويأتي الإشارة إليها، روى ابن حجر في خاتمة الصواعق (الصفحة ١١٣) عن البخاري قال: من أعظم الفري أن يدّعي الرجل إلى غير أبيه، وقال: ليس من رجل ادّعى لغير أبيه وهو يعلمه إلّا كفر، وقال: من ادّعى إلى غير أبيه فالجنّة حرام عليه، وفي رواية: فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين...

ينبغي لكلّ أحد أن يكون له غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتّى لا ينسب إليه ﷺ واحد إلّا بحقّ ولم يزل أنساب أهل البيت النبويّ مضبوطة على تطاول الأيام، وأحسابهم التي بها يتميّزون محفوظة عن أن يدّعيها الجهّال واللئام،

---

(١) المصدر نفسه: ٣٧٧.

وقد ألهم الله من يقوم بتصحيحها في كلّ زمان، ومن يعتني بحفظ تفاصيلها في كلّ أوان، خصوصاً أنساب الطالبيّين والمطّلبيين ومن ثمّ وقع الاصطلاح على اختصاص الذرّية الطاهرة بني فاطمة بين ذوي الشرف كالعباسيين والجعافرة بلبس الأخضر إظهاراً لمزيّة شرفهم، وعن الصادق عليه السلام قال: لا يحلّ لأحد أن يجمع بين اثنين من ولد فاطمة عليها السلام وإنّ ذلك يبلغها ويشقّ عليها، قال الراوي: أيبلغها، قال: إي والله، والدلالة أنّ أذاها عليها السلام هنا من حيث تضمّنه الإهانة أو الأذى لذرّيتها، والذي ما تواتر في علّة فرض الله تعالى الخمس لهم تنزيهاً لهم عن أوساخ الناس لقرابتهم من رسول الله كرامةً لهم من عنده ويغنيهم به أن لا يصيرهم في موضع الذلّ والمسكنة.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال للراوي: أتدري ما تفسير حيّ على خير العمل؟ قال: لا، قال عليه السلام: دعاك إلى البرّ، أتدري برّ من؟ قال: لا، قال: دعاك إلى برّ فاطمة عليها السلام وولدها، وقال صلى الله عليه وآله: أيّما رجل صنع إلى رجل من ولدي صنيعة ولم يكافئه عليها فأنا أُكافئ له غداً يوم القيامة وقال: كلّ نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلّا نسبي وسببي، وكلّ نبيّ ذرّيته من صلبه وذرّيتي من صلب عليّ عليه السلام، وقال لعليّ عليه السلام: أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت وفاطمة والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذرّيتنا من خلفنا، وإنّ فاطمة أحصنت نفسها فحرّم ذرّيتها على النار.

وقال صلى الله عليه وآله: سألت ربّي أن لا يدخل أحداً من أهلي النار، فأعطانيها.

وقال: وعدني ربّي في أهل بيتي من أقرّ منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذّبهم.

وقال: سابقنا شهيد ومقتصدنا ناجٍ.

وقال : يا بني هاشم، والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لو أخذت بحلقة باب الجنّة ما بدأت إلّا بكم، وسألت الله لكم ثلاثاً : أن يثبت قائمكم، وأن يهدي ضالّكم، وأن يعلّم جاهلكم.

وقال : أنا وأهل بيتي كشجرة في الجنّة وأغصانها في الدنيا، فمن شاء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلاً فليحبّنا.

وقال : شفاعتي لأُمّتي من أحبّ أهل بيتي.

وقال : اشتدّ غضب الله تعالى على من آذاني في عترتي.

وقال : من آذى قرابتي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله.

وقال : من أحبّ أن يؤخّر أجله وأن يتمتّع فيما حوله فليخلفني في أهلي خلافة حسنة، فمن لم يخلفني وتر عمره، وورد عليّ يوم القيامة مسوداً وجهه.

وقال : الشفعاء خمسة : القرآن والرحم والأمانة ونبيّكم وأهل بيته.

وقال : النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأُمّتي.

وقال : نحن بني عبد المطّلب، ما عادانا كلب إلّا وكَلِب، ولا بيت إلّا وخرب.

وعن مسعدة قال : كنت عند الصادق عليه السلام إذ أتاه شيخ كبير قد انحنى متّكئاً على عصاه وسلّم، فردّ الصادق عليه السلام الجواب، ثمّ قال : يا بن رسول الله ناولني يدك أُقبّلها، فأعطاه يده فقبّلها ثمّ بكى، فقال عليه السلام : ما يبكيك يا شيخ ؟ قال : جعلت فداك، يا بن رسول الله، أفنت على قائمكم منذ مائة سنة أقول هذا الشهر وهذه السنة وقد كبر سنّي ودقّ عظمي وقرب أجلي، ولا أرى فيكم ما أُحبّه، أراكم مقتولين مشرّدين، وأرى عدوّكم يطيرون بالأجنحة فكيف لا أبكي، فدمعت عينا الصادق عليه السلام فقال : يا شيخ، إنّ الله تعالى إن أبقاك حتّى ترى قائمنا كنت معنا في السنام الأعلى، وإن حلّت بك المنيّة جئت يوم القيامة مع ثقله، فقد قال النبيّ ﷺ :

إنّي مخلّف فيكم الثقلين فتمسّكوا بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فقال الشيخ: لا أُبالي بعدما سمعت هذا الخبر، ثمّ قال عليه السلام: يا شيخ، اعلم أنّ قائمنا يخرج من صلب الحسن العسكري بن عليّ الهادي بن محمّد الجواد بن عليّ بن موسى الرضا ابن موسى الكاظم ابني، ونحن اثنا عشر كلّنا معصومون مطهّرون، فقال الشيخ: يا سيّدي، بعضكم أفضل من بعض؟ قال عليه السلام: لا نحن في الفضل سواء، ولكن بعضنا أعلم من بعض، ثمّ قال: والله لو لم يبقَ من الدنيا إلّا يوم لطوّل الله تعالى ذلك اليوم حتّى يخرج قائمنا أهل البيت، ألا إنّ شيعتنا يقعون في فتنة وحيرة في غيبته هناك يثبت الله على هداه المخلصين، اللهمّ أعنهم على ذلك.

ثمّ قال المؤلّف عليه الرحمة: وممّا يدلّ على وجوب توقير ذرّية النبيّ صلى الله عليه وآله ولزوم إجلالهم وحرمتهم وبيان فضلهم على من سواهم هو ما يبلغ حدّ الضرورة، إذ لا يرتاب ذو لبٍّ في أنّ تعظيم الولد تعظيم لآبائه، وتحقيره تحقير لهم، وممّا ينبّه على ذلك ويوضحه أنّ خلفاء الله في أرضه وأُمنائه وحججه على عباده وهم الذين خصّهم الله تعالى على من سواهم وحباهم وجعلهم ورثة الأنبياء وختم بهم الأوصياء والأئمة وعلّمهم علم ما كان وما يكون وجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وأوجب على الخلق مودّتهم وضرب لهم في كتابه أمثالاً ـ فيذكر بعض الآيات الشريفة ـ وكلامه في الآل بالمعنى الخاصّ أي الأئمة الأطهار عليهم السلام، وفي بعض الموارد بالمعنى العامّ، فلا تغفل، ثمّ يذكر بعض الروايات منها:

قال صلى الله عليه وآله: يا أيّها الناس، عظّموا أهل بيتي في حياتي وبعد مماتي، وأكرموهم وفضّلوهم لا يحلّ لأحد أن يقوم لأحد غير أهل بيتي.

وقال: من رأى أولادي ولم يقم بين يديه فقد جفاني ومن جفاني فهو منافق.

وقال صلى الله عليه وآله: من رأى أولادي ولم يقم لهم قياماً تامّاً ابتلاه الله تعالى ببلاء

لا دواء له، لما لهم من المنزلة والكرامة عند الله.

وقال: لا يقم أحد لأحد إلّا للحسن والحسين وذرّيتهما.

وقال عليه السلام: النظر إلى ذرّيتنا عبادة، فقيل: النظر إلى الأئمة منكم أو النظر إلى جميعهم؟ قال: بل النظر إلى جميعهم عبادة، ما لم يفارقوا منهاجي ولم يتلوّثوا بالمعاصي.

وقال عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أيّها الخلائق أنصتوا فإنّ محمّداً يكلّمكم ويقول: معاشر الخلائق من كانت له عندي يد أو متة او معروف فليقم حتّى أُكافيه.

وفي حديث آخر قال: من آوى أحداً من أهل بيتي أو برّهم أو كساهم أو أشبعهم فليقم حتّى أُكافيه فيقوم أُناس قد فعلوا ذلك في الدنيا فيأتي النداء من عند الله يا محمّد يا حبيبي قد جعلت مكافأتهم إليك، فأسكنهم من الجنّة حيث شئت.

وفي حديث آخر قال ﷺ: إنّي شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا: رجل نصر لذرّيتي، ورجل بذل ماله لذرّيتي عند الشدّة، ورجل أحبّ ذرّيتي باللسان والقلب، ورجل سعى في حوائجهم إذا طردوا أو شرّدوا.

وغير ذلك من الأخبار والآثار الواردة في هذا. قال الشاعر:

بئر معطّلة وقصر مشرف ... مثل لآل محمّد مستطرف

فالقصر مجدهم الذي لا يرتقى ... والبئر علمهم الذي لا ينزف

ثمّ قال المؤلّف (الصفحة ٣٨٧) قلنا: ومن شعائرهم الظاهرة خضرة العمائم والمناطق ـ جمع منطقة أي حزام من قماش أو غيره يلفّ حول الظهر والبطن ـ والتعارف بالنسب وتصحيح أنسابهم بعدما أظلم بانتحالات كاذبة واشتباهات

مضرّة وتواصل أرحامهم بعد التقاطع وتعارفهم بعد التناكر وجمع شملهم بعد التفرّق وتعزيز شرفهم العظيم، وإحياء مجدهم القديم وتطهير آثار السالفين وتطبيق أحوالهم العموميّة على مقتضيات الدين والعلم والشرف وآداب السلف الصالحة والمصلحة القومية، ومن شعائرهم تحسين الأسماء والألقاب والتوقير بالكنى والتديّن لله تعالى والعدل بعد التوحيد والعلم والزهد في فضول العيش والنظافة والصدق والغيرة والسخاء والشجاعة والوفاء والأمانة والعفو والجزاء في موقعه، والفصاحة والبلاغة وإباء نفوسهم عن الدنيّة، والثبات والشهادة في الحقّ، وعفّة القلب والجوارح والنصرة للحقّ وهداية الناس وتوقير الكبير وحماية المستجير ورعاية آداب سلفهم الصالح:

هم التين والزيتون آل محمّد ... هم شجرة طوبى لمن يتفهّمُ
هم آل ياسين وطه وهل أتى ... هم النمل والأنفال إن كنت تعلمُ
هم الآية الكبرى هم الركن والصفا ... هم الحجّ والبيت العتيق وزمزمُ
هم في غدٍ سفن النجاة لمن وعى ... هم العروة الوثقى التي ليس تفطمُ
هم السرّ فينا والمعالي هم الأُولى ... ويؤمن منجيهم إلى أين يمّمُ
هم الغاية القصوى هم منتهى المنا ... سل النصّ والفرقان يخبرك عنهمُ
هم فرط للقادمين عليهمُ ... إذا وردوا والحوض بالماء مقعمُ
هم جنّة المأوى هم الحوض في غدٍ ... هم البيت والسقف الرفيع المعظّمُ
هم آل عمران هم الحجّ والنساء ... هم سبأ والذاريات ومريمُ
هم باهلوا نجران في داخل العباء ... فعاد المنادي وهو عنهم مرغمُ
ولولاهم لم يخلق الله خلقه ... ولا هبطا للناس حوّاء وآدمُ
وأقبل جبريل يقول مفاخراً ... لميكال من مثلي وقد صرت منهمُ

ومن مثلهم في العالمين وقد غدا ... لهم سيّد الأملاك جبريل يخدمُ
ومن ذا يُباريهم بفخر فضيلة ... من الناس والقرآن يؤخذ عنهمُ
أبوهم أمير المؤمنين وجدّهم ... أبو القاسم الطهر النبيّ المكرّمُ
وخالهم إبراهيم والأمّ فاطم ... وعمّهم الطيّار بالخُلد ينعمُ

* * *

فهذا إذا عدّوا المناسب في الورى ... هم الصهر والطهر النبيّ به حمى
هم شرعوا الدين الحنيفي والهدى ... وقاموا بدين الله من قبل يحكمُ[1]

قال الشافعي:

يا آل بيت رسول الله حبّكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكمُ من عظيم الشأن أنّكمُ ... من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

---

(١) دائرة المعارف الشيعية العامّة ١ : ٣٨٨.

الفصل الثاني

السيّد لغةً واصطلاحاً

السيّد وتوابعها لغةً :

ذرّية الرسول ﷺ سادة الناس كجدّهم سيّد الكائنات.

والسيّد مشتقّ من ساد قومه يسودهم سيادةً، فهو سيّدهم وجمعه سادة وسيائد وسادات، وهو عند البصريّين على وزن فعل وجمعه فعلة وفيعل فياعل مثل قائد وقادة وقوائد، وعند الكوفيين أصله من ساد يسوّد سيدودة وسؤدداً، فهو سيودد ولسكون الياء قبل الواو ياءً ثمّ أُدغم في الياء للمجانسة مع كسر الياء فصار سيّداً، ويستعمل السيّد بالإضافة، كسيّد العرب والعجم، كما يستعمل مطلقاً وهو في الله سبحانه فقط فيقال (يا سيّد).

ويطلق السيّد على الرب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم والزوج والرئيس والمقدّم والمطاع عند قومه، والذي يفوق الكلّ في الخير كلّه، كما جاء بعض هذه المعاني في قوله تعالى في يحيى : ﴿ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً ﴾[1].

---

(١) آل عمران : ٣٩.

وفي الشريعة الإسلامية وعند المسلمين أصبح علماً لرسول الله خير الكائنات وسيّد الممكنات وسبب إيجاد الموجودات، جامع جميع صفات الكمال والجمال والجلال في الممكنات، فهو منزّه عن جميع الخبائث والأدناس والأرجاس الصوريّة والمعنويّة.

ثمّ تتجلّى هذه المعاني السامية والمقامات الرفيعة في صهره وابن عمّه وأخيه وخليفته بلا فصل، أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فهما أبوا هذه الأُمّة، ومرجع كلّ مرجع ومطاع كلّ مطيع في الدين والدنيا، فهما السيّدان على الإطلاق، ثمّ لأولادهما المعصومين عليهم السلام مقام السيادة العظمى، ثمّ لذرّيتهما وأحفاد بني هاشم ومن ينتسب إليهما، فلهم السيادة الصُغرى الأمثل فالأمثل، ويسمّى كلّ واحد منهم سيّداً وعلويّاً هاشمياً، كما يسمّى أولاد عليّ وفاطمة عليهما السلام بالعلويين والفاطميين، وكلّ من زاد في أجداده من الأئمة الأطهار فهو أشرف نسباً، وقيل: الأشرف من قرب من عليّ وفاطمة عليهما السلام في الولادة، ثمّ الأقرب فالأقرب.

فالسيّد وإن كان وصفاً لمن كان مطاعاً في كلّ قوم، إلّا أنّه صار علماً للذات النبويّة الشريفة والذات الولويّة ـ المنسوبة إلى أولياء الله الأئمة الأطهار عليهم السلام ـ المقدّسة، ومن ينسب إليهما.

فمن يسمع كلمة السيّد، أو الشريف أو شريف الطرفين فإنّه يتبادر إلى ذهنه المنسوب إلى رسول الله ﷺ في البنوّة، فانتقلت كلمة السيّد من المعنى اللغوي إلى معنى خاصّ وذلك من النقل المألوف كنقل الصلاة من الدعاء إلى الأفعال الخاصّة، أوّلها التكبير وآخرها التسليم.

فالسيّد والشريف اصطلاحاً في محاورة المسلمين لا سيّما في العصور الأخيرة يعني المنسوب إلى رسول الله ﷺ، وإن كان في الفقه الإسلامي من ينسب إلى بني هاشم، وقيل: إلى كنانة أو مضر بن كنانة، فراجع.

الفصل الثالث

إكرام الذرّية من طرق الخاصّة

اعلم أنّ الأخبار والروايات الشريفة في فضل السادة الأشراف لكثيرة، فقد عقد شيخنا الأجلّ العلّامة المجلسي قدس سره[1] باباً في بيان فضائل ومدح الذرّية الطيّبة وثواب صلتهم ويذكر في الباب ٣٤ حديثاً ورواية.

منها: عن أبي عبد السلام عن الإمام الصادق عليه السلام، قال:

إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، فتغشاهم ظلمة، فيضجّون إلى ربّهم ويقولون يا ربّ اكشف عنّا هذه الظلمة، قال: فيقبل قوم يمشي النور بين أيديهم قد أضاء أرض القيامة، فيقول أهل الجمع: هؤلاء أنبياء الله؟ فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بأنبياء. فيقول أهل الجمع: فهؤلاء ملائكة؟ فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بملائكة. فيقول أهل الجمع: هؤلاء شهداء؟ فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بشهداء. فيقولون: من هم؟ فيجيئهم النداء: يا أهل الجمع، سلوهم من أنتم؟ فيقول أهل الجمع: من أنتم؟ فيقولون: نحن العلويون، نحن ذرّية محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، نحن أولاد عليّ وليّ الله، نحن المخصوصون

---

(١) بحار الأنوار ٩٣: ٢١٧، الباب ٢٧.

بكرامة الله، نحن الآمنون المطمئنّون، فيجيئهم النداء من عند الله عزّ وجلّ: اشفعوا في محبّيكم وأهل مودّتكم وشيعتكم فيشفعون فيُشفّعون[١].

الصدوق بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام، قال:

النظر إلى ذرّيتنا عبادة، فقيل له: يا بن رسول الله، النظر إلى الأئمة منكم عبادة؟ أم النظر إلى جميع ذرّية النبيّ ﷺ؟ فقال: بل النظر إلى جميع ذرّية النبيّ ﷺ عبادة[٢].

وروى في عيون الأخبار مثله، وزاد في آخره: ما لم يفارقوا منهاجه، ولم يتلوّثوا بالمعاصي[٣].

وحينئذٍ النظر إلى الذرية التي لم تبلغ ولم تصل إلى سنّ التكليف أي ما دون التاسعة في البنات ودون الخامسة عشر في الذكور، فإنّ النظر إليهم لا محالة يكون من العبادة، لو كان مع نيّة التقرّب إلى الله سبحانه، وذلك لأنّ من شرائط العبادات النيّة الخالصة كما هو ثابت في الفقه الإسلامي.

«وفي جامع الأخبار: قال رسول الله ﷺ: أكرموا أولادي وحسّنوا آدابي.

وقال ﷺ: أكرموا أولادي، الصالحون لله، والطالحون لي.

والشيخ المقداد شارح الباب الحادي عشر، وفي كتاب نهج المسترشدين للعلّامة الحلّي، وصاحب كنز العرفان في بحث الإمامة المسمّى باللوامع الإلهيّة في المباحث الكلاميّة، قالوا: يجب تعظيم الذرّية النبويّة العلويّة ومودّتهم، لقوله تعالى:

---

(١) البحار ٩٣: ٢١٨، عن أمالي الصدوق: ١٧٠.

(٢) أمالي الصدوق: ١٧٦.

(٣) عيون أخبار الرضا ٢: ٥١.

﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى ﴾[١]، ولقوله ﷺ : أكرموا أولادي صالحهم لله وطالحهم لأجلي، وقوله ﷺ : أربعة أنا شفيع لهم يوم القيامة : المكرم لذرّيتي، والساعي لهم في حوائجهم، والباذل لهم ماله، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه »[٢].

فما يدلّ على لزوم تعظيم كلّ الذرية الصالح والطالح ما مرّ من قوله (صالحهم لله وطالحهم لي)، ويدلّ على ذلك آية الاصطفاء وقوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾[٣]، وما قاله الرسول الأعظم ﷺ : (اللهمّ إنّهم عترة رسولك، فهب مسيئهم لمحسنهم).

وجمعاً بين الأخبار يقال :

إنّ الطالح إذا لم يصل إلى مرحلة التبرّي من الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام فإنّه يكرّم ويعظّم لأجل رسول الله، وأمّا إذا لم يكن من المذهب الحقّ فإنّه يتبرّأ منه.

عن الإمام الصادق، قال عليه السلام : من خالف دين الله ووالى أعداء الله وعادى أولياء الله فالبراءة منهم واجبة كائناً من كان من أيّ قبيلة كان.

وقال عليه السلام : ولايتي لأمير المؤمنين عليه السلام أحبّ إليّ من ولادتي منه.

وقيل : الصالحون هم الأئمة المعصومون عليهم السلام كما يدلّ عليه آية المظاهرة ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ ﴾[٤] أنّه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، والطالحون أولاد الأئمة فيكرمون لرسول الله.

---

(١) الشورى : ٢٣.

(٢) فضائل السادات؛ للسيّد محمّد أشرف ميرداماد : ٢٧٧.

(٣) فاطر : ٣٢.

(٤) التحريم : ٤

وقال ﷺ : أربعة أنا لهم شفيع : المكرم لذرّيتي والقاضي لهم حوائجهم والساعي في أُمورهم عندما اضطرّوا إليه، والمحبّ بقلبه ولسانه.

وقال ﷺ : من أراد التوسّل إليّ وأن تكون له عندي يداً أشفع له بها، فليصل أهل بيتي وليدخل السرور عليهم.

وقال عليه الصلاة والسلام : إنّ لله عزّ وجلّ ثلاث حرمات، فمن حفظهن حفظ الله دينه ودنياه، ومن لم يحفظهنّ لم يحفظ الله دنياه ولا آخرته : حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي.

قال رسول الله ﷺ :

إنّي شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا : رجل نصر ذرّيتي، ورجل بذل ماله لذرّيتي عند المضيق، ورجل أحبّ ذرّيتي باللسان والقلب، ورجل سعى في حوائج ذرّيتي إذا طردوا وشرّدوا[1].

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال :

إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : أيّها الخلائق، أنصتوا فإنّ محمّداً يكلّمكم، فينصت الخلائق، فيقوم النبيّ ﷺ، فيقول : يا معشر الخلائق، من كانت له عندي يد أو منّة أو معروف فليقم حتّى أُكافيه، فيقولون : بآبائنا وأُمّهاتنا، وأيّ يدٍ وأيّ منّة وأيّ معروف لنا ؟ بل اليد والمنّة والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلائق، فيقول لهم : بلى من آوى أحداً من أهل بيتي أو أبرّهم أو كساهم من عري أو أشبع جائعهم فليقم حتّى أُكافيه. فيقوم أُناس قد فعلوا ذلك، فيأتي النداء من عند الله : يا محمّد يا حبيبي، قد جعلت مكافأتهم إليك، فأسكنهم من الجنّة حيث شئت، فيسكنهم في

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٢ : ٣، التهذيب. فروع الكافي ٤ : ٦٠.

الوسيلة، بحيث لا يحجبون عن محمّد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام[١].

وفي معاني الأخبار بسنده عن محمّد بن سنان، عن حمزة ومحمّد ابني حمران، قالا: اجتمعنا عند أبي عبد الله عليه السلام في جملة من أجلّة مواليه، وفينا حمران ابن أعين، فخصّنا في المناظرة وحمران ساكت، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما لَكَ لا تتكلّم يا حمران؟ فقال: يا سيّدي آليت على نفسي أن لا أتكلّم في مجلس تكون فيه. فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّي قد أذنت لك في الكلام فتكلّم، فقال حمران أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له لم يتّخذ صاحبةً ولا ولداً، خارج من الحدّين حدّ التعطيل وحدّ التشبيه، وإنّ الحقّ القول بين القولين لا جبر ولا تفويض، وإنّ محمّداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون، وأشهد أنّ الجنّة حقّ وأنّ البعث بعد الموت حقّ وأشهد أنّ علياً حجّة الله على خلقه لا يسع الناس جهله، وأنّ حسناً بعده وأنّ الحسين من بعده، ثمّ عليّ بن الحسين ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ أنت يا سيّدي من بعدهم. فقال عليه السلام: أصبت يا حمران. ثمّ قال: يا حمران، مدّ المطمر بينك وبين العالم، قلت: يا سيّدي، وما المطمر؟ فقال: أنتم تسمّونه خيط البناء، فمن خالفك على هذا الأمر فهو زنديق، فقال حمران: وإن كان علوياً فاطمياً؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: وإن كان محمّدياً علوياً فاطمياً[٢].

ولا يخفى أنّه وإن كانت السعادة تدرك المنسوب إلى رسول الله من فاطمة الزهراء عليها السلام فإنّه لا يموت كافراً، ولكن ما دام لم يتولّ ولاية أجداده الأئمة

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٢: ٥.

(٢) فضائل السادات: ٤٨٦.

المعصومين عليهم السلام ولم يكن من مذهب أهل البيت عليهم السلام فإنّه يتبرّأ منه حتّى يعرف الحقّ وأهله، ولكنّه من بركات سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام أنّه في آخر حياته تدركه السعادة، فيموت مؤمناً، أي شيعياً إمامياً، إلّا أنّه فاسق مستحقّ ضعفين من العذاب، ويلاقي في القبر والبرزخ والمحشر ما يطهّره، والله العالم بحقائق الأُمور.

في معاني الأخبار للشيخ الصدوق عليه الرحمة، بسنده عن أبي سعيد المكاري، قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فذكر زيد ومن خرج معه، فهمّ بعض أصحاب المجلس أن يتناوله، فانتهره أبو عبد الله عليه السلام قال: مهلاً ليس بكم أن تدخلوا فيما بيننا إلّا بسبيل خير، إنّه لم تمت نفس منّا إلّا وتدركه السعادة قبل أن يخرج نفسه ولو بفواق ناقة، قال: قلت: وما فواق ناقة؟ قال: حِلابها) أي بمقدار ما تحلب الناقة، يعني ولو دقائق قبل خروج روحه. والسعادة هنا الموت على شهادة التوحيد والنبوّة والإمامة، أي الموت على الولاية التامّة.

روي عن الحسن بن راشد، قال: ذكرت زيد بن عليّ فتنقّصته عند أبي عبد الله عليه السلام، فقال: لا تفعل رحم الله عمّي، أتى إليّ فقال لي: أُريد الخروج على هذا الطاغية، فقلت: لا تفعل، فإنّي أخاف أن تكون المصلوب في ظهر الكوفة، أما علمت يا زيد أنّه لا يخرج أحد من ولد فاطمة على أحد من السلاطين قبل خروج السفياني إلّا قُتل، ثمّ قال: ألا يا حسن، إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذرّيتها على النار، وفيهم نزلت ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ ﴾[1]، فإنّ الظالم لنفسه الذي

---

(١) فاطر: ٣٢.

لا يعرف الإمام، والمقتصد العارف بحقّ الإمام، والسابق بالخيرات هو الإمام. ثمّ قال: يا حسن إنّا أهل بيت لا يخرج أحدنا من الدنيا حتّى يقرّ لكلّ ذي فضل فضله)[١].

وربما المقصود من أنّه يقتل ولد فاطمة لو خرج، فيما كان يدعو إلى إمامة أحد الأئمة الاثني عشر بالفعل، فإنّه يقتل، وأمّا من كان ممهّداً لظهور صاحب الأمر عليه السلام ومن الموطّئين لقيام الإمام المهدي عليه السلام فإنّه يستثنى من هذا الحكم، فتأمّل.

ثمّ تحرم النار على ذرّية فاطمة الزهراء كرامة لها، إلّا أنّ من بطنها مباشرةً يكون بنحو العدل والاستحقاق كالإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ولد البطن خاصّة، وأمّا غير المباشر إلى يوم القيامة تحرم عليهم النار تفضّلاً، فكلّ الذرّية حينئذٍ تحرم عليهم النار، ويكون عذابهم بالزمهرير، وإنّما نذهب إلى هذا المعنى جمعاً بين الأخبار، فتدبّر.

ثمّ في تفسير العياشي في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾[٢]، عن الإمام الصادق عليه السلام: إنّما نزلت فينا خاصّة.

وقال الإمام الرضا عليه السلام: (كن محبّاً لآل محمّد وإن كنت فاسقاً، ومحبّاً لمحبّيهم وإن كانوا فاسقين).

ويفوّض امر السادة الفسّاق إلى أجدادهم عليهم السلام، كما فوّض أمر إخوة يوسف إليه، فقال: ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ﴾[٣]، فما من السادة ذرّية

---

(١) فضائل السادات: ٢١.

(٢) النساء: ١٥٩.

(٣) يوسف: ٩٢.

الرسول إلّا مغفور له تفضّلاً، فيكون من أهل الجنّة في عاقبة الأمر، وتحرم عليه النار الأبديّة. فإنّ فاطمة عليها السلام قد أحصنت فرجها فحرّم الله ذرّيتها على النار.

قال النبيّ ﷺ: إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذرّيتها على النار[١].

وفي حديث طويل، سأل يهودي أمير المؤمنين عليه السلام: أخبرني عن هذه الأُمّة كم لها من إمام هدى؟ وأخبرني عن نبيّكم محمّد أين منزله في الجنّة؟ وأخبرني من معه في الجنّة؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ لهذه الأُمّة اثني عشر إمام هدى من ذرّية نبيّها وهي منّي، وأمّا منزل نبيّنا ﷺ في الجنّة فهي أفضلها وأشرفها جنّة عدن، وأمّا من معه في منزله منها فهؤلاء الاثنا عشر من ذرّيته وأُمّهم وجدّتهم أُمّ أُمّهم وذراريهم لا يشركهم فيها أحد[٢].

قال رسول الله ﷺ: كلّ بني أُنثى ينتمون إلى عصبة أبيهم، إلّا ولد فاطمة فأنا وليّهم وأنا عصبتهم وأنا أبوهم.

وهذا يعني أنّ ذلك من خصائص النبيّ الأكرم محمّد ﷺ.

وقال ﷺ: إنّ الله تبارك وتعالى جعل ذرّية كلّ نبيّ في صلبه، وجعل ذرّيتي في صلب عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: إنّنا ولد فاطمة، مغفور لنا[٣].

عن حسين بن موسى بن جعفر، عن أبائه عليهم السلام، عن فاطمة، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهما، قال: قال رسول الله ﷺ: أيّما رجل صنع إلى رجل من

---

(١) البحار ٩٣: ٢٢٣، عن العيون ٢: ٦٣.

(٢) البحار ٣٦: ٣٨١، عن الغيبة للشيخ الطوسي: ١٠٦، وإعلام الورى: ٣٦٧.

(٣) أمالي الطوسي ١: ٣٤٢.

ولدي صنيعة فلم يكافئه عليها، فأنا المكافئ له عليها[١].

عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: من اصطنع صنيعة إلى واحد من ولد عبد المطّلب ولم يجازه عليها في الدنيا، فأنا أُجازيه غداً إذا لقيني يوم القيامة.

عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عيادة بني هاشم فريضة، وزيارتهم سنّة[٢].

عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: بغض عليّ كفر، وبغض بني هاشم نفاق[٣].

في كتاب المسلسلات: حدّثنا الحسين بن أحمد، وهو آخذ بشعره، قال: حدّثني عبد الرحمن بن محمّد البلخي وهو آخذ بشعره ـ إلى أن يقول: ـ قال زيد بن عليّ عليه السلام وهو آخذ بشعره، قال: حدّثني عليّ بن الحسين عليه السلام وهو آخذ بشعره، عن أبيه الحسين بن عليّ عليهما السلام وهو آخذ بشعره، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام وهو آخذ بشعره، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو آخذ بشعره، قال: من آذى شعرة منّي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فعليه لعنة الله ملء السماء والأرض.

قال: قلنا لزيد بن عليّ: من يعني؟ قال: يعنينا ولد فاطمة عليها السلام، لا تدخلوا بيننا فتكفروا.

---

(١) أمالي الطوسي ١: ٣٦٥.

(٢) البحار ٩٣: ٢٣٤.

(٣) العيون ٢: ٢٣٤.

وقد ورد هذا الحديث الشريف من طرق مختلفة من العامّة والخاصّة[١].

وممّا يدلّ على كرامة ولد فاطمة الزهراء عليها السلام بالخصوص ما ورد من التحريم أو الكراهة في الجمع بين فاطميّتين في النكاح، فقيل بعدم جواز نكاح العلوية الفاطمية الثانية على الأُولى، فكيف بغير الفاطميّة، وقيل: بالكراهة الشديدة.

قال الآية العظمى السيّد كاظم اليزدي[٢]:

الأقوى جواز الجمع بين فاطميّتين على كراهة، وذهب جماعة من الأخباريّة إلى الحرمة والبطلان بالنسبة إلى الثانية أو طلاق الأُولى وتجديد العقد على الثانية بعد خروج الأُولى عن العدّة وإن كان الأظهر على القول بالحرمة عدم البطلان لأنّها تكليفيّة، فلا تدلّ على الفساد، ثمّ الظاهر عدم الفرق في الحرمة أو الكراهة بين كون الجامع بينهما فاطميّاً أو لا، كما أنّ الظاهر اختصاص الكراهة أو الحرمة بمن كانت فاطميّة من طرف الأبوين أو الأب فلا تجري في المنتسب إليها صلوات الله عليها من طرف الأُمّ خصوصاً إذا كان انتسابها إليها بإحدى الجدّات، وكيف كان فالأقوى عدم الحرمة، وإن كان النصّ الوارد في المنع صحيحاً على ما رواه الصدوق في العلل بإسناده عن حمّاد قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا يحلّ لأحد أن يجمع بين ثنتين من ولد فاطمة عليها السلام، إنّ ذلك يبلغها فيشقّ عليها، قلت: يبلغها؟ قال عليه السلام: إي والله)، وذلك لإعراض المشهور عنه مع أنّ تعليله ظاهر في الكراهة، إذ لا نسلّم أنّ مطلق كون ذلك شاقّاً عليها إيذاءً لها حتّى يدخل

---

(١) راجع البحار ٩٣: ٢٣٤.

(٢) العروة الوثقى: كتاب النكاح، الفصل السابع في المحرّمات بالمصاهرة، المسألة ٥٠.

في قوله ﷺ : من آذاها فقد آذاني[١].

ولو تمسّكنا بإطلاق هذه الرواية الشريفة فإنّه يلزم أن يترك كلّ ما يؤذي فاطمة الزهراء عليها السلام في أولادها رجالاً ونساءً وأطفالاً، فمن عنده علويّة أو أولاده من علويّة، فعليه أن يبالغ في تكريمها وتكريمهم فلا يؤذيهم بالضرب أو الفحش والإهانة والكلام البذيء وما شابه ذلك، فإنّه سرعان ما يحرم بذلك من شفاعة الرسول وأهل البيت عليهم السلام، ومن هذا المنطلق يقال: يصعب معاشرة أبناء رسول الله، فإنّه يخاف من حرمان الشفاعة يوم القيامة، فمن الصعب مراعاة حقوق الزوجة العلويّة لغير العلويّ، كما من الصعب مراعاة حقوق الصديق العلوي الفاطمي، فتدبّر، فإنّ لذلك آثاراً وضعيّة في الدنيا والآخرة، ربما يوجب الهلاك والشقاء.

ثمّ روى الصدوق في من لا يحضره الفقيه في كتاب النكاح في تزويج الأكفّاء أنّه: نظر النبيّ ﷺ إلى أولاد عليّ وجعفر عليهما السلام فقال: (بناتنا لبنينا وبنونا لبناتنا)[٢].

ومن هذا المنطلق نجد بعض السادة الأشراف لا يزوّجون بناتهم إلّا إلى الأشراف السادة.

وهناك من يذهب إلى هذا الأمر حتّى في الرضاعة لما ورد عن النبيّ ﷺ قال: من شرب من لبننا أو أرضع لنا ولداً فنحن آباؤه[٣].

ومن طريف ما يحكى في هذا الباب ما جاء في كتاب المدهش لأبي فرج

---

(١) العروة الوثقى ٢ : ٨٣٨.

(٢) و (٣) فضائل السادات : ٢٠.

ابن الجوزي، قال بعض الصالحين: دخلت إلى مصر، فوجدت بها حدّاداً يخرج الحديد من النار بيده ويقلّبه على السندان ولا يجد لذلك ألماً، فقلت في نفسي: هذا عبد صالح لا تعدو عليه النار، فدنوت منه وسلّمت عليه، فردّ عليّ السلام، فقلت: يا سيّدي، بالذي منّ عليك بهذه الكرامة إلّا ما دعوت لي.

قال: فبكى وقال: والله يا أخي ما أنا كما ظننت.

فقلت: يا أخي، إنّ هذا الذي فعلته لا يقدر عليه إلّا الصالحون.

فقال: اسمع، إنّ لهذا حديثاً عجيباً.

فقلت: إن رأيت أن تطرفني به فافعل.

فقال: نعم، كنت يوماً من الأيام جالساً في هذا الدكّان وكنت كثير التخليط إذ وقفت على امرأة جميلة الصورة لم أرَ قطّ أحسن منها وجهاً، فقالت: يا أخي، هل عندك شيء لله عزّ وجلّ؟ فلمّا نظرت إليها فتنت بها وقلت لها: هل لكِ أن تمضي معي إلى البيت وأرفع إليكِ ما يكفيكِ زماناً طويلاً؟ فقالت: لست والله من يفعل هذا، فقلت: فاذهبي عنّي، قال: فذهبت وغابت عنّي طويلاً ثمّ رجعت وقالت: قد أحوجتني الضرورة إلى ما أردت، قال: فقفلت الدكّان ومضيت بها إلى البيت. قال: فقالت: يا هذا إنّ لي أطفالاً قد تركتهم على فاقة، فإن رأيت أن تعطيني شيئاً أذهب به إليهم وأرجع إليك فافعل، فأخذت عليها العهود والمواثيق ثمّ دفعت إليها دراهم، فمضت وغابت ساعة، ثمّ رجعت فدخلت إلى البيت وأغلقت الباب وسكّرته، فقالت: لِمَ فعلت هذا؟ فقلت: خوفاً من الناس. فقالت: ولِمَ لا تخاف من ربّ الناس؟ فقلت: إنّه غفورٌ رحيم، ثمّ تقدّمت إليها فوجدتها تضطرب كما تضطرب السعفة في يوم ريحٍ عاصف ودموعها تنحدر على خدّيها، فقلت: ممّا اضطرابكِ؟ قالت: يا هذا خوفاً من الله عزّ وجلّ، ثمّ قالت: يا هذا

إن تركتني لله تعالى ضمنت لك أنّ الله لا يعذّبك بناره لا في الدنيا ولا في الآخرة، قال: فقمت ودفعت إليها جميع ما كان عندي وقلت: يا هذه، اذهبي لسبيلك قد تركتك خوفاً من الله عزّ وجلّ، قال: فلمّا فارقتني غلبتني عيناي فرأيت امرأة لم أرَ أحسن منها وجهاً وعلى رأسها تاج من الياقوت فقالت: يا هذا، جزاك الله عنّا خيراً، فقلت لها: ومن أنتِ؟ قالت: أُمّ الصبيّة التي أتتك وتركتها خوفاً من الله عزّ وجلّ لا أحرقك الله بالنار لا في الدنيا ولا في الآخرة، فقلت: ومن هي يرحمك الله؟ فقالت: هي من نسل رسول الله ﷺ، قال: فحمدت الله عزّ وجلّ إذ وفّقني وعصمني، ثمّ ذكرت قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[1]، ثمّ أفقت من ذلك الوقت لم تعد عليّ النار في دار الدنيا، وأرجو أن لا تعدو عليّ في الآخرة[2].

وممّا يدلّ على كرامة أبناء فاطمة الزهراء عليها السلام إلى يوم القيامة دعائها لذرّيتها بالسلام عليهم ـ والسلام اسم من أسماء الله وهو من الدعاء بالسلامة في الدين والدنيا والآخرة ـ فقد ورد في الحديث الشريف في وصيّتها عليها السلام عندما ارتحلت إلى جوار ربّها وكشف أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عن وجهها فإذا برقعة عند رأسها الشريف فنظر فيها فإذا فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله ﷺ أوصت وهي تشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله وأنّ الجنّة حقّ ـ إلى أن قالت: ـ وادفنّي بالليل ولا تعلم أحداً وأستودعك الله وأقرأ على ولدي السلام

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) فضائل السادات: ٢٤١.

إلى يوم القيامة»[١].

وعليكِ يا عصمة الله الكبرى يا أُمّاه سلام الله التامّ ما بقينا وبقي الليل والنهار، ورزقنا الله شفاعتكِ وجوارِكِ مع أبيك وبعلكِ وأولادك المعصومين عليهم السلام.

ثمّ ممّا يدلّ على تكريم ذرّية الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إلّا الإِحْسَان ﴾[٢].

وأيّ إحسان أعظم من إحسان رسول الله ﷺ فقد صدع بالرسالة السمحاء وتحمّل المشاقّ والصعاب حتّى أدّى بحياته من أجل هداية الناس وإسعادهم في الدارين وعزّتهم وكرامتهم وشرفهم، وأنار القلوب بنور الإيمان وبنور القرآن الكريم والإسلام العظيم، وما أُوذي نبيّ بمثل ما أُوذي، فإن لاقى ألوان الأذى والآلام من المشركين والكفّار كرمي الجمار وإلقاء الأوساخ عليه ومحاولة اغتياله وكسر رباعيّته وإدماء جبهته واتّهامه بالجنون وغير ذلك.

وبعد الهداية ومعرفة الحقيقة أراد الناس أن يجازوا نبيّهم على إحسانه، فأتوه ليقدّمون له ما يطلبه أجراً على رسالته، فنزلت آية المودّة وقال سبحانه وتعالى عن لسان نبيّه الأعظم ﷺ: ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى ﴾[٣]، وأدّبنا الله خير تأديب وعلّمنا أنّ جزاء إحسان النبيّ يتجلّى بمثل المودّة والمحبّة بكلّ مظاهرها وأشكالها لأهل بيته وذرّيته.

ولكن ممّا يقطع أنياط القلب حزناً وألماً أنّه مع هذه النصوص الشريفة من

---

(١) البحار ٤٣: ٢١٤.

(٢) الرحمن: ٦٠.

(٣) الشورى: ٢٣.

الآيات الكريمة والأحاديث الكثيرة التي بلغت التواتر الإجمالي على تكريم الذرّية النبويّة الطاهرة، إلّا أنّ الناس بعد رسول الله ﷺ انقلبوا على أعقابهم وارتدّوا إلى القهقرى وبدّلوا معالم الدين وأحدثوا ما أحدثوا، وآذوا رسول الله في نفسه أخيه أمير المؤمنين علي عليه السلام وفي بنته فاطمة الزهراء عليها السلام، وولديه وسبطيه الحسن والحسين عليهما السلام وأبنائهما جيلاً بعد جيل، فما منهم إلّا مقتول أو مسموم أو مشرّد أو طريد أو محبوس أو منفي أو مطارد من قبل السلطات الحاكمة منذ اليوم الأوّل وحتّى يومنا هذا يكفيك أن تقرأ كتاب (مقاتل الطالبيّين) لأبي فرج الإصفهاني، فما أكثر الظلم والجور الذي أوردوه على أبناء وذرّية رسول الله ؟! حتّى بعض السادة الأجلّاء كتموا عن أنسابهم تقيّة وخوفاً، بل منهم من كتم عن مذهب أجداده أهل البيت عليهم السلام وتلبّس بمذاهب الحكومات الجائرة، حتّى ضاع نسب الأحفاد والأسباط.

وإليك بعض الشواهد التأريخيّة التي ألصقت العار على جبين الإنسانية، فكيف بتأريخ المسلمين ؟!

ينقل الطبري في تأريخه بسنده عن محمّد بن الحسن، عن محمّد بن إبراهيم، أنّه أُتي ببعض بني الحسن عليه السلام إلى أبي جعفر المنصور الدوانيقي من خلفاء بني العباس، فنظر إلى محمّد بن إبراهيم بن الحسن، فقال: أنت الديباج الأصفر ؟ قال: نعم، قال: أما والله لأقتلنّك قتلةً ما قُتلها أحد من أهل بيتك، ثمّ أمر باسطوانة مبنيّة ففرّقت، ثمّ أُدخل فيها، فبني عليه وهو حيّ[1].

أورد الشيخ الصدوق عليه الرحمة في عيون أخبار الرضا عليه السلام بسنده عن

---

(١) تأريخ الطبري ٧: ٥٤٦، ومقاتل الطالبيّين: ١٨١.

عبيد الله البزّاز النيسابوري وكان مسنّاً، قال:

كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطائي الطوسي معاملة، فرحلت إليه في بعض الأيام فبلغه خبر قدومي، فاستحضرني للوقت وعليّ ثياب السفر لم أُغيّرها وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظهر، فلمّا دخلت عليه، رأيته في بيت يجري فيه الماء فسلّمت عليه وجلست، فأُتي بطشت وإبريق فغسل يديه ثمّ أمرني فغسلت يدي وأحضرت المائدة وذهب عنّي أنّي صائم، وأنّي في شهر رمضان، ثمّ ذكرت فأمسكت يدي، فقال لي حميد: ما لكَ لا تأكل؟

فقلت: أيّها الأمير هذا شهر رمضان ولست بمريض ولا بي علّة توجب الإفطار، ولعلّ الأمير له عذر في ذلك أو علّة توجب الإفطار.

فقال: ما بي علّة توجب الإفطار، وإنّي لصحيح البدن. ثمّ دمعت عيناه وبكى.

فقلت له بعدما فرغ من طعامه: ما يبكيك أيّها الأمير؟

فقال: أنفذ إليّ هارون الرشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل أن أجب، فلمّا دخلت عليه رأيته بين يديه شمعة تتّقد وسيفاً أخضر مسلولاً وبين يديه خادم واقف، فلمّا قمت بين يديه رفع رأسه إليّ فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال، فأطرق، ثمّ أذن لي في الانصراف، فلم ألبث في منزلي حتّى عاد الرسول إليّ وقال: أجب أمير المؤمنين، فقلت في نفسي: إنّا لله، أخاف أن يكون قد عزم على قتلي وأنّه لمّا رآني استحيا منّي، قعدت بين يديه فرفع رأسه إليّ فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد، فتبسّم ضاحكاً ثمّ أذن لي في الانصراف، فلمّا دخلت منزلي لم ألبث أن عاد إليّ الرسول، فقال: أجب أمير المؤمنين، فحضرت بين يديه وهو على حاله، فرفع رأسه إليّ

وقال لي : كيف طاعتك لأمير المؤمنين ؟ فقلت : بالنفس والمال والأهل والولد والدين، فضحك، ثمّ قال لي : خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به الخادم، قال : فتناول الخادم السيف وناولنيه، وجاء بي إلى بيت بابه مغلق ففتحه فإذا فيه بئر في وسطه، وثلاثة بيوت أبوابها مغلقة، ففتح باب بيت منها، فإذا فيه عشرون نفساً عليهم الشعور والذوائب شيوخ وكهول وشبّان مقيّدون، فقال لي : إنّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء وكانوا كلّهم علويّة من ولد عليّ وفاطمة عليهما السلام، فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه، حتّى أتيت على آخرهم، ثمّ رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر، ثمّ فتح باب بيت آخر فإذا فيه أيضاً عشرون نفساً من العلويّة من ولد عليّ وفاطمة عليهما السلام مقيّدون، فقال لي : إنّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء، فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر، حتّى أتيت إلى آخرهم، ثمّ فتح باب البيت الثالث، فإذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد عليّ وفاطمة عليهما السلام مقيّدون عليهم الشعور والذوائب فقال لي : إنّ أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء أيضاً، فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر، حتّى أتيت على تسعة شعر نفساً منهم، وبقي شيخاً منهم عليه شعر، فقال لي : تبّاً لك يا ميشوم، أيّ عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قتلت من أولاده ستّين نفساً قد ولدهم عليّ وفاطمة عليهما السلام ؟ فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي، فنظر إليّ الخادم مغضباً وزبّرني، فأتيت على ذلك الشيخ فقتلته ورمي به في تلك البئر، فإذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستّين نفساً من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله، فما ينفعني صومي وصلاتي ؟ وأنا لا أشكّ أنّي مخلّد في النار[1].

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢ : ١٠١.

وما أكثر وأبشع هذه الجرائم من خلفاء الجور والطغاة الجبابرة في حقّ العترة الطاهرة والذرية الطيّبة في عصرنا الراهن.

فهذا صدّام الكافر طاغية العراق، أليس قتل أبناء رسول الله السادة من آل الحكيم ومن آل الصدر وعلى رأسهم شهيد الإسلام آية الله العظمى السيّد محمّد باقر الصدر قدس سره وأُخته العلوية الطاهرة بنت الهدى سلام الله عليهم.

هذا وممّا يستدلّ على تكريم الذرّية الطيّبة من أبناء رسول الله ﷺ أنّه ورد في الأخبار النبويّة (المرء يحفظ في ولده) فمن الأدب الإسلامي ومن النوافل والمستحبّات أنّه إذا مات الإنسان فإنّه يحفظ في أولاده فيكرمون من أجل آبائهم، وهذا أمر وجداني كما يدلّ عليه الشرع المقدّس.

يكفيك شاهداً ما جاء في قصّة موسى الكليم والخضر عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً ﴾[1]، ثمّ قال سبحانه: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً ﴾[2].

فالله سبحانه أكرم الغلامين بتحريك عواطف الخضر عليه السلام فأمره أن يبني الجدار الذي كان على وشك الانهدام، وهذه العناية الربانية للغلامين كان بسبب اليتم ﴿ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ ولكون أبوهما صالحاً ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا

---

(١) الكهف: ٧٧.

(٢) الكهف: ٨٢.

صَالِحاً ﴾، فيكرم الولد ويحفظ في أمواله وفي نفسه بطريق أولى من أجل إيمان وصلاح والده.

ومن هذا المنطلق علينا أن نحترم ونكرّم ونراعي شؤون ذرّية الرسول ﷺ من أجل أجدادهم المعصومين الطاهرين، من أجل رسول الله وحبيبه محمّد ﷺ وأمير المؤمنين أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب عليه السلام وسيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام.

ثمّ تثبت سيادة السيّد بالشياع المفيد للعلم، وبشهادة أهل الخبرة من علماء النسب، وما جاء في مصنّفاتهم، وبشهادة عدلين مع اجتماع شرائط الشهادة كما في الفقه الإسلامي.

ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: النظر إلى آل محمّد عبادة[1].

ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: من وصلنا وصل رسول الله ﷺ ومن وصل رسول الله ﷺ فقد وصل الله تبارك وتعالى[2].

ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من اصطنع إلى أحد من أهل بيتي يداً كافيته يوم القيامة.

ـ عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من وصل أحداً من أهل بيتي في دار الدنيا بقيراط كافيته يوم القيامة بقنطار.

ـ عن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: حرمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي، ومن صنع صنيعة إلى

---

(١) البحار ٢٦: ٢٢٧، عن المحاسن: ٦٢.

(٢) المصدر والمرجع.

أحد من ولد عبد المطّلب ولم يجازه عليها فإنّي أُجازيه غداً إذا لقيني يوم القيامة[١].

ـ عن الساباطي قال: أصبت شيئاً على وسائد كانت في منزل أبي عبد الله عليه السلام فقال له بعض أصحابنا: ما هذا جعلت فداك؟ وكان يشبه شيئاً يكون في الحشيش كثيراً كأنّه خرزة. فقال أبو عبد الله عليه السلام: هذا ممّا يسقط من أجنحة الملائكة، ثمّ قال: يا عمّار، إنّ الملائكة لتأتينا وإنّها لتمرّ بأجنحتها على رؤوس صبياننا، يا عمّار، إنّ الملائكة لتزاحمنا على نمارقنا[٢].

ـ عن مسمع، قال: كنت لا أزيد على أكلة في الليل والنهار، فربما استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام وأخذت المائدة لعلّي لا أراها بين يديه، فإذا دخلت دعا بها فأصبت معه من الطعام ولا أتأذّى بذلك، وإذا عقّبت بالطعام عند غيره لم أقدر على أن أقرّ ولم أنم من النفخة، فشكوت ذلك إليه وأخبرته بأنّي إذا أكلت عنده لم أتأذّ به. فقال: يا أبا سيّار، إنّك لتأكل طعام قوم صالحين تصافحهم الملائكة على فرشهم، قال: قلت: يظهرون لكم؟ قال: فمسح يده على بعض صبيانه، فقال: هم ألطف بصبياننا منّا بهم[٣].

ـ قال: إنّ الملائكة تطأ فرشنا وتمسح رؤوس صبياننا.

ـ عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذرّيتي والقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم في أُمورهم عندما اضطرّوا إليه

---

(١) المصدر، عن العمدة: ٣٦.

(٢) البحار ٢٦: ٣٥٣، عن البصائر: ٢٦.

(٣) المصدر والمرجع.

والمحبّ لهم بقلبه ولسانه[١].

عن سلمان الفارسي، قال: قال رسول الله ﷺ: يا سلمان، من أحبّ فاطمة ابنتي فهو في الجنّة معي، ومن أبغضها فهو في النار، يا سلمان، حبّ فاطمة ينفع في مائة موطن، أيسر تلك المواطن الموت والقبر والميزان والمحشر والصراط والمحاسبة، فمن رضيت عنه ابنتي فاطمة رضيت عنه، ومن رضيت عنه رضي الله عنه، ومن غضبت عليه فاطمة غضبتُ عليه، ومن غضبت عليه غضب الله عليه، يا سلمان، ويل لمن يظلمها ويظلم ذرّيتها وشيعتها[٢].

ـ زيد بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه عن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم، قال: شكوت إلى رسول الله ﷺ حسد الناس لي، فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة؟ أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا، وذرّيتنا خلف أزواجنا، وشيعتنا خلف ذرّيتنا[٣].

ـ عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ: ما بال أقوام يؤذون نسبي وذا رحمي؟ ألا من أذى نسبي وذا رحمي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عزّ وجلّ[٤].

ـ عن أنس بن مالك، قال: أتى رسول الله ﷺ ذات يوم ويده في يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولقيه رجل فقال له: يا فلان لا تسبّوا عليّاً

---

(١) البحار ٢٧: ٧٨.

(٢) البحار ٢٧: ١١٦.

(٣) المصدر، عن العمدة: ٢٥.

(٤) البحار ٢٧: ٢٢٧. ولا يخفى أنّ سند هذه الروايات الأخيرة من طرق العامّة كأبي هريرة، وإنّما نقلتها هنا إذ المصدر هو بحار الأنوار، وهو من كتب الخاصّة، فتدبّر.

فإنّ من سبّه فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ الله، والله يا فلان إنّه لا يؤمن بما يكون من عليّ وولد عليّ في آخر الزمان إلّا ملك مقرّب أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، يا فلان، إنّه سيصيب ولد عبد المطّلب بلاء شديد وأثرة وقتل وتشريد، فالله الله يا فلان في أصحابي وذرّيتي وذمّتي فإنّ لله يوماً ينتصف فيه للمظلوم من الظالم.

ـــ عن أبي سعيد الخدري عن أبيه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: مابال أقوام يقولون: إنّ رحم رسول الله لا ينفع يوم القيامة، بلى والله إنّ رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة، وإنّي أيّها الناس فرطكم يوم القيامة على الحوض، فإذا جئتم قال الرجل: يا رسول الله أنا فلان بن فلان، فأقول: أمّا النسب فقد عرفته لأنّكم أخذتم بعدي ذات الشمال وارتددتم على أعقابكم القهقرى[1].

ـــ وقال ﷺ: إذا قمت المقام المحمود تشفّعت في أصحاب الكبائر من أُمّتي فيشفعني الله فيهم، والله لا تشفّعت فيمن آذى ذرّيتي.

ـــ وقال ﷺ: من آذى شعرة منّي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عزّ وجلّ، ومن آذى الله لعنه الله ملء السماوات وملء الأرض.

ـــ وقال ﷺ: حرمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم أو أعان عليهم أو سبّهم، أُولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم.

ـــ وقال ﷺ: اشتدّ غضب الله على من آذاني في عترتي[2].

---

(١) أمالي المفيد: ٣٧٤.

(٢) الروايات من ثواب الأعمال وعقابها: ٥٨٧.

الخُمس في القرآن والسنّة

ولا بأس أن نذكر نبذة من روايات الخُمس، فإنّه ممّا يدلّ على كرامة السادة الكرام ذرّية الرسول ﷺ: آية الخمس وأخباره.

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[1].

قال الصادق عليه السلام: إنّ الله لا إله إلّا هو لمّا حرّم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس، فالصدقة علينا حرام والخمس لنا فريضة والكرامة لنا حلال[2].

عن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال: من أكل من مال اليتيم درهماً، ونحن اليتيم.

عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إنّي لآخذ من أحدكم الدرهم وإنّي لمن أكثر أهل المدينة مالاً، ما أُريد بذلك إلّا أن تطهروا.

عن أبي جعفر عليه السلام في حديث، قال: لا يحلّ لأحد أن يشتري من الخمس شيئاً حتّى يصل إلينا حقّنا.

الكافي (١: ٥٤٨) على ما عن (التهذيب ٤: ١٤٠) أبيه قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام: إذ دخل عليه صالح بن محمّد بن سهل وكان يتولّى له الوقف بقم،

---

(١) الأنفال: ٤١.

(٢) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٣.

فقال: يا سيّدي اجعلني من عشرة آلاف درهم في حلّ، فإنّي أنفقتها، فقال له: (أنت في حلّ)، فلمّا خرج صالح قال أبو جعفر عليه السلام: (أحدهم يثب على أموال آل محمّد وأيتامهم ومسكينهم وفقرائهم وأبناء سبيلهم فيأخذها ثمّ يجيء فيقول: اجعلني في حلّ، أتراه ظنّ أنّي أقول لا أفعل، والله ليسألنّهم الله يوم القيامة عن ذلك سؤالاً حثيثاً.

قال الفيض الكاشاني في بيان الخبر:

(الحثيث) السريع ظاهر الحديث يدلّ على أنّه عليه السلام لم يجعله في حلّ باطناً، ويحتمل أن يكون قد أحلّه ويكون سؤال الله سبحانه إيّاهم عن سوء هذا الفعال الذي هو مخالفة الله سبحانه وهذا أقرب إلى محاسن أخلاقهم عليهم السلام[1].

ثمّ العلّامة الحلّي في كتابه الشريف تذكرة الفقهاء في المقصد السادس في الفصل الثاني من مبحث الخمس يقول:

المراد باليتامى والمساكين وأبناء السبيل في آية الخمس من اتّصف بهذه الصفات من آل الرسول ﷺ وهم ولد عبد المطّلب بن هاشم، وهم الآن أولاد أبو طالب والعباس والحارث وأبي لهب خاصّة دون غيرهم عند عامّة علمائنا لأنّه عوض عن الزكاة فيصرف إلى من منع منها، ولقول أمير المؤمنين عليه السلام: ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل منّا خاصّة.

وفي عمدة صحاح الأخبار: ذكر الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى ﴾[2] قرابة النبيّ ﷺ وهم

---

(١) الوافي ١٠: ٣٣٦.

(٢) الحشر: ٧.

آل علي وآل العباس وآل جعفر وآل عقيل ولم يشرك بهم غيرهم[١].

وقال الشيخ الطوسي في التهذيب:

(وهؤلاء الذين جعل الله لهم الخمس هم قرابة النبيّ ﷺ الذين ذكرهم الله عزّ وجلّ، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[٢]، وهم بنو عبد المطّلب أنفسهم الذكر والأُنثى منهم.

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: من اشترى شيئاً من الخمس لم يعذره الله، اشترى ما لا يحلّ له.

عن عمران بن موسى، عن موسى بن جعفر عليه السلام، قال: قرأت عليه آية الخمس فقال: ما كان لله فهو لرسوله وما كان لرسوله فهو لنا، ثمّ قال: والله لقد يسّر الله على المؤمنين أرزاقهم بخمسة دراهم، جعلوا لربّهم واحداً وأكلوا أربعة أحلاء، ثمّ قال: هذا من حديثنا صعب مستصعب لا يعمل به ولا يصبر عليه إلّا ممتحن قلبه للإيمان[٣].

عن عبد الله بن سنان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: على كلّ امرئ غَنِم أو اكتسب: الخمس ممّا أصاب لفاطمة عليها السلام، ولمن يلي أمرها من بعدها من ذرّيتها الحجج على الناس، فذاك لهم خاصّة يضعونه حيث شاؤوا، وحرّم عليهم الصدقة حتّى الخيّاط يخيط قميصاً بخمسة دوانيق فلنا منه دانق إلّا من أحللناه من شيعتنا لتطيب لهم به الولادة، إنّه ليس من شيء عند الله يوم القيامة أعظم من الزنا، إنّه

---

(١) فضائل السادات: ٢٧.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٤٨٨، كتاب الخمس، الباب الأوّل، وفيه ستّ روايات.

يقوم صاحب الخمس فيقول: يا ربّ، سل هؤلاء بما أُبيحوا[١]، (في الاستبصار: نكحوا).

عن زكريا بن مالك الجعفي، عن أبي عبد الله عليه السلام: أنّه سأله عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[٢]، فقال: أمّا خمس الله عزّ وجلّ فللرسول يضعه في سبيل الله، وأمّا خمس الرسول فلأقاربه، وخمس ذوي القربى فهم أقرباؤه، واليتامى يتامى أهل بيته، فجعل هذه الأربعة أسهم فيهم، وأمّا المساكين وابن السبيل فقد عرفت أنّا لا نأكل الصدقة ولا تحلّ لنا فهي للمساكين وأبناء السبيل.

عن أحدهما عليهما السلام في قول الله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ ﴾، قال: خمس الله للإمام، وخمس الرسول للإمام، وخمس ذوي القربى لقرابة الرسول الإمام، واليتامى يتامى آل الرسول، والمساكين منهم وأبناء السبيل منهم، فلا يخرج منهم إلى غيرهم.

أقول:

ليس لله شريك سبحانه وتعالى إلّا أنّه في الخمس قد جعل مع نفسه شريكاً وهم محمّد وآل محمّد، وهذا يدلّ على مقامهم العظيم ومنزلته الرفيعة أوّلاً، ثمّ ما يؤخذ باسم الخمس إنّما هو من أنفس المال وأطهره، لأنّه تشرّف بنسبته لله ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ كبيت الله مكّة المكرّمة والمساجد المشرّفة ـ كما مرّ ـ كما أنّه

---

(١) الوسائل ٨: ٥٠٤.

(٢) الأنفال: ٤١.

يوجب تطهير المال بالطهارة النورية، والزكاة تطهّر المال أيضاً إلّا أنّه بطهارة ناريّة، فيؤخذ من المال أوساخه فيطهر، ولهذا يقال: مال الزكاة من الأوساخ يوجب طهارة المال وتزكيته ونموّه ورشده ولا يحلّ ذلك على بني هاشم لكرامتهم على الله عزّ وجلّ، قال أمير المؤمنين: (ولم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيباً، أكرم الله نبيّه وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ أيدي الناس).

عن سليم بن قيس، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نحن والله الذين عنى الله بذي القربى الذين قرنهم الله بنفسه وبنبيّه، فقال: ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِين ﴾[1]، منّا خاصّة، ولم يجعل لنا سهماً في الصدقة، أكرم الله نبيّه وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ ما في أيدي الناس.

وفي خبر آخر: ولم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيباً، أكرم الله رسوله وأكرمنا أهل البيت أن يطعمنا من أوساخ الناس، فكذّبوا الله وكذّبوا رسوله، وجحدوا كتاب الله الناطق بحقّنا، ومنعونا فرضاً فرضه الله لنا[2].

عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في حديث: وإنّما جعل الله هذا الخمس خاصّة لهم دون مساكين الناس وأبناء سبيلهم عوضاً لهم من صدقات الناس تنزيهاً من الله لهم لقرابتهم برسول الله صلى الله عليه وآله وكرامة من الله لهم عن أوساخ الناس، فجعل لهم خاصّة من عنده ما يغنيهم به عن أن يصيّرهم في موضع الذلّ والمسكنة، ولا بأس بصدقات بعضهم على بعض، وهؤلاء الذين جعل الله لهم الخمس هم قرابة النبيّ صلى الله عليه وآله

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) الوسائل ٨: ٥١٢ ـ ٥١٣.

الذين ذكرهم الله فقال: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[١] وهم بنو عبد المطّلب أنفسهم الذكر منهم والأُنثى، ليس من أهل بيوتات قريش ولا من العرب أحد، ولا فيهم ولا منهم في هذا الخمس من مواليهم ـ إلى آخر الحديث الشريف[٢] ـ.

عن الرضا عليه السلام في حديث طويل: وسهم ذي القربى قائم إلى يوم القيامة فيهم للغني والفقير، لأنّه لا أحد أغنى من الله ولا من رسول الله ﷺ فجعل لنفسه منها سهماً ولرسوله سهماً، فما رضيه لذي القربى ـ إلى أن قال: ـ فلمّا جاءت قصّة الصدقة نزّه نفسه ورسوله ونزّه أهل بيته فقال: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾[٣]... الآية، ثمّ قال: فلمّا نزّه نفسه عن الصدقة ونزّه رسوله ونزّه أهل بيته، لا، بل حرّم عليهم، لأنّ الصدقة محرّمة على محمّد وآله، وهي أوساخ أيدي الناس لا تحلّ لهم لأنّهم طهّروا من كلّ دنس ووسخ[٤].

عن أبي جعفر الأحول، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما تقول قريش في الخمس؟ قال: قلت: تزعم أنّه لها، قال: ما أنصفونا والله، لو كان مباهلة لتباهلنّ بنا، ولئن كان مبارزة لتبارزن بنا، ثمّ يكونون هم وعليّ سواء.

عن أحدهما عليهما السلام، قال: فرض الله في الخمس نصيباً لآل محمّد، فأبى أبو بكر أن يعطيهم نصيبهم[٥]، حسداً وعداوة، وقد قال الله ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ

---

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) الوسائل ٨: ٥١٤.

(٣) التوبة: ٦٠.

(٤) المصدر نفسه: ٥١٦.

(٥) المصدر نفسه: ٥١٧.

فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾[١] [٢].

وروايات الخمس كثيرة، ويستعمل أهل البيت وآل محمّد فيها بالمعنى العامّ الذي يعمّ جميع ذرية النبيّ الأكرم ﷺ إلى يوم القيامة، فتدبّر.

عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: قال الله تعالى لمحمّد ﷺ: إنّي اصطفيتك وانتجبت عليّاً عليه السلام، وجعلت منكما ذرية طيبّة جعلت لهم الخمس.

عليّ بن إبراهيم في تفسيره، في قوله تعالى: ﴿ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ ﴾[٣]، قال: أي لا ترعون، وهم الذين غصبوا آل محمّد حقوقهم، وأكلوا أموال أيتامهم وفقرائهم وأبناء سبيلهم، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ المِسْكِينَ ﴾[٤]، قال: حقوق آل محمّد عليهم السلام من الخمس لذوي القربى واليتامى والمسكين وابن السبيل وهم آل محمّد صلوات الله عليهم[٥].

عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث: قال: من أعطى الخمس واتّقى ولاية الطواغيت ﴿ وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى ﴾ بالولاية ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾، قال: لا يريد شيئاً من الخير إلّا تيسّر له ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴾ بالخمس ﴿ وَاسْتَغْنَى ﴾ برأيه عن أولياء الله ﴿ وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى ﴾ الولاية، فلا يريد شيئاً من اليسر إلّا تعسّر له[٦].

---

(١) المائدة: ٤٧.

(٢) مستدرك الوسائل ٧: ٢٧٧.

(٣) الفجر: ١٨.

(٤) المدّثّر: ٤٤.

(٥) و (٦) مستدرك الوسائل ٧: ٢٨٠.

وهذا يعني أنّ من لم يدفع الخمس تتعسّر عليه الأُمور وتصعب عليه الحياة، ويرى المشاكل، ويصاب بالمصاعب والمتاعب، ويركض وراء السراب، ولا يهنأ في حياته وأمواله وتجارته...

السيّد حيدر الآملي في الكشكول: عن المفضّل بن عمر، قال: قال مولاي الصادق عليه السلام: لمّا ولّي أبو بكر قال له عمر: إنّ الناس عبيد هذه الدنيا لا يريدون غيرها، فامنع عن عليّ عليه السلام الخمس والفيء وفدكاً، فإنّ شيعته إذا علموا ذلك تركوا علياً عليه السلام رغبةً في الدنيا، وإيثاراً ومحاباة عليها، ففعل ذلك وصرف عنهم جميع ذلك ـ إلى أن قال: ـ قال عليّ عليه السلام لفاطمة عليها السلام: سيري إلى أبي بكر وذكّريه فدكاً مع الخمس والفيء، فقال لها: هاتي بيّنة يا بنت رسول الله. فقالت له: أمّا فدك، فإنّ الله عزّ وجلّ أنزل على نبيّه ﷺ قرآناً، يأمره فيه بأن يؤتيني وولدي حقّي، قال الله تعالى: ﴿ فَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ ﴾[1]، فكنت أنا وولدي أقرب الخلائق إلى رسول الله ﷺ، فنحلني وولدي فدكاً، فلمّا تلا عليه جبرئيل: ﴿ وَالمِسْكِينَ وَاْبْنَ السَّبِيلِ ﴾، قال رسول الله ﷺ: ما حقّ المسكين وابن السبيل؟ فأنزل الله: ﴿ وَاْعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَاْبْنِ السَّبِيلِ ﴾[2]، فقسّم الخمس خمسة أقسام، فقال: ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَاْبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾[3]، فما كان لله فهو لرسوله، وما كان

---

(١) الروم: ٣٨.

(٢) الأنفال: ٤١.

(٣) الحشر: ٧.

لرسوله فهو لذي القربى، ونحن ذو القربى، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى ﴾[١]، فنظر أبو بكر إلى عمر فقال: ما تقول؟ فقال عمر: [من ذي القربى] ومن اليتامى والمساكين وابن السبيل؟ فقالت فاطمة عليها السلام: اليتامى الذين يأتمون بالله وبرسوله وبذي القربى والمساكين الذين أسكنوا معهم في الدنيا والآخرة، وابن السبيل الذي يسلك مسلكهم ـ هذا من تأويل الآيات ـ قال عمر: فإذا الفيء والخمس كلّه لكم ولمواليكم ولأشياعكم، فقالت فاطمة عليها السلام: أمّا فدك فأوجبها الله لي ولولدي دون موالينا وشيعتنا، وأمّا الخمس فقسّمه الله لنا ولموالينا وأشياعنا، كما ترى في كتاب الله، قال عمر: فما لسائر المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان؟ قالت فاطمة عليها السلام: إن كانوا موالينا وأشياعنا فلهم الصدقات التي قسّمها وأوجبها في كتابه، فقال عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ ﴾[٢]، إلى آخر القصّة. قال عمر: فدك لك خاصّة، والفيء لكم ولأوليائك، ما أحسب أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرضون بهذا، قالت فاطمة عليها السلام: فإنّ الله رضي بذلك ورسوله رضي له، وقسم على الموالاة والمتابعة، لا على المعاداة والمخالفة[٣].

ولا يخفى أنّ غصب الحقوق ونهبها من ديدن الطغاة والظالمين، ولا يزال القوم ينكرون خمس السادة وسهمهم، والمفروض والواجب على كلّ مسلم ومسلمة أن يؤدّي الحقوق والأمانات إلى أهلها، فيعظم ذراري رسول الله ويعطيهم خمسهم

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) التوبة: ٦٠.

(٣) مستدرك الوسائل ٧: ٢٩٢.

وحقّهم الشرعي، وإلّا فأيسر ما يدخل الإنسان النار أكله درهماً ظلماً وعدواناً من أموال اليتيم، وهؤلاء أيتام آل محمّد عليهم السلام، فمن أنكرهم وأكل حقّهم فإنّ موعده النار وبئس المصير، ومن خمّس أمواله وأدّى حقوقها الشرعيّة وعمل بآيات القرآن الكريم وبالإسلام العظيم فإنّ موعده الجنّة، فيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين وما لم يخطر على قلب بشر، وإنّه يسعد في دنياه وآخرته، فإنّ الخمس والزكاة يوجبان تطهير المال وتنميته وتزكيته وحفظه، كما ثبت ذلك بالبرهان والعيان، وإنّه مفتاح الرزق.

التهذيب بسنده عن محمّد بن زيد الطبري، قال: كتب رجل من تجّار فارس من بعض موالي أبي الحسن الرضا عليه السلام يسأله الإذن في الخمس، فكتب إليه: (بسم الله الرحمن الرحيم، إنّ الله واسعٌ كريم، ضمن على العمل الثواب، وعلى الضيق الهمّ ـ لعلّه عبّر عن مخالفة الله التي منها منع الخمس بالضيق لأنّ الباعث عليها ضيق الصدر وهو الذي يدعو إلى خوف الفقر وسوء الظنّ بالله في إعطاء الرزق وهذه الخصال هي الباعث على الهمّ ـ لا يحلّ مال إلّا من جهة أحلّه الله)، إنّ الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالاتنا وعلى موالينا وما نبذل ونشتري من أعراضنا، فمن نخاف سطوته فلا تزووه عنّا ـ فلا تصرفوه عنّا ـ ولا تحرموا أنفسكم دعاءنا ما قدرتم عليه، فإنّ إخراجه مفتاح رزقكم وتمحيص ذنوبكم وما تمهّدون لأنفسكم ليوم فاقتكم والمسلم من يفي لله بما عاهد إليه وليس المسلم من أجاب باللسان وخالف بالقلب، والسلام[1].

التهذيب بسنده عن محمّد بن زيد، قال: قدم قوم من خراسان على

---

(١) الوافي ١٠: ٣٣٤، الطبعة الجديدة، عن التهذيب ٤: ١٣٩، والكافي ١: ٥٤٨.

أبي الحسن الرضا عليه السلام فسألوه أن يجعلهم في حلّ من الخمس، فقال: ما أَنْحَل هذا، تمحضونا المودّة بألسنتكم وتزوون عنّا حقّاً جعله الله لنا، وجعلنا له وهو الخمس، لا نجعل لا نجعل لا نجعل لأحد منكم في حلّ[1].

وفي المقام روايات أُخرى لم نتعرّض لها طلباً للاختصار.

---

(١) المصدر نفسه، عن التهذيب ٤: ١٤٠.

إكرام الذرية في الروايات

وقد ورد كلمة (ذرر) ومشتقّاتها في بحار الأنوار في أكثر من (٢٥٠٠) مورد، فنذكر ما يتعلّق بموضوعنا وهو خصوص ذرّية الرسول ﷺ مع حذف المكرّرات، والله المستعان، ومن أراد التفصيل فعليه بمراجعة الموسوعة الكبرى بحار الأنوار.

المعجم المفهرس لألفاظ بحار الأنوار ١١: ٧٤٥٨ ـ ٧٤٧١

		ج	ص	س
١	إنّ لك ولأخيك أشرف الذرّية	١٥	٣٠٦	١٣
٢	فجعل لرسول الله الأزواج والذرّية	٢٧	١٥٤	١٥
٣	الذين آمنو ـ الذرية الأئمة الأوصياء	٢٥	٣٥٦	١٥
٤	الذرية الأئمة الأوصياء	٢٣	٣٥٥	٥
٥	فهم الذرية الأكرمون	٢٥	١٧٤	١٣
٦	أبو الذرية التي بقيت لرسول الله	٣٤	٢٧٦	١٤
٧	الذرية الذين جعل الله فيهم النبوّة	١١	٤٩	٤
٨	فهم الذرية الزكية والعترة الهاشمية	٢٥	١٧٤	٧
٩	أخرج من أصلابكما الذرية الطاهرة	٣٦	٣٠٣	١٥
١٠	إنّه ثاني انتقال الذرية الطاهرة	١١	٢٤٧	٦
١١	أخرج من أصلابكما الذرية الطاهرة	٣٦	٣٠٢	١٥
١٢	تقتل الذرية الطاهرة التي قد أذهب الله	٤٥	١١٩	١٧
١٣	قدر أن يخرج منه الذرية الطيّبة	٢٦	٢٩٠	٣

١٤	غرست أشجارها ـ يعني الذرية الطيبة	٣٩	٣٤٨	٢٠
١٥	كتب إلى ـ الخلف الصالح ـ والذرية الطيبة	٨٢	١٤٦	٣
١٦	بجاه الذرّية الطيّبة الطاهرة من آل طه	١٣	٢٣٥	١٠
١٧	أكرم الله هذه ـ الذرية المباركة	٣٦	٣٠٩	٥
١٨	هؤلاء ـ العترة الطاهرة والذرّية المباركة	٣٦	٣٠٩	٣
١٩	فأنتم الذرّية المختارة والأنفسة المجرّدة	١٠٠	٣٤٥	١٤
٢٠	فهم ـ الذرّية النبويّة والسادة العلويّة	٢٦	٢٥٨	١٩
٢١	إنّي مخلّف فيك الذرّية ـ ذرّية محمّد	٢٣	٢٨٣	٦
٢٢	نحن تلك الذرّية لا أنت ولا أشباهك	٢٤	٢٣٣	١١
٢٣	فنحن الذرّية من آدم والأُسرة من نوح	٤٣	٣٥٨	١٨
٢٤	الذرّية ـ من الصفوة بعد الأنبياء	١١	٤٩	٧
٢٥	الذرّية من بيوتات الأنبياء	١١	٤٩	٨
٢٦	أخرجت الذرّية من صلب عليّ إلى فاطمة	٢٤	٣٧٤	٤
٢٧	ما أكرم الله ـ أحداً من ذراري الأنبياء	٢٥	٢٣٣	١٣
٢٨	تواطأوا على ـ سبي ذراري رسول الله	٣١	٢٥٧	١٥
٢٩	يا رسول الله ـ سبى بعد ذراريك	١٠١	٢٤١	١٣
٣٠	ليسبينّ ذراريكم	٢١	١٥٢	١٦
٣١	المحرّم شهر ـ سبي فيه ذرارينا	٤٤	٢٨٣	١١
٣٢	الحسين ـ تسبى ذراريه ونساءه	١٠١	٤٤	١٩
٣٣	صلّ على أزواجهم وذراريهم	٨٩	٣٤١	٦
٣٤	اللهمّ وصلّ ـ على ذراريهم	٩١	١٨	٦

٣٥	صلوات الله ـ على ذراريهم الهداة	١٠١	٢٢٣	١٣
٣٦	ذرّيتي أفضل ذرّيات النبيّين	٨	٢٢	٧
٣٧	ذرّياتنا ـ الحسن والحسين	٢٤	١٣٣	١٩
٣٨	قوله تعالى ـ وذرّياتنا الحسن والحسين	٤٣	٢٧٩	١١
٣٩	نزلت في حقّنا وحقّ ذرّياتنا خاصّة	٢٤	٢٢٢	١٧
٤٠	ذرّياتنا خلف أزواجنا	٢٤	٢٣٥	٧
٤١	أزواجنا خديجة وذرّياتنا فاطمة	٢٤	١٣٥	١٤
٤٢	إلى جنّات النعيم ـ هو ـ وأزواجه وذرّياته	٢٤	٣٨٢	١٢
٤٣	نور النبوّة ـ حسباً ونسباً من ذرّياتها	٢٢	١٦٧	١١
٤٤	أُولئك المقرّبون ـ عليّ ـ وذرّياتهم	٢٤	٦	٩
٤٥	جعلهم وذرّياتهم... معك	٤٥	١٨١	٤
٤٦	فإن قال الناس لم يكن لرسول الله ذرّية	٢٥	٢١٩	١٠
٤٧	يا فاطمة ـ لولا عليّ ما كانت لي ذرّية	٤٣	١٠١	٧
٤٨	استأصلت الشافة بإراقتك دماء ذرّية	٤٥	١٣٤	١٠
٤٩	نحن ذرّية إبراهيم	٢٣	٢٢٣	١٩
٥٠	الحمد لله الذي جعلنا من ذرّية إبراهيم	٣٥	١٥٨	٢
٥١	نحن أهل البيت من ذرّية إبراهيم	٦٧	١٧٧	٣
٥٢	يا موسى إنّه من ذرّية أحمد وعترته	٣٦	٣٧٠	١٠
٥٣	الحمد لله الذي جعلنا من ذرّية إسماعيل	١٦	١٤	٣
٥٤	جعلنا من زرع إبراهيم وذرّية إسماعيل	١٠٣	٢٦٣	١٥
٥٥	بالرحمة التي جعلتني بها من ذرّية أعزّ	٩٨	١٣	٧

٥٦	أسفل تلك الطينة ـ هي طينة ذرّية الأئمة	٥	٢٥٣	١٣
٥٧	قال : البقية : ذرّية الأنبياء	١٣	٤٤٠	١٤
٥٨	طلحة والزبير ليسا ـ من ذرّية الرسول	٣٢	٩٩	١٣
٥٩	السلام على ـ ذرّية المرسلين	١٠٢	٢٩٣	١٧
٦٠	هؤلاء ذرّية المصطفى يساقون سوق السبايا	٤٥	٥٩	٤
٦١	إنّ المراد بهذه الآية جميع ذرّية النبيّ	٢٣	٢١٩	١٧
٦٢	إنّ الحسن والحسين من ذرّية النبيّ	٩٦	٢٤٣	١١
٦٣	النظر إلى جميع ذرّية النبيّ ـ عبادة	٩٦	٢١٨	٦
٦٤	مودّة ذرّية النبيّ فريضة واجبة	١٠	٣٩٣	٢٠
٦٥	فاطمة ذرّية النبيّ وهي معه في درجته	٢٤	٢٧٤	١١
٦٦	أفضل ما صلّيت ـ على ذرّية أنبيائك	٩٤	٧٥	٢٢
٦٧	نحن ورثة الأنبياء ونحن ذرّية أُولي العلم	٢٣	٣١٤	١٨
٦٨	أوَ ما علمتم أنّها ذرّية بعضها من بعض ؟	١٠	٣٨٤	٦
٦٩	فضمّها وقال ذرّية بعضها من بعض	٤٣	٨٤	٢٢
٧٠	قال : بأبي وأُمّي ذرّية بعضها من بعض	٤٣	٣٥٥	١٨
٧١	أهل البيت ذرّية بعضها من بعض	٥٠	٧٨	٢٣
٧٢	يا كميل ذرّية بعضها من بعض	٧٧	٢٦٩	٦
٧٣	فنحن والله ذرّية رسول الله	٦	١٨٤	٣
٧٤	هم يقولون ـ هذا قاتل ذرّية رسول الله	٤٥	١٠٥	١٩
٧٥	يريد ـ إخفاء آثار ذرّية رسول الله	٤٥	٤٠٤	٢
٧٦	أنتم ذرّية رسول الله	٤٦	٢٤٩	١٩

٧٧	السلام على ـ ذرّية رسول الله	١٠١	٣٧٦	١٢
٧٨	يخلق من صلبك في هذه الليلة ذرّية طيّبة	١٦	٧٩	١٤
٧٩	سيخرج من صلبك ذرّية طيّبة	٣٦	٣٦١	١٧
٨٠	اجعل ذرّيتي ذرّية طيّبة	١٠١	٢٨٨	١٢
٨١	له ذرّية طيّبة باقية إلى يوم القيامة	١٧	٢٥٩	٧
٨٢	اجعل ذرّيتي ذرّية طيّبة تحوطها بحياطتك	٩١	١٨٧	١
٨٣	القائم ـ من ذرّية عليّ وفاطمة	٥١	٧٨	٨
٨٤	الإمام من ذرّية فاطمة	٢٤	٧٣	١٧
٨٥	قال : حرّم الله ذرّية فاطمة على النار	٩٤	٤٠	١١
٨٦	أين ذرّية فاطمة وشيعتها ومحبّوها	٤٣	٢٢٠	١
٨٧	يا عليّ ـ الله ـ جعل ذرّية كلّ نبيّ من صلبه	٣٨	١٠٣	١٠
٨٨	من الآل ؟ قال : ذرّية محمّد	٢٥	٢١٦	١٤
٨٩	فلنا الفضل ـ لأنّا ذرّية محمّد	٤٦	٣٦٠	١٣
٩٠	هذه القباب للأئمة من ذرّية محمّد	٤٧	١٥٩	٢١
٩١	فلنا فضل على الناس لأنّا ذرّية محمّد	٦٧	٢٣٨	١٤
٩٢	اللهمّ صلّ على ذرّية محمّد	٨٦	٦	١٧
٩٣	العلويون ـ ذرّية محمّد رسول الله	٧	١٠٠	١٤
٩٤	نحن ذرّية محمّد رسول الله	٨	٣٦	٢٢
٩٥	ذرّية محمّد سبب النجاة في العقبى	١٦	٤٠٣	١٢
٩٦	جعل في ـ ذرّية محمّد ـ نظير يحيى	٤٣	٣٢٦	١٦
٩٧	نحن ذرّية محمّد وأُمّنا فاطمة	٨	١٣	٥

٩٨	نحن ذرّية محمّد وسلالة النبيّين	٥٣	٣٠٧	٧
٩٩	ذرّية مصطفاة بعضها من بعض	٢٤	٢٣٣	١٠
١٠٠	صلّ على ذرّية نبيّك	٨٦	٤٢	٧
١٠١	اللهمّ صلّ على ذرّية نبيّك	٩٨	١١٠	١١
١٠٢	الله الله في ذرّية نبيّكم	٧٨	١٠٠	١٦
١٠٣	الله الله في ذرّية نبيّكم	٤٢	٢٤٩	١٢
١٠٤	وذرّية نبيّكم لا تظلمون بين أظهركم	٧٧	٤٠٧	١٦
١٠٥	أحببنا ذرّية نبيّنا محمّد ونصرناهم	٤٤	٢٤٩	٩
١٠٦	اثني عشر إمام هدى من ذرّية نبيّها	٣٦	٣٨١	١٥
١٠٧	فتنة ـ اختيارهم على ذرّية نبيّهم	١٠	١٣٤	١٨
١٠٨	والله لذرّية علي ـ أفضل من ذرّية يوسف	٧١	١٨٧	١
١٠٩	الأئمة الراشدون ذرّيتك	٧	٣٢٩	٢
١١٠	ويأخذ شيعتك بحجزة ذرّيتك	٧	٣٣٣	١٥
١١١	ألحقتهم بك وبمن كانوا يقولون من ذرّيتك	٨	١٧	٢٣
١١٢	ويأخذ شيعتك بحجزة ذرّيتك	٧	٣٣٣	١٥
١١٣	ألحقهم بك ومن كانوا يتولّون من ذرّيتك	٨	١٧	٢٣
١١٤	حبّ لك أو لأحد من ذرّيتك	٨	٥٢	١١
١١٥	لن أقطع العلم ـ من العقب من ذرّيتك	١١	٤٤	١١
١١٦	فاجعل علم النبوّة في العقب من ذرّيتك	١١	٤٦	١٢
١١٧	يا محمّد ـ البركات أنت وذرّيتك	١٨	٢٦٠	٢
١١٨	نعم الأئمة الراشدون من ذرّيتك	٢٣	١٣١	٨

١١٩	جعلته وصيّك وخليفتك وأبا ذرّيتك	٣٦	٢٤٥	١٠
١٢٠	يا محمّد هم الأوصياء من ذرّيتك	٣٦	٣٠٥	٢٢
١٢١	يا محمّد هم الأخيار من ذرّيتك	٣٦	٣٢١	١٥
١٢٢	يا محمّد هذه الأنوار الأئمة من ذرّيتك	٣٦	٢٥٥	١٥
١٢٣	يا محمّد هل عرفت ـ موضع ذرّيتك ؟	٢٧	٢٢٠	٨
١٢٤	من كان في قلبه حبّ ـ لأحد من ذرّيتك	٤٣	٦٥	٦
١٢٥	ماجت ـ لشرّ ما يتكافى به من ذرّيتك	٤٥	١٨١	٥
١٢٦	متى يخرج القائم من ذرّيتك ؟	٤٩	٢٣٨	٤
١٢٧	مبغض لك ولأهل بيتك وذرّيتك	٥١	٦٩	٨
١٢٨	إنّ القائم الذي يخرج من ذرّيتك	٥١	٧٧	٦
١٢٩	يا رسول الله متى يخرج القائم من ذرّيتك ؟	٥١	١٥٤	١٨
١٣٠	أحد عشر مهديّاً كلّهم من ذرّيتك	٥٢	٢٧٧	١٥
١٣١	عرضت عليها رسالتك وولاية ذرّيتك	٦٠	٢٢٨	١٩
١٣٢	خراب البصرة على رجل من ذرّيتك	٥٢	٢٧٨	٤
١٣٣	إنّ الله يخلق منها رجالاً يتولّون ذرّيتك	٦٠	٢٢٨	١٩
١٣٤	ألحقتهم بمن كانوا يتولّون من ذرّيتك	٦٨	٩٩	١٦
١٣٥	الرحمة والبركات أنت وذرّيتك	٨٢	٢٤٢	١١
١٣٦	هداني إلى معرفة الأئمة من ذرّيتك	١٠٠	١٦٣	٦
١٣٧	السلام عليك وعلى الأئمة من ذرّيتك	١٠٠	٣٢٤	١٣
١٣٨	لعن الله من اعتدى على ولدك وذرّيتك	١٠٠	٣٧٦	١٧
١٣٩	السلام على الظاهرين من ذرّيتك	١٠٠	٣٧٦	١٧

١٤٠	سلام الله على روحك وبدنك وذرّيتك	١٠١	١٧٥	١١
١٤١	السلام عليك وعلى آلك وذرّيتك	١٠١	٢١٠	١٧
١٤٢	متمسّكاً بولايتك وولاية ذرّيتك	١٠١	٢١٣	٩
١٤٣	سلام الله على الأزكياء من ذرّيتك	١٠١	٢٣٤	٤
١٤٤	صلوات ـ على ـ ذرّيتك الأئمة الطاهرين	١٠٠	٢٠٠	١٢
١٤٥	يا عليّ ـ من ذرّيتك الأئمة المطهّرون	٢٦	٣٤٩	١٢
١٤٦	الأئمة من عترتك وذرّيتك الطاهرين	١٠٢	١٥٦	١
١٤٧	من ذرّيتك المهدي	٤٠	٦٧	١٧
١٤٨	أخذ ذرّيتك بحجزتك	٦	١٧٩	١٧
١٤٩	من همّ من ذرّيتك بسيّئة لم تكتب عليه	٧١	٢٤٨	١٩
١٥٠	يا محمّداه بناتك سبايا وذرّيتك مقتلة	٤٥	٥٩	٥
١٥١	كلّهم من ذرّيتك من البكر البتول	٥١	٦٩	٢٤
١٥٢	حتّى تدخل الجنّة انت وذرّيتك	٤٣	٦٣	٢
١٥٣	شرّ ما تكافئ به في ذرّيتك	٢٨	٥٩	١٠
١٥٤	من ذرّيتكم العترة الأئمة المعصومون	٢٦	٢٣٠	٢١
١٥٥	فقال : فكلها أنت وعليّ وذرّيتكما	٢٢	٢٢٥	١٦
١٥٦	يا محمّد ـ جعل الأئمة من ذرّيتكما	٣٥	٢٧	٤
١٥٧	صلّى الله عليكما وعلى ذرّيتكما	١٠٠	٣٠٠	٥
١٥٨	شيعتنا خلف ذرّيتنا	٢٧	١٤١	٧
١٥٩	البرص شبه اللعنة لا تكون في ذرّيتنا	٦٧	٢٠٠	٤
١٦٠	أحباؤنا خلف ذرّيتنا	٦٨	٣٢	٧

١٦١	النظر إلى ذرّيتنا عبادة	٩٦	٢١٨	٥
١٦٢	يا جبرئيل إنّه ممّن كان يحبّ عليّاً وذرّيته	٦	١٦٢	١٩
١٦٣	بحبّي محمّداً وبولايتي عليّاً وذرّيته	٦	١٧٣	١٨
١٦٤	أوّل الأمر ـ عليّ ـ والأئمّة من ذرّيته	١١	١٢٠	١٤
١٦٥	الحسن والحسين من ذرّيته	١٦	١٠٨	٣
١٦٦	صراط الذين، يعني محمّداً وذرّيته	٢٤	١٣	٤
١٦٧	المنزلة والولاية لرسول الله وذرّيته	٢٣	١١١	١٦
١٦٨	فليتولّ عليّ وذرّيته	٢٣	١٤٣	٧
١٦٩	سبيل الله هو عليّ وذرّيته	٢٤	١٢	١٣
١٧٠	من آل محمّد ؟ قال : ذرّيته	٢٥	٢١٦	١٧
١٧١	ثمّ اختار ـ رسول الله ـ فنحن ذرّيته	٢٥	٢١٩	١٠
١٧٢	جعلنا لهم أزواجاً وذرّية فنحن ذرّيته	٢٥	٢١٩	١١
١٧٣	خلقوا من طينة خلق منها محمّد ـ وذرّيته	٢٥	٣٨٦	٦
١٧٤	نور خلق الله منه محمّداً وذرّيته	٢٥	٣٨٦	٦
١٧٥	الحسن والحسين ـ عترة نبيّكم ـ وذرّيته	٢٦	٢٥٨	١٤
١٧٦	فنحن عقب رسول الله وذرّيته	٢٧	١٥٤	١١
١٧٧	فعقّوا رسول الله في ذرّيته	٢٧	٢١١	٥
١٧٨	معه في منزلته ـ الاثنى عشر من ذرّيته	٢٠	١١٣	٤
١٧٩	لا يبيت فيه جنب إلّا عليّ وذرّيته	٣٩	٢٢	٧
١٨٠	لا يحلّ مسجدي لأحد ـ إلّا عليّ وذرّيته	٣٩	٢	١٦
١٨١	اختاره لكريمته وجعله أبا ذرّيته	٤٠	٥٢	٣

١٨٢	ما يعلم المخزون غير محمّد وذرّيته	٤٣	٣٢٨	١٣
١٨٣	فليتولّ عليّ ـ والأوصياء من ذرّيته	٤٤	٢٥٩	١
١٨٤	بئس ما خلفتم نبيّكم في ذرّيته	٤٥	٥	١٦
١٨٥	بئسما خلفتم محمّداً في ذرّيته	٤٥	١١	٢٢
١٨٦	لعنك الله يا يزيد ـ تسبي ذرّيته	٤٥	١٣٧	٩
١٨٧	سترد على رسول الله بما تحمّلت من ذرّيته	٤٥	١٥٩	١١
١٨٨	على أن يمنعوا رسول الله وذرّيته	٤٧	٣٩٧	٢٢
١٨٩	الأئمة المعصومين من ذرّيته	٥٢	١٧٣	١٢
١٩٠	القتل في سبيل عليّ ـ وذرّيته	٥٣	٤١	١
١٩١	لم يطّلع عليه غير محمّد وذرّيته	٦٠	١٦٣	١٤
١٩٢	موالاة من ينصّ عليه من ذرّيته	٦٨	٣٤	١١
١٩٣	فأين ترى يصير الله نبيّه وذرّيته	٦٨	٤٢	١١
١٩٤	اللهمّ صلّ على محمّد وذرّيته	٨٦	٩٥	٢١
١٩٥	اللهمّ صلّ على محمّد وأهل بيته وذرّيته	٩٠	٢٥٠	٢٢
١٩٦	أقرّ عين نبيّنا ـ بمن يتبعه من ذرّيته	٩٧	٢١٢	١٥
١٩٧	تظهر بها دعوته ـ وتنصر بها ذرّيته	١٠٠	٣٢٩	٢١
١٩٨	السلام ـ على الصفوة الصادقين من ذرّيته	١٠٠	٤١٣	١١
١٩٩	السلام على عليّ أمير المؤمنين ذرّيته	١٠٠	٤١٣	٤
٢٠٠	فجزاكم الله عن الرسول وابنه وذرّيته	١٠١	٢١٧	١٢
٢٠١	اللهمّ صلّ ـ على الأئمة من ذرّيته	١٠١	٢٤٧	٧
٢٠٢	اللهمّ أحيني حياة محمّد وذرّيته	١٠١	٢٩٨	٢٠

٢٠٣	اللهمّ صلّ على الوصيّ ـ وذرّيته	١٠٢	٢٢٥	١٨
٢٠٤	اللهمّ فبه وبأخيه وذرّيته أتوسّل	٩٨	٢٦٨	١٩
٢٠٥	جاعل من ذرّيته اثني عشر عظيماً	٣٦	٢١٤	١١
٢٠٦	صلّ على محمّد ـ وذرّيته أجمعين	٩٧	٢٩٦	٢٤
٢٠٧	فاحشرني معه ومع ذرّيته الأئمة	١٠٠	٣٤٧	٧
٢٠٨	صلّ على محمّد ـ وذرّيته الأكرمين	٩٠	٢٨٦	١٩
٢٠٩	أولياء عليّ وذرّيته ـ السابقون الأوّلون	٦٨	٤٠	٥
٢١٠	فليتمسّك بحبّ عليّ ـ وذرّيته الطاهرين	٢٣	١١١	٢
٢١١	عليّ ـ ذرّيته الطاهرين أئمة الهدى	٣٦	٢٦٩	٧
٢١٢	بجاه ذرّيته الطيّبة الطاهرة من آل طه	١٦	٨٦	٧
٢١٣	عليّ سيّد ـ المنتجبين من ذرّيته الطيّبين	١١	١٩٣	١١
٢١٤	صلّى الله عليه وعلى ذرّيته الطيّبين	٩٥	٢٠٣	٩
٢١٥	ليتولّ ذرّيته الفاضلين المطيعين لله	٢٣	١٢٣	٦
٢١٦	أطائب عترته وخيار ذرّيته خلفاء الأُمّة	٦	١٧٥	١٤
٢١٧	يتولّى عليّاً وذرّيته فارفق به	٦	١٦٢	٢٠
٢١٨	الأئمة من ذرّيته ـ كانوا حججاً لله	١٧	٩٦	١٩
٢١٩	إنّ عليّاً ـ ذرّيته كذرّية هارون	٤٧	٣٩٧	١١
٢٢٠	اللهمّ أعطه في ـ ذرّيته ـ ما تقرّ به عنيه	٥٢	٢٢	٣
٢٢١	إنّكم بمحمّد وذرّيته ممتحنون	١٧	٢٢٠	١٨
٢٢٢	تكون ذرّيته من ابنة له مباركة باركتها	٢١	٣١٦	١٥
٢٢٣	محمّداً ـ والأئمة من ذرّيته هم الفائزون	٧	٣٢٩	٣

٢٢٤	الأئمة من ذرّيته ـ هم الموازين	٧	٢٥٢	١٥
٢٢٥	موالاة أولياء الله محمّد وذرّيته الأئمة	٦٨	٣٩٤	٢١
٢٢٦	خاف ـ رسول الله، عليّ وذرّيته وأهله	٢٨	٣٢٧	٦
٢٢٧	أيّده وذرّيته وأولياءه بالنصر والجند	١٠٢	٢٢٦	٦
٢٢٨	فتدخل فاطمة ابنتي الجنّة وذرّيتها	٧	٣٣٦	١٤
٢٢٩	وهم فيما اشتهت ـ فاطمة وذرّيتها	٧	٣٣٦	١٧
٢٣٠	خبرها أنّي قد شفّعتها في ولدها وذرّيتها	٢٤	٢٧٥	٩
٢٣١	كان ـ يخبرها بما يكون بعدها في ذرّيتها	٢٦	٤١	١٣
٢٣٢	عقّوا أُمّهم خديجة في ذرّيتها	٢٧	٢١١	٦
٢٣٣	أحصنت فرجها فحرم الله ذرّيتها على النار	٤٣	٢٠	٤
	ورد في موارد كثيرة			
٢٣٤	أين محبّوها ومحبّوا ذرّيتها	٤٣	٢٢٠	٢
٢٣٥	حتّى تدخل الجنّة ومعها ذرّيتها	٤٣	٢٢٤	١٣
٢٣٦	فتدخل فاطمة ابنتي الجنّة وذرّيتها	٦٨	٦٠	٢
٢٣٧	اللهمّ صلّ على فاطمة ـ وعلى ذرّيتها	١٠١	٢٥٣	١٧
٢٣٨	لا تحرمني ـ شفاعة الأئمة من ذرّيتها	١٠٠	٢١٩	١٣
٢٣٩	يلق أعداءها وأعداء ذرّيتها في جهنّم	٤٣	٢٢٣	١٣
٢٤٠	فاطمة ـ الله فطمها وذرّيتها من النار	٤٣	١٨	٢٤
٢٤١	ويل لمن يظلمها ويظلم ذرّيتها وشيعتها	٤٣	٦٣	٧
٢٤٢	هي والله فاطمة وذرّيتها وشيعتها	٦٨	٦٠	٤
٢٤٣	السلام على الأئمة من ذرّيتها وولدها	١٠٢	٢٠١	٥

٢٤٤	فيعطيها الله ذرّيتها وولدها ومن ودّهم لها	٤٣	٢٢٥	٤
٢٤٥	واتّبعتهم ذرّيتها بإيمان ألحقنا بهم ذرّيتهم	٦١	٥٢	٦
	ورد في موارد كثيرة			
٢٤٦	اجعلني من شيعة ـ ذرّيتهم الطاهرة	١٠١	٣٠٦	٣١
٢٤٧	محمّداً وعليّاً وطيّبي ذرّيتها	١٣	٢٦٩	١٦
٢٤٨	أخلصتها والأبرار منها وذرّيتها	٢١	٣١٥	١٠
٢٤٩	اللهمّ ـ بارك في ذرّيتها	٤٣	٩٣	٢٢
٢٥٠	من أحبّ الحسن والحسين وذرّيتها	٤٣	٢٧٠	١
٢٥١	خلق محمّداً وعليّاً والطيّبين من ذرّيتها	٥٧	٣٣٦	٧
٢٥٢	بارك في ذرّيتها	١٠٣	٢٧٤	١٠
٢٥٣	لا يتولّينّ عليّاً وزوجته وذرّيتها أحد	١٨	٣٩٩	١٢
٢٥٤	صلوات الله عليها وعلى ذرّيتها الطيّبين	٢٦	٢٩٦	٧
٢٥٥	من زار ذرّيتها فكأنّما زارهما	٤٣	٥٨	١٤
٢٥٦	من أحبّ ـ ذرّيتها ـ لن تلفح النار وجهه	١١٠	١٠	١٣
٢٥٧	اجعلها وذرّيتها من ورثة النعيم	٤٣	١١٧	١٣
٢٥٨	يقيها وذرّيتها وشيعتها النار	٤٣	٢٧٦	٢١
٢٥٩	والله لا تشفّعت فيمن آذى ذرّيتي	٨	٣٧	١٢
٢٦٠	أنا شفيع ـ الضارب بسيفه أمام ذرّيتي	١٠	٣٦٨	٢٢
٢٦١	فليتولّ ـ الأوصياء من بعده من ذرّيتي	٢٣	١٣٧	١٠
٢٦٢	أهديهم بعليّ ـ ابن عمّي وأبي ذرّيتي	٢٣	١٤٣	١٣
٢٦٣	يرغم أُنوف رجال ـ يبغضون ـ ذرّيتي	٢٤	١٦٥	١٤

٢٦٤ من ذلك النور خلقني وذرّيتي	٢٦	٢٩١	١٤
٢٦٥ الأمر لعليّ ـ ثمّ للطاهرين من ذرّيتي	٢٨	١٩٦	٤
٢٦٦ فطوبى لمن تمسّك بالأئمة من ذرّيتي	٣٦	٣٢٣	٣
٢٦٧ المتوسّم ـ أنا من بعده والأئمة من ذرّيتي	٤١	٢٩١	٢
٢٦٨ سيّدي ذرّيتي وشيعتي وشيعة ذرّيتي	٤٣	٢١٩	٢١
٢٦٩ إلهي وسيّدي ـ محبّي ومحبّي ذرّيتي	٤٣	٢١٩	٢٢
٢٧٠ اعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذرّيتي	٤٣	٢٤٦	٣
٢٧١ حبّ أهل بيتي وذرّيتي استكمال الدين	٩	٢٩٨	٢١
٢٧٢ ذرّيتي أفضل ذرّيات النبيّين والمرسلين	٨	٢٢	٧
٢٧٣ ينصر الله في ذرّيتي المؤمنين	٣٩	٣٤٩	١٠
٢٧٤ ومن ذرّيتي المهدي	١٤	٣٤٩	٦
٢٧٥ اجعل ذرّيتي ذرّية طيّبة	١٠١	٢٨٨	١٢
٢٧٦ ذرّيتي من صلب عليّ	٣٧	١٣٢	١٥
٢٧٧ يا فاطمة ـ الله ـ جعل ذرّيتي من صلب عليّ عليه السلام	٤٣	١٠١	٦
٢٧٨ جعل من ذرّيتي من فضّله بهذه الفضائل	١٥	٢٤٠	١٢
٢٧٩ فختم ـ أسباط النبوّة وجعل ذرّيتي منهما ـ الحسن والحسين	٣٧	٤٦	٦
٢٨٠ الأئمة من ذرّيتي كالجبال الرواكد	٣٩	٣٤٨	١٧
٢٨١ فالله الله في أصحابي وذرّيتي وذمّتي	٢٨	٧٨	٨
٢٨٢ إنّ أهل بيتي ـ ذرّيتي ولحمي ودمي	٢٣	١٥٣	١٩
٢٨٣ ذلك رجل من ذرّيتي يبقر العلم بقراً	٥٢	٢٤٨	٣

٢٨٤	ماجت ـ النار ـ غضباً لك ولذرّيتك	٢٨	٥٩	٩
٢٨٥	هؤلاء النواصب لذرّيتك العداوة	١٨	٣٩٢	١٩
٢٨٦	أربعة أنا لهم شفيع ـ المكرم لذرّيتي	٢٧	٧٨	٤
٢٨٧	أكثر أهلك معادوك والقاتلون لذرّيتك	٨	٣١٢	١٨
٢٨٨	أبكي لذرّيتي وما تصنع بهم شرار أُمّتي	٤٣	١٥٦	٤

أقول: هذا غيض من فيض في فضائل السادة الأشراف ذرّية الرسول ﷺ، وما أكثر الروايات الشريفة في الأهل والآل والعترة والأولاد والنسل والسلالة، راجع (المعجم المفهرس لألفاظ بحار الأنوار، إشراف علي رضا برازش)، فإنّك تجد بغيتك، وما يشفي العليل ويروي الغليل في تكريم ذرّية النبيّ الأعظم محمّد ﷺ، أضف إلى ذلك حكم العقل وبناء العقلاء وإجماع المسلمين وأهل القبلة والآيات الكريمة الدالّة على ذلك، وبعبارةٍ أُخرى: إن الأدلّة الأربعة ـ الكتاب والسنّة والإجماع والعقل ـ تدلّ على تكريم السلالة الطاهرة من أولاد النبيّ المختار محمّد ﷺ ووجوب مودّة آله الطاهرين وتكريم ذرّيته الكرام، صالحهم لله، وطالحهم لرسول الله ﷺ، فإنّ ألف عين لأجل عين تكرم.

الفصل الرابع

تكريم ذرّية الرسول من طرق العامّة

لقد اتّفق المسلمون من صدر الإسلام وإلى يومنا هذا على تكريم ذرّية الرسول ﷺ، وأنّهم الأشراف والسادة الأجلّاء بين الناس، لهم مكانتهم السامية والخاصّة في القلوب وفي النفوس وفي المجتمع الإسلامي، وإنّهم حلقة وصل بين رسول الله محمّد ﷺ وبين أُمّته الإسلامية، فكلّ المذاهب الإسلامية تعتقد بوجوب مودّة آل محمّد ﷺ وتكريمهم لما عندهم من الأخبار الثابتة في ذلك:

في الصواعق المحرقة: جاء جبرئيل إلى النبيّ ﷺ فقال: إنّ الله يأمرك أن تزوّج فاطمة عليها السلام من عليّ، فدعى جماعة من أصحابه فقال الخطبة: الحمد لله المحمود بنعمته ـ الخطبة المشهورة ـ ثمّ تزوّج عليّاً... وفي آخرها دعا لهما النبيّ ﷺ وقال: جمع الله شملهما وطيّب نسلهما، وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن العلم والحكمة وأمن الأُمّة[1].

وفي خبر آخر: لمّا زوّج النبيّ فاطمة من عليّ عليهما السلام قال: بارك الله لكما وبارك فيكما وأعزّ؟؟؟، وأخرج الله منكما الكثير الطيّب.

---

(١) كفاية الطالب: ٢٩٨، باب ٧٨، الصواعق: ١٦٣، طبعة القاهرة.

وفي ليلة الزفاف دعى النبيّ ﷺ بماء، فأتته فاطمة بقدح فيه ماء، فمجّ فيه ثمّ نضح على رأسها وبين ثدييها وقال: اللهمّ إنّي أُعيذها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم، ثمّ قال لعليّ: ائتني بماء، فعلمت ما يريد فملئت القعب فأتيته به فنضح منه على رأسي وبين كتفي وقال: اللهمّ إنّي أُعيذه بك وذرّيته من الشيطان الرجيم، ثمّ قال: ادخل بأهلك على اسم الله تعالى وبركته[١].

وفي مناقب النسائي بسند صحيح: فقال النبيّ: يا عليّ لا تحدث شيئاً حتّى تلقاني، فدعى بماء فتوضّأ به ثمّ أفرغه على عليّ وفاطمة فقال: اللهمّ بارك فيهما وبارك لهما في نسلهما.

وفي رواية: في شملهما ـ بالتحريك الجماع ـ وفي أُخرى: في شبليهما، وهو ولد الأسد ويطلق على الحسنين بالشبلين، وهو دليل على اطّلاعه على أولادهما قبل التزويج[٢].

وفي روايات كثيرة من طرق العامّة والخاصّة: عن رسول الله، قال: فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذرّيتها ومحبّيها على النار.

عن ابن الجوزي في الصواعق: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله جعل ذرّية كلّ نبيّ في صلبه، وإنّه تعالى جعل ذرّيتي في صلب عليّ بن أبي طالب[٣].

وهذه من خصائص النبيّ الأعظم والرسول الأكرم أن جعل ذرّيته من عليّ وفاطمة عليهما السلام، فحبّ رسول الله من حبّ الله، وحبّ أهل بيته وذرّيته الكرام من حبّه.

---

(١) و (٢) الصواعق: ١٦٣.

(٣) الصواعق: ١٣٤.

في الصواعق عن السخاوي والطحاوي والطبراني قال النبيّ ﷺ : أنا شجرة وفاطمة حملها، وعليّ لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، والمحبّون لأهل بيتي ورقها، في الجنّة حقّاً حقّاً[١].

الصواعق عن المحبّ الطبري والديلمي، قال النبيّ : سألت ربّي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي، فأعطاني ذلك[٢].

قال النبيّ لفاطمة عليها السلام : إنّ الله غير معذّبكِ ولا ولدك.

قال عليّ عليه السلام : سمعت النبيّ ﷺ يقول : إنّهم عترة رسولك فهب مسيئهم لمحسنهم وهبهم لي، ففعل، قلت : وما فعل ؟ قال : فعله ربّكم بكم ويفعله بمن بعدكم[٣].

عن السخاوي، قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام : يا عليّ، إنّ الله قد غفر لك ولذرّيتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبّي شيعتك، فإنّك الأنزع البطين[٤].

الأنزع : يعني منزوع من الشكّ، والبطين : بطين من العلم.

وفي رواية بأسانيد متعدّدة قال ﷺ : دعوت الله أن يرزق آل محمّد كفافاً.

ومن زاد في ماله، فإنّه لولا دعاء النبيّ لكان أوسع عليه وأرفه، فدعاء النبيّ استجابه الله في كلّ آله.

عن ابن ماجة، رأى النبيّ ﷺ فتيةً من بني هاشم فتغيّر لونه واغرورقت

---

(١) الصواعق : ٢٣٢.

(٢) الصواعق : ١١١.

(٣) ينابيع المودّة ٣ : ١١٨، الذخائر : ٣٠.

(٤) الصواعق : ٩١.

عيناه، فسال دموعه، فقال ﷺ: إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة، وإنّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً[١].

وقال ﷺ: يا بني هاشم، إنّي قد سألت الله لكم أن يجعلكم نجباء رحماء، وسألته أن يهدي ضالّكم ويؤمن خائفكم ويشبع جائعكم.

وفي الصواعق عن أحمد وقد صحّ، قال النبيّ ﷺ: يا بني عبد المطّلب، إنّي سألت الله لكم ثلاثاً: أن يثبّت قائمكم، وأن يهدي ضالّكم، وأن يعلّم جاهلكم، وسألت الله أن يجعلكم كرماء نجباء رحماء، فلو أنّ رجلاً صفّ ـ وهو صفّ القدمين بين الركن والمقام ـ فصلّى وصام، ثمّ لقي الله وهو مبغض آل بيت محمّد، دخل النار[٢].

الطبراني والخطيب والصواعق، عن رسول الله ﷺ: يقوم الرجل لأخيه عن مقعده، إلّا بني هاشم لا يقومون لأحد[٣].

أي من حقّ المؤمن على أخيه أن يحترمه ويعظّمه، فإن قدم يقوم له إجلالاً وتكريماً، إلّا بني هاشم فإنّهم لا يقومون لأحد لأنّهم من أهل الاحترام والإجلال.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: نحن النجباء، وأفراطنا ـ أي أبناءنا ـ أفراط الأنبياء، وحزبنا حزب الله، والفئة البغية حزب الشيطان، ومن سوّى بيننا وبين عدوّنا فليس منّا.

---

(١) الصواعق: ٢٣٩.

(٢) ذخائر العقبى: ١٥، الصواعق: ١٤٠، الينابيع ٣: ٤٦٢.

(٣) الينابيع ٣: ٤٦٤، الصواعق: ١٧٦.

فلا يقاس بهم أحد في كلّ شيء، من بدء خلقتهم وفي عالم الأنوار إلى يوم القيامة، وعند ربّ الأرباب جلّ جلاله.

ففي فردوس الأخبار لشمرويه الديلمي وابن المغازلي في مناقبه، قال النبيّ: خلقت أنا وعليّ من نور واحد قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله آدم ركّب ذلك النور في صلبه، فلم نزل في شيء واحد حتّى افترقنا في صلب عبد المطّلب، ففيّ النبوّة وفي عليّ الخلافة. وفي خبر آخر: لعليّ الوصيّة.

ثمّ الإمامة والولاية لا بدّ من اجتماع النبوّة والخلافة فيهما فيرجعان النور الواحد إلى رحم واحد، وهي فاطمة الزهراء عليها السلام فهي مجمع البحرين وجامعة النورين وحاوية الحقيقتين ـ الحقيقة المحمّدية والحقيقة العلويّة ـ وبمثل هذا صارت حجّة الحجج.

وفي الأخبار: ١٤ ألف سنة، وفي آخر: ٤ آلاف سنة، وفي ثالث: ألفي سنة، ولا منافاة في ذلك، فهي باعتبار أيام الدنيا والآخرة، فيوم القيامة بمقدار خمسين ألف سنة، ويوم الآخرة بمقدار ألف سنة.

وفي فضائل مسند أحمد، عن سلمان، قال النبيّ صلى الله عليه وآله: كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بأربعة ألف عام، فلمّا خلق آدم قسم ذلك النور جزئين فجزء أنا وجزء علي.

وفي آخر: خلقت أنا وعليّ من نور واحد، وكنّا عن يمين العرش قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام، فجعلنا ننقلب في أصلاب الرجال إلى عبد المطّلب.

في شواهد التنزيل للحسكاني، قال: إنّ الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتّى، وخلقت أنا وعليّ من شجرة واحدة، فأنا أصل تلك الشجرة وعليّ فرعها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا أوراقها، من تعلّق بغصن منها يحوز ومن مثل

عنها سقط في النار، ولو عبد الله تعالى بين الصفا والمروة ألف سنة فألف سنة فألف سنة، حتّى يصير كالشنّ البالي ولم يدرك حبّنا لأكبّه الله في النار، فقرأ آية المودّة[١].

ولا بأس في الخلق النوري لمحمّد وآله أن أذكر بعض الروايات من طرق الإمامية: قال ﷺ: خلق الله محمّداً وعترته أشباح نور بين يدي الله، قلت: وما الأشباح؟ قال: ظلّ النور وأبدان نورانية، بل أرواح.

وفي الكافي، قال أبو جعفر عليه السلام: يا جابر، إنّ أوّل ما خلق الله محمّداً وعترته الهداة المهديّين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله تعالى.

عن الإمام الحسن عليه السلام، قال: سمعت جدّي رسول الله ﷺ يقول: خلقت من نور الله وخلق أهل بيتي من نوري، وخلق محبّيهم من نورهم، وساير الخلق في النار[٢].

وفي الكافي، قال تعالى: يا محمّد، إنّي خلقتك وعليّاً نوراً؟؟؟ روحاً بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تزل تهلّلني وتمجّدني، ثمّ جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة وكنت تمجّدني وتقدّسني وتهلّلني، ثمّ قسمتها الثنتين ثنتين فصارت أربعة محمّد واحد وعليّ واحد والحسن والحسين ثنتان، ثمّ خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحاً بلا بدن ثمّ مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا[٣].

روى ابن بابويه، بإسناده عن أهل البيت عليهم السلام، قال النبيّ: ما خلق الله خلقاً

---

(١) مجمع البيان ٩: ٢٦، وتأريخ دمشق ١: ١٤٨، وكفاية الطالب: ٣١٧.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ٥٥، البحار ١٥: ٢٠.

(٣) أصول الكافي ١: ٤٤٠.

أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي، فقال عليّ: يا رسول الله، فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال ﷺ: يا عليّ، إنّ الله تعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك.

يا عليّ، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، يا عليّ، لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حوّاء ولا الجنّة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أوّل ما خلق الله تعالى أرواحنا، فأنطقنا بتوحيده وتحميده، ثمّ خلق الملائكة ـ إلى قوله: ـ فسبّحت الملائكة لتسبيحنا[1].

قال عمر بن الخطّاب: إنّ الله خلق ملائكة من نور وجه عليّ.

عن أنس، قال رسول الله: خلق الله تعالى من نور وجه عليّ بن أبي طالب سبعين ألف ملك يستغفرون له ولمحبّيه إلى القيامة.

عن أبي بكر بن أبي قحافة، قال: سمعت رسول الله يقول: إنّ الله تعالى خلق من نور وجه عليّ بن أبي طالب ملائكة يسبّحون ويقدّسون ويكتبون ذلك لمحبّيه ومحبّي ولده[2].

في تفسير البرهان عن القاضي أبي عمر عثمان بن أحمد من شيوخ العامّة بإسناده عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ: لمّا اشتملت آدم الخطيئة نظر إلى أشباح تضيء حول العرش فقال: يا ربّ إنّي أرى أنوار أشباح تشبه خلقي فما هي؟ قال تعالى: هذه الأنوار أشباح اثنين من ولدك، اسم أحدهما محمّداً أبدأ النبوّة

---

(١) غاية المرام ١: ٣١.

(٢) مقتل الحسين: ٩٧، غاية المرام ١: ٣٥.

وأختها به، والآخر أخوه وابن أخي أبيه، اسمه عليّ، أُؤيّد محمّد به، وأنصره على يده، والأنوار التي حولها أنوار ذرّية هذا من أخيه هذا، يزوّجه ابنته، تكون له زوجة يتّصل بها أوّل الخلق إيماناً به وتصديقاً له، أجعلها سيّدة النسوان وأفطمها وذرّيتها من النيران، فتقطع الأسباب والأنساب يوم القيامة إلّا سببه ونسبه، فسجد آدم شكراً لله أن جعل ذلك في ذرّيته، فعوّضه الله عن ذلك السجود، أن أسجد له ملائكته[١].

وفي كتاب النصوص عن أبي أُمامة بسنده عن رسول الله قال: لمّا عرج بي إلى السماء رأيت مكتوباً على ساق العرش بالنور لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، أيّدته بعليّ ونصرته به، ثمّ بعده الحسن والحسين ورأيت عليّاً علياً علياً ومحمّداً مرّتين، وجعفر وموسى والحسن والحجّة اثنى عشر اسماً مكتوباً بالنور، فقلت: يا ربّ، أسامي مَن هؤلاء الذين قرنتهم بي، فنوديت: يا محمّد، هم الأئمة بعدك والأخيار من ذرّيتك.

ولنا من طريق الخاصّة مثل هذه الروايات الشريفة الكثير كاد أن يكون من المتواتر المعنوي والإجمالي، كلّها تدلّ على عظمة النبيّ وعلوّ شأنه وجلالة أهل بيته الأئمة الأطهار وذرّيتهم الأخيار وأبنائهم الأبرار، رزقنا الله مودّتهم وخدمتهم.

في مودّة القربى عن أُمّ هانئ، قال النبيّ ﷺ: أفضل البريّة عند الله تعالى من أقام على سيرتي، ولا شكّ في عليّ وذرّيته أنّهم خير البريّة[٢].

فآل والأولاد والذرّية أقرب الناس إلى النبيّ، وبالإجماع النبيّ أفضل الخلق،

---

(١) البرهان في تفسير القرآن ١: ٨٩.

(٢) مودّة القربى: ١٥.

فكذلك المنسوب إليه من ذرّيته الأقرب فالأقرب، وشيعتهم للحوقهم وإلصاقهم بهم أفضل الأُمم، فهم خير البريّة، كما ورد في الأخبار عند الفريقين: شيعة عليّ خير البريّة، فهم أفضل أهل الأرض.

قال رسول الله: أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر[١] ـ أي لا أفتخر بذلك إنّما هذه حقيقة وواقع ـ وحينئذٍ إذا كان النبيّ سيّد ولد آدم فكذلك أولاده وذرّيته.

وفي البخاري: أنا سيّد الناس يوم القيامة ـ وإنّما قال يوم القيامة ليس بمعنى أنّه ليس في الدنيا كذلك بل هو من باب ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ و ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾.

وفي فضائل البيهقي: لمّا رأى رسول الله عليّ بن أبي طالب قال: هذا سيّد العرب، فقالت عائشة: أوَ لست سيّد العرب؟ فقال: أنّا سيّد العالمين[٢].

ولمّا اختار الله العرب من ولد إبراهيم فيكون عليّ وأولاده سيّد العرب والعجم بعد رسول الله.

في فضائل أحمد بن حنبل عن ابن عبّاس: أنّ رسول الله قد بعثني إلى عليّ فقال لي النبيّ: قل لعليّ أنت سيّد في الدنيا وسيّد في الآخرة. وقال النبيّ: من أحبّك فقد أحبّني ومن أبغضك فقد أبضغني[٣].

في مطالب السؤول: قال النبيّ لعليّ: مرحباً بسيّد المؤمنين وسيّد المسلمين.

وفي هذا المضمار روايات كثيرة، فلا نطيل طلباً للاختصار، ولا بأس أن نذكر

---

(١) ينابيع المودّة ٢: ٣٤٩، مجمع الزوائد ٨: ٢١٦، فرائد السمطين ٢: ٢٩٠.

(٢) الصواعق المحرقة: ٧٣.

(٣) تذكرة الخواصّ: ٤٨.

نماذج من روايات أهل البيت في الباب أيضاً.

وفي الأمالي، قال أمير المؤمنين: قال رسول الله: أنا سيّد ولد آدم، وأنت يا عليّ والأئمة من بعدك سادة أُمّتي، من أحبّنا فقد أحبّ الله، ومن أبغضنا فقد أبغض الله، ومن أطاعنا فقد أطاع الله، ومن عصانا فقد عصى الله[١].

عن الصادق، قال رسول الله: يا عليّ: أنت أخي ووارثي ووصيّي وخليفتي في أهلي وأُمّتي في حياتي وبعد مماتي، محبّك محبّي ومبغضك مبغضي، يا عليّ أنا وأنت أبوا هذه الأُمّة، أنا وأنت يا عليّ والأئمة من ولدك سادة في الدنيا وملوك في الآخرة، من عرفنا فقد عرف الله ومن أنكرنا فقد أنكر الله.

عودٌ على بدء:

القسطلاني في المواهب وأبو نعيم في الدلائل عن عائشة عن رسول الله قال: قال جبرئيل: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أرَ رجلاً أفضل من محمّد ولم أرَ بني أب أفضل من بني هاشم[٢].

وفي الصواعق عند ائمة الحديث من الجمهور، قال النبيّ ﷺ: من أبغض أهل البيت حشره الله يهودياً، وفي خبر آخر: أو نصرانياً أو مجوسياً، وإن شهد أن لا إله إلّا الله[٣].

وقال ﷺ: يا عليّ، لا يبغضك من الرجال إلّا منافق ومن حملت به أُمّه

---

(١) أمالي الصدوق ٤: ٣٨، والبحار ٢٣: ١٢٨، والأمالي: ٥٢٣.

(٢) الشفاء ١: ١٦٦، مجمع الزوائد ٨: ٣١٧، كنز العمّال ١١: ٤٠٩.

(٣) الصواعق: ٢٤٠، مجمع الزوائد ٩: ١٧٢.

وهي حائض، ولا يبغضك من النساء إلّا السلقلق وهي التي تحيض من دبرها.

وفي الخبر الشريف: بغض بني هاشم نفاق[١].

وفي الصواعق، عن رسول الله ﷺ: من سبّ أهل بيتي فإنّما يرتدّ عن الله والإسلام، ومن آذاني في عترتي فعليه لعنة الله، ومن آذاني في عترتي فقد آذى الله، إنّ الله حرّم الجنّة على من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم أو أعان عليهم أو سبّهم[٢].

لا أدري ماذا يكون مصير معاوية بن أبي سفيان وأتباعه وشيعته إلى يومنا هذا، فإنّ من رضي بفعل قوم كان منهم، وقد سبّ معاوية وشيعته أربعة وثمانون سنة على المنابر أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وهو سيّد العترة الطاهرة، وماذا يجيبون أبناء العامّة وهذه الرواية من كتبهم وبسندهم في من آذى عترة النبيّ وآله، فماذا يكون مصير الخلفاء من قبل ومن بعدُ، أليسوا ظلموا آل محمّد بحرقهم الدار، قيل فيها فاطمة، قال: وإن... وقتلوا الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته، وما منّا إلّا مسموم أو مقتول... وهل بعد الحقّ إلّا الضلال؟!!

الطبراني في الصواعق يروي عن رسول الله ﷺ قال: إنّ لله عزّ وجلّ ثلاث حرمات، فمن حفظهن حفظ الله دينه ودنياه، ومن لم يحفظهنّ لم يحفظ الله دينه ولا دنياه، قلت: وما هنّ؟ قال: حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي[٣].

وعن البيهقي قال رسول الله ﷺ: لايؤمن عبد حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه، وتكون عترتي أحبّ إليه من عترته، ويكون أهلي أحبّ إليه من أهله،

---

(١) ينابيع المودّة ٣: ٣٧٣، عيون أخبار الرضا: ٦٦.

(٢) الصواعق: ١٤٣.

(٣) ينابيع المودّة ٣: ٤٥٧.

وتكون ذاتي أحبّ إليه من ذاته.

وغضب يوماً النبيّ فصعد المنبر وقال: ما بال رجال يؤذونني في أهل بيتي، والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتّى يحبّني، ولا يحبّني حتّى يحبّ ذرّيتي[١].

وفي خبر آخر: ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي، ألا ومن آذى نسبي وذوي رحمي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله[٢].

وصريح القرآن الكريم أنّ من يؤذي رسول الله ويؤذي الله فعليه لعائن الله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾[٣].

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٤].

ولو رجعنا إلى صدر الإسلام، لا سيّما بعد رحلة الرسول الأعظم لرأينا العجب العجاب، وكيف القوم آذوا رسول الله في أهل بيته وأولاده، غصبوا حقّهم وقتلوهم وشرّدوهم ونفوهم ولا يزالوا...

وفي الصواعق: حبّ آل محمّد ساعة خيرٌ من عبادة سنة، ومعرفة آل محمّد براءة من النار، وحبّ آل محمّد جواز على الصراط، والولاية لآل محمّد أمان من العذاب[٥].

قال ﷺ: إنّ أهل بيتي سيلقون بعدي من أُمّتي قتلاً وتشريداً، وإنّ أشدّ قوم

---

(١) نور الأبصار: ١٠٣.

(٢) ينابيع المودّة ٣: ٤٥٧.

(٣) الأحزاب: ٥٧.

(٤) التوبة: ٦١.

(٥) ينابيع المودّة ٣: ٣٣٢.

لنا بغضاً بنو أُميّة وبنو المغيرة وبنو مخزوم[١].

ومن المتّفق عليه عند أهل القبلة وجوب مودّة العترة وآل محمّد عليهم السلام كما هو صريح آية المودّة: ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا ﴾[٢]، قالت الصحابة بعد نزولها: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة وابناهما وأولادهما[٣].

وهذا خبر متواتر لا يمكن إنكاره إلّا المعاند المكابر، وعليه لعائن الله ورسوله والمؤمنين.

روى الثعلبي والحسكاني والرازي والنيسابوري والإمام أحمد وأبو نعيم والزمخشري بأسانيدهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال بعد نزول آية المودّة: ألا من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا من مات على حبّ آل محمّد مات مرحوماً، ألا من مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على الإيمان الكامل، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت ونكير ومنكر بالجنّة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد دخل الجنّة كالعروس التي تزفّ إلى بيت زوجها، ألا من مات على حبّ آل محمّد يفتح من قبره إلى الجنّة بابان، ألا من مات على حبّ آل محمّد أرسل الله ملائكة الرحمة إلى زيارة قبره، ألا من مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا من مات على بغض آل محمّد حضر في يوم القيامة ومكتوب بين عينيه مقنوط من رحمة الله، ألا من مات على بغض

---

(١) ينابيع المودّة ٣: ٤٦٩، مستدرك الصحيحين ٤: ٤٨٧، وقال هذا حديث صحيح الإسناد.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) الكشّاف ٣: ٤٦٧، شواهد التنزيل ٢: ١٣٠، البحار ٢٣: ٢٢٩.

آل محمّد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمّد لا يشمّ رائحة الجنّة أبداً[١].

روى الديلمي والهمداني والشافعي والمجلسي والأردبيلي والسيّد هاشم البحراني من طرق السنّة عن ابن عباس، قال رسول الله ﷺ: لو اجتمع الناس على حبّ عليّ بن أبي طالب لما خلق الله النار[٢].

تلك النار والطبقة التي أُعدّت للعصاة من المسلمين.

عن ابن عباس، عن رسول الله قال: يا عليّ، إنّه تعالى زوّجك فاطمة وجعل صداقها الأرض، فمن مشى عليها مبغضاً لك مشى حراماً[٣].

هذا وبغض ذرّيته وأبنائه إنّما هو بغض له عليه السلام، كما أنّ حبّهم ومودّتهم من حبّه ومودّته، وكذلك الإحسان إليهم وتكريمهم، كلّ هذا من عظمة وشموخ النبيّ الأعظم محمّد ﷺ وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وسيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام.

ففي الحلية والطبراني والصواعق، عن رسول الله ﷺ: إنّ فاطمة قد أحصنت فرجها، فحرّم الله ذرّيتها على النار[٤].

---

(١) الكشّاف ٢ : ٣٣٩، تفسير القرطبي : ٥٨٤١، تفسير الرازي ٢٧ : ١٦٥، بحار الأنوار ٢٧ : ١١١ + ٦٨ : ١٣٧.

(٢) إحقاق الحقّ ١٧ : ٢٤٤.

(٣) ينابيع المودّة ٢ : ٢٣٥، الفرائد : ١ / ٩٤، المناقب : ٣٢٨.

(٤) كذا مستدرك الصحيحين ٣ : ١٥٣، وحلية الأولياء ٤ : ١٨٨، وتأريخ بغداد ٢ : ٥٤، وذخائر العقبى : ٤٨، والصواعق : ١٢٠.

في سنن الترمذي وجامع الأُصول وفي الصحاح عن حذيفة، قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا حذيفة، إنّ هذا ملك لم ينزل الأرض قطّ قبل هذه الليلة استأذن ربّه أن يسلّم عليّ ويبشّرني بأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة، وأنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة[١].

وفي جامع الأُصول والجمع بين الصحاح والسنّة قال النبيّ: ابنتي فاطمة سيّدة نساء العالمين[٢].

وفي الصواعق عن النسائي قال النبيّ ﷺ: إنّ ابنتي فاطمة حوراء آدميّة لم تحض ولم تطمث، إنّما سمّاها فاطمة لأنّ الله فطمها وذرّيتها عن النار[٣].

كان رسول الله يقبّل الحسن عليه السلام وهو في حجره ويقول: أنت سيّد ابن سيّد وأخو سيّد وأبو السادة، أنت إمام ابن إمام أبو الأئمة، أنت حجّة ابن حجّة أبو حجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم[٤].

وفي خبر آخر: طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي.

قال رسول الله ﷺ: من سبّ أهل بيتي فإنّما يرتدّ عن الله والإسلام، ومن آذاني في عترتي فعليه لعنة الله، ومن آذاني في عترتي فقد آذى الله، وحرّم عليه الجنّة[٥].

---

(١) مستدرك الصحيحين ٢: ١٥١، صحيح الترمذي ٢: ٣٠٦، مسند أحمد ٥: ٤٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان.

(٣) ذخائر العقبيم ٢٦، فرائد السمطين ٢: ٥٨، كنز العمّال ١٢: ١٠٥.

(٤) مقتل الخوارزمي: ١٤٦، ينابيع المودّة: ٤٤٥.

(٥) ينابيع المودّة ٢: ٤١٢.

وفي الصواعق والفردوس عن رسول الله ﷺ قال: إنّي سألت ربّي أن لا يدخل أحداً من أهل بيتي النار فأعطاني[١].

كما رواه الصدوق عليه الرحمة من طرق أهل البيت عليهم السلام.

وفي الصواعق المحرقة قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: يا عليّ، إنّ الله قد غفر لك ولذرّيتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبّي شيعتك، فأبشر فإنّك الأنزع البطين[٢].

الأنزع: المنزوع من الشكّ والشرك، والبطين: بطين العلم والعمل الصالح.

وقال ﷺ: يا معشر بني هاشم، والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لو أخذت بحلقة الجنّة ما بدأت إلّا بكم.

وعنه ﷺ: إنّ أوّل من أشفع له من أُمّتي أهل بيتي الأقرب فالأقرب، ثمّ الأنصار، ثمّ من آمن بي واتّبعني، ثمّ اليمن، ثمّ سائر العرب، ثمّ الأعاجم[٣].

وفي الصواعق: لمّا شكى عليّ عليه السلام حسد الناس قال له النبيّ ﷺ: أما ترضى أن تكون رابع أربعة أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا، وذرّيتنا خلف أزواجنا[٤].

وفي رواية أُخرى قال النبيّ لعليّ عليهما السلام: أوّل أربعة يدخلون الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين، وذرارينا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرارينا، وشيعتنا عن

---

(١) كنز العمّال ٦: ٢١٥، والصواعق: ١١٢، وفيض القدير ٤: ٧٧.

(٢) الصواعق: ٩٦.

(٣) فيض القدير ٣: ٩٠، والصواعق: ١١١، والذخائر: ٢٠.

(٤) الصواعق: ١٦٠.

أيماننا وشمائلنا[١].

قال النبيّ ﷺ: قد وعدني ربّي في أهل بيتي من أقرّ منهم بالتوحيد ولي البلاغ أن لا يعذّبهم[٢].

وفي الصواعق، قال النبيّ لفاطمة عليها السلام: إنّ الله غير معذّبك ولا ذرّيتك[٣].

وأخرج الطبراني في الكبير عن عبد الرحمن بن أبي رافع عن أُمّ هانئ بنت أبي طالب، إذ شكت إلى الرسول ﷺ فقام خطيباً مغضباً من بعض أصحابه: ما بال أقوام يزعمون أنّ شفاعتي لا تنال أهل بيتي، وإنّ شفاعتي لتنال حا وحكم ـ وهما قبيلتان في اليمن بعيدتا النسب من قريش ـ.

وأخرج الحاكم والدراقطني قال رسول الله ﷺ: كلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلّا سببي ونسبي وإنّهما يأتيان يوم القيامة يشفعان لصاحبها.

أورد المحبّ الطبري في ذخائر العقبى عن ابن عباس، قال: توفّي لصفية ولد فعزّاها رسول الله ﷺ، فلمّا خرجت لقيها رجل (عمر بن الخطّاب)، فقال لها: إنّ قرابة محمّد لن تغني عنكِ شيئاً، فبكت حتّى سمع رسول الله صوتها، ففزع من ذلك، فخرج إليها فسألها، فأخبرته فغضب فقال: يا بلال هجّر بالصلاة، ثمّ قام فحمد الله وأثنى عليه وقال: ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتي لا تنفع، إنّ كلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلّا سببي ونسبي، وإنّ رحمي موصولة في الدنيا والآخرة.

---

(١) الصواعق: ٩٦، وتذكرة ابن الجوزي: ٣١، ومجمع الزوائد ٩: ١٣١، وتأريخ ابن عساكر ٤: ٣١٨، والغدير ٢: ٧٩.

(٢) مستدرك الصحيحين ٣: ١٥، الصواعق: ١٤٠، الغدير ٣: ١٧٦.

(٣) كنز العمّال ٦: ٢١٩.

وفي حديث آخر: ما بال رجال يقولون إنّ رحم رسول الله لا تنفع قومه يوم القيامة، بل والله إنّ رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، وإنّي أيّها الناس فرط لكم على الحوض.

وروى الطبراني وابن حجر قال رسول الله ﷺ: من صنع إلى ـ أهل بيتي ـ أحد من ولد عبد المطّلب يداً فلم يكافئه بها في الدنيا فعليّ مكافأته غداً إذا لقيني[١].

وفي الفردوس، قال النبيّ ﷺ: إنّي شفيع يوم القيامة لأربع: المكرم لذرّيتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في اُمورهم عندما اضطرّوا إليه، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه.

وأيضاً قال النبيّ عليه الصلاة والسلام: من اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطّلب ولم يجازه عليها، فأنا اُجازيه إذا لقيني يوم القيامة وحرمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي[٢].

---

(١) الصواعق: ١٧٦، كنز العمّال ٦: ٢١٦، ذخائر العقبى: ١٩، ينابيع المودّة ٢: ٢٧٢.

(٢) بحار الأنوار ٢٦: ٢٢٨، و ٩٣: ٢٢٥.

الخاتمة

أقول ختاماً:

ينبغي لكلّ مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة أن يكرم السادة الأشراف ذرّية رسول الله ﷺ، ومن كان من سلالة أهل البيت عليهم السلام، من فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فإنّهم مكرّمون معزّزون محترمون، شاء الله ذلك كما شاء في كعبته السوداء وحجره الأسود.

فلا بدّ لكلّ ذي وجدان حيّ وضمير واعٍ وإيمان راسخ، أن يقدّسهم ويحترمهم ويتجنّب أذاهم وإهانتهم ولو بأُفّ، فإنّه كما أنّ أبناء الدنيا يحترمون أبناء ملوكهم احتراماً لآبائهم، وأنّ ألف عين لأجل عين تكرم، كذلك أبناء الآخرة والمؤمنون بيوم القيامة عليهم أن يحترموا أبناء الأنبياء وذراريهم وأبناء الأوصياء وسلالتهم تقديراً لآبائهم العظام، حتّى الخاطئ منهم ينبغي مراعاته بالنصح والتذكير، فكيف بأخيارهم وصلحائهم والطيّبين منهم.

وفي سيرة سلفنا الصالح من علمائنا الأعلام ما يبهر الناظر عندما يراهم كيف كانوا يهتمّون ويلتزمون بهذه الأخلاق الحسنة في تكريم وتعظيم ذراري رسول الله ﷺ حتّى الصغير منهم، فكانوا يقومون لهم عند قدومهم إجلالاً وتكريماً

لأجدادهم الطاهرين عليهم السلام.

فهذا آية الله الفقيه الورع سردار الكابلي صاحب التآليف القيّمة في علم الفلك كان يقبّل أيادي أطفال السادة.

وقد جاء في ترجمة المحدّث الجليل المحقّق الشيخ عباس القمّي صاحب (مفاتيح الجنان) رحمه الله: كان شديد الاحترام لأهل العلم وخصوصاً السادات وأولاد رسول الله، وإذا وجد سيّد في المجلس لم يكن يتقدّم عليه، ولا يمدّ رجله باتّجاهه[1].

وينقل ابنه عن المرحوم سلطان الواعظين قوله:

في أوائل طبع (مفاتيح الجنان) كنت ذات يوم في سرداب سامراء، وكان الكتاب بين يدي وكنت مشغولاً بالزيارة، رأيت شيخاً يلبس عباءة عادية (من النسيج اليدوي) وعمامة صغيرة، جالساً مشغولاً بالذكر، سألني الشيخ: لمن هذا الكتاب؟ قلت: للمحدّث القمّي، وبدأت أمدح الكتاب، قال الشيخ: لا يستحقّ المدح إلى هذا الحدّ، فلا تمدح بدون مبرّر، قلت مغضباً: قم واذهب من هنا... فوضع الجالس بجانبي يده عليّ وقال: تأدّب إنّه هو المحدّث القمّي، فقمت وقبّلته، واعتذرت منه، وانحنيت لأُقبّل يده، ولكنّه لم يسمح بذلك وانحنى وقبّل يدي وقال: أنت سيّد.

قبل وفاة المحدّث القمّي بساعات جاؤوه بمقدار من عصير التفّاح، وكانت طفلة من السادات في منزله رحمه الله، فقال المحدّث: قدّموا ذلك لهذه الطفلة العلوية أوّلاً لتشرب ثمّ أعطونيه، فعل ذلك للتبرّك، فقدّم العصير للطفلة فشربت قليلاً، ثمّ شرب

---

(١) سماء الصالحين: ٢١٥.

المحدّث القمّي بقصد الاستشفاء.

جاء في وصايا سيّدنا الأُستاذ الآية العظمى السيّد المرعشي النجفي قدس سره:

وعليك بصلة الذرّية النبويّة، والبرّ في حقّهم، والدفاع عنهم، ونصرتهم باليد واللسان، فإنّهم ودائع النبوّة بين الأنام، وإيّاك ثمّ إيّاك الظلم بالنسبة إليهم وبغضهم وسوء العشرة معهم والوقيعة في شأنهم وعدم المبالاة بهم، وتحقيرهم وعدم أداء حقّهم ممّا يورث سلب التوفيق. وإن كنت والعياذ بالله ممّن لا يحبّهم قلباً، فأنت مريض وعليك بالمعالجة عند أطباء النفوس، أفهل يشكّ في فضلهم وجلالتهم وسموّ قدرهم وعلوّ مرتبتهم؟! هيهات هيهات حاشا وكلّا، لا يشكّ فيه إلّا من عمي بصره وقسى قلبه[1].

وفي وصيّة العلّامة الحلّي قدس سره لولده فخر المحقّقين، يقول:

وعليك بصلة الذرّية العلويّة، فإنّ الله تعالى قد أكّد الوصيّة فيهم وجعل مودّتهم أجر الرسالة والإرشاد، فقال تعالى: ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا: رجل نصر ذرّيتي، ورجل بذل ماله لذرّيتي عند الضيق، ورجل أحبّ ذرّيتي باللسان والقلب، ورجل سعى في حوائج ذرّيتي إذا طردوا أو شرّدوا. وقال الصادق عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أيّها الخلائق انصتوا فإنّ محمّداً يكلّمكم، فينصت الخلائق، فيقوم النبيّ صلى الله عليه وآله فيقول: يا معشر الخلائق، من كانت له عندي يد أو منّة أو معروف فليقم حتّى نكافيه، فيقولون: بآبائنا وأُمّهاتنا أي يدٍ وأيّ منّة وأيّ معروف لنا، بل اليد والمنّة والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلائق،

---

(١) قبسات من حياة سيّدنا الأُستاذ: للمؤلّف، الطبعة الأُولى: ١٣٠.

فيقول: بلى من آوى أحداً من أهل بيتي أو برّهم أو كساهم من عري أو أشبع جائعهم فليقم حتّى أُكافيه، فيقوم أُناس قد فعلوا ذلك فيأتي النداء من قبل الله: يا محمّد، يا حبيبي، قد جعلت مكافأتهم إليك فأسكنهم في الجنّة حيث شئت، فيسكنهم في الوسيلة حيث لا يحجبون عن محمّد وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين)[1].

ذكر العلّامة ﷺ في كتابه المسمّى بمنهاج اليقين بسنده عمّن رواه قال:

وقعت في بعض السنين ملحمة بقم، وكان بها جماعة من العلويّين، فتفرّق أهلها في البلاد، وكان فيها امرأة علويّة صالحة كثيرة الصلاة والصيام، وكان زوجها من أبناء عمّها أُصيب في تلك الملحمة، وكان لها أربع بنات صغار من ابن عمّها ذلك، فخرجت مع بناتها من قم، لمّا خرجت الناس منها.

فلم تزل ترمي بها الغربة من بلد إلى بلد حتّى أتت بلخ، وكان قدومها إليها إبّان الشتاء، فقدمت بلخ في يوم شديد البرد، ذي غيم وثلج، فحين قدمت بلخ بقيت متحيّرة لا تدري أين تذهب، ولا تعرف موضعاً تأوي إليه يحفظها وبناتها من البرد والثلج، فقيل لها: إنّ بالبلد رجلاً من أكابرها معروفاً بالإيمان والصلاح يأوي إليه الغرباء وأهل المسكنة.

فقصدت إليه العلويّة وحولها بناتها، فلقيته جالساً على باب داره وحوله جلساؤه وغلمانه، فسلّمت عليه وقالت: أيّها الملك إنّي امرأة علويّة، ومعي بنات علويّات، ونحن غرباء، وقدمنا إلى هذا البلد في هذا الوقت وليس لنا من نأوي إليه ولا بها من يعرفنا فنلجأ إليه، والثلج والبرد قد أضرّنا، دُللنا إليك

---

(١) فضائل السادات: ٤٧١.

فقصدناك لتأوينا.

فقال: ومن يعرف أنّك علويّة، ائتيني على ذلك بشهود!

فلمّا سمعت كلامه، خرجت من عنده حزينة تبكي ودموعها تنتثر، واقفة في الطريق متحيّرة لا تدري أين تذهب، فمرّ بها سوقيٌّ فقال: ما لكِ أيّتها المرأة واقفة، والثلج يقع عليك، وعلى هذه الأطفال معكِ؟ فقالت: إنّي امرأة غريبة لا أعرف موضعاً آوي إليه، فقال لها: امضي خلفي حتّى أدلّكِ على الخان الذي يأوي إليه الغرباء، فمضت خلفه.

قال الراوي: وكان بمجلس ذلك الملك رجل مجوسيٌّ، فلمّا رأى العلويّة وقد ردّها الملك وتعلّل عليها بطلب الشهود، وقعت لها الرحمة في قلبه فقام في طلبها مسرعاً فلحقها عن قريب، فقال: إلى أين تذهبين أيّتها العلويّة؟ قالت: خلف رجل يدلّني إلى الخان لآوي إليه، فقال لها المجوسي: لا بل ارجعي معي إلى منزلي، فآوي إليه فإنّه خيرٌ لكِ، قالت: نعم، فرجعت معه إلى منزله.

فأدخلها منزله، وأفرد لها بيتاً من خيار بيوته، وأفرشه لها بأحسن الفرش وأسكنها فيه، وجاء بها بالنار والحطب، وأشعل لها التنّور وأعدّ لها جميع ما تحتاج إليه من المأكل والمشرب، وحدّث امرأته وبناته بقصّتها مع الملك، وفرح أهله بها وجاءت إليها مع بناتها وجواريها، ولم تزل تخدمها وبناتها وتأنسها حتّى ذهب عنهنّ البرد والتعب والجوع.

فلمّا دخل وقت الصلاة فقالت للمرأة: ألا تقوم إلى قضاء الفرض؟ قالت لها امرأة المجوسيّ: وما الفرض؟ إنّا أُناس لسنا على مذهبكم، إنّا على دين المجوسيّ، ولكن زوجي لمّا سمع خطابك مع الملك، وقولك إنّي امرأة علويّة، وقعت محبّتك في قلبه لأجل اسم جدّكِ، وردّ الملك لكِ، مع أنّه على دين جدّك.

فقالت العلويّة : اللهمّ بحقّ جدّي وحرمته عند الله أسأله أن يوفّق زوجكِ لدين جدّي، ثمّ قامت العلويّة إلى الصلاة والدعاء طول ليلها بأن يهدي الله ذلك المجوسي لدين الإسلام.

قال الراوي : فلمّا أخذ المجوسي مضجعه ونام مع أهله تلك الليلة، رأى في منامه أنّ القيامة قد قامت والناس في المحشر، وقد كظّهم العطش، وأجهدهم الحرّ، والمجوسيّ في أعظم ما يكون من ذلك، فطلب الماء فقال له القائل : لا يوجد الماء إلّا عند النبيّ محمّد ﷺ وأهل بيته، فهم يسقون أولياءهم من حوض الكوثر، فقال المجوسيّ : لأقصدنّهم فلعلّهم يسقوني جزاء لما فعلت مع ابنتهم وإيوائي إيّاها فقصدهم، فلمّا وصلهم وجدهم يسقون من يرد إليهم من أوليائهم ويردّون من ليس من أوليائهم، وعليّ عليه السلام واقف على شفير الحوض وبيده الكأس، والنبيّ ﷺ جالس وحوله الحسن والحسين عليهما السلام، وأبناؤهم.

فجاء المجوسيّ حتّى وقف عليهم، وطلب الماء وهو لما به من العطش، فقال له علي عليه السلام : إنّك لست على ديننا فنسقيك، فقال له النبيّ ﷺ : يا عليّ، أسقه. فقال : يا رسول الله ﷺ إنّه على دين المجوسي، فقال : يا عليّ، إنّ له عليك يداً بيّنةً، قد آوى ابنتك فلانة وبناتها فكنّهم عن البرد، وأطعمهم من الجوع، وها هي الآن في منزله مكرّمة، فقال عليّ عليه السلام : ادنُ منّي ادنُ منّي، فدنوت منه فناولني الكأس بيده، فشربت شربة وجدت بردها على قلبي، ولم أرَ شيئاً ألذّ ولا أطيب منها.

قال الراوي : وانتبه المجوسيّ من نومته، وهو يجد بردها على قلبه، ورطوبتها على شفتيه ولحيته، فانتبه مرتاعاً، وجلس فزعاً، فقالت زوجته : ما شأنك ؟ فحدّثها بما رآه من أوّله إلى آخره، وأراها رطوبة الماء على لحيته وشفتيه، فقالت له : يا هذا، قد ساق إليك خيراً بما فعلت مع هذه المرأة والأطفال العلويّين. فقال :

نعم والله لا أطلب أثراً بعد عين.

قال الراوي: وقام الرجل من ساعته، وأسرج الشمع، وخرج هو وزوجته حتّى دخل على البيت الذي تسكنه العلويّة، وحدّثها بما رآه، فقامت وسجدت لله شكراً، وقالت: والله إنّي لم أزل طول ليلتي أطلب إلى الله هدايتك للإسلام، والحمد لله على استجابة دعائي فيك، فقال لها: اعرضي عليّ الإسلام، فعرضته عليه فأسلم وحسن إسلامه، وأسلمت زوجته وجميع بناته وجواريه وغلمانه، وأحضرهم مع العلويّة حتّى أسلموا جميعهم.

أيّها القارئ الكريم، لحظة من فضلك، قبل أن أُكمل لك القصّة، أرى قد اغرورقت عيناك وجرت دموعك الولائيّة على خدّيك ولان قلبك، والآن مع هذه الحالة الروحانية يستجيب الله الدعاء، فبالله عليك أسألك أن تدعو لنفسك أوّلاً ثمّ للمؤمنين والمؤمنات ثمّ تدعو لي إن كنت حيّاً أن يقبلني الله بقبولٍ حسن ويوفّقني لما فيه رضاه ويسعدني وأهلي في الدارين، وإن كنت ميّتاً أن يغفر لي ويرفع درجاتي ويحشرني مع محمّد وآله، كما أدعو لك بذلك. وإليك تتمّة القصّة:

قال الراوي: وأمّا ما كان من الملك فإنّه في تلك الليلة لمّا أوى إلى فراشه رآى في منامه ما رآه المجوسيّ وأنّه قد أقبل إلى الكوثر، فقال: يا أمير المؤمنين اسقني فإنّي وليٌّ من أوليائك، فقال له عليّ عليه السلام: اطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّي لا أسقي أحداً إلّا بأمره، فأقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله مر لي بشربة من الماء فإنّي وليٌّ من أوليائكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ائتني على ذلك بشهود، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، وكيف تطلب منّي الشهود دون غيري من أوليائكم؟ فقال صلى الله عليه وآله: وكيف طلبت الشهود من ابنتنا العلويّة، لمّا أتتك وبناتها تطلب منك أن تأويها في منزلك؟

فقال: ثمّ انتبه وهو حيران القلب، شديد الظمأ، فوقع في الحسرة والندامة على ما فرط منه في حقّ العلويّة، وتأسّف على ردّها، فبقي ساهراً بقيّة ليلته حتّى أصبح وركب وقت الصبح يطلب العلويّة ويسأل عنها، فلم يزل يسأل ولم يجد من يخبره عنها، حتّى وقع على السوقي، الذي أراد أن يدلّها على الخان فأدلّه أنّ الرجل المجوسيّ الذي كان معه في مجلسه أخذها إلى بيته، فعجب من ذلك.

ثمّ إنّه قصد إلى منزل المجوسي وطرق الباب، فقيل: من بالباب؟ فقيل له: الملك واقف ببابك يطلبك، فعجب الرجل من مجيء الملك إلى منزله، إذ لم يكن من عادته، فخرج إليه مسرعاً، فلمّا رآه الملك، وجد عليه الإسلام ونوره، فقال الرجل للملك: ما سبب مجيئك إلى منزلي؟ ولم يكن لك ذلك عادة، فقال: من أجل هذه المرأة العلويّة وقد قيل لي إنّها في منزلك، وقد جئت في طلبها ولكن أخبرني على حال هذه الحلية عليك، فإنّي أراك قد صرت مسلماً.

فقال: نعم والحمد لله، وقد منّ عليّ ببركة هذه العلوية ودخولها منزلي بالإسلام، فصرت أنا وأهلي وبناتي وجميع أهل بيتي مسلمين على دين محمّد وأهل بيته، فقال له: وما السبب في إسلامك؟ فحدّثه بحديثه، ودعاء العلويّة له ورؤياه وقصّ القصّة بتمامها.

ثمّ قال: وأنت أيّها الملك وما السبب في حرصك على التفتيش عنها بعد إعراضك أوّلاً عنها وطردك إيّاها؟ فحدّثه الملك بما رآه، وما وقع له مع النبيّ ﷺ فحمد الله تعالى ذلك الرجل على توفيق الله تعالى إيّاه لذلك الأمر الذي نال به الشرف والإسلام، وزادت بصيرته.

ثمّ دخل الرجل على العلويّة فأخبرها بحال الملك، فبكت وخرّت ساجدة لله شكراً على ما عرّفه من حقّها، فاستأذنها في إدخاله عليها، فأذنت له: فدخل عليها

واعتذر إليها وحدّثها بما جرى له مع جدّها صلوات الله عليه، وسألها الانتقال إلى منزله فأبت وقالت: هيهات، لا والله، ولو أنّ الذي أنا في منزله كره مقامي فيه لما انتقلت إليك.

وعلم صاحب المنزل بذلك فقال: لا والله لا تبرحي منزلي وإنّي قد وهبتك هذا المنزل، وما أعددت فيه من الأُهبة، وأنا وأهلي وبناتي وأخدامي كلّنا في خدمتك، ونرى ذلك قليلاً في جنب ما أنعم الله تعالى به علينا بقدومكِ.

قال الراوي: وخرج الملك، وأتى منزله وأرسل إليها ثياباً وهدايا وكيساً فيه جملة من المال، فردّت ذلك ولم تقبل منه شيئاً.

ـ يقول الفقير إلى الله سبحانه: ذكر العلاّمة ﷺ في كتابه المسمّى بجواهر المطالب في فضايل مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أيضاً حكاية قريبة من تلك الحكاية، قال: نقل ابن الجوزي وكان حنبليّ المذهب في كتابه تذكرة الخواصّ[1]، قال: قرأت في كتاب الملتقط وهو كتاب لجدّه أبي الفرج ابن الجوزي:

كان ببلخ رجل من العلويّين، وله زوجة وبنات فتوفّي أبوهنّ، قالت المرأة: فخرجت بالبنات إلى سمرقند خوفاً من شماتة الأعداء، واتّفق وصولي في شدّة البرد فأدخلت البنات مسجداً ومضيت لأحتال في القوت، فرأيت الناس مجتمعين على شيخ فسألت عنه، فقالوا: هذا شيخ البلد، فشرحت له حالي، فقال: أقيمي عندي البيّنة عندك أنّك علويّة، ولم يلتفت إليّ.

فيئست منه، وعدت إلى المسجد فرأيت في طريقي شيخاً جالساً على دكّة وحوله جماعة، فقلت: من هذا؟ قالوا: ضامن البلد، وهو مجوسيّ، فقلت: عسى أن

---

(١) راجع تذكرة خواصّ الأُمّة: ٢٠٧.

يكون على يده فرجي، فحدّثته بحديثي وما جرى لي مع شيخ البلد[١] فصاح بخادم له فخرج فقال له: قل لسيّدتك تلبس ثيابها، فدخل وخرجت امرأته ومعها جواري.

فقال لها: اذهبي مع هذه المرأة إلى المسجد الفلاني واحملي بناتها إلى الدار، فجاءت معي وحملت البنات وقد أفرد لنا بيتاً في داره، وأدخلنا الحمّام وكسانا ثياباً فاخرة، وجاءنا بألوان الأطعمة، وبتنا بأطيب ليلة.

فلمّا كان نصف الليلة رأى شيخ البلد المسلم في منامه كأنّ القيامة قد قامت واللواء على رأس محمّد ﷺ، وإذا بقصر من الزمرّد الأخضر فقال: لمن هذا القصر؟ فقيل: لرجل مسلم موحّد، فتقدّم إلى رسول الله ﷺ فأعرض عنه، فقال: يا رسول الله! تعرض عنّي وأنا رجل مسلم؟ فقال له رسول الله ﷺ: أقم البيّنة عندي أنّك مسلم، فتحيّر الرجل، فقال له رسول الله ﷺ: نسيت ما قلته للعلويّة، وهذا القصر للشيخ الذي هي في داره.

فانتبه الرجل وهو يلطم ويبكي، وبثّ غلمانه في البلد، وخرج بنفسه يدور على العلويّة، فأُخبر أنّها في دار المجوسي فجاء إليه فقال: أين العلويّة؟ فقال: عندي، فقال: أُريدها، فقال: ما لكَ إلى هذا سبيل، قال: هذه ألف دينار خذها وسلّمهنّ إليّ، قال: لا والله، ولا مائة ألف دينار.

فلمّا ألحّ عليه قال له: المنام الذي رأيته أنت رأيته أيضاً أنا والقصر الذي رأيته لي خلق، وأنت تدلّ عليّ بإسلامك، والله ما نمت ولا أحد في داري إلّا وأسلمنا كلّنا على يد العلويّة، وعادت بركاتها علينا، ورأيت رسول الله ﷺ

---

(١) زاد في التذكرة: وأنّ بناتي في المسجد ما لهم شيء يقوتون به فصاح ... الخ.

وقال لي : القصر لك ولأهلك بما فعلت مع العلويّة[١].

ــ أقول : روى ابن الجوزي في كتابه[٢] عن جدّه أبي الفرج بإسناده إلى ابن الخصيب، قال : كنت كاتباً للسيّدة أُمّ المتوكلّ، فبينا أنا في الديوان إذا بخادم صغير قد خرج من عندها، ومعه كيس فيه ألف دينار، فقال : تقول لك السيّدة : فرّق هذا على أهل الاستحقاق، فهو من أطيب مالي، واكتب لي أسماء الذين تفرّقه عليهم، حتّى إذا جاءني من هذا الوجه شيء صرفته إليهم.

قال : فمضيت إلى منزلي وجمعت أصحابي وسألتهم عن المستحقّين، فسمّوا لي أشخاصاً ففرّقت عليهم ثلاث مائة دينار وبقي الباقي بين يديّ إلى نصف الليل وإذا أنا بطارق يطرق الباب فسألته من أنت ؟ فقال : فلان العلويّ وكان جاري فأذنت له فدخل فقلت له : ما الذي جاء بك في هذه الساعة ؟ قال : طرقني طارق من ولد رسول الله ﷺ ولم يكن عندي ما أُطعمه، فأعطيته ديناراً فأخذه وشكر لي وانصرف.

فخرجت زوجتي وهي تبكي وتقول : أما تستحي ؟ يقصدك مثل هذا الرجل فتعطيه ديناراً وقد عرفت استحقاقه ؟ فأعطه الجميع، فوقع كلامها في قلبي، فقمت خلفه وناولته الكيس فأخذه وانصرف، فلمّا عدت إلى الدار، ندمت وقلت : الساعة يصل الخبر إلى المتوكّل، وهو يمقت العلويّين، فيقتلني، فقالت لي زوجتي : لا تخف، وتوكّل على الله وعلى جدّهم.

---

(١) كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : ١٧٠، وزاد بعده : وأنتم من أهل الجنّة خلقكم الله مؤمنين في القدم.

(٢) راجع تذكرة خواصّ الأُمّة : ٢٠٩.

فبينا نحن كذلك إذ طرق الباب، والمشاعيل بأيدي الخدم وهم يقولون: أجب السيّدة، فقمت مرعوباً وكلّما مشيت قليلاً تواترت الرسل فوقفت عند ستر السيّدة، فسمعت قائلاً يقول: يا أحمد جزاك الله خيراً، وجزى زوجتك، كنت الساعة نائمة فجاءني رسول الله ﷺ وقال: جزاك الله خيراً، وجزى زوجة ابن الخصيب خيراً، فما معنى هذا.

فحدّثتها الحديث، وهي تبكي، فأخرجت دنانير وكسوة، وقالت: هذا للعلويّ وهذا لزوجتك، وهذا لك، وكان ذلك يساوي مائة ألف درهم، فأخذت المال وجعلت طريقي على باب العلويّ وطرقت الباب فقال من داخل المنزل: هات ما عندك يا أحمد وخرج وهو يبكي، فسألت عن بكائه، فقال: لمّا دخلت منزلي قالت لي زوجتي: ما هذا الذي معك؟ فعرّفتها فقالت لي: قم بنا نصلّي وندعو للسيّدة وأحمد وزوجته، فصلّينا ودعونا، ثمّ نمت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول: قد شكرتهم على ما فعلوا معك، الساعة يأتونك بشيء فاقبله منهم[1].

ـــ ذكر العلّامة ﷺ في جواهر المطالب: أنّ ابن الجوزي نقل في كتاب تذكرة الخواصّ أنّ عبد الله بن المبارك كان يحجّ سنة ويغزو سنة وداوم على ذلك خمسين سنة، فخرج في بعض السنين لقصد الحجّ، وأخذ معه خمسمائة دينار وذهب إلى موقف الجمّال بالكوفة ليشتري جمالاً للحجّ.

فرآى امرأة علويّة على بعض المزابل تنتف ريش بطّة ميّتة، قال: فتقدّمت إليها وقلت: لم تفعلين هذا؟ فقالت: يا عبد الله لا تسأل عمّا لا يعنيك، قال: فوقع في خاطري من كلامها شيء فألحت عليها فقالت: يا عبد الله قد ألجأتني إلى كشف

---

(١) تراه في كشف اليقين: ١٧٢.

سرّي إليك، أنا امرأة علويّة ولي أربع بنات يتامى، مات أبوهنّ من قريب وهذا اليوم الرابع ما أكلنا شيئاً وقد حلّت لنا الميتة فأخذت هذه البطّة أُصلحها وأحملها إلى بناتي فيأكلنها.

قال: فقلت في نفسي: ويحك يا بن المبارك أين أنت عن هذه، فقلت: افتحي حجرك ففتحته فصببت الدنانير في طرف إزارها وهي مطرقة لا تلتفت إليّ، قال: ومضيت إلى المنزل ونزع الله من قلبي شهوة الحجّ في ذلك العام.

ثمّ تجهّزت إلى بلادي وأقمت حتّى حجّ الناس وعادوا، فخرجت أتلقّى جيراني وأصحابي فجعلت كلّ من أقول له: قبل الله حجّك وشكر سعيك، يقول: وأنت شكر الله سعيك وقبل حجّك، أما قد اجتمعنا بك في مكان كذا وكذا، وأكثر عليّ الناس في القول، فبتّ متفكّراً في ذلك، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول لي: يا عبد الله لا تعجب، فإنّك أغثت ملهوفة من ولدي فسألت الله تعالى أن يخلق على صورتك ملكاً يحجّ عنك كلّ عام إلى يوم القيامة، فإن شئت تحجّ وإن شئت لا تحجّ[1].

ونقل أيضاً في كتابه عن ابن أبي الدنيا أنّ رجلاً رأى رسول الله ﷺ في منامه وهو يقول: امضِ إلى فلان المجوسي وقل له: قد أُجيبت الدعوة، فامتنع الرجل من أداء الرسالة لئلّا يظنّ المجوسيّ أنّه يتعرّض له، وكان الرجل في دنيا وسيعة.

فرأى الرجل رسول الله ﷺ ثانياً وثالثاً، فأصبح فأتى المجوسي وقال له في خلوة من الناس: أنا رسول رسول الله ﷺ إليك وهو يقول لك: قد أُجيبت الدعوة، فقال له: أتعرفني؟ قال: نعم، قال: إنّي أُنكر دين الإسلام ونبوّة محمّد، قال:

---

(١) كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ١٦٧، تذكرة خواصّ الأُمّة: ٢٠٦.

أنا أعرف هذا، وهو الذي أرسلني إليك مرّة ومرّة ومرّة، فقال: أنا أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله ﷺ.

ودعا أهله وأصحابه فقال لهم: كنت على ضلال، وقد رجعت إلى الحقّ فأسلموا، فمن أسلم فما في يده فهو له، ومن أبى فلينتزع عمّا لي عنده، فأسلم القوم وأهله، وكانت له ابنة مزوّجة من ابنه ففرّق بينهما.

ثمّ قال: أتدري ما الدعوة؟ فقلت له: لا والله، وأنا أُريد أن أسألك الساعة عنها، فقال: لمّا زوّجت ابنتي صنعت طعاماً ودعوت الناس، فأجابوا وكان إلى جانبنا قوم أشراف فقراء لا مال لهم: فأمرت غلماني أن يبسطوا لي حصيراً في وسط الدار، فسمعت صبيّة تقول لأُمّها: يا أُمّاه قد آذانا هذا المجوسي برائحة طعامه فأرسلت إليهنّ بطعام كثير، وكسوة ودنانير للجميع، فلمّا نظرن إلى ذلك قالت الصبيّة للباقيات: والله ما نأكل حتّى ندعو له، فرفعن أيديهنّ وقلن: حشرك الله مع جدّنا رسول الله ﷺ وأمّنّ بعضهنّ، فتلك الدعوة التي أُجيبت[1].

فهل أكرمت شريفاً من ذرّية الرسول ﷺ؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) تذكرة خواصّ الأُمّة: ٢٠٨ و ٢٠٩، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ١٦٩.

مصادر للمراجعة والتحقيق في تكريم الذرّية

١ ـ الفضائل العلويّة	الشيخ الصدوق
٢ ـ وجوب الجنّة لمن ينسب ولادته إلى النبيّ	الشيخ المفيد
٣ ـ ذكر خديجة وفضل أهل البيت	عبد العزيز الجلودي
٤ ـ المودّة في ذوي القربى	إبراهيم بن محمّد الثقفي
٥ ـ من قتل من آل محمّد	إبراهيم بن محمّد الثقفي
٦ ـ فضل العرب	محمّد بن أحمد بن يحيى الأشعري
٧ ـ كتاب في فضل العرب	علي بن هلال المهلّبي
٨ ـ فضائل بني هاشم	عثمان بن عمرو الجاحظ
٩ ـ كشف الغمّة	علي بن عيسى الإربلي
١٠ ـ الآل	ابن خالويه
١١ ـ واقعات العلويّين	التقي بن دأب
١٢ ـ نسب آل أبي طالب	يحيى بن الحسن العلوي
١٣ ـ الشافي	السيّد أبو الحسن العلوي
١٤ ـ المجدي في أنساب الطالبيين	السيّد أبو الحسن عليّ بن محمّد العلوي
١٥ ـ أخبار عيون بني هاشم	محمّد بن محمّد
١٦ ـ جنى الجنّتين في ذكر ولد العسكريين	قطب الدين الراوندي
١٧ ـ الردّ على مبغضي آل محمّد	سهل بن زازويه القمّي
١٨ ـ الفرق بين الآل والأُمّة	عيسى بن مهران
١٩ ـ غرايب قريش وبني هاشم	هشام بن محمّد الكلبي
٢٠ ـ فرائد العقدين	السيّد السمهوري
٢١ ـ معاذير بني هاشم فيما نقم عليهم	الحسن بن علي الأطرش
٢٢ ـ فضل العرب	أبو عباس القمّي الحميري
٢٣ ـ ما روي في أولاد الأئمة	محمّد بن الحسن الصفّار
٢٤ ـ مقاتل الطالبيين	محمّد بن علي بن العباس
٢٥ ـ المودّة في القربى	أبي الحسن البخاري
٢٦ ـ فضائل السادات	السيّد محمّد أشرف ميرداماد

الفهرس

الاهداء ٣
المقدّمة ٥
الفصل الأوّل ـ الذرّية لغةً واصطلاحاً ٢١
الفصل الثاني ـ السيّد لغةً واصطلاحاً ٤٥
الفصل الثالث ـ إكرام الذرّية من طرق الخاصّة ٤٧
الخمس في القرآن والسنّة ٦٩
إكرام الذرّية في الروايات ٨٠
الفصل الرابع ـ تكريم ذرّية الرسول من طرق العامّة ٩٥
الخاتمة ١١٣
المصادر ١٢٧
الفهرس ١٢٨